

تَفِينَيْ الْمِيْلِ إِلْ فَيْنِ

تأليف

صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الحيمت طبقي المراغي أستاذالشربيذالإسلامية واللغة المربية. بملية دارالف ومسابعا

الجزالثام والعيشون

دَاراجِتِ والنَّراتِث الْلَّرَافِي برونت

الجزء الثأمن والعشرويه

سورة المجادلة

هى مدنية وآيها ثنتان وعشرون ، نزلت بعد سورة المنافقين .

ووجه اتصالها بما قبلها :

(١) أن الأولى ختمت بفضل الله ، وافتتحت هذه بمـا هو من هذا الوادى .

(۲) أنه ذكر فى مطلع الأولى صفائه الجليلة ومنها الظاهر والباطن — وذكر
 فى مطلع هذه أنه سمع قول الحجادلة التي شكت إليه تعالى .

قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي مُجَادِلِكُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ، وَالله يَسْمَعُ مَحَاوُلُ وَمَنْ مَعَ اللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهِ مَا ال

ذَٰلكُمْ ثُوعَظُونَ بِهِ ، وَٱللهُ عِنَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ ۚ يَجَدْ فَصِياًمُ شَهْرَيْنِ مُتَنَابِمِنْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَهَاسًا ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْمَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، ذَٰلِكَ لِتُوْمِّنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتِلْكَ حَدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤).

تفسير المفردات

سمم : أى أجاب وَقَبِل، كما يقال سمم الله لمن حمده ، والتي تجادلك في زوجها: هي خَوْلَةُ بِنْتَ تَعْلِبَةً بِنِ مَالِكَ الخَرْرِجِيةِ ، وَتَجَادِلْكُ : أَى تَرَاجِعَكَ الكَلَامِ في أمره وفيما صدر منه في شأنها ، وتشتكي إلى الله : أي تبثُّ إليه ما انطوت عليه نفسها من غمَّ وهمّ وتضرع إليه أن يزيل كربها ، وزوجها : هو أوس بن الصامت أخو عُبادة ابن الصامت، والسمم: صفة تدرك بها الأصوات أثبتها الله تعالى لنفسه، والتحاور: المرادّة في الكلام ، والكلام المردّد ، كما يقال كلمته فما رجع إلى حوارا : أي ماردٌ على بشيء، والظهار : لغة من ظاهر ؛ ويراد به معان مختلفه باختلاف الأغراض فيقال ظاهر فلان فلانا : أي نصره ، وظاهر بين ثوبين : أي لبس أجدهما فوق الآخر ، وظاهر من امرأته : أي قال لها أنت على كظهر أمي ، أي محرَّمة ، وقد كان هذا أشد طلاق في الجاهلية ، والظهار شرعا : تشبيه المرأة أو عضو منها بامرأة محرمة نسبا أو رضاعا أو مصاهرة بقصد التحريم لا بقصد الكرامة ، ولهذا العني نزلت الآية، « إِنْ أُمَّهَا مُهُمْ إِلَّا اللَّا فِي وَلَدْمَهُمْ » : أي ماأمهاتهم . والمنكر : ماينكره الشرع والعقل والطبع، وزوراً: أي كذبا ، فتحرير رقبة : أي عتق عبد أو جارية ، أن يتماسا : أي أن بحتمعا اجماع الأزواج ، متتابعين : أي متواليين ، فن لم يستطع : أي من لم يقدر على ذلك لكبر سنَّ أوضعف أو شَبَق إلى النساء، حدود الله : أي أحكام شريعته ، وللكافرين : أي وللذين يتعدُّون الأحكام ولا يعملون بها .

المعنى الجملي

روى أن هذه الآيات الأر بم نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوسبن الصامت . ومن حديث ذلك : « أن أوساكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه ، فدخل على خولة يوما فراجعته بشيء ففضب ، فقال لها : أنت على كظهر أمي (وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته حرمت عليه) وكان هذا أول ظهار في الإسلام ، فندم لساعته ، فدعاها (طلب ملامسها) فأبت ، وقالت : والذي نفسي بيده لاتصل إلى وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله ، فأتت الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في ، فلما خلا سنى ونثرت بطني (كثر ولدى) جعلني عليه كأمه إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لى رخصة تنعشني بها وإياه فحدِّثني بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : والله ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن ، وفي رواية ما أراك إلا قد حرُمت ، قالت : ماذكر طلاقا ، وجادلت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا ثم قالت : اللهم إنى أشكو إليك شدة وحدثى ، وما يشق على من فراقه . وفي رواية أنها قالت : أشكو إلى الله فاقتى وشدة حالى ، و إن لى صبية صغارًا إن ضممتُهم إليه ضاعوا ، و إن ضمتهم إلى جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السهاء وتقول : اللهم إنى أشكو إليك ، اللهم فأنزل على لسان نبيك ، وما برحت حتى نزل القرآن فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياخولة أبشرى ، قالت خبرا فقرأ عليها «قَدْ سَمِعَ الله ، الآمات .

روى البيغارى فى قاريخه أنها استوقفت عمر يوما فوقف ، فأغلظتْ له القولَ ، فقال رجل : ياأمير للؤمنين ما رأيتُ كاليوم ، فقال رضى الله عنه : وما يمنعنى أنأستمم إليها وهى التى استمم الله لها ، فأنزل فيها ما أنزل « قَدْ سَمِسَمَ اللهُ » الآيات .

والشارع اعتبر الظهار يمينا وأوجب فيها الكفارة عند إرادة الملامسة بأحد أمور ثلاثة على الترتيب الآني :

- (١) تحرير رقبة (عتق عبد أو جارية) .
- (۲) صیام شهرین متوالیین إن لم یجد مایعتقه .
- (٣) إطعام ستين مسكينا إن لم يستطع الصوم لـكبرأو مرض لا يرجى زواله ،
 فـكل مسكين نصف صاع من بر (رطل وثلث) أوصاع من تمر أوشعير .

الإيضاح

(قد سمم الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركم إن الله سميع بصير) أى قد قبل الله شكوى التي جادلت رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن زوجها ، وبنّت أمرها إلى زبها ، وسمع ما سمع من تحاورها مع رسوله ، والله سميع لما يقال ، خبير بحال عباده ، فأنزل فيها ما أزال غُصّتها ، وفرج كر بنها ، وأقرّ به عينها ، وبل به ريقها ، وأرجع إلى كنفها صبيتها ، الذين كانوا مصدر شِقوتها ، وبهم اعتلت (تعلّت واحتجت) على رسوله .

وقد فصل ما أنزل من الحكم في حادثتها وأمثالها فقال :

(الذين يظاهرون منكم من نسلتهم) أى الذين يقع منهم الظهار من نسائهم فيقول أحدهم لامرأته : أنت على كظهر أى ، يريد أنك ِ ظَلَى حرام ، كما أن أي على ّ حرام — مخطئون فيا صنعوا .

ثم بين وجه خطئهم فقال :

(ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللأفي ولدنهم) أي مانساؤهم أمهاتهم على الحقيقة

فكيف يجعلونهن كذلك ، ماأمهاتهم إلا من والدمهم ، فلا ينبغي تشديمهن بهن .

ثم زاد الأمر إيضاحا وبالغ فى الاستهجان فقال : (د أن التر أن

(و إنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى وإنهم ليقولون قولا منكرا لا بجيزه شرع، ولا يرضى به عقل، ولا يوافق عليه ذوطبع سليم، فكيف تشبّه من يسكن إليها، وتسكن إليه، وجعل بينه وبينها مودة ورحمة، وصلة خاصة لا تكون لأم ولا لأخت، بمن جمل صلتها بإنها صلة الكرامة والحنو والإجلال والتعظيم، إلى أن الرجل قوّام على المرأة له حق تأديبها إذا اعوجّت ، وهجرانها فى المضاجع إذا جمعت ولم يُمُط ذلك لابن ليمامل به أمه . فهذا زور وبهتان عظيم .

وغير خاف ما في هذا من الاستهجان ، وشديد النشنيع على صدور هذا القول ممهم.

(و إن الله لمفوِّ غفور) لما سلف من الذنب متى تاب قاعله منه .

ثم فصل حكم الظهار فقال:

 (١) (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحر ير رقبة من قبل أن يتماسا) أى والذين يقولون هذا القول الذكر ثم يتداركونه بنقضه ويرجعون عما قالوا فيريدون المسيس فعلى كل منهم عتق عبد أو أمة قبل التماس إن كان ذلك لديه .

ثم بين السبب في شرع هذا الحسكم فقال:

(ذلك توعظون به والله بما تصاون خبير) أى إنه شرع لسكم حكم الكفارة عند طلب المعودة إلى السيس، ليكون ذلك زاجرا لسكم عن ارتسكاب المسكر، فإن الككارة تمنع من وقوع الجرام، والله خبير بأعمالكم لا يخنى عليه شيء منها، وهو عاز يكم بها، فانتهوا عن قول المنكر، وحافظوا على ما شرع لسكم من الحدود، ولا تخلوا بشيء منها.

- (٣) (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) أى فن لم يجد رقبة ولا تمنها فاضلا عن قدر كفايته ؟ فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين من قبل التماس، فإن أفطر يو ما من الشهرين ولو اليوم الأخير لعذراً ومرض أوسفر لزمه الاستشاف بصوم جديد لزوال التتابع .
- (٣) (فن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) أى فن لم يستطع صيام الشهرين المتتابعين لكبرسن أو مرض لا يرجى زواله – فعليه إطعام ستين مسكينا لكل منهم نصف صاع من بُر" ، أو صاع من شعير أو تمر قبل التماس أيضا .

(ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) أى ذلك

الذى بينّناه لكم من وجوب الكفارة حين الظهار ، لتقروا بتوحيد الله . وتصدّقوا رسوله وتنتّمواً عن قول الزور والكذب، وتتبعوا ما حده الدين من حدود ، وبينه لكم من فرائض ، وللجاحدين بهذه الحدود وغيرها من فرائض الله عذاب مؤلم على كغرهم بهاً .

وأطلق اسم (الـكنافر) على متعدّى هذه الحدود تفليظا للزجر كما قال فى التمهاون فى أداء فريضة الحج « وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِيْ عَنِ الْمَاكَبِينَ » .

إِنَّ النَّيِنَ يُحَادُونَ اللهَ وَرَسُولُهُ كَبُنُوا كَمَا كَبُنِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَفَدْ أَنْزُلْنَا آیَات یَشْنَات وَلِلْكَافِرِینَ عَذَاب مُهِینٌ (٥) یَوْمَ یَشْمُهُمُ اللهٔ
جَیِها فَیْلَبُّهُمْ عِلَى عَلْوا، أَحْسَاهُ الله وَنَسُوهُ، وَالله عَلَى كُلِّ شَيْه شهید (۲)
أَمْ " تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوات وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَسكُونُ مِنْ بَحْوَى اللاَمَة إلاَّهُ هُو رَابِمُهُمْ وَلاَ خَسْهَ إلاَّهُ هُو سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ فَاكُو وَلاَ أَدْنَى مِنْ فَاللهَ وَلاَ أَدْنَى مِنْ فَاللهَ وَلاَ أَدُوا مُنْ بَعْنَهُمْ عَلَوا يَوْمَ الْفِيامَة إِنَّا لَهُ بَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوات وَمَا فَي النَّذَانُهُمْ عَلَوا يَوْمَ الْفِيامَة إِنَّا لَهُ بَكُلُ شَيْهُ عَلَيْهِ الْفِيامَة إِنَّا لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

تفسير المفردات

محادون: أى يشاقون ويعادون، وأصل المحادّة المانمة؛ ومنه قيل للبواب حداد، كبتوا: أى خذلوا، وقال المبرد: كبت الله فلانا إذا أذله، وللردود بالذل: مكبوت، آيات بينات: أى حججا و براهين مبينة لحدود شرائمنا، مهين: أى يُكْحِق بهم الهوان والذل، فينبئهم بما علوا: أى مخبرهم بأعمالهم توبيخا وتقريعا لهم، أحصاه الهوان والذل، فينبئهم بما علوا: أى مخبرهم بأعمالهم توبيخا وتقريعا لهم، أحصاه الله: أى أحاط به عدًا لم يغب عنه شيء منه، شهيد: أى مشاهد لا مخفي عليه شيء

أَلْمَ تر: أَى أَلَمْ تَعْلَمُ ، ما يكون: أَى ما يُوجِد ، والنجوى : التناجي وللسارّة كمّ قال : « لاَخَيْرَ فَى كَثِيرٍ مِنْ نَجَوْرَاهُمْ » وقد يستممل فى المتناجين كما قال : « وَ إِذْ هُمْ * نَجَوّى » أَى أَصحَاب نجوى .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أحكام كفارة الظهار، وبيّن أنه إعما شرعها تغليظا للناس حتى يتركوا الظهار (وقد كان ديدنهم في الجاهلية) ويتبعوا أوامر الشريعة، ويلين قيادهم لها، ويخلصوا لله ربهم في جميع أعمالهم، فتصغو نغومهم، وتزكو بصالح الأعمال. أردف هذا ببيان أن من يشاق أقه ورسوله ويسمى أوامره، يلحق به الخزى والهوان في الدنيا وله في الآخرة العذاب المبين في نار جهنم ؟ ثم أعقب ذلك بالوعيد الشديد، فين أنه لا تخنى عليه خافية في الأرض ولا في الساء، فهو عليم بمناجاة المتناجين، فإن كانوا ثلاثة فهو رابعهم، وإن كانوا خسة فهو سادسهم، وإن كانوا أقل من ذلك أو أكثر فهو معهم أينا كانوا، فلا تظنوا أنه تخنى عليه أعمالسكم، وسينبثكم بها عند المرض والحساب، وحين ينصب الميزان، فتلقون جزاء ما كسبت أيديكم، وتندمون ولات صاعة منده.

الإيضاح

(إن الذين يحادّون الله ورسوله كبتواكما كبت الذين من قبلهم) أي إن الذين يختارون لأنفسهم حدودا غير ماحده الله ورسوله ، ويضمون شرائع غير ما شرعه ، سيلحقهم الخزى والنكال فى الدنياكما لحق من قبلهم من كفار الأسم الماضية الذين حادوا الله ورسله ، وقد تحقق ذلك يوم الحندق .

وفى هذا بشارة للمؤمنين بظهورهم على عدوهم ونصر الله لهم .

كما أن فيه وعيدا عظيما للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا قوانين وشرائع وضعية غير ماشرع الله ، وألزموا رعاياهم العمل بها ، والجرى على نهجها ، وعينوا لذلك قضاة يحكمون بها ، ونبذوا ماجاء فى شرعهم ، والله يقول : « الْيَوْمَ أَ كُمْلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَتُ كَلَيْمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا » .

ندم إنه لابأس بالقوانين السياسية إذا وقعت باتفاق ذوي الآراء من أهل الحل والمعقد على وجه يكون به انتظام شمل الجماعات ، إذا كانت لا تخالف في أحكامها روح التشريع الديني كتعيين مراتب التأديب للزجر على الماصي ، والجنايات التي لم ينص الشارع فيها على حد معين ، بل فوض الأمر فيها للإمام ، وليس في ذلك محادة لله ورسوله ، بل فيها استيفاء لحق الله على الوجه الأكل .

(وقد أنزلنا آيات بينات) أى وكيف يفعلون ذلك وقد أقمنا دلائل واضحات تبين معالم الشريعة وتوضح حدودها ، وتفصل أحكامها ، وتبين سرّ تشريعها ؟ فلا عذر لهم فى مخالفتها ، والانحراف عن سننها .

(وللكافرين عذاب مهين) أى وللجاحدين بتلك الآيات عذاب يذهب بعزهم وكبريائهم .

والخلاصة — إن لهؤلاء المحادين عذابا فى الدنيا بالخرى والهوان ، وعذابا فى الآخرة فى جهم و بئس القرار .

(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد) أى واذكر لهم أيها الرسول حالهم يوم بجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيخبرهم بما كسبت أيديهم تشهيرا لهم وخزيًا على رءوس الأشهاد ، والله قد حفظه وضبطه وهم قد نسوه ، والله شهيد على كل شيء ، فلا يفيب عنه شيء ، ولا ينسى شيئًا .

وفى هذا شديد الوعيد، والتقريع العظيم ، ليعرفوا أن ماحاق بهم من العذاب : إنمـاكان من جَراء أعمالهم وقبيح أفعالهم . ثم أكد ما سبق من إحاطة علمه تعالى بكل شيء فقال :

(ألم ترأن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو معهم هو رابعهم ، ولا خسة إلا هو معهم أينا كانوا) أى ألم تعلم أنه تعالى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، فلا يتناجى ثلاثة إلا والله معهم و يعلم ما يقولون وما يدبرون ، ولا خسة إلا وهو سادمهم يعلم ما به يتناجون ، ولا نجوى أكثر من هذه الأعداد ولا أقل منها إلا وهو عليم بها ، وعليم بزمانها ومكانها لا يخيى عليه شىء من أمرها .

و إيما خص هذه الأعداد، لأن أذل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تدبير للصالح العامة — ثلاثة فيكون الاثنان كالمتنازعين نفيا و إثباتا ، والثالث كالحكم بينهما ، وحينثذ تكل المشورة و بتم الغرض ، وهكذا في كل جم اجتمعوا المشورة لابد من واحد يكون حكماً مقبول القول ، ومن ثم يكون عدد رجال المشورة فردا كا جاء في الآية ، ونحوها قوله : « أَمْ مَ يَمْلُوا أَنَّ اللهَ يَمْلُمُ اللهُ مَرَّهُمْ وَبَجُواهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلامُ النُعيُوبِ » وقوله : « أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ لاَ نَسْمَعُ سِرِهُمْ وَبَجُواهُمْ ؟ بَلَى وَرُسُلُنا لَدَسْمَعُ سِرِهُمْ وَبَجُواهُمْ ؟ بَلَى وَرُسُلُنا لَدَسْمِ يُسِرَّهُمْ وَبَجُواهُمْ ؟ بَلَى وَرُسُلُنا لَدَسْمَ سِرِهُمْ وَبَجُواهُمْ ؟ بَلَى

(ثم ينبثهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) أى ثم ينبي هؤلاء للتناجين بما عملوا من عمل بحبه أو بسخطه يوم القيامة ، وإنه لعليم بنجواهم وأسرارهم لا تحنى عليه خافية من أحرهم .

وقد علمت أن هذا الإنباء إنما هو لزيادة التقريح والتوبيخ على ممأى ومسمع من أهل الموقف ، فيكون ذلك أنكى وأشد إيلاما لهم .

أَلَمْ ثَرَ إِلَى الَّذِينَ شُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبُودُونَ لِمَا شُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمَ وَالنَّدُوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ، وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَالَمَ بِمُمِلِّكَ بِهِ اللهُ ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْسُمِمْ لَوْلاَ يُمَذَّبُنَا اللهُ عِا تَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونُهَا فَيْدُنَ اللهِ عِا تَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونُهَا فَيْدُنَ اللهِ عَالَمَتُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقُوى وَأَتَقُوا اللهَ اللهِ عَلَيْتُو وَالتَّقُولَ اللهَ اللهِ عَلَيْتُولُ اللهِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقُولَ اللهَ اللهِ عَلَيْتُولُ اللهِ عَلَيْتُولُ اللهِ وَلَيْتُولُ اللهِ وَقَلَى الشَّيْطَانِ لِيَعْزُنُ اللّذِينَ آمَنُوا وَلَيْنَ مِنْ الشَّيْطَانِ لِيَعْزُنُ اللّذِينَ آمَنُوا وَلَيْنَ وَلَيْتَوَ كُلُ المُؤْمِنُونَ (١٠) .

تفسير المفردات

الذين نهوا عن النجوى: هم اليهود والمنافقون ، بالإثم : أى بما هو معصية وذنب ، والدين نهوا عن النجوى : هم اليهود وللنافقية ، لولا يعذبنا الله : أى هلا يعذبنا الله : أى المدوان : الله بسبب ذلك ، حسبهم جهنم : أى عذاب جهنم كاف لهم ، يصاوتها : أي يقدبنا بسبب ذلك ، حسبهم جهنم : أى عذاب جهنم كاف لهم ، يصاوتها : أي يقدون حريما .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أنه عليم بالسر والنجوى ، وأنه لا تخفي عليه خافية من أمرهم ، فهو عليم بما يكون من التناجى بين الثلاثة والحسة والأكثر والأقل ، وبجازيهم على ما يكون به التناجى — خاطب رسوله معجبًا له من اليهود والمنافقين الذين بهوا عن التناجى وون المؤمنين ، فعادوا لما بهوا عنه ، وما كان تناجيهم إلا بحد أم وعدوان على غيرهم ، ثم ذكر أنهم كانوا إذا جاموا الرسول حيوّه بغير تحية الله ، فيقولون له : السام عليك (يريدون الموت) ثم يقولون في أنفسهم : لوكان رسولا لعذبنا الله للاستخفاف به ، وإن جهم لكافية جد الكفاية لعذابهم ، ثم نهى المؤمنين أن يفعلوا مثل فعلهم ، بل يتناجون بالبر والتقوى ؛ ثم بين أن التناجى بالإثم والعدوان من الشيطان ولن يضيرهم شيء منه إلا بإذن الله ، فعليه فليتوكلوا .

الإيضاح

(ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) « روى أن اليهود كانوا إذا من بهم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون فيا بينهم حتى يظن للؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره ، حتى إذا رأى ذلك خشبهم ، فترك طريقهم ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأثرل الله الآية » .

ثم بيّن مابه يتناجون فقال :

(ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أى وهم يتحدثون فيا بينهم بمـا هو إثم فى نفسه ووباله عليهم ، و بمـا هو تعدُّ على المؤمنين ، وتواص بمخالفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ثم ذكر جُرُ مَّا آخر يقع منهم فقال:

(و إذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) روى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة « أن ناسًا من اليهود دخاوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقال عليه السلام : وعليكم ، قالت عائشة : وقلت : عليكم السام ولمنكم الله وغضب عليكم؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ياعائشة عليك بالرفق ، وإياك والمنف والقحش ، فقلت : ألا تسمعهم يقولون السام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : وَأَمَا سَهْمَتُ مِنَا أَقُول : وعليكم ؟ فأ ترل الله تعالى : (وَ إِذَا تَجَاهُ وَكَ حَيَّوْكَ) الذية » .

(ويقولون فيأنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أى يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام و إيهام السلام وهم يريدون شتمه ، ويحدَّثون أنفسهم أنه لوكان نبيًّا حقا لمذبنا الله بما نقول ، لأن الله يعلم ما نسره ، فلوكان نبيا حقا لعاجلنا بالعقوبة في الدنيا فردَّ الله عليهم بقوله :

(حسبهم جهنم يصلونها فيئس المصير) أى و إن جهنم وما فيها من المذاب الألم لكافية لمقابهم ونكالهم ، وقد أجَّل عذابهم إلى هذا اليوم . ثم قال تمالى مؤدبا عباده المؤمنين ألا يمكونوا مثل اليهود والمنافقين فقال :

(يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أى إذا حدث منكم أيها المؤمنون تناج ومسارة فى أنديتكم وخلواتكم ، فلا تفعلوا كما يفعل أوالك الكفار من أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين .

(وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون) أى وتناجوا بما هو خير وانقوا الله فيما تأتون وما تذرون ، فإليه تحشرون فيخبركم بجميع أعمالكم وأقموالكم التى أحصاها عليكم، وسيجزيكم بها .

ثم بين الباعث لهم على هذه النجوى والمزيِّن لهم ذلك فقال :

(إنما النجوى من الشيطان) أى إنما التناجى بالإثم والمدوات من وسوسة الشيطان وتزيينه .

ثم ذكر السبب الذى حداه إلى ذلك فقال:

(ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله) أى إنما فمسل ذلك. ليسوء الذين آمنوا بإيهامهم أن ذلك فى نكبة أصابتهم ، وليس الشيطان بضارً المؤمنين شيئًا إلا بإرادة الله ومشيئته .

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى إن ما يتناجى به المنافقون مما يحزن المؤمنين إن وقع ، فإنما يكون بإرادة الله ومشيئته ، فلا يكترثن المؤمنون بتناجيهم ، وليتوكلُنَّ على الله ولا يجزئنَّ .

وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى إذا كان فى ذلك أذى لمؤمن . أخرج البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون النالث إلا بإذنه ، فإن ذلك يحزنه » . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللهُ لَكُمْ ، وَإِذَا قِيلَ ٱنْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفُعَ ِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوثُوا الْبِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللهُ مِا تَفْعَلُونَ خَبِيرٌ (١١) .

تفسير المفردات

تفسحوا : أى توسعوا وليفسح بمضكم عن بعض ، من قولهم : افسح عنى أى تنح ، يفسح الله لكم : أى قد رحمته و يوسع لكم فى أرزاقكم ، انشزوا : أى المهضوا للتوسعة على القبلين ، فانشزوا : أى قالمهضوا ولا تتباطئوا ، يرفع الله الذين آمنوا : أى يرفع منزلتهم يوم القيامة ، والذين أوتوا العلم درجات ، أى و يرفع العالمين منهم خاصة درجات فى السكرامة وعلو المنزلة .

المعنى الجملي

بعد أن نهى عباده المؤونين عما يكون سببا للتباغض من التناجى بالإثم والمدوان . أصرهم بما يكون سبب التواد والتوافق بين بمض للمؤمنين و بعض : من التوسع فى المجالس حين إقبال الوافد ، والانصراف إذا طلب منكم ذلك .

فإذا فعلم ذلك رفع الله منازلكم فى جنانه ، وجعلكم من الأبرار الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

الإيضاح

('يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) أى بأيها الذين آمنوا بالله وصدقوا برسوله ، إذا قيل لكم توسعوا فى مجالس رسول الله أو فى مجالس القتال ، فافسحوا يفسح الله فى منازلكم فى الجنة . أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حبان قال : «كان صلى الله عليه وسلم يوم جمة فى الشّفة وفى الكان ضِيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجو بن والأنصار ، نجمة فى الشّفة وفى الكان ضِيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجو بن والأنصار ، فجاء ناس منهم ثابت بن قيس وقد سُبقُوا إلى المجالس ، فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّع لهم، ، فله عليه وسلم فقال أن يقسحوا لهم ، فشتى ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهض من حوله : قم يا فلان ، قم يافلان ، فأقام نفراً بمقدار من قدم ، فشتى ذلك عليهم ، وعرفت كراهيته فى وجوههم ، وطمن للنافقون وقالوا : والله ما عدل على عليهم ، وعرفت كراهيته فى وجوههم ، وطمن للنافقون وقالوا : والله ما عدل على هؤلاء ، إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب منه ، أقامهم وأجلس من أبطأ عنه فنزلت الآية » .

وقال الحسن : كان الصحابة يتشاحون في مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب ، فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في الشهادة ، ومن الآية نملم :

- (١) أن الصحابة كانوا يتنافسون فى القرب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع حديثه ، لما فيه من الخير العميم ، والفضل العظيم ، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام ه ليلينى منكم أولو الأحلام والثّمى » .
- (٢) الأمر بالتغسح في الحجالس وعدم التضام فيها متى وُجد إلى ذلك سبيل ،
 لأن ذلك يدخل الحجة في القلوب ، والاشتراك في سماع أحكام الدين .
- (٣) إن كل من وسع على عباد الله أجراب الخير والراحة ، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة .

وعلى الجلة فالآية تشمل التوسع فى إيصال جميع أنواع الخير إلى المسلم و إدخال السرور عليه ، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام « لايزال الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » . (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى وإذا دهيتم إلى القيام عن مجلس رسول الله صلى الله على على رسول الله صلى الله على وسلم كان يؤثر الانفراد أحيانا لتدبير شئون الدين ، أو لأداء وظائف تخصه لا تؤدَّى أو لا يكل أداؤها إلا للانفراد .

وقد عموا هذا الحسكم فقالوا : إذا قال صاحب مجلس لمن فى مجلسه قوموا ينبغى أن يجاب .

ولا ينبغى لقادم أن يقيم أحداً ليجلس فى مجلسه ، فقد أخرج مالك والبخاري ومسلم والترمذى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُقيم الرجلُ الرَّجلِ من مجلسه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » .

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أى يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله ، والعالمين منهم خاصة درجات كثيرة فى الثواب ومراتب الرضوان .

والخلاصة — إنكم أيها المؤمنون إذا فسح أحدكم لأخيه إذا أقبل ، أو إذا أمر بالخروج فخرج ، فلا يظانن آن ذلك نقص فى حقه ، بل هو رفعة وزيادة قر بى عند ربه ، والله تعالى لا يضيع ذلك بل مجزي به فى الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله تلده ، ونشر ذكره .

(والله بما تمملون خبير) أى والله بأعمالكم ذو خيرة لا يخفي عليه المطبع منسكم من المامى ، وهو مجازيكم جميعاً بأعمالكم ، فالمحسن بإحسانه ، والمسىء بالذى هو أهله أو يمنو .

يَا أَيُّهَا النَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاحَيْهُمُ السَّمُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَى ْ نَجُوا كُمْ صَدَقَةً ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمَ سَجَدُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَى ْ نَجُوْا كُمْ صَدَقَاتٍ ،

َ فَإِذْ لَمْ ۚ تَفْمَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْتُكُمْ فَأْقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآثُوا الزَّكَاةَ وَأَطْيِمُوا اللهِ وَرَسُولَهُ ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَمْمَلُونَ (١٣) .

تفسير المفردات

ناجيتم الرسول: أى أردتم مناجاته والحديث معه ، فقدَّموا بين يدى نجواكم صدقة: أى فتصدقوا قبلها ، أطهر: أى أزكى ، لتعويد النفس بذل المال وعدم الضنّ به ، «أشفقتم: أى خقتم ، تاب الله عليكم : أى رخص لكم فى المناجاة من غير تقديم صدقة .

المعنى الجيلي

علمت من الآية السائفة أن المؤمنين كانوا يتنافسون في القرب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع أحاديثه ولمناجاته في أمور الدين ، وأكثروا في ذلك حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم وشفلوا أوقاته التي يحب أن تكون موزعة بين إبلاغ الرسالة والعبادة ، والقيام ببعض وظائفه الخاصة ، فإنه بشر يحتاج إلى قسط من الراحة ، وإلى التحدث إلى ربه في خلواته .

من أجل هذا نزلت هذه الآيات آمرة بوجوب تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحديث معه، لما في ذلك من منافع ومزايا :

- (١) إعظام الرسول و إعظام مناجاته ، فإن الشيء إذا نيل مع المشقة استُعظم ،
 وإن نيل بسهولة لم يكن له منزلة ورفعة شأن .
 - (٣) نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقات المقدمة قبل المناجاة .
- (٣) تمييز المنافقين الذين محبون المال ويريدون عرض الدنيا ... من المؤمنين حقّ
 الإيمان الدين يريدون الآخرة وما عند الله من نعيم مقيم .

قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه: وأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل هذه الآيات فكف كثير من الناس عن المناجاة.

الإيضاح

(يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) أى أي المؤمنون إذا أراد أحد منكم أن يناجى الرسول ويسارة فيا بينه و بينه ـ فليقدم صدقة قبل هذا ، لما في ذلك من تعظيم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ونفع الفقراء والتمييز بين المؤمن حقا وللنافق ، ومحب الآخرة ومحب الدنيا ، ومن دفع الشكائر عليه صلى الله عليه وسلم من غير حاجة ملحة إلى ذلك .

ثم ذكر العلة في هذا فقال :

(ذلك خير لكم وأطهر) أى إن في هذا التقديم خيرا لكم ، لما فيه من الثواب المظلم عند ربكم ، ومن تزكية النفوس وتطهيرها من الجشع في جمع المال وصب ادخاره ، وتعويدها بذله في المصالح العامة كأغاثة ملهوف ، ودفع خصاصة فقير ، وإعانة ذي حاجة ، والنفقة في كل ما يرقى شأن الأمة ويرفع من قدرها . ويعلى كتمها ، ويؤيد الدين وينشر دعوته .

ثم أقام العذر للفقراء فقال :

(فَإِن لَمْ تَجِدُوا فَإِن الله غَفُور رحيمٍ) أَى فَإِن لَمْ تَجِدُوا الصَّدَقَةُ أَيْهَا النقراء وعجزتم عن ذلك فالله قد رخص لسكم فى المناجاة بلا تقديم لها، لأنه ما أمر بها إلا من قدر عليها .

وقد شرع هذا الحكم لتمييز المخلص من المنافق ، فلما تم هــذا الغرض انتهى ذلك الحـكم ورخص في المناجاة بدون تقديم صدقة ، فقال : (ءَأَشَفَقَتُم أَن تقدموا بين يدى نجوا كم صدقات) أى أبخلتم وخفّم العيلة والفاقة إن قدّمتم الصدقات ، ووسوس لكم الشيطان أن فيهذا الإنفاق ضياعا للمال ؟

(فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) أى فحين لم تفعلوا ما أُمِرْ تم به ، وشق ذلك عليكم ، خفف عنكم ربكم فرخص فى المناجاة من غير تقديم صدقة ، فتداركوا ذلك بالمنابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال :

(فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى فأدوا الصلاة وقوتموها بأدائها على أ كمل الوجوه ، لما فيها من الإخبات والإنابة إليه والإخلاص له في القول والعمل ، ونهيها عن الفحشاء والمنكر ، ولما في الزكاة من تطهير النفوس و إزالة الشح بالممال المستحوذ على القلوب الدافع أما إلى ارتكاب الشرور والآثام . وأطيعوا الله فيا يأمركم به من الفرائض والواجبات ، وينها كم عنه من الموبقات .

ثم وعد وأوعد فقال :

(والله خبير بما تعماون) فهو محيط بنوايا كم وأعمالكم . ومجازيكم بما قدمتم لأنفسكم من خير أو شر ، كما قال : « فَنْ يُمْمَلْ مِمْمَلْ مِثْمَلَ ذَرَّةٍ خَيْرًا بَرَهُ ، وَمَنْ يَمْمَلْ مِثْمَالَ ذَرَّةٍ شَرًا بَرَهُ » قا ن : « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلا مَا سَمَى ، وَأَنَّ سَمْيَهُ سوف يُركى ، ثمَّ مُجْزَاهُ الجُزَاء الْأُونَى » .

 اللهُ تَجِيمًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْهِ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ فَلَ إِنَّهُمْ هُمُ السَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ فِي اللَّهِمْ اللَّهِ ، أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَّا إِلَىٰ حِزْبَ الشَّيْطَانِ مَا أَلَّا إِلَىٰ عَرْبَ الشَّيْطَانِ مَا أَلَّا إِلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ الْفَالِدِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

تفسير المفردات

ألم تر: أى أخبرنى ، وهو أسلوب من السكلام براد به التعجب وإظهار الغرابة المعخاطب ، والمراد من الذين تولوا: المنافقون ، والتولى : من الموالاة وهى المودة والحجبة ، والقوم : هم اليمود ، وغضب الله : سخطه والطرد من رحمته ، ما هم منكم ولا منهم : أى لأنهم مذبذبون ، على الكذب : أى على أنهم ممكم على الإيمان ، جنة : أى وقاية وسترا على المؤاخذة ، على شىء : أى من جلب منفعة أو دفع مضرة ، استحوذ على الشيء : حواه وأحاط به ؟ قال المبرد ويقال حاوزت الإبل وحزيمًا إذا استوليت عليها وجمعها ، قالت عائشة : كان عمر أحوذيا نسيج وحديد : أى سائسا ضابطا للأمور لانظيرله ، فأنساهم ذكر الله : أى لم يكنهم من ذكره بما زين لهم من الشهوات ، وحزب الشيطان : جنوده وأتباعه .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتنافسون فى القرب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلقى الدين عنه والاهتداء بهديه حتى كان يضيق بهم الجلس ، فأسموا أن يتوسعوا ولايتضاموا ــ ذكر هنا حال قوم من المنافقين يوادّون اليهود ويطلعونهم على أسرار المؤمنين ، فهم عيون لهم عليهم ، وإذا لاقوا المؤمنين قالوا لهم: إنا ممكم نؤيدكم على أعدائكم بكل ما أوتينا من قوة وهم كاذبون

فى كل مايقولون ، وقد جعلوا الإيمان وقاية لستر ما يبطنون ، فأمنوا من المؤاخذة وجاسوا خلال ضعفاء المؤمنين يصدونهم عن الدين ، و يذكرون لهم ما يبغضهم فيه ؟ ثم أبان أن الله قد أعد لمثل هؤلاء عذا با شديدا يوم القيامة ، وما هم فيه من مال وولد فى الدنيا لن يغنى عنهم شيئًا حينئذ ؛ ثم ذكر أن الذى جرأهم على ما فعلوا هو الشيطان ، فقد استولى على عقولهم ، وزين لهم قبيح أعمالهم ، فأنساهم عذاب اليوم الآخر ؛ ثم ذكر أن أولئك هم جند الشيطان ، وجنود الشيطان لن تفلح فى شىء ، وسيرد الله عليهم كيدهم فى نحوره ، ويجبط سعيهم ، ويظهر نور دينه ولو كره الكافرون .

الإيضاح

(ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) أى أخبرنى عن حال هؤلاء للنافقين الذين اتخلوا اليهود أولياء يناصحوبهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين ؛ إنّ حالهم لتستدعى المحب، يقابلون كل قوم بوجه ، فهم مع اليهود نصحاء أمناء يبلغونهم ما يعرفونه من دخائل المؤمنين ، اكتسابا لصداقتهم وودهم ، ومع للؤمنين مؤمنون مخلصون، قد بلغ الإيمان قوارة نغوسهم ، وملك عليهم مشاعرهم وحواسهم ، والحقيقة أنهم يخدعون الفئتين كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله :

(ما هم منكم ولا منهم) أى فلا هم بالمؤمنين حقا بل هم مؤمنون من طرّف اللسان مداراة للمؤمنين وخوفا من بطشهم، ولا هم باليهود ، لأنهم لا يعتقدون أنهم على الدين الحق ، ولكنهم يريدون أن ينتفعوا بما عندهم من عَرَض الدنيا ، وأن يعتفطوا بمودتهم إذا احتاجوا إليها ، فهم كما قال الله فيهم : « مُذَبِّدَينَ تَبْينَ ذَلِكَ عَلَيْكَ هُولاً ، وَفَى الحَبْر : « مثل المنافق مثل الشاة المائرة بين غمين » أى المتردة بين قطيمين « لا تدرى أيّهما تنبع » .

ثم ذكر أنهم يؤكدون إيمانهم وإخلاصهم بالأيمان الكاذبة فقال :

(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا إنا آمنا وإذا جاء الرسول حلفوا وقالوا له : نشهد إنك لرسول الله ، والله يشهد إنهم لكأذبون فيا يقولون ، لأنهم لايعتقدون صدقه .

ثم ذكر مآلمم و بيّن مابلقون من النكال والو بال فقال :

(أعدّ الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ماكانوا يصلون) أى أرصد الله لهم نكالا وعذابا أليما جزاء صنيعهم بنش المسلمين واطلاع أعدائهم على أسرارهم، ونصحهم لهم. ثم ذكر ماجعلوه تُكاةً شهم على تصديقهم فقال:

(أنخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى أظهروا الإيمان ، وأبطنوا الكفر وتستروا بالأيمـــان الكاذبة ، فظن كثير بمن لا يعرف حقيقة أمرهم أنهم صادقون ، وبهذه الوسيلة صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله بتثبيط من لَقُوا عرف الدخول في الإسلام بتحقير شأنه في نظرهم .

ثم بين ما كافأهم به على عملهم فقال:

(فلهم عذاب مهين) أى فلهم عذاب يلحقهم به الذل والهوان فى النار جزاء ما استهنوا اسمه الكريم بالحلف به كذبا .

ثم أرشد إلى أن ماظنوه منْجِيا لهم من عذاب الله من المال والأولاد ــ ايس بنافع لهم حيننذ فقال :

(لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى لن تنفى عن هؤلاء المنافقين الأموال فيفتدوا بها من عذاب الله ، ولا الأولاد فينصروهم وينقذوهم من المذاب إذا هو عاقبهم ، فأولئك هم أهل النار وهم خالدون فيها أبدا ، وقد تقدم مثل هذا في غير موضع من الكتاب الكريم .

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) أى واذكر لهم أيها الرسول حالهم يوم يبعثهم الله جميعا من قبورهم أحياء كهيئتهم قبل ممساتهم ، فيحلفون له قائلين : « وَاللهِ رَبُّنَا مَا كُمناً مُشْرِكِينَ » كما كانوا محلفون لسكم فى الدنيا إنهم مؤمنون مثلكم .

(ويحسبون أنهم على شىء) أى ويعتقدون أن ذلك نافع لهم ، فيجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الصّيْر ، كما كان ذلك شأنهم فى الدنيا ، إذ كانوا يدفعون بتلك الأيمــان الفاجرة عن أرواحهم وأموالهم ، ويحصلون على فوائد دنيوية أخرى .

ثم أنكر عليهم أعمالهم فقال:

(ألا إنهم هم الكاذبون) فيا يحلفون عليه زعما منهم أن أيسامهم الفاجرة تروّج الكذب لديه تعالى ، كما تروّجه لدى المؤمنين في الدنيا .

وَنُمُو الآيَّةِ قُولُهُ : «ثُمَّ لمَّ تَكُنُ فِيثَنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا طَلَى أَنْشُهِمْ وَضَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

ثم بين السبب الذي أوقعهم في الردى، وأوصلهم إلى قرارة جهم فقال:

(أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) أى أولئك هم جنود الشيطان وأعوانه ، و إن جنده لهم الهالكون النبونون في صفقتهم ، إذ هم قد فو تواعلى أنسهم النميم القيم ، واستبدلوا به المذاب الأليم ، وليس من دأب الماقل أن يقبل مثل هذا لنقسه .

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُو لَئِكَ فِى الْأَذَلَّينَ (٢٠) كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى ، إِنَّ اللهَ فَوِى ْعَزِيزْ (٢١) لاَ تَجَدُ قَوْمًا يُوْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُو ادُّونَ مَنْ حَادًا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَا نُوا آ بَابَعْمِم أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَ الْمَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُو لَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُومِهُمُ الْإِيَمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْشِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها ، رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُو لَئِكَ حِزْبُ اللهِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْفُلِحُونَ (٢٧) .

تفسير المفردات

محادرن: أى يعادون و يشاقون ، فى الأذلين: أى فى جملة أذلَّ خلق الله ، لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر ، كتب الله: أى قضى وحكم ، لأغلبنَّ : أى بالحبمة والسيف ، وأيدهم: أى قواهم ، بروح من عنده : أى بنور يقذفه فى قلب من بشاء من عباده ، لتحصل له الطمأنينة والسكينة .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر حال أولئك المنافقين الذين يحلقون كذبا إنهم مؤمنون ، و بمالئون المؤمنين طورا واليهود طورا آخر اكتسابا لرضا الغريقين ، ثم يم بين أن الذى حملهم على ذلك هو الشيطان ، إذ غلبهم هلى أمرهم حتى أنساهم ذكر الله وما يجب فله من تعظيم . والإيمان باليوم الآخر . ثم حكم عليهم بأن صفقهم خاسرة ، لأنهم باعوا الباق بالفانى ، والزائل الذى لا دوام له بما هو دائم أبدا سرمدا _ بين هنا سبب خسرانهم وهو أنهم شاقوا الله ورسوله وعصوا أمرها ، فكتب عليهم الذلة فى الدنيا والآخرة ، إذ قد فضى بأن العزة والغلب له ولرسله ، والذلة لأعدائه ، ثم ذكر أن الإيمان الحق لا يجتمع مع موالاة أعدائه مهما قرب بهم النسب بأن كانوا آباء أو إبناء أو إخوانا أو من ذى المشيرة ، لأن المحادين كتبت عليهم الذلة ، وأولئك كتبت لهم الرخوة ، وقواهم ربهم بالطمأنينة والنبات على الإيمان ، وهم جند الله وناصرو دينه ،

وحزب الله مفلح لامحالة وقد كتبت له السعادة فى الدارين كما قال : ﴿ يُـأَيُّهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُ كُمْ وَيُكَبِّتْ أَفْدَاسَكُمْ ﴾ .

الإيضاح

(إن الذين مجادون الله ورسوله أولئك فى الأذلّين) أى إن الذين يخالفون أواص الله ونواهيه ، ويمتنمون عن أداء ما فرض عليهم من فرائضه ، هم فى جملة , أهل الذلة ، لأن الفلية لله ولرسوله وذلهم فى الدنيا يكون بالفتل والأسر والإخراج من الديار كما حصل للمشركين واليهود ، وفى الآخرة بالخزى والنكال والمذاب الألمِ كما قال سبحانه : «رَبِّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدُخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزِيْتُهُ وَمَا لِلفَا لِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ » .

وق هذا بشارة لدئومنين بأنه سيظهرهم على عدوهم ويكتب لهم الفوز ويكونون هم الأعزاء وسواهم الأذلاء .

ثم أكد ما سلف بقوله:

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قضى الله وحكم فى أم الكتاب بأن الفلية بالحجة والسيف وما يجرى مجراها تكون لله ورسله ، فقد أهلك كثيرا من أعدائهم بأنواع من المذاب كقوم نوح وقوم صالح وقوم لوط وغيرهم (والحرب بين نبينا وبين المشركين ، و إن كانت سجالا كانت العاقبة فيها له عليه الصلاة والسلام) ثم تسكون لأتباعه من بعده ماداموا على سننه ، محافظين على الحدود التي أمروا بها ، وجاهدوا عدوهم جهادا خالصا فنه على نحو جهاد الرسل ، لا لطلب ملك وسلطان ، ولالطلب دنيا ومال .

وعن مقاتل قال : لما فتح الله تعالى مكة للمؤمنين والطائف وخيير وما حولما ، قالو نرجو أن يُطْهِرنا الله على فارس والروم ، فقال عبد الله بن أبي رأس للنافقين : أتظنون أن فارس والروم كبعض القرى التى غلبتم عليها ؟ والله إنهم لأ كثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فنزلت : ﴿ كَتَبَ اللهُ لاَ غَلِيْنَ أَنَا وَرُسُلَى » .

وُنحو الآية قوله تعالى : « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِيَتُنَا لِيبادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنهُمْ لَمُمُّ اللّنفُسُورُونَ ، وَ إِنْ جُنْدَنَا لَمُمُّ الْفَالِمُونَ » .

(إِنَ اللهُ قوى عزيز) أَى إِن اللهُ الذَى له الأَمر كله — قوى على نصر رسله لاَيُشَكَب على مراده ، فتى أراد شيئا كان ولم يجد معارضا ولا ممانما كما قال : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ صُحْنُ فَيَسَكُونُ » .

(لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولوكانوا آياهم أو أبناءهم أو إخوامهم أو عشيرتهم) أى لاتجد قوما مجمعون بين الإيمان بالله واليوم الآخر ، ومودّة أعداء الله ورسوله ، لأن إيمان للؤمنين يفسد بمُوادة الكافرين، إذ من كان مؤمنا حقا لايوالى كافرا ، فمن أحب أحدا امتنع أن يوالى عدوه ، والراد من موالانه مناصحته و إرادة الخير له فى الدين والدنيا ، أما المخالطة وللماشرة فليست بمحظورة ؛ ولقد أصاب للسلمين اليوم من ذلك بلاء شديد ، فإنا نرى الأمم الإسلامية أصبحت فى أخريات الأمم ، وأبناؤها فى شمال أفريقية وفى مصر وغيرها يوالون الإفرنجة وينصرونهم على أيناء جنسهم ، ولو كان فى هذا ذل لهم ولديهم وأمهم ، ولن يرول هذا إلا بالاستشار بالمزة والكرامة القومية والدفاع عن حوزة الدن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ثم بالغ فى الزجر وأبان أنه لاينيغى لمؤمن أن يفعل ذلك ولومع الأقارب كالآباء الذين هم فِلْذات الذين هم فِلْذات الذين عم فِلْذات الآكباد ، أو الإخوان الذين هم الناصرون لهم ، أو العشيرة الذين يعتمد عليهم بعد الإخوان .

والخلاصة — إنه لايجتمع إيمان مع موادّة أعداء الله ؛ لأن من أحب أحدا امتنع من محبة عدوه، فإذا حصل فىالقلب مودة أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان الصميح وكان صاحبه منافقا . أخرج الطابرانى وبالحاكم والترمذى مرفوعا ﴿ يقول الله تبارك وتعالى : وعزتى لاينال رحمتى من لم يوال أوليائى ، وبعاد أعدائى » وأخرج الديلى من طريق الحسن عن معاذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم لاتجعل لغاجر ولا لغاش على يداً ولا نعمة فيودّه قلبى ، فإنى وجدتُ فيا أوحيتَ إلى ت الآنجِدُ قَوْمًا يُؤلِّمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَرْمِ لِلاَجِدِدُ قَوْمًا يُؤلِّمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَرْمِ لِلاَجِدِدُ قَوْمًا يُؤلِّمِنُونَ بِاللهِ .

قيل إن الآيات نزلت في أبى بكر رضى الله عنه ، أخرج ابن المنذر عن ابن جُريْج قال : حُدَّثت أن أبا قحافة سبّ النّبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر صكة سقط بها على وجهه ، فذُ كرِ ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : أفسلت يا أبا بكر ؟ قال نم ، قال لا تُمَدُ ، قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته .

وقيل نزلت في أبي عبيدة بن عبد الله الجراح ، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وأبو نُسم في الحلية والبهرقي في سننه عن ابن عباس قال : جمل والد أبي عبيدة يتصدى له يوم بدر ، وجمل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثرَ قصدَ م أبو عبيدة فقتله فنزلت : (لاتجد قوما) الآية .

ثم بين العلة فى عدم اجماع الإيمان ومودة أعدائه فقال (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أولئك الذين سلفت أوصافهم أتبت الله فى قلوبهم الإيمان ، والإيمان نعمة عظيمة لاتحصل لمن بواد من حاد الله ورسوله .

وفي هذا مبالغة في الزجر عن موادة أعداء الله .

ثم ذكر سببا آخر يمنع من موادتهم فقال :

(وأيدهم بروج منه) أى إنه قواهم بطمأنينة القلب والثبات على الحق ، فلا يبالون بموادة أعداء الله ولا يأبهون لهم .

ثم ذكر ما أعده لهم من النميم القيم فقال:

(ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ما كثين فيها أبدا . ثم ذكر السبب فها أقاض الله عليهم من نسمة فقال : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) أى رضى عنهم فأغدق عليهم رحمته العاجلة والآجلة فأدخلهم جنات تجرى من تحمها الأنهار ، ورضوا عنه لايتهاجهم بما أوتُوا عاجلا وآجلا ، فإنهم لما سخطوا على الأقارب والعشائر فى الله تعالى - عوضهم بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النميم المقبح ، والفوز العظيم ، والقضل العميم .

ثم أشاد بتشريفهم فجلهم جنده تعالى فقال:

(أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم للفلحون) أى أولئك أنصار الله وجنده وأهل كرامته ، وهم أهل الفلاح والسعادة والنصرة فى الدنيا والآخرة .

خلاصة موضوعات هذه السورة الكريمة

- (١) أَلْفَةُ الأُزُواجِ فِي الْمُنَازِلِ .
- (٢) أَلْفَةَ الْأَصَابِ فِي الْجَالِسِ .
- (٣) الأدب مع الحكام بترك مضايقتهم ، لكثرة أعمالهم .
 - (٤) رفق الحسكام بالمحكومين إذا رأوا أمراً بُثْقِلهم .
- (٥) مجانبة خيانة الأمة بموالاة أعدائها ، وبالنفاق والشقاق ، فإن ذلك يضعفها و مفرق جمها و مذلها .

سيعورة الحشر

هى مدنية ، وآيها أربع وعشرون نزلت بعد سورة البيّنة . ومناسبتها ما قبلها من وجوه :

- (١) إن فى آخر السالفة قال: « كَتَبَ اللهُ لَأُغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي » وفى أول هذه قال: « فَأَنَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْنَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّحْبَ » .
- (٣) إن فى السابقة ذكر من حادًا الله ورسوله ، وفى أول هذه ذكر من شاقً
 الله ورسوله .
- (٣) إن فى السالفة ذكر حال المنافقين واليهود وتولّى بسضهم بعضا، وفى هذه ذكر ماحل باليهود، وبيان عدم فائدة تولى المنافقين إياهم . « روى أن بنى النضير كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعت فى التوراة ، لاترد له رابة ، فلما هُرَم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا ، فخرج كعب بن الأشرف فى أر بعين راكبا إلى مكة فحالفوا عليه قويشا عند الكعبة ، فأخير جبريل الذي صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر بقتل كعب فقتله محمد بن سلمة غيلة وهو عروس ، وكان عليه الصلاة والسلام قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستمينهم فى دية المسلمين من بنى عامر عند مُنْتَمَر فه من بنر متو نة ،

و بعد أن قُتل كعب بأشهر "بهيأ المسلمون لقتالهم وساروا مع رسُول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم حتى إذا نزل فى بنى النضير وجدهم ينوحون على كعب، وقالوا ذرنا نبكى شجونا، ثم ائتمر أمرك، فقال : اخرجوا من المدينة ، فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك، فتنادّرًا بالحرب، ودس المنافقون عبد الله بن أبى وأضرابه إليهم ألا يخرجوا من الحصن ، فإن قاتلوكم فنحن معكم ، و إن أخْرِجم لنخرجن معكم ، فحصنوا الأزقة وحاصروهم إحدى وعشرين ليلة ، وقلف الله الجلاء وقلف الله الجلاء المجلاء فأوجهم وأيسوا من نصر المنافقين فطلبوا الصلح ، فأبى إلا الجلاء على أن تحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاءوا من متاعهم ، فجلوًا إلى الشام، إلى أرعاء وأذرعات ، إلا أهل بيتين منهم هم آل أبى الحقيق وآل حُي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة بالحيرة ، وقبقن النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم وسلاحهم فوجد خسين درعا وخسين بَيْضَة » .

بِسْمِ اللهِ الرَّعْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّعَ ثِيْهِ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُو َ الْمَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) هُو النَّذِيرُ الْحَكِيمُ (١) هُو النَّذِي أَخْرَجَ النَّذِينَ كَفَرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُوبُهُمْ مِنَ اللهِ، الخَشْرِ ما ظَنْذَتُهُ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُوبُهُمْ مِنَ اللهِ، فَا أَنَّهُمُ اللهُ مِنْ حَصُوبُهُمْ مِنَ اللهِ مَنْ اللهِ عَلَى مُوبُونَ فَا أَنْهُمُ اللهُ مِنْ حَدْيهُمْ وَاللهِ مَنْ اللهُ مَنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهُ مَنْ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُو

تفسير المفردات

الذين كفروا : هم بنو النَّضِير (بزنة أمير) قبيلة عظيمة من اليهود كبنى تُورَيظة ، والحشر : إخراج جم من مكان إلى آخر ، ولأول الحشر : أي في أول حشرهم ، أى جمهم و إخراجهم من جزيرة العرب ونفيهم إلى بلاد الشام ، و آخر حشر : إجلاء عر إياج من خيبر إلى الشام ، والحصون : واحدها حصن وهو القصر الشاهق والقلمة المشيدة ، ما نتهم حصونهم من الله : أى ما نتهم من بأسه وعقابه ، فأتاهم الله : أى جاء ها هذا به ، من حيث لم يخطر لهم بيال ، وقذ فُ الشيء : باخو ها به بال ، وقذ فُ الشيء : رميه بقوة ، وللراد هنا إثباته وركزه في قلوبهم ، والرعب : الخوف الذي يملأ الصدر . يحربون : أى يهدون ، فاعتبروا : أى فانعظوا ، والاعتبار : النظر في حقائق الأشياء وحبات دلالها ، ليمرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها ، وأجليت القوم عن مناذهم : أى أخرجهم منها ، وجلوا : خرجوا ، وقد فرقوا بين الإجلاء والإخراج من وَجهين : أن الأول لا يكون إلا لجاعة ، والثانى : يكون لواحد ولجساعة ، وأن الأول ما كان مع الأهل والولد والثانى يكون مع بقائهما ، واللينة : النخلة ما لم تكن عجوة .

المعنى الجملي

علمت مما سلف أن اليهود نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهروا الشركين اتكالا على مساعدة المتافقين لهم ومناعة حصوبهم ، فهمياً رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لتتالهم ، فلما علموا بقدومه حصّنوا الأزقة فحاصرهم عليه الصلاة والسلام عدة أيام وألق الله الرعب في قلوبهم ، فطلبوا الصلح فأبى إلا الجلاء وأخرجهم من حصوبهم بعد تخريجا بأيديهم وأيدى المؤمنين ، ولولا جلاؤهم لمذبهم في الدنيا بالفتل والا سر ، ولهم في الآخرة عذاب شديد ، وما كان ذلك إلا بإذن الله وتقديره للأمور

الايضاح

(سبح ثله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) أى إن جميع مافى السموات والأرض من الأشياء يقدسه سبحانه و يمجده ، إما باللسان أو بالقلب أو بدلالة الحال لانقياده لتصريفه له كيف شاء لامقتّب لحكه . وَنَحُو الآية قُولُهُ تَمَالَى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ۗ السَّوْرَاتُ السَّبْعُ ۗ وَالْأَرْضُ ۗ وَمَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَى ۚ إِلاَّ يُسَبِّحُ مُمَدُّو وَ لَكِنْ لاَ تَفْقُهُونَ نَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

ثم بين بعض آثار عزته ، وأحكام حكمته فقال :

(هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) أى هو الذى أجل بنى النضير من للدينة بقوة عزته ، وعظيم سلطانه ، وكان هذا أول مهة . حشروا فيها وأخرجوا من جزيرة العرب لم يصبهم الذل قبلها ، لأنهم كانوا أهل عزة ومنه ة ، وآخر حشر لهم إجلاء عر رضى الله عنه لهم من خَيْبَر إلى الشام .

ثُم بِيْنَ فَصْلَ الله على المؤمنين ، ونعمته عليهم فى إخراج عدوهم من ديارهم ولم يكن ذلك منتظرًا فقال :

(ماظندتم أن يخرجوا) أى ماخطر لمكم ذلك أيها للؤمنون ببال ، لشدة بأسهم ومنسهم ، وقوة حصوبهم ، وكثرة عددهم وعُددهم .

وفى ذكر هذا تعظيم للنعمة ، فإن النعمة إذا جاءت من حيث لا تُو تَقَبُ كانت مكانتها فى النفوس أعظم ، وكانت بها أشد سرورا وابتهاجا .

والمسلمون ماظنوا أن يبلغ الأمر بهم إلى إخراج اليهود من ديارهم ، ويتخلصوا من مكايدهم وأشراكهم التي مافتئوا ينصبونها للمؤمنين ، و بذا قضى الله عليهم قضاء. الذى لامرد له ، وصدق الله (لا غُلِينَ أَنَا وَرُسُلِي) .

ثم ذكر ما جرّ أهم على مشاكسة النبي صلى اللهُ عليه رسلم وتأليب المشركين عليه فقال :

(وظنوا أنهم مانعتهم حصوبهم من الله) أى وظن بنو النضير أن حصوبهم المثيمة المتوقع عند المنسخة المتوقع من أن ينالهم عدو بسوء ، فلا يستطيع حيش مهما أوتى من بأس أن يصل إليهم بأذى ، فاطمأنوا إلى تلك القوة ، وأوقدوا نار النتنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين ، طمعا فى القضاء عليه ، بعد أن أصبحت له الزعامة (٣)

الدينية والسياسية فى للدينة، وسيكون فى ذلك القضاء عليهم لو صبروا ، وقد عَتَرَوا دهرا وهم أصحاب السلطان فيها ، لأنهم من وجه أهل كتاب، ومن وجه آخر هم أر باب النفوذ المالى فيها ، وأصحاب الثروة والجاه العريض .

ثم أكد ماسلف وقرره بقوله :

(فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى فعاهم بأس الله وقدرته التى لا تُدْفع من حيث لم يخطر ذلك لهم بيال ، وصدق فيهم ماقيل : قد يُؤتى الخذر من مأمنه ، فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فذهبت طائفة منهم إلى أذر رعات من أعالى الشام وطائفة إلى خيبر على أن يأخذوا معهم ما حملت إبلهم .

ثم بين أسباب هذا الاستسلام السريع ، والنزول على حكم الرسول على مناعة الحصون وكثرة العدد والعُدُد فقال :

(وقذف فى قاربهم الرعب) أى بث فىقلوبهم الهَلَع والخوف حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليهم ، فلم يستطيعوا إلى المقاومة سبيلا .

ومماكان له بالغ الأثر في هذا الخوف قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غيلة ، وما رأوه من كذب وعد عبد الله بن أبي رأس المنافقين في نصرتهم . وإرسال الملدد اليهم ، وتغر بره بهم ، وتوسيع مسافة الخلف بينهم وبين الرسول . فهم قد أوقدوا نارا كانوا هم حطب لهيها ، وفتحوا ثُنُرَةً برءوسهم قد سدّوها . ووقعوا في حفرة هم الذين كانوا قد حفروها ، فابتلمتهم لا إلى رجعة .

ثم بين مدى ما لحقهم من الهلع والجزع ، وكيف حاروا فى الدفاع عن أنفسهم فقال :

(بخر بون بيونهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أى بخر بون بيونهم بأيديهم ، ليسدوا بما نقضوا منها من انحشُب والحجارة أفواه الأزقة حتى لا يدخلها المدو ، وحتى لا تبقى صالحة لسكنى المؤمنين بعسد جلائهم ، ولينقلوا بعض أدواتها التى تصلح للاستمال في جهات أخرى كالخشُب والعَمَد والأبواب ، ويخربها المؤمنون من خارج ليدخلوها

40

عليهم ، ويزيلوا تحصنهم بها ، وليتسع مجال القتال ويكون في ذلك عظيم التنكيل والغيظ لهم .

ثم ذكر مايجب أن يجمله العاقل نُصْب عينيه من عظة واعتبار فقال :

(فاعتبروا يا أولى الأبصار) أى فاتسظوا ياذوى البصائر السليمة ، والمقول الراجحة ، بما جرى لهؤلاء من أمور عظام ، وبلاه ما كان يخطر لهم ببال ، بأسباب تحار فى فهمها المقول ، ولا يصل إلى كنه حقيقتها ذوو الآراء الحصيفة ، وابتقدوا عن الكفر والمماصى التى أوقمتهم فى هذه المهالك ، فالسميد من وُعِظ بغيره . و إلا كم والفدر ، والاعماد على غير الله ، فما اعتمد أحد على غيره إلا ذلّ .

ثم بين أن الجلاء الذي كتب عليهم كان أخف من القتل والأسر فقال:

(ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار)
أى ولولا أن الله قد ر جلاءهم من المدينة ، وخروجهم من أوطانهم على هذا الوجه
المهين ، لمذبهم في الدنيا بما هو أفظع منه من قتل وأسر كما فعل مع المشركين
في وقعة بدر، وكما فعل مع بني قريظة في سنة خس الهجرة ، كفاء غدرهم وخيانتهم ،
وتأليب المشركين على المؤمنين ، والسعى في إطفاء نور الإسلام حتى لاتقوم لهم
قائمة — إلى ما أعد لهم من عذاب مقم ، ونكال وجحم ، حين تقوم الساعة ،

ثم بين السبب فيما حل بهم وذكر علته فقال :

(ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى إنه إنا فعل ذلك بهم ، وسلط عليهم رسوله وعباده للمؤمنين ، لأنهم خالفوا الله ورسوله ، وكذبوا بمــا أنزله على رسله المتقدمين من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

ثم ذكر مآل من يعادى الله ورسوله فقال: أ

(وَمَن يِشَاقَ ۚ اللّٰهِ فَإِن اللّٰهِ شديد العقاب) أَى وَمَن يِعاد اللهِ فَإِن اللهِ يعاقبه أَشد العقاب ، و يُعزل به الخزى والهوان في الدنيا ، والنكال السرمدى في الآخرة . ثم ذكر أن كل شيء بقضاء الله وقدره فقال :

(ماقطمتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أى أى شىء قطمتموه من النخل أو أبقيتموه كماكان ولم تتعرضوا له بشىء فذلك بأسم الله الذى بلمنه إليكم رسوله لتطهرَ البلاد من شرورهم .

روى أنه عليه الصلاة والسلام حين أمر بقطم نخلهم وحرقه قالوا : يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض ، فما بال قطم النخل وتحريقها ، وكان فى أغسى المؤمنين من ذلك شىء ؛ فقالوا لنسألر ّرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل لنا فيها قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله الآية :

(وليخزى الفاسقين) أى وقد فعل ذلك ليمزّ المؤمنين ، وليخزى الفاسقين ، ويذلهم و يزيد غيظهم ، ويضاعف حسرتهم ، ينفاذ حكم أعدائهم في أعزّ أموالهم .

والخلاصة — إنسكم بأمر الله قطعتم ، ولم يكن ذلك فسادا بل نعمة من الله ، ليخزيهم ويذلهم بسبب فسقهم وخروجهم من طاعة الله وخالفة أمره ونهيه .

وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُر لِهِ مِنْهُمْ فَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلِ وَلاَ رِكَابِ
وَلَكِنَ اللهَ يُسلِّطُ رُسُلُهُ عَلَى مَنْ يَشاء ، وَاللهُ عَلَى كُلَّ شَيْءً
عَدِيرٌ (٢) مَا أَفَاء اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ اللَّهُوى فَلِلهِ وَللهَّسُولِ
وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَنَاكَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَى لَا يَكُونَ دُولَةً
بَيْنَ الْأَغْنِياء مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَا كُمْ عَنْهُ فَا نَهُول ، وَمَا نَهَا كُمْ عَنْهُ فَا نَهُوا ، وَاللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ المِقالِ (٧)

تفسير المفردات

قال المبرد: يقال فاء يغى اذا رجع ، وأفاء الله إليه : أى ردّه وصيره إليه ، والنى اشرعا : ما أخذ من أموال الكفار إمن غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بنى النضير، ويقال وجّف الفرس والبيير يجف وجّفا ووجيفا : إذا أسرع ، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير السريع ، والركاب : مايركب من الإبل ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها ، والعرب لا تعلق لفظ الراكب إلا على راكب البعير ، ويسمون راكب الفرس فارسا ، يسلط رسله : أى على أعدائه من غير قتال ولا مصاولة بل بإلقاء الرعب في القلوب ، فيكون الني الرسول يصرفه في مصارفه التي ستعلها بعد ، من أهل القوب : أى من أهل البلدان التي تفتح هكذا بلا قتال ، ولذى القربى : أى يكون كذا مرة وكذا أخرى ، والدولة (بالفتح) انتقال حال سارة من قوم الى قوم ، يكون كذا مرة وكذا أخرى ، والدولة (بالفتح) انتقال حال سارة من قوم الى قوم ، أى فالأولى اسم لما يتداوله من المال ، والتانية اسم لما يتداول من المال ، والتانية اسم لما ينتقل من الحال ، واتا كم : أى أعطا كم ، وما نها كم عنه : أى ما منحكم عن فعله .

المعنى الجملي

بعد أن بين سبحانه ما حلّ ببنى النضير من المذاب العاجل كتخو يب بيوتهم بأيديهم وتحريق نخيلهم وتقطيعها ، ثم إجلائهم من بعد ذلك عن الديار إلى الشام دون أن يحماوا إلا القليل من المتاع .. ذكر هنا حصيم ما أخذ من أموالهم ، فجعله فيئا لله ورسوله ينفق منه على أهله نفقة سنة ثم بجعل مابقى فى السلاح والكواع عُدَّة فى سبيل الله ، ولا يقسم بين للقاتلة كالفنيمة ، لأنهم لم يقاتلوا لأجله .

روى أنْ الصحابة رضى الله عمهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقسم النيء بينهم كا قسم الفنيمة في بدر وغيرها بينهم ، فبين سبحانه الفرق بين الأسرين ، بأن الننيمة تسكون فيها أتعبتم أنفسكم في تحصيله وأوجفتم عليه الخيـــل والركاب ، والنيء فيما لم تتحملوا في تحصيله تعبا ، وحينئذ يكون أمره مفوضا إلى الرسول يضعه حيث شاء .

الإيضاح

(وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا زكاب) أى ما صيّره الله إلى رسوله من أموال بنى النصير فهو لله ورسوله ، ولا يجمل غنيمة للجيش يقسم تقسيم الفنائم ، لأنه لم تقاتل فيه الأعداء بالمبارزة والمصاولة ، بل نزلوا على حكم المرسول فركا ورُعبا ، ولهذا يصرف فى وجوه البر والمنافع العامة التى ذكرها الله فى هذه الآيات .

أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنرمذى والنسائى وغيرهم عن عمر بن الخطاب قال : «كانت أموال بنى النضير نما أقاء الله تعالى على رسوله خاصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، ثم يجمل ما يقى فى السلاح والسكراع عُدّة فى سبيل الله تعالى » .

(والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء ، تارة على ما يعهد من السنن وأخرى على غير ما يعهد منها كما حجرى لبنى النضير من استسلامهم بلا قتال على مناعة حصونهم وكثرة عَددهم وعُددهم من سلاح وكراع ، وماكان السلمون يظنون أن هذا سيكون.

و بعد أن أنمّ الكلام في إجلاء بني النضير وفيئهم أعقبه بالكلام في حكم ما أفاء الله على رسوله من قرى الكفار عامة فقال :

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فقه والرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل) أى ما رده الله إلى رسوله من كفار أهل القرى كتر يظة والمساكين وابن السبيل) أى ما رده الله إلى رسوله من كفار أهل القرى كتر يظة والنضير وفقدك وختير، فيصرف في وجوه البروا لخير ولايقسم تقسيم الفنائي ، ولايتامى الفقراء ، وللمساكين ذوى الحاجة والبؤس، ولابن السبيل الذى انقطع عنه ماله ، ولا يمكن أن يصل إليه ، لبسد الشُقة وانقطاع طرق المواصلات ، وقد كان ذلك حين كانت طرق الوصول شافة ، لكنها الآن مهلة وهى على أساليب شتى ، فيمكن المرة أن يطلب ماشاء بحوالة على أى مصرف في أى بلد على سطح الكرة الأرضية ، ومن ثم فهذا النوح لا يوجد الآن .

ثم علل هذا التقسيم بقوله :

(كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى و إنما حكمًا بذلك وجملناه مقسما بين هؤلاء المذكورين ، لئلا يأخذه الاغنياء ويتداولوه فيما بينهم ، ويتكاتروا به كماكان ذلك دأجم في الجاهلية ، ولا يصيب الفقراء من ذلك شيء .

(وما آنا كم الرسول فخذره وما نها كم عنه فانتهوا) أى وما أعطا كم الرسول من النيء وغيره فخذره فهو لسكم حلال ، وما نها كم عنه فابتندوا عنه ولا تقرَّ بوه ، فإن الرسول لاينطق عن الهوى كما قال سبحانه : ﴿ وَأَ نَرَّ لَنَا إِلَيْكَ الذَّ كَرَّ لِتُبُبِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزُّلًا إَلَيْكَ الذَّ كَرَّ لِتُبُبِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزُّلًا إِلَيْكَ الذَّ كَرَّ لِتُبُبِّنَ لِلنَّاسِ

أخرج الشيخان وأبو داود والترمذي في جماعة عن ابن مسمود قال : « لعن الله

تعالى الواشمات (١) والمستوشمات والمتنبَّصات والمتفلَّجات للحسن المفيِّرات لخلق الله ، فالم فالم ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يمقوب كانت تقرأ القرآن فقالت بلغنى ألمك لعنت كيت وكيت ، فقال : مالى لا ألعن من لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله عز وجل ؟ فقالت : لقد قرأتُ ما يين لوحى للصحف فحما وجدته ، قال إن كنت قرأته فقد وجدته ، أما قرأت قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَا كُمُ الرَّسُولُ وَفَكُذُوهُ وَمَا مَا كُمْ عَنْهُ فَانْتُهُوا ﴾ قالت بل ، قال : فإنه صلى الله عليه وسلم قد نمى عنه » .

وعن أبى رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لا ٱلْفِينَ أَحَدَ كُم مَتَكُنّا عَلَى أَرِيكَته يأتيه أس بمــا أسهت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » .

ثم حذرهم من مخالفة أواص الله ونواهيه فقال :

(وانقوا الله ٰ إن اقى شديد العقاب) أى وانقوا الله فامتثلوا أوامره ، واتركوا نواهيه ، فإنه شديد العقاب لمن عصاه ، وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زجره ونهاه ، ورسوله تَرْ ُجُمان عما يريده لخير عباده وسمادتهم فى الدنيا والآخرة .

لَّافَقَرَاء الْهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَ الِمِمْ كَيْتَفُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضُواناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّوا الدَّارَ وَالْإِعَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحَيِّونَ مَنْ هَاجَرَ إليْهِمْ ، وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُوثُورُونَ عَلَى أَنْشُهِمْ

⁽¹⁾ الوشم: فرز الإبرة فى صفو من الجمم ثم حضوء بالكحل : والمستوشمة : اتن تطلب فعل ذلك ، والمستوشمة : هي التي تنتخب الشعر من الوجه و شيره ، و انتظامية : هي التي تشكلت تفريج مابين الثنايا بطرق صناعية .

وَلُوْ كَانَ بِهِمْ خَسَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولِئِكَ هُمُ النَّفْلِحُونَ (٥) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَمْدِهِمْ ۚ يَقُولُونَ رَبِّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُوناً بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْمَلُ فِي تُلُوبِنَا غِلاَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَهُوفُ رَحِيمٌ (٧٠) .

تفسير المفردات

التبوراً: النزول في المكان ، ومنه المباءة المنزل ، والمراد من الدار المدينة ، والمراد بالحاجة الحسد والنبيظ ، وأوتوا : أي أعلى المهاجرون دون الأنصار ، ويؤثرون : أي يقدمون ويفضلون ، والخصاصة : الحاجة من خصاص البيت ؛ وهو ما يبق بين عيدانه من الفُرّج وكذا كل خُرق في مُنْفِل أو باب أو سحاب أو برقع ، والشح : اللثم ؛ وهو أن تكون النفس كزّة حريصة على المنع ، قال شاعرهم :

يمارس نفساً بين جنبيه كَـزَّةً إذا هم بالمروف قالت له مهلا

قال الراغب: البخل: المنع، والشح: الحال النفسية التي تقتضى ذلك ، وغِلاً: أي حسدا و بفضا.

المعنى الجملي

بمد أن بين مصارف النيء فيا سلف ، وذكر أنه أنه والرسول والدى القر بي واليتامى والمساكين _ ذكر هنا أنه أراد بهم فقراء المهاجرين الذين لهم هذه الصفات السامية ، والمناقب الرفيمة ، ثم مدح الأنصار ساكنى المدينة و بالغ فى مدحهم ، فذ كر لحم هذه الفضائل :

- (١) إنهم يحبون المهاجرين.
- (٢) إنهم ليس في قاوبهم حقد ولا حسد لهم .

(٣) إنهم بفضاوتهم على أنفسهم و يمطونهم ماهم فى أشدا لحاجة إليه ، وما ذاك إلا لأن الله عصمهم من الشيح المردى والبخل المهلك ، الذى يدسى النفوس و يمنعها من اكتساب الخير وعمل البر .

ثم ذكر أن التابعين لهم بإحسان ، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى بوم القيامة ، يدعون لأنفسهم ومن سبقهم من المؤمنين بالمفغرة ، وبطلبون من الله ألا يجعل في قلوبهم حدّا وحسدا لهم .

الإيضاح

(الفقراء المهاجر ين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله) أى إنه أراد بهؤلاء الأربعة السالفين فقراء المهاجرين الذين اضطوهم كفار مكة إلى الخروج من ديارهم وترك أموالهم ، طلبا لمرضاة ربهم ، ونيلا لئوابه ، ونصرة فمه ورسوله ، وإعلاء لشأن دينه .

(أولئك هم الصادقون) أى هؤلاء هم الصادقون فى إيمانهم ، إذ قد فعلوا ما يدل على الإخلاص فيه والرغبة الصادقة من نيل المفنرة والكرامة عند ربهم ، فهم قد أخرجوا من ديارهم ، وهى الدريزة على النفوس ، المحببة إلى القلوب .

بلادی و إن جارت علی عزيزة وأهلي و إن ضنوا علي كرام

وتركوا الأموال والمال شقيق الروح ، وكثيرًا ما يُقتل المرء في سبيل الذّود عنه ، وانتزاعه من أيدى غاسبيه ، ومافعلوا ذلك إلا لإعلاء منار الدين ، ورفعة شأنه ، وذيوع ذكره ، فحق للمم من ربهم النعيم المقيم ، وجزيل النواب بمما لاعين رأت ، ولا أذن سمت ، ولا خطر على قلب بشر ، كِفاء ماقاموا به من جليل الأعمال، ، وعظم الخلال .

روى أن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ، ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ منهم الحقيرة في الشتاء ماله دثار ٌ غيرها . وعن أبي سميد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بشّر وا صعاليك للهاجر بن بالنور النام يوم القيامة ، يدخلون الجنة قبل الناس بنصف يوم ، وذلك خسيائة سنة » أخرجه أبو داود .

ثم ملح سبحانه الأنصار وأثنى عليهم حين طابت نفوسهم على النيء ، إذ جمل للمهاجر ين دومهم فقال :

(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون مر عاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة بما أوتوا ويؤثرون على أغضهم ولو كان بهم خصاصة) أى والذين سكنوا المدينة ، وأشرِبت قاوبهم حب الإيمان من قبل هجرة أولئك الهاجرين ، لهم صفات كريمة ، وشيم جليلة تدل على كرم النفوس ، ونَبْل الطباع ، فهم :

(۱) يحبون المهاجرين ويتمنون لهم من الخير ما يتمنون لأنفسهم ، وقد آخى وسول الله بينهم وبينهم ، وأسكن المهاجرين فى دور الأنصار معهسم ، ونزل بمض الأنصار عن بعض نسائهم للمهاجرين ، طيبة بذلك نفوسهم ، قريرة به أعينهم .

روى أحمد عن أنس قال : « قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم حُسن مواساة في قليسل ، ولا حسن بذل في كثير ، لقد كفو نا المتوفة ، وأشركونا في الهيأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال لا ، ما أثنيتم عليهم ووقع الله لهم » .

وقال عمر : وأوسى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصى بالأنصار خيراً ، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم .

(٢) لا يطمحون إلى شيء تما أعطيه أولئك المهاجرون من النيء وغيره .

روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للا نصار : إن إخوانـكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليـكم ، فقالوا أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك؟ قالوا وما ذاك يا رسول الله؟ فقال : هم قوم لايمرفون العمل فتكفونهم وتقايمونهم التمر ، فقالوا نعم يا رسول الله » . (٣) يقدمون ذوى الحاجة على أنسهم ، ويبد ون بسواهم قبلهم ، حتى إن
 من كان عنده امرأتان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً من المهاجر بن .

أخرج البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبي هريرة قال : « أقى رجل رسول الله صلى الله عليه وسسلم فقال : أصابنى الجَهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال عليه والسلام : ألا رجل يضيف هذا الرجل الليلة رحه الله ؟ فقال أبو طلحة أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله ، فقال لا مرأته أكرى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت والله ما عندى إلا قوت الصبية ، قال إذا أراد الصبية المشاء فنو مهم ، وتعالى فأطنى المسراج ونطوى الليلة لضيف رسول الله فغملت ، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة وأنزل فيهما: (وَ يُوثِرُ ونَ عَلَى أَنْسَهِمْ وَالله من فلان وفلانة وأنزل فيهما: (وَ يُؤثِرُ ونَ عَلَى أَنْسَهِمْ وَلَوْ كَانَ بهمْ شَصَاعَمَةٌ) » .

ثم بين سوء عاقبة الشح فقال :

(و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى ومن يحفظوا أنفسهم من الحرص على المال والبنحل به فأولئك هم الفائزون بكل مطلوب ، الناجون من كل مكروه .

أخرج الترمذى وأبريسلى وابن مردويه عن أنس مرفوعا : « لا مجتمع غبار فى سبيل الله ودخان نار جهم فى جوف عبـــد أبدًا ، ولا مجتمع الإيمــان والشح فى قلب عبد أبدًا » .

وأخرج أحمد والبخارى فى الأدب ومسلم والبيهتى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشمح ، فإن الشح قد أهلك من كان قبلكم ، حملهم طى أن سفكوا أدماءهم ، واستحلوا محادمهم » .

وروی الأموی عن ابن مسعود أن رجلا أناه فقال : إنى أخاف أن أكون قد هلـكت ، قال وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول : ﴿ وَمَن ْ يُوقَ شُحُّ ّ نَفْسِهِ ۗ ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدى شيئاً ، فقال ابن مسعود : ليس ذلك الذى ذكر الله تعالى ، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ، ولكن ذلك البخل ، وبئس الشىء البخل — فغرق بين الشح والبخل .

وليس المراد من تقوى الشح الجود بكل ما يملك ، فقد روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « برى ً من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف ، وأعطى فى النائبة » .

(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ر بنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) أى والتابعون للفريقين بالإحسان إلى يوم القيامة يقولون : ر بنا اغفر لنا ذنو بنا ، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان .

قال ابن أبى ليلى : الناس على ثلاث منازل : المهاجرين : والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بمدهم ، فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل .

وفى هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رشى الله عنهم أجمعين ، لأنه جمل لمن بمدهم حظا فى النىء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستنفار لهم ، ومن أبضفهم أو أبنض واحدا منهم أو اعتقد فيهم شرا فلا حق له فى النىء .

و إنما بدءوا فى الدعاء بأنفسهم لقوله صلى الله ُ عليه وسلم . « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » .

(ولا تجمل فى قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا) أى ويدعون الله ألا يجمل فى قلوبهم حسدا وحقدا للمؤمنين جميعا .

والحقد والحسد هما رأس كل خطيئة ، وينبوع كل ممصية ، فهما يوجبان سفك الدماء والبغي والظلم والسرقة ، وسائر أنواع الفجور .

ونحو الآية قوله فى سورة براءة « وَالسَّا بِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتْبَعُوهُمْ بِإِحْسَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ » . وفى الآية إيماء إلى وجوب محبة مَن تقدمهم من المؤمنين ومراعاة حقوقهم لإخواهم فى الدين والسبق بالإيمان .

(ربنا إنك رءوف رحيم) أى ربنا إنك عظيم الرأف بعبادك ، كثير الرحمة لهم ، فأجب دعاءنا .

وفى الآية حثُّ على الدعاء للصحابة ، وصفاء القاوب من بغض أحد منهم .

وعن ابن عمر أنه سمم رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه : ﴿ لِلْفَقْرَ اءَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ ثم قال : هؤلاء المهاجرون ، أفنهم أنت؟ قال لا ، ثم قرأ عليه ﴿ وَالَّذِينَ تَتَوَّهُوا النَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ تَبْلِهِمْ ﴾ الآية ، ثم قال هؤلاء الأنصار فأنت منهم ؟ قال لا ، ثم قرأ عليه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية ، ثم قال : أفن هؤلاء أنت ؟ قال أرجو ، قال : ليس من هؤلاء من سبة هؤلاء .

 ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنَّى بَرِيهُ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْمَالِمَينَ (١٦) فَكَانَ عَا نِبَسَهُمَا أَنْهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَ يْن فِيهاَ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِينَ (١٧) .

تفسير المفردات

نافقوا : أى أظهروا غير ما أضروا ، وبالنوا فى إخفاء عقائدهم ، والإخوان : الأصدقاء واحدهم أخ ، والآخ من النسب جمه إخوة ، لننصرنكم : أى لنماوننكم ، ليُولُنَّ الأدبار: أى ليفرُّن هار بين ، أشد رهبة فى صدورهم من الله: أى إنهم يخافونكم فى صدورهم أشد من خوفهم لله ، لايفقهون : أى لا يملمون عظمته تمالى حتى يخشوه حق خشيته : جيما : أى مجتمين ، محصنة : أى بالدروب والخنادق وغيرها ، جدُر : أى حيطان واحدها جدار ، بأمهم : أى حربهم ، وشتى : أى متفرقة ، واحدها شتيت ، وبال أمرهم : أى سوء عاقبتهم ، من قولهم : كلاً وبيل : أى وخيم سمى، الماقبة .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه ما حدث لبنى النضير من الاستسلام خوفا ورهبة ، لما قذفه فى قلوبهم من الرعب ، ثم ذكر مصارف النى التى تقدمت أرعه ذكر ما ما حصل من مناصحة المنافقين عبد الله بن أبئ ابن سلول ورفقته لأولئك اليهود ، وتشجيعهم لهم على الدفاع عن ديارهم ومحاربتهم رسول الله صلى الله عليه وسم بحا قصه الله علينا وفصله أثم تفصيل ، ليكون فى ذلك عبرة لنا ؛ و إنا لنشاهد كل يوم أن الناس يُضل بعضهم بعضا و يغوونهم ثم يتركونهم فى حيرة من أمرهم لا يجدون لهم علما ما وقعوا فيه .

أخرج ابن اسحق وابن المنذر وأبو نُعيم عن ابن عباس : أنها نزلت في رهط من

بنى عوف، منهم عبدالله بن أبيّ ابن سلول ، ووديعة بن مالك ، وسُوّيد وداعس بعثوا إلى بنى النضير بما قصه الله علينا فى كتابه .

الإيضاح

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب أن أخرجم لنخرجن ممكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا). تقدم أن قلنا في غير موضم إن مثل هذا الأسلوب (ألم تر) يراد به التعجيب من حال المحدَّث عنه ، وأن أمره غاية في الغرابة ، وموضع للدهشة والحيرة .

فهؤلاء قوم من منافق للدينة لهم أقوال تخالف ما يبطنون ، سهم عبد الله بن أبى وشيمته رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاصر بنى النضير و بقاتابهم ، فأرسلوا إليهم يقولون لهم : إذا قادمون لمساعدتكم بخيلنا وَرَجُلنا ، ولا نسلسكم لمحمد أبدا ؛ فجدّوا في قتالهم ، ولا بهنوا في الدفاع عن دياركم وأموالكم ، حتى إذا اشتد الحصار ، وأوغل للسلمون في ديارهم ، وجدوا في تحريق نخيلهم ، وهدم بيوتهم رأى بنو النضير أن تلك الوعود كسراب بقيعة بحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم بجده شيئا ، وأنهم بين أمرين :

- (١) الاستسلام وقبول حكم محمد عليهم .
 - (۲) فناؤهم وتخريب ديارهم .

وقد أدخل الله الرعب فى قلوبهم ، فاختاروا الدنيّة ، وقباوا الجلاء عن الديار ، واستبان لهم أن المنافقين كانوا كاذبين لا عهود لهم ولا وعود ، كما هو دأبهم فى كل زمان مكان .

و بعد أن كذبهم على سبيل الإجمال كذبهم تفصيلا ليزيد تعجيب المخاطب من حالهم ، وليبين له مبلغ خيث طويتهم ، وشدة جبنهم ، وفزيمهم من القتال ، وأن هذه الوعود أقوال كاذبة لا كرتمها ألسنهم وقلوبهم منها براء فقال : (لأن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولأن قوتلوا لاينصرونهم ولأن نصروهم ، ليولن الأدبار ثم لاينصرون) أى لأن أخرج بنو النضير من ديارهم فاجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم بالخروج من ديارهم ، ولأن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لاينصرونهم ، ولأن نصروهم ليولن الأدبار منهزمين عن محمد وأصحابه ، هار بين منهم خاذلين لهم ، ثم لاينصر الله بني النضير .

وهذا إخبار بالنيب، ودليل من دلائل النبوة ، ووجه من وجوه الإعجاز ، فإنه قد كان الأمركا أخبر الله قبل وقوعه .

والخلاصة -- إن بنى النضير أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فحا نصروهم، ولو كانوا قد نصروهم لتركوا النصرة والهزموا وتركوا أولئك اليهود في أيدى الأهداء .

ثم ذكر السبب فى عدم نصرتهم لليهود والدخول مع المؤمنين فى قتال فقال : (لأنتم أشد رهية فى صدورهم من الله) أى إنهم بمنافونسكم أشد ممما يخافون الله ، ومن ثم لم يجرُّ وا على الدخول ممكم فى قتال ، وأسلموا اليهود يحكم عليهم الرسول بما يشاء .

ثم ذكر سبب الرهبة لهم من دون الله فقال :

(ذلك بأنهم قوم لايفقهون) أى وكانت هذه الرهبة لسكم في صدورهم أشد من رهبتهم أله من أجل أنهم لايفقهون قدر عظمته تعالى، فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه ولا يرهبون عقابه قدر رهبتهم لسكم .

وَمُو الآبَةِ قُولُهُ : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَفَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدًّ خَشْيَةً ﴾ .

ثم أكد جبن اليهود والمنافقين وشديد خوفهم منهم فقال :

(لايقاتلونسكم جميما إلا في قرَّى محصنة أو من وراء جُدُر) أي إن هؤلاء اليهود

والمنافقين قد ألتى الله الرعب فى قلوبهم ، فلا يواجهونسكم بقتال مجتمعين ، لأن الخوف والهلع بلغا منهم كل مبلغ ، بل يقاتلونسكم فى قرى محصنة بالدروب والحنادق ,ونحوها ، ومن وراه الجدر والحيطان وهر محاصرون .

ثم بين أن من أسباب هذا الجبن والخوف _ التخاذل وعدم الأتحاد حين اشتداد الحلوب فقال :

(بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم عدوّ لبعض ، فلا يمكن أن يقاتلوا عدوا لهم وهم فى تخاذل وانحلال ، ومن ثم استسكانوا وذلوا .

وفى هذا عبرة للسلمين فى كل زمان ومكان ، فإن الدول الإسلامية ماهد كيانها ، وأضمنها أمام أعدائها إلا تخاذلها أفرادا وجاعات ، وانفراط عقد وحدتها ، ومن ثم طمع الأعداء فى بلادهم ، ودخلوها فأنحين ، وأذاقوا أهلها كرؤوس الذل والهوان ، وفر توهم شَذَرَ مذَرَ ، وجعلوهم عبيدا أذلاء فى بلادهم ، والنهموا ثرواتهم ، ولم يبقوا لهم إلا النفاية وفتات الموائد . ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وعسى الله أن يأتى بالفتح ونصر من عده، فيستيقظ المسلمون من سباتهم، ويثو بوا إلى رشدهم، فيستميدوا سابق مجدهم ، وتدول الدولة لهم :

فیوما لنــا و یوما علینا و یوما نُساه و یوما نُسرّ ثم زاد ماسلف توکیدا فقال :

(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى إنك أيها الرسول إذا رأيتهم مجتمعين خِلمهم متفقين وهم محتلفون غاية الاختلاف ، لما بينهم من إحَن وعداوات، فهم لايتماضدون ولا يتساندون ولا يرمون عن قوس واحدة .

وفى هذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم ، وحثّ للعزائم الصادقة على حربهم . فإن المقاتل متى عرف ضعف خصمه ازداد نشاطا وازدادت حميّته وكان ذلك من أسباب نصرته عليه . ثم بين أسباب النفرة وأنحلال الوحدة فقال :

(ذلك بأنهم قوم لايفقلون) أى ذلك التفرق من جَرَاء أن أفئدتهم هواء وأنهم لايفقهون سر نظم هذه الحياة ، ولا يعلمون أن الوحدة هى سر النجاح ، ومن ثم تخاذلوا وتفرقت كلتهم ، واختلف جمهم ، واستهان بهم عدوهم ، ودارت عليهم الدائرة . ثم أرشد إلى أن هؤلاء ليسوا بيدع فى الـكافرين ، بل قد سبقهم غيره من كان حقه أن يكون عبرة لمم فقال :

(كشل الذين من قبلهم قريبا ذاتوا وبال أمرهم) أى تشَكُ بني النضير مثل اليهود من بني قينقاً الذين كانوا حول المدينة وغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم السبت في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وأجلاهم إلى أذرعات بالشام، وذاقوا سوء عاقبة كفرهم إثر عصياتهم قبل وقعة بني النضير التي كانت أربع للهجرة .

والخلاصة — إنهم قد كانت لهم أسوة بينى قينقاع ، فجروحهم لاتزال دامية ، وآثار خذلانهم لاتزال بادية للميان ، وقد كان من حق ذلك أن يكون عبرة ماثلة لهم والكنهم قوم لايفقهون ولا يمتبرون بالمُثَلات التي يرونها رأى العين .

(ولهم عذاب أليم) لايقادر قدره ، ولا يعرف كنهه سوى علام النيوب . ثم ضرب اليهود وللنافقين مثلا آخر أشد نكالا وأوجع إيلاما فقال :

(كُمَنل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برى، منك إلى أخاف الله رب المالمين) أى مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من بنى النصير النصرة إن قوتلوا ، أو الخروج معهم إن أخرجوا ، ومثل بنى النصير فى غرورهم بوعودهم و إسلامهم إياهم فى أشد حاجهم إليهم وإلى نصرتهم كمثل الشيطان الذي غرّ إنسانا ووعده النصرة عند الحاجة إليه إذا هو كفر بالله واتبعه وأطاعه ، فلما احتاج إلى نصرته أسلعه وتبرأ منه وقال: إنى أخاف الله رب العالمين إذا أنا نصرتك لمئل المذاب .

والخلاصة — إن مثل اليهود في اغترارهم بمن وعدوهم النصرة من المنافقين بقولهم لهم : اثن قوتلم للنصرنكم ، ولما جد الجد واشتد الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهُلْكة – كمثل الشيطان إذ سول للإنسان الكفر والسصيان ، فلما دخل فيه تبرأ منه وتنصل وقال : (إنى أخاف الله رب السالمين) .

ولا تُجد مثلاً أشد وقما على النفوس، ولا أنكى جُرَحاً فى القلوب من هذا المثل، لمن اعتبر وادّ كر، ولكنهم قوم لايعقلون.

ثم ذكر عاقبة الناصح والمنصوح فقال :

(فسكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الطالمين) أى فسكان عاقبة الآمر بالكفر والداخل فيه _ الخلود فى النار أبدا ، وهكذا جزاء الظالمين لأنفسهم بالسكر كيهود بنى النضير والمنافقين الذين وعدوهم بالنصرة .

ياً ثُمُّا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرُ أَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِفَد وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ ۚ عِمَّا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلاَ تَسْكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمُ أَفْسَهُمْ أُولِيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لاَ يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْمَابُ الجُنْةَ ، أَصْحَابُ الجُنْةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) .

تفسير المفردات

ماقدمت: أى أيّ شىء قدمت؟ وغد: هو يوم القيامة ؟ سمى بذلك لقربه، فكل آتربه، فكل آتربه، فكل آتربه، فكل آتربه، فكل آت وإن غداً لناظره قريب، نسوا الله: أى نسواحقه فتركوا أوامره، ولم ينتهوا عن نواهيه، فأنساهم أنفسهم: أى أنساهم حظوظ أنفسهم فل يقدمموا لها خيرا ينفها.

المعنى الجملي

بعد أن ذكر المضلين من المنافقين ، و بيّن أن ما يقولون غير ما يبطنون ، وأن مثلهم كمثل الشيطان في الإغواء والإضلال ، ثم أعقبه بذكر الضالين من بني النضير وكيف خُدعوا بتلك الوعود الخارّبة التي كانت عليهم وبالا ونكالا ، وكان فيها سوء حالهم في دنياهم ودينهم - شرع ينصح المؤمنين بازوم التقوى ، وأن يساوا في دنياهم ما ينفههم في أخراهم حتى يتالوا الثواب العقلم ، والنعم المقيم ، وألا ينسوًا حقوق الله ، فيجعل الله الرين على قلوبهم ، فلا يقدّموا لأفضهم مابه رشادهم وفلاحهم .

الإيضاح

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فافعلوا ما به أمر ، واتركوا ما عنه نهى وزجر .

(ولتنظر نفس ما قدمت لفد) أى ولتنظروا ماذا قدمتم لآخرتكم مما ينفسكم يوم الحساب والجزاء ، يوم تذهل كل مرضمة عما أرضت ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكنهم من توقع العذاب حيارى .

(وانقوا الله) تسكر ير للتوكيد ، لما بستدعيه الحال من التنبيه والحث على التقوى التي هي الزاد في المعاد .

ثم وعد وأوعد و بشر وأنذر فقال :

(إن الله خبير بما تصاون) أى إنه تعالى عليم بأحوالكم لايخنى عليه شىء من شئونكم ، فراقبوه فى جليل أعمالكم وحقيرها ، واعلموا أنه سبحانه سيحاسبكم على النقير والقطير ، والقايل والكثير ، ولا يفونه شىء من ذلك .

ثم ضرب لهم الأمثال تحذيرا و إنذارا فقال :

(ولا تسكونوا كالذين نسوا الله فأنسام أغسهم) أى ولا يكن حالسكم كحال قوم تركوا السل بحقوق الله التي أوجبها على عباده ، فران على قلوبهم وأنسام العمل الصالح الذى ينجيهم من عقابه ، فضاوا ضلالا بسيدا ، فجازاهم بما هم له أهل ، وما هم له مستحقون ، جزاء وفاقا لما دسوا به أغسهم ، وأوقعوها فى الماصى والآثام ، ومن ثم حكم عليهم بالهلاك فقال :

(أولئك هم الفاسقون) أى أولئك هم الذين خرجوا من طاعة الله فاستحقوا عقابه وم الشيامة .

وُنحو الآية قوله تصالى : ﴿ يُـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا لاَ تُلْهِــكُمُ أَمُوالُــكُمُ وَلاَ أُولاَدُكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ بَفَعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ انْفُلِيرُونَ ﴾ .

خطب أبو بكر فقال: أمّا تعلمون أنكم تفدون و روحون لأجَل معلوم ؟ فمن استطاع أن يقفى الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل أن تكونوا أمنالهم الله عز وجل أن تكونوا أمنالهم فقال: « وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهُ قَأْسُاهُمُ أَنْسُهُمُ » أَنْس من تعرفون من إخوانكم ؟ قد موا على ما قدّ موا فى أيام سلفهم ، وخلوا بالشّقوة والسعادة ، أن المجلوب الله لون الذي بَنُوا الله أن ، وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا نحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تغنى عجائبه ، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه . إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى : « إنهم كأنُوا لا يكرمُونَ فى اخْيرُق على الله عنه والله ، ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله ، ولا خير في مال لا ينفق فى سبيل الله ، ولا خير في من يغلب جمله ، ولا خير فيمن يخاف فى الله لائم .

ثم وازن بين من يعمل الحسنات ، ومن يجترم السيئات فقال :

(لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أى لا يستوى الذين فسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار ، والذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة . وَمُو الآية قوله تعالى : «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيْئَاتِ أَنْ بَجْمَلَهُمْ
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعِلُوا الصَّالِعاتِ سَوَاء تَحْيَاهُمْ وَتَمَسَانُهُمْ سَاءَ مَا يُحْلَمُونَ ﴾
وقوله : «أَمْ نَجْمَلُ الدِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْفُشِدِينَ فِي الأَرْضِ ، أَمْ
نَجْمَلُ التَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ؟ ﴾ .

ثم بين عدم استوائهما فقال:

(أصحاب الجنة هم الفائزون) أى أصحاب الجنة هم الفائزون بكل مطلوب ، الناجون من كل مكروه .

وفى هذا تنبيه إلى أن الناس لفرط غفلتهم ، وقلة تفكرهم فى العاقبة ، وسهالكهم على إيثار العاجلة ، و والكهم على إيثار العاجلة ، و انتاجهم الشهوات الفائية ، كا تهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، وشاسع البون بين أصحابهما ، وأن الفوز لأصحاب الجنة ، فمن حقهم أن يعلموا ذلك بعد أن نُبَهُوا له ، كا تقول لمن عق أباه : هو أبوك _ بحمله كا نه لا يعرف ذلك فتنبهه إلى حق الأموة الذي يقتضى البر والعطف .

تفسير المفردات

خاصا : أى منقادا متذللا ، متصدعا : أى متشققا ، خشية اقى : أى خوفه وشديد عقابه ، الغيب : ماغاب عن الحس" من الموالم التي لا تراها ، والشهادة : ما حضر من الأجرام المادية التي تشاهدها : القدوس : أى المتزه عن النقص ، السلام : أى الذي سلم الحلق من ظلم ، إذ جعلهم على نظم م كفيلة ترقيهم ، المؤمن : أى واهب الأمن في ضكل مخلوق يعيش في أمن ؛ فالطائر في جوته ، والحية في وكرها ، والسمك في البحر تييش كذلك ، ولا يعيش قوم على الأرض ما لم يكن هناك حواس محوسون قراهم تويش كذلك ، ولا يعيش قوم على الأرض ما لم يكن هناك حواس محوسون قراهم مأ أواد وقسره عليه ، المتنكبر : أى البليغ الكبريا، والعظمة ، سبحان الله عما أواد وقسره عليه ، المتنكبر : أى البليغ الكبريا، والعظمة ، سبحان الله عما مقتصى الحكمة ، والبارئ : أى المبرز لها على صفحة الوجود بحسب السنن التي مقتصى الحكمة ، والبارئ : أى المبرز لها على صفحة الوجود بحسب السنن التي الشماء الدالة على عاسن الماني التي تظهر وضعها والفرض الذي خاقت له ، المصور : أى الأسماء الدالة على محاسن الماني التي تظهر في مظاهر هذا الوجود ، فنظم هذه الحياة و بدائم ما فيها دليل على كال صفاته ، و كال الصفاته ، و كال الصفاته ، و كال الصفة برشد إلى كال الموصوف .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر فِرَق المصلين من النافقين ، والضالين من اليهود وغيرهم ، وأس عباده المؤمنين بالتقوى ، استمدادا ليوم القيامة _ ذكر هنا أن لهم مرشدا عظها و إماما هاديا هو القرآن الذي يجب أن تخشم لمبيته القارب ، وتتصدع لدى سماع عظاته الأفتدة . لما فيه من وعد ووعيد ، و بشارة و إنذار ، وحكم وأحكام ، فلو أنا ألهمنا المجبل عقلا وفيهمه وتدبر ما فيه خلم وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف بكم

أيها البشر لا تلين قلو بكم ، ولا تخشع وتتصدع من خشيته ؟ وقد فهمتم عن الله أمره . وتدبرتم كتابه .

و بعد أن وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمة المنزّل للقرآن ذي الأسماء الحسنى الذي يخضع له مافى السموات والأرض وينقادون لحكمه ، وأمره ونهيه .

الإيضاح

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشما متصدّعا من خشية الله) أى لو جل فى الجبل عقل كما جمل فيكم أيها البشر ، ثم أنزل عليه القرآن لخشع وخضع وتشققى من خشية الله .

وهذا تمثيل لملؤ شأن القرآن.وقوة تأثير مافيه من المواعظ والزواجر ، وفيه توبيخ للانسان على قسوة قلبه وقلة تخشمه حين قراءة القرآن وتدبر مافيه من القوارع التي تذل لها الجبال الراسيات .

(ونلك الأمثال نضربها للناس لسلهم يتفكرون) أى وهذه الأمثال التي أودعناها القرآن وذكرناها في مواضها التي ضربت لأجلها ، واقتضاها الحال من نحو قوله : « وَ إِنْ مِنْ الحِجْرَةِ مَلَا بَتَنَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَحْرُمُ مِنْهُ اللّهُ عَلَى مَنْهُ اللّهُ عَلَى مَنْهُ اللّهُ عَلَى مَنْهُ اللّهُ عَلَى وَقُوله : « وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا فَيْكُومُ مُنْ بَعْدُ ذَلِكَ فَهِي كَا لِحُجَارَةٍ أَوْ أَشْلَا تُصَوّعَ » وقوله : « وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا فَرُآنًا فَرُآنًا فَرُآنًا فَرُآنًا فَرَآنًا مَنْ الله عَلى مَنْهُ إِلَيْ اللّهُ وَلَى » الآية — جملناها تعمرة وذكري لمن كان له قلب أو ألق السمع وهو شميد ؛ فمن الناس من وفقه الله واهتدى بها إلى سواء السبيل ، وفاز بما يرضى ربه عنه ، ومنهم من أعرض عنها ونأى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، وأدخله في سقر ، وما أدراك ما سقر ، لاتية ولا تذر.

ثم وصف سبحانه نفسه مجليل الصفات ، التي هي سر العظمة والجلال ، فقال :

(هو الله الذى لا إله إلا هو عالم النيب والشهادة هو الرحمن الرسيم) أى إنه لارب غيره ، ولا إله في الوجود سواه ، فكل ما يعبد من دونه من شجر أو حجر أو صنم أو ملك فهو باطل ، وهو يعلم جميع الكائنات الشاهدة لنا والفائبة عنا ، ولا يخنى عليه شيء في الأرض ولافي السموات ، وهو ذو الرحمة الواسمة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحن الدنيا والآخرة ورحيمهما .

(هو افد الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمين العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) أى هو الله الممالك لجيم الأشياء ، المتصرف فيها بلا عانمة ولا مدافعة ، المنزه عن كل عيب ونقص ، الذى أمن خلقه أن يظلمه ، وهو الرقيب عليهم كا قال « وَالله كَلَّ مَنْ مُنْ شَهِيد " » وقال : « أَ فَنَ هُو قاشم مَن كَلَّ مَنْ مُنْ مَنْ مَن مَن فقهره ، وغلب الأشياء بمظامته كُل نفس عما كَسَبَت " » والذى عز "كل شيء فقهره ، وغلب الأشياء بمظامته وجبروته ، فلا تليق الجبرية إلا له ولا الشكبر إلا المظلمة إزارى ، والسكبرياء ردائى ، فمن نازعنى واحداً منهما عذبته » تنزه ربنا عما يقوله المشركون من الصاحبة والولد فهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يكن له كفواً أحد .

(هو أنه الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى) أى هو الله الخالق لجميع الأشياء المبرز لها إلى عالم الوجود على الصفة التي أرادها كما قال : « فِي أَيُّ صُسورَ فِي مَا شَاءَ رَ كَبُكَ ﴾ ، وله الصفات الحسنى التي وصف بها نفسمه لايَشْرَ كه فيها أحد سواه .

(يسبح له مافى السعوات والأرض) تقدم السكلام فى هــذا فى مثل قوله : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمُوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَىٰ ﴿ إِلاَّ يُسْبَّحُ عِمَّدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ . (وهو العزيز الحكيم) أى وهو الشديد الانتقام من أعدائه ، الحكيم فى تدبير

خلقه ، وصرفهم فبما فيه صلاحهم ، نهوكامل القدرة كامل العلم .

اللهم وفقنا للهدى والرشاد في يوم المعاد .

خلاصه ماحوته السورة الكريمة من المقاصد والأغراض

- (١) تَنزيه الله لنفسه عن كل نقص .
- (٢) ذكر غلبة الله ورسوله لأعدائه .
- (٣) تقسيم الني ُ الذي أخذ من بني النضير مع ذكر المصارف التي يوضع فيها .
- (3) أخلاق المنافقين المضلين ، وأخـــلاق أهل الـــكتاب الضالين مع ضرب
 المثل لهم .
 - (٥) ذكر نصائح للمؤمنين .
 - (٦) إعظام شأن القرآن وإجلال قدره .
 - (٧) وصف الله سبحانه نفسه بأوصاف الجلال والحكال .

سيحورة المتحنة

هي مدنية ، وآيها ثلاث عشرة ، نزلت بعد الأحزاب . ومناستما لما قبلها . °

 (١) إنه ذكر هناك موالاة الذي نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب وذكر هنا نهى للؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء ، لثلا يشهوا المنافقين .

 (٣) إنه ذكر هناك الساهدين من أهل الكتاب ، وذكر هنا الساهدين من المشركين .

بسم اللهِ الرَّحْنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَخذُوا عَدُوّى وَعَدُوَّ كُمْ أُولِياء ، تُلقُونَ الرَّسُولَ إِلَيْهِ إِلْمَوَدَة وَقَدْ كَفْرُوا عِلَا جَامَ كُو مِنَ الحَقِّ ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا كُمْ أَنْ تُونِينُوا بِاللهِ رَبَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِنَّا كُمْ أَنْ تُونِينُوا بِاللهِ رَبَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْنِهَا مَرْضا قِي ، تُسِرُ وَنَ إَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ عِا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعَلَنْتُمْ وَابْتُهُمْ عِنْدَ مُنَا فَي مَنْ اللهُ وَمَا أَعَلَنْتُمُ لَا يَعْدَلُوا اللهِ اللهُ اللهُ وَمَا أَعْلَنْتُهُمْ إِلللهُ وَمَا أَعْلَنَهُمْ إِلللهُ وَوَدُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ إِلللهُ وَوَدُوا لَوْ مَنْ مَنْ مَنْ مُولِكًا وَيَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ وَمَا اللهِ اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

تفسير المفردات

تلقون إليهم بالمودة : أى ترسلون إليهم أخبار الرسول بسبب المودة التي بينكم وبينهم ، بخرجون الرسول وإياكم : أى من مكة ، أن تؤمنوا بالله : أى لأجل إيمانكم بالله ، ضل : أى أخطأ ، وسواه السبيل : أى الطريق المستوى وهو طريق الحق ، إن يتقنوكم : أى يطفروا بكم ، وأصل الثقف : الحذق فى إدراك الشيء وفعله ومنه رجل ثقف لقيف ، بالسوه : أى بما يسوء كم من القتل والأسر والشّم ، وودّوا لو تكفرون : أى وتمنوا كفركم ، أرحامكم : أى قراباتكم ، يفصل بينكم : أى يغرق بينكم ، أحامكم : أى هراباتكم ، يفصل بينكم : أى

المعنى الجملي

روى البخارى ومسلم وغيرهما ﴿ أَن سارَّة التي كانت مننية ونائمة بَكة أَنت اللهبنة تشكو الحاجة ، فأسر رسُول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد الطلب أن يعطوها ما يدفع حاجبها ، فأعطوها نفقة وكسوة وحَلوها ، فجاءها حاطب بن أبى بلتّمة (مولى عبد الله بن محيد بن عبد المُزَّى) فأعطاها عشرة دنانير وكتب معها كتابا إلى أهل مكة ، هذا صورته :

(من حاطب بن أبى بلتمة إلى أهل مكة . إن رسول الله عليه وسلم يريدكم فحذوا حيد أركم) فأخبره جبريل به ، فبعث إليها عليًّا وعاراً وطلحة والرُّبير وللقيداد وأيا مرثيد وكانوا فرسانا . وقال : انطلقوا حتى تأنوا رُوْضة خاخ (موضع) فإن بها ظمينة (امرأة) معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة ، فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضر بو اعتقها ، فأدركوها فجيعدت وحلفت ، فهمتوا بالرجوع ، فقال على تافي ما مكدينا ولا كذب رسول الله صلى الله على الحيية وسلم ، وسل سيمه وقال لها : أخرجي الكتاب ، أو ألتي ما ممك من النياب ، فأخوجته من عقاص شعرها ، فأحضر رسول الله على المقال على يا رسول الله على منذ فارقهم ، ما كقرتُ منذ أسلمت ، ولا غششتك ، ولا أحبتهم منذ فارقهم ، ما حلك كنت امرأ ملصقا في قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكل من ممك من ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكل من ممك من المله فيهم ولما اجرين لهم قرابات بمكة محمون بها أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني النسب فيهم

أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، فصد قد رسول الله فصلى الله عند وقبل عدره ، فقال عرد : دعتى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : افعلوا ما شئم فقد غفرت لكم ، فنزلت : « يأتُمُّهَا الذِّينَ لَـ آمَنُوا لاَ تَتَشَعْدُوا عَدُوتَى وَعَدُونً كُمْ أُولِيَاء ، الآية .

الايصاح

(ينأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء) أى لا تجملوا الكفار أنصارا وأعوانا لكم .

ثم فسر هذه الموالاة فقال:

(تلقون إليهم بالمودة) أى تبلغونهم أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم التي لا ينبنى لأعدائه أن يطلموا عليها من خطط حربية ، أو أعمال نافعة فى نشر دينه و بث دعوته . بسبب ما يينكم و بينهم من مودة .

ثم ذكر أن مما يمنع هذا الاتخاذ أمرين:

(١) (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أى وقد كفروا باقد ورسوله وكتابه الذى
 أنزله عليكم ا فكيف بكم بعد هذا تجعلونهم أنصارا وتسرّون إليهم بما ينفسهم ويضر
 رسولكم ، ويعوق نشر دينكم .

(۲) (يخرجون الرسول و إياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) أى يخرجون الرسول
 وأسحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد و إخلاص السبادة الله وحده
 ولم يكن لهم جريرة ولا جُرم سوى ذلك .

ونحو الآبة قوله : « وَمَا نَفَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا ۚ بِاللّٰهِ الْمَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ » وقوله « الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِبَارِحِمْ بَشَيْرِ حَقّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ » . وفي هذا تهييج لهم على عداوتهم وعدم موالاتهم ، ثم زادهم تهييجا بقوله :

(إن كنتم خرجم جهادا فى سبيلى وابتناه موضاتى) أى إن كنتم خرجم مجاهدين فى سبيلى ، باغين موضاتى عنكم ، فلا توالوا أعدائى وأعدامكم وقد أخرجوكم من دياركم حنقا عليكم وسخطا لدينكم .

ثم توعد من يفعل ذلك وشدد النكير عليه وذكر ما فيه أعظم الزجر له فقال: (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أى ومن يفعل هذه الموالاة ويبلغ أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لأعدائه فقد جارعن قصد الطريق التى توصل إلى . الجنة ورضوان الله تعالى .

ثم ذكر أموراً أخرى تمنع موالاتهم فعال :

- (١) (إن يتقنوكم يكونوا لسكم أعداء) أى إن يظفر بكم هؤلاء الذين تسرون إليهم بالمودة يكونوا حر با عليمكم و يفعلوا بكم الأفاعيل .
- (٧) (ويبسطوا إليكم أيديهم وأنستهم بالسوء) أى ويمدوا أيديهم وأنستهم لتتالكم وأذا كم وسبّـكم وشتكم، فكيف ترونهم على هذه الحال وتتخذونهم أصدةا وأولياء.
- (٣) (وودوا لو تـكفرون) أى وتمنوا لو تـكفرون بربكم ، لتـكونوا على مثل
 الذى هم عليه ، فعداوتهم لـكم كامنة وظاهرة .

والخلاصة — إن هؤلاء يودون لكم كل ضر وأذّى فى دينكم ودنياكم ، فكيف بكم بعد هذا بمدون إليهم حبال المودة ، وتوثّقون عرا الإخاء ، فهذا مما لا يرشد. إليه دين .

ثم ذكر أن ما جعلوه سببا من المحافظة على الأهل والواد لا ينبغى أن يقدّم على شئون الدين ققال :

(لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة) أى لن تنفعكم يوم القيامة أقار بكم

ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم ، وتتقر بون إليهم محاماة عنهم — فتدفع عنـكم عذاب الله إن عصيتموه في الدنيا وكـغرتم به .

ثم بين السبب في عدم نفعهم فقال :

(يفصل بينسكم) أي يفرق الله بينسكم و ينهم بما يكون من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر كما قال : « يَوْمَ يَفَوْ المَرْه مِنْ أَخِيهِ وَأَمَّةً وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَيَنِيهِ ، لِكُلُّ الْمُرْجِء مِنْهُمْ يَوْمَتْلِ شَأْنٌ يُمُنِيهِ » .

ثم أوعد من يفعل ذلك فقال :

(والله بما تصاون بصير) أى واقله ذو بصر بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ، فهو محيط بها جميعها ، ومجازيكم عليها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فاتقوا الله فى أفسكم واحذروه .

تفسير المفردات

الأسوة : (بضم الهمزة وكسرها وبهما قرى) من يؤتسى به ، كالقدوة لن يقتدى به والجمع أنسى ، برآء واحدهم برى و كفارقا و وظريف : أى متبرثون ومنكرون لما تمعلون ، وما تعبدون : أى من الأصنام والسكوا كب وغيرها ، البفضاء أى البفض والسكراهة ، لا تجملنا فتنة للذين كفروا : أى لاتسلطهم علينا فيفتنونا بمذاب لانحتمله ، من قولم : فتن الفضة : أى أذابها ، يرجو الله : أى يؤمل ثوابه ، واليوم الآخر : أى مجيئه ، ومن يتول " : أى ومن يعص النصيحة .

المعنى الجملي

بعد أن أنكر عليهم موالاتهم للكافرين ، وذكر لمم الموانع التي تمنع من ذلك كإخراجهم من الديار ، وتمنى الكفر لهم ، وصدم عن هداية الدين وكفرهم بالرسول وعا جاء به ، وأنهم متى وجدوا سبيلا لأذاهم بقول أو فكر سلكوه غير آبهين لصلة رحم ولا قربى — أكد هنا ذلك فأمرهم أن يأنسوا بإبراهيم وأصحابه إذ تبرءوا من قومهم وعادّوهم وقالوا لهم : إنا برآء منكم ، قال القراء : يقول أفلا تأسيت ياحاطب بإبراهيم حين تبرأ من أهله ؟ لنظم أن الحب في الله ، والبغض في الله من أوثق عوا الإيمان .

الإيضاح

(قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تسدون من دون الله) أى قد كان لكم أيها للؤمنون قدوة حسنة فى إبراهيم خليل الرحمن تقتدون به وبالذين معه من أتباعه للؤمنين حين قالوا لقومهم الذين (٥) كفروا بالله وعبدوا الطاغوت : أيها القوم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد.

ثم فسر هذه البراءة بقوله :

(كفرنا بكم) أى جعدنا ما أنتم عليه من الكفر، وأنكونا عبادتكم ماتعبدون من دون الله ، فلا نعتد بكم ولا بآلهتكم ، فإن ما أنتم عليه لاتقره المقول الراجعة ، ولا الأحلام الحصيفة ؛ فما قيمة الأحجار والأصنام التي تتخذونها معبودات ترجون منها النغم والفر « إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلَقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يُسْلَمُنُمُ الدُّبُكُ مُ اللهُ عَلَى المَّنْ الدَّيْسَمَنُوا لَهُ » .

(وبدا بيننا وبينكم المداوة والبفضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده) أى وها نحن أولاء قد أعلنا الحرب عليكم ، فلاهوادة بيننا وبينكم ، وسيكون هذا دأبنا معكم لانتركم عمال حتى تتركوا ما أنتم عليه من الشرك ، فتنقلب المداوة ولاية ، والبغضاء محبة .

(إلا قول إبراهيم لأبيه لأستنفرن لك) أى لكم فى إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا فى استغفار إبراهيم لأبيه ، فإنه إنمــاكان عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو أله تبرأ منه .

وقد كان بعض المؤمنين يدعون لآبائهم الذين مانوا على الشرك و يستنفرون لهم ويقولون : إن إبراهم كان يستنفر لا بيه فانزل الله عز وجل : « مَا كَانَ اللّهِيِّيَ وَالّهِ بِنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَفْوُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيِّنَ لَهُمْ أُمَّهُمْ أُصْحَابُ الجلحي ، وَمَا كانَ اسْتِنْفَالُ إِرْاهِمِ لِأَيْهِهِ إِلّا عَنْ مَوْعِدَةً وَعَدَهَا إِيّاهُ ؛ فَلَمَّ تَبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُولًا فِي تَبَرَأُ مِنْهُ ، إِنَّ إِرْاهِمَ لَأُواهُ حَلِمْ مَا وَعَدَهَا إِيّاهُ ؛ فَلَمَّ تَبَيِّنَ لَهُ أَنْهُ عَدُولًا فِي تَبَرَأُ مِنْهُ ، إِنَّ إِرْاهِمَ لَأُواهُ حَلَمْ مَا واللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ مَوْعَدَهُ وَاللّهُ وَسَنَفُووا لهم ، كَا فَعَلَ إِرَاهِمِ لا يُبِينَ لَهُ أَنْهُ عَدُولًا أَنْهُ عَدُولًا أَنْهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الْعَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ الْعَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ عَلَا عَلَ

له ذلك ، فترك الاستغفار ، وأنّم قد استبانت لكم عداوتهم بكفرهم بالرسول ، و إخراجكم من الديار، فلا ينبغي أن تستغفروا لهم .

(وما أملك لك من الله من شيء) أى وليس فى وسعى إلا الاستغفار لك ، ولا أستطيع أن أنفمك بأكثر من هـذا ، فإن أراد الله عقوبتك على كفرك فلا أدفعها عنك .

ثم أخبر عن قول إبراهيم والذين ممه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم ولجثوا إلى الله وتضرعوا إليه :

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك الممير) أى ربنا اهتمدنا عليك فى قضاء أمورنا ، ورجمنا إليك بالتوبة نما تسكره إلى ما تحب وترضى ، ومصيرنا إليك يوم تبعثنا من قبورنا ، وتحشرنا إلى موقف العرض والحساب .

(ربنا لا نجملنا فتنة للذين كفروا) قال قتادة : أى لا تُظْهِرهِم علينا فيفتنونا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقّ هم عليه .

(واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى واستر لنا ذنو بنا بعفوك عها، إنك أنت الذى لا يضام من لاذ بجنابه ، الحكيم فى تدبير خلقه ، وصرفه إياهم فيا فيه صلاحهم .

ثم أعاد ما تقدم مبالغة فى الحث على الانتساء بابراهيم عليه السلام ومن معه فقال :
(لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة فى إبراهيم ومن آمن معه من أتباعه المؤمنين ، لمن كان منكم يرجو لقاء الله وجزيل ثوابه ، والنجاة فى الهوم الآخر .

وفى هذا تهييج إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، والمض عليهما بالنواجذ ، وبيان أنهما ملاك الأمركله يوم العرض والحساب .

تم أوعد على تركهما بقوله :

(ومن يتول فإن الله هو الغني الحيد) أى ومن أعرض عما ندبه الله إليه منكم

وأدبر واستكبر، ووالى أعداء الله وألقى إليهم بالمودة فلا يضرن ۗ إلا نفسه ، فإن الله غنى عن إيمانه وطاعته ، بل عن جميع خلقه ، محمود بأياديه وآلائه عليهم .

ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَـكُفُرُوا أَنْـتُمْ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۚ فَإِنَّ اللّهَ لَنَـٰيٌ تَحِيدٌ » .

عَسَى اللهُ أَنْ يَجْمَلَ مَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللّٰهُ عَنِ اللّٰذِينَ مَا ثَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللّٰهُ عَنِ اللّٰذِينَ لَمْ مُيْتَاتِلُوكُمُ وَاللّٰهِمْ ، إِنَّ اللّٰهَ عَنِ اللّٰذِينَ فَأَ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَوُّوهُمْ وَتُشْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللّٰهَ يَمِنُ اللّٰهِمِ ، إِنَّ اللّٰهَ يَحْبُ اللّٰهِمِينِ اللّٰذِينَ فَاتَلُوكُمْ فِي اللّٰينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَنْ تَولَوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَلْفَا لِمُونَ (٩) . يَتَوَلَّهُمُ فَأُولِئُكُ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) .

تفسير المفردات

عسى : كلة تفيد رجاء حصول ما بعدها ، فإذا صدرت من الله فما بعدها واجب الوقوع ، أن تبروهم : أى تعدلوا فيهم الوقوع ، أن تبروهم : أى تعدلوا فيهم بالبر والإحسان ، المقسطين : أى المادلين ، وظاهروا : أىساعدوا ، أن تولوهم : أى أن تسكونوا أولياء وأنصاراً لهم .

المعنى الجملي

لما نهاهم عن موالاة الكفار و إلقاء المودة إليهم ، وضرب لهم المثل بإبراهيم وقومه — حلهم ذلك على أن يظهروا براءتهم من أقربائهم ، والتشدد في معاداتهم ومقاطعتهم ، وكأن ذلك عزيزاً على نقوسهم ، ويتمثّون أن يجدوا المخلص منه — أردف ذلك سبحانه أنه سيفيَّر من طباع للشركين ، ويفرس فى قلوبهم محبة الإسلام ، فيتم التوادّ والتصانى بينكم وبيثهم .

وفى ذلك إذالة للوحشة من قلوب المؤمنين، وتطييب لقلوبهم، وقد أنجز الله وعده ، فأتاح للسلمين فتح مكة ، فأسلم قومهم، وتم لهم ما كانوا يريدون من التحاب والتواد ، ثم رخص لهم في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يظاهروا على إخراجهم .

روى أحمد فى جماعة آخر بن عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قُتيلة بنت عبد المرزّى على ابنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا — صناب (صباغ يتغذ من الخودل والزبيب) وأقط وسمن وهى مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخل بينها، حق أرسلت إلى عائشة رضى الله عنها أن تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فسألت فأنزل الله « لا يَنها كم الله » الآية ، فأمرها أن تقبل هدينها وتُدخلها بينها . وقال الحسن وأبو صلح : تزلت الآية فى خزاعة و بنى الحرث بن كسب وكيانة بينها . وقال الحسن وأبو صلح : تزلت الآية فى خزاعة و بنى الحرث بن كسب وكيانة بينها . وقال عليه وسلم على ألا

الإيضاح

(عسى الله أن بجعل بينكم وبين الذين عاديم منهم مودة، والله قدير والله غفور رحم)أى لمل الله بجعل بينكم وبين أعدائكم من كفار مكة محبة بعد البغض، ومودة بعد النفرة، وألفة بين التاوب بعد المداوة، عفور لخطية من ألقى إليهم بالمودة إذا تابرا منها، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التدوية.

وقد تم ذلك بفتح مكة حين دخل الشركون في دين الله أفواجا، وتم بينهم التصافى والتصاهر، وكان بينهم أتم ما يكون من وثيق الصلات كما قال تعالى: (وَاذْ كُرُوا نِسْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمُ إِذْ كُنْمُ أَعْدَاء فَأَلْتَ بَيْنَ قُلُوكِمُ فَأَصْبَعَتُمُ بِينِمْتَةِ إِخْوَانًا وَكُنْمُ عَلَى شَفَا خَفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَ كُمْ مِنْهَا) وقال: (هُو اللهِ ينِمُسِيّة إِخْوَانًا وَكُنْمُ عَلَى شَفَا خَفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَ كُمْ مِنْها) وقال: (هُو اللهِ عَلَى النَّارِ فَأَنْقَذَ كُمْ مِنْها) وقال: (هُو اللهِ عَلَى مَنْ النَّارِ فَأَنْقَدَ كُمْ مِنْها) وقال: (هُو اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى مَنْ اللهِ عَلَى النَّارِ فَأَنْقَدَ كُونَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ فَا اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

ثم أباح لم صلة الذين لم يقاتلوهم من السكفار فقال :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب القسطين) أى لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى السكفار الذين لم يقاتلوكم فى الدين، ولم يخرجوكم من دياركم ، ولم يماونوا على إخراجكم وهم خزاعة وغيرهم بمن كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التتال والإخراج من الديار، فأمر الله رسوله بالبر والوفاء لهم إلى مدة أجلهم .

ثم زاد الأمر إيضاحا وبيانا فقال :

(إنما ينها كم الله عن الذين فاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوم) أى إنما ينها كم عن موالاة الذين ناصبوكم المداوة فقاتلوكم وأخرجوكم أو عاونوا على إخراجكم كمشرك مكة ، فإن بعضهم سعوا فى إخراج للؤمنين ، و بعضهم أعان الحجرجين .

ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال :

(ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لأنهم تولوا غير الذين يجوز لهم أن يتولوهم ، ووضعوا ولا يتهم فى غير موضعها ، وخالفوا أمر الله فى ذلك .

المتحنة]

ياً أَيُّمَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاء كُمُ الُوْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتِ فَامْتَصِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْنَاتُ مُهَاجِرَاتِ فَامْتَصِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْنَاتُ فَلاَ تَرْجُمُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لاَهُنَّ حَلِيْ لَكُمُّ وَلَا هُمْ عَلِيْوْنَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ، وَلا جُمَّاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ، وَلا تُمْسِكُوا عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكُوهُمَنَّ ، وَلا تُمْسِكُوا بَعْمَ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلِيمُ وَلِيسْاً لَوُا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ مَكُمُ اللهِ يَخْدُمُ أَنْ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَا تَكُمْ شَيْء مِنْ أَزْوَاجِكُمْ فَا اللهِ عَنْ أَنُوا اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلِيمٌ عَلَيْ اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ أَنَّا اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ أَمَا اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ أَنَا اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ أَمَا اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ أَمَا اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ مَنْ أَمْ اللهُ اللّذِينَ ذَهَبَتْ أَزُواجُهُمْ وَاللّهُ الذِي أَنْهُمْ إِلَى الْكُفَارِ فَمَا تَتِنُمْ فِي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

تفسير المفردات

فامتحدوهن : أى فاختبروهن بما ينلب به على ظنكم موافقة قلوبههن الألسنهن في الإيمان ، علمتموهن : أى فلنفتموهن ، إلى الكفار : أى إلى أزواجهن السكفار . أوجودهن : أى مهورهن ، وعصم : واحدها عصمة ، وهي مايمتصم به من عقد وسبب ، والكوافر : واحدتهن كافرة : فعاقبتم : أى فكانت العقبي لكم ، أى الفلبة والنصر للكم ، حتى غنيتم مهم .

المعنى الجملي

الكافر: للماند لايخاو من أحد أحوال ثلاثة:

(١) أن يستمر على عناده ، وإلى مثله أشار بقوله : « قَدْ كَانَتْ لَـكُمْ أَسْوَةٌ
 حَسنَةٌ يْ إِبْرَاهِمَ » الآية .

(٣) أن يرجى منه أن يترك العناد ، وإلى مثله أشار بقوله : « صَتى اللهُ أَنْ بَيْمَلَ بَيْنَكُمْ وَيَنْ اللهِ عَلَى اللهُ أَنْ بَيْمُ مَوَدَّةً ».

(٣) أن يترك السناد ويستسلم ، وإلى ذلك أشار بقوله : « إذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجرَاتِ » الآية .

الإيضاح

(يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتعنوهن) أى إذا جاءكم أيها المؤمنون النساء اللاتى نطقن بالشهادة ولم يظهر منهن ما يخالف ذلك -- مهاجرات من بين الكفار فاختبروا حالهر ، و انظروا هل توافق قلوبهن السنتهن ، أو هن منافقات ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتتحنة : باقد الذى لا إله إلا هو ، ما خرجت من بغض زوج ، بالله ما خرجت رغبة يأرض عن أرض ، بالله ما خرجت الإحبًا في ورسوله .

ثم ذكر جملة مسترضة بين ما قبلها وما بعدها ليتبين أن الاستحان يفيد معوفة الظاهر فحسّب فقال :

(الله أعم بإيمانهن) منسكم وهو يتولى السرائر ، وفى هذا بيان أنه لا مبيل إلى الإحاطة بحقيقة إيمانهن ، فإن ذلك بمــا استأثر الله بعلمه .

(فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجسوهن إلى الكفار) أى فإن غلب على ظنكم إيما عبد الحلف وغيره مما يورث اطمئنان قلوبكم على إسلامهن ، فلا تردوهن إلى أزواجين المشركين .

ثم بين العلة في النهى عن إرجاعهن بقوله :

(لاهن ّ حلّ لهم ولاهم بحاون لهن) أى لا للؤمنات حِلُّ الكَمَّار ، ولا الكَمَّار يحلون للمؤمنات .

(وآ توهم ما أنققوا) أي وأعطوا أزواجهن مثل ما أنفقوا من الهور .

روى أن الذي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أمم عليًّا أن يكتب بالتسلح فكتب: باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محد بن عبد الله سهيل بن عرو . اصطلحوا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، تأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أن من أتى محدا من قريش بغير إذن وليه رده إليه ، و من جاء قريشا من محد لم يدخل في عقد محد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم يدخل في عقد قريش وعهدهم رسول الله على وسلم أبا جندل بن سهيل ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جندل بن سهيل ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جندل بن سهيل ، ولم يأت مم جاءت المؤمنات مهاجرات ، وكانت أولاهن أم كلثوم بنت عُقية بن أبي مكينظ ، فقد م أحواها عار والوليد فكلاء في أمرها ليردها إلى قريش فنزلت الآية ، فلم يردها عليه الصلاة والسلام ، ثم أنكحها زيد بن حارثة .

وعن مقاتل أنه جاءت امرأة تسمى سُكِيَّمة بنت الحارث الأسلمية مؤمنة ، وكانت تحت صينى بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة فطلب ردّها فأنزل سبحانه الآية فل يردها وأعطاه ما أنفق ، وتزوجها عمر رضى الله عنه .

ومن هذا تعلم أن الآية بيّنت أن العهد الذى أعطى كان فى الرجال دون النساء ومن ثم لم يردهن حين جئن مؤمنات.

(ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن)أى ولا إثم عليكم ولا حرج فى نكاح هؤلاء الؤمنات المهاجرات ، بشرط أن تتعهدوا بالمهور ، وتلتزموا بأدائها .

و إنما جاز هذا لأن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكنار، فكان من المصلحة أن يكون لهن عاثل من للؤمنين يكفل أس أرزاقهن.

(ولا تمسكوا بعصم الكوافر) أى إنه لاينيني أن ثبقي علاقة من علاقات

الزوجية بين المؤمنين ونسائهم للشركات الباقيات فى دار الشرك ، فلا يمنع نكاح إحداهن نكاح خامسة أو نكاح أختها ما دامت فى المدة ، لأنه لاعدة لهن .

(واسألوا ما أنفقتم) أى واسألوا الكفار مهور نسائسكم اللاحقات بهم إذا ارتددن ولحقن بهم .

(وليسألوا ما أنفقوا) أى وايسألكم الكفار مهور نسائكم المهاجرات إليكم ، والمراد أن عليكم أن تؤدوا لهم ذلك .

(ذلكم حكم الله محمكم بينكم) أى ذلكم الذى ذكر هو حكم الله فاتبعوه ، يحكم به يهنكم فلا تخالفوه .

(والله عليم حكيم) فلا يشرع إلا ما تقتضيه الحسكمة البالفة .

(و إن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) أى و إن ذهبت أزو اجكم مرتدات إلى دار الشرك ولم يمطوكم المهور اللاتى دفعت لهن، ثم ظفرتم بالمشركين وانتصرتم عليهم فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من الغنية مثل ما أنفقوا .

روى عن ابن عباس أنه يُعلَّى الذى ذهبت زوجته من الفنيمة قبل أن نخسّ : أى قبل أن تقسم أخاسا ، كما هى القاعدة فى تقسيم الفنائم كما تقدم فى سورة الأنفال . (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) أى وخافوا الله الذى أنتم به مصدقون ،

فأدُّوا فرائضه ، واجتنبوا نوأهيه .

لِمَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَاجَاءَكَ المُوْمِنَاتُ يُبَايِهِنَكَ عَلَى أَلاَّ يُشْرِكُنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلاَ يَشْرِفْنَ ، ولاَ يَزْنِينَ ، وَلاَ يَشْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ ، وَلاَ يَأْتَيِنَ بِبُهْنَانِ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِبِهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلاَ يَمْصِينَكَ فِي مَمْرُوفٍ ، فَبَايِمْهُنَّ وَاسْتَنْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورُ رَحِمُ (١٧) .

تفسير المفردات

يبايمنك : أى يلتزمن لك الطاعة ، ولا يقتلن أولادهن : أى ولا يثدن البنات ، والمراد بالمبتان للفترى بين أيديهن وأرجلهن : الولد الذى كانت ألصقته بزوجها كذبا ، والافتراء : الكذب ، فى معروف : أى فى أمر برّ وتقوى ، فبايمهن : أي فالتزم لهن ضمان الثواب إذا وفين بهذه الأشياء .

المعنى الجملي

روى البخارى عن عروة بن الزيبرأن عائشة رضى الله عنها قالت : إن رسول الله على الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجرن إليه بهذه الآية : « يا أيمًا النبيُّ إذَا جَاءَكَ لَوُمِياَتُ يُبَايِعِنْكَ ﴾ فين أقرت بهذا الشرط من المؤمنات المؤمنات يده يد على الله ما الله على الله عن أحية بنت رقية الليبية قالت : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء لبايمه ، فأضد علينا على القرآن : ألا نُشْرِكَ بالله شَيْئًا حتى بلغ ولا يشينك في متروف ، فقال : فيا استعلمتن وأطفتن ، قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلل يارسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال إلى لا أصافح النساء ، إنما قوالي لامرأة واحدة قولي المرأة واحدة قولي

الإيضاح

أى أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات مقدمات لك الطاعة ، مانزمات ألا يشركن بالله شيئا من صنم أوحجر ، ولا يسرقن من مال الناس شيئًا ، ولا يزنين ، ولا يثدن البنات كما كنّ يفعلن ذلك في الجاهلية ، ولا يلصقن أولاد الأجانب بأزواجهر كذبا وبهتانا ، ولا يعمينك فيا تأمرهن به أو تنهاهن عنه ، كالنوّح وتمزيق الثياب وجزّ الشعر وشق الجيوب وخمش الوجوه ، وألا تخلو امرأة بغير ذى رحم محرم – فيا يعهن على ذلك ، والنزيّم لهن الوفاء بالثواب إن هن أطعنك ف كل ذلك ، واطلب لهن المفغرة من الله ، إنه هو النفور الرحيم لهن إذا وفدَّين بما بايعن عليه .

وعن عروة بن الزبير عن خالته أم المؤمنين عائشة قالت : « جاءت فاطمة بنت عُثْبَة تبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها : ألا 'يشرّ كُنَ بالله َ سَيْمَتُا وَلَا يَسْرَوْنَ وَلَا يَزْرِنِينَ ﴾ الآية ، قال فوضمت يدها على رأسها حياه فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقرّى أيتها المرأة ، فوالله ما بايمنا إلا على هذا ، قالت فنمم ، فبايموا بالآية ﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلُواْ قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَشِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَشِنَ الْـكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ انقَبُورِ (١٣) .

تفسير المفردات

غضب الله عليهم : أى طردهم من رحمته ، من الآخرة : أى من توابها ونعيمها ، من أصحاب القبور : أى من رجوع موتاهم اليهم ، لأنهم لا يعتقدون ببعث ولا نشور .

المعنى الجملي

نهى سبحانه أول السورة عن موالاة المشركين ، وذكر الموانع التي تمنع من موالاتهم ، ثم أوعد على ذلك ، ولمــاكان الأمر في ذلك جدّ خطير في سياسة الدولة

الإسلامية ونشر اللة ـ كرر النهى عن موالاة الكافرين مرة أخرى ، يهودا كانوا أونصارى ، ليكون عظة وذكرى لحاطب بن أبى بلتمة ومن نحا نحوه ممن يقضلون توثيق الصلات الدنيوية على مصلحة الدغوة الدينية ، ومجملون شئون الدنيا مقدمة على. شئون الدين .

روى أن قوما من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ، ليصيبوا من تمارهم فنزلت الآية .

الإيضاح

(يأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) أى لاتتخذوا اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم واستحقوا الطارد من رحمته ــ أولياء لكم وأصدقاء تسرون إليهم بما يضر نشر الدعوة ، و يحول دون تقدم شئون الملة .

ثم بيّن أوصافهم ومعتقداتهم فقال:

(قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى قد يئسوا من خير الآخرة وثوابها ، لمنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المبشر به فى كتابهم ، المؤيد بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات ؛ فهم قد أفسدوا آخرتهم بتكذيبهم له وعلموا أن لاسبيل لهم إلى نيل نميمها ، كما يئس الكفار من بعث موتاهم ، لأنهم لايمقدون بيعث ولا نشور .

والحمد لله رب المالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

خلاصة موضوعات هذه السورة الكريمة

- (١) النهى عن موالاة للشركين مع ذكر أسباب ذلك .
 - (٢) ضرب المثل بقصص إبراهيم وقومه .
- (٣) امتحان النساء للؤمنات المهاجرات وعدم إرجاعهن إلى دار الكفر .
 - (٤) مبايعة النساء المؤمنات في دار الإسلام.

سورة الصف

هى مدنية وآيها أربع عشرة ، نزلت بعد التفان .

ومناسبتها ما قبلها — أنها اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه ، وفي ذلك تأكيد للنعى الذي تضمنته السورة السابقة من أتخاذ الكفار أولياء مر دون المؤمنين .

روى أحمد بسنده عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا أيَّكُم يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله : أيُّ الأعمال أحب إلى الله ؟ فلم يقم منا أحد ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا رجلا فجيمنا فقراً علينا هذه السورة : (الصف) كلها .

بِسْمِ اللهِ الرُّحْنِ الرَّحِيمِ

سَبَّعَ لِهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَهُوَ الْمَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لِمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْمَلُونَ (٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقانِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّلًا كَانَّانُهُ وَبُنْيَانُ مَرْصُوصُ (٤).

تفسير المفردات

(لِمَ) أَى لأَى شيء تقولون قد ضلنا كذا وكذا ، وأَنْمِ لم تفعلوا ؟ والراد بذلك التأنيب والتوبيخ على صدور هذا الكذب منهم ، كبر : أى عظم ، واللّمت : أشد البغض وأعظمه ، ورجل مقيت وممقوت إذا كان يبغضه كل أحد ، وللرصوص : المحكم ، قال المبرد : تقول رصصتُ البناء إذا لا أمت بين أجزائه وقار بت حتى يصير كقطعة واحدة .

المعنى الجملي

قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجماد يقولون : لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه فعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لاشك فيه ، وجهاد لأهل معصبته الذين جعدوا الإيمان به ، وإقوار برسالة نبية ، فالما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله أكنة .

الإيضاح

(سبح فله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) أى شهد له بالربوبية والوحدانية والقدرة وغيرها من صفات الكمال جميع ما فى السموات والأرض، وهو النالب على أمره، القاهر فوق عباده ، الحكيم فى تدبير خلقه وَفَق ماسنّه من السنن ، وأرشد إليه من ضروب الهداية .

و بعد أن وصف نفسه بصفات السكمال ذكر ما يلحق المخلوقين من صفات النقص فقال:

(يا أبها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) أى لأى غرض تقولون لودِدنا أن نعمل كذا وكذا من أفعال الخير حتى إذا طلب منسكم ذلك كرهتم ولم تفعلوا ؟

والتوبيخ والإنكار موجه إلى عدم فعلهم ما وعدوا به ، و إنما وُجَّه إلى القول لبيان أن معصيتهم مُزدّوِجة ، إذ هم تركوا فعل الخير، وقد وعدوا بفعله . وبهذه الآية ، وبما ثبت في السنة من نحو قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدَّث كـذب ، وإذا اؤتمن خان » استدل السلف على وحوب الوقاء بالوعد.

تُم بين شدة قبح ذلك وأنه بلغ الفاية في بفض الله له فقال :

(كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) أى عظم جُرْمًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

ذاك أن الوفاء بالوعد دليل على كريم الشبم ، وجميل الخصال ، و به تـكون الثقة بين الجاءات ، فترتبط بر باط للودة والحبة حين يتعامل بعض أفرادها مع بعض ، ويكونون يدا واحدة فما انتوَّوا من الأعمال ، والمكس بالمكس ، فإذا فشا في أمة حلف الوعد قلَّت الثقة بين أفرادها ، وانحلت عرا الروابط بينهم وأصبحوا عقدا متناثرا لا ينتفع به ، ولا يخشى منهم عدو إذا اشتدت الأزمات ، وعظمت الخطوب ، لما يكون بينهم من التواكل ، وعدم النَّبان بمضهم بمضا.

و بعد أن ذمّ الذين وعدوا بالقتال ونحوه من أفعال الخير ولم يفعلو ، مدح الذين قاتلوا في سبيله و بالفوا فيه فقال:

(إن الله عب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) أى إن الله محب الذين يصفون أنفسهم حين القتال ولا يكون بينهم فُرَج فيه كأنهم بنيان متلاحر الأحزاء ، كأنه قطمة واحدة قد صُبَّت صبا ، وعلى هذه الطريقة تسير الجيوش في العصر الحاضر.

وسر هذا أنهم إذا كانوا كذلك زادت قوتهم للمنوية ، وتنافسوا في الطمان والنزال، والكرّ والفرّ، إلى ما في ذلك من إدخال الرَّوْع والفزع في نفوس العدو، إلى ما لحسن النظام من إمضاء العمل بالدقة والإحكام ، ومن ثم أمرنا بتسوية الصفوف في الصلاة ، وألا بجلس المصلي في صف خلفي إلا إذا اكتمل ما في الصف

الأمامى، وهكذا تراعى الأم في عصرنا الحاضر النظام في كل أعمالها ، في أكلما ونومها ورياضتها وتربية أولادها ، بحيث لا يطنى عمل على عمل ، فللجدّ وقت لا يعدوه، وللرياضة وقت آخر ، وللنوم كذلك ، ولهذا لا يوجد تواكل ولا تراخ في الأعمال ، ولا تخاذل فيها ، ومن ثم جاء في الأثر «أفضل الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمٍ لِمَ تُوْذُونِنِي وَقَدْ تَمْلَمُونَ أَنِّى رِسُولُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

تفسير المفردات

تؤذوننى: أى تخالفون أمرى بترك القتال ، زاغوا: أى أصروا على الزيخ والانحراف عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام ، أزاغ الله قاو بهم: أى صرفها عن قبول الحق، الفاسقين: أى الخارجين عن الطاعة ومنهاج الصدق المصرين على الغواية، وأحمد: من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم، قال حسان:

> صلّى الإله ومن يحُثّ بعرشه والطيّبون على البارك أحمد الملحني الجمل

بمد أن أنَّب التاركين للقتال الهار بين منه بقوله : « لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفَعُّلُونَ؟ » ذكر هنا أن حالهم يشبه حال بني إسرائيل مع موسى حين ندبّهم إلى قتال الجبارين بقوله : ﴿ يَاقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدِّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ كَكُم ۚ وَلَا تَرَقَدُوا قَلَى الْمَدَرِينَ وَ فَالُوا يَلُوسَى الْمَدَلَّمَةُ الَّتِي كَتَبَ اللهُ أَلَكُم وَ قَالُوا يَلُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدُخُلُهَا حَتَّى يَخُرُجُوا مِنْها وَ فَإِنْ يَخُرُجُوا مِنْها فَإِنَّ مَخُرُجُوا مِنْها فَإِنَّ مَخْرُبُوا مِنْها فَإِنَّ مَخْرُبُوا مِنْها فَإِنَّ مَخْرُبُوا مِنْها وَلَمْ وَاللهِ وَاللهِ وَقَالُوا : ﴿ وَالْمُوالِمُ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰكِرِيمَة ، وقد صرفهم ذلك وَ وَاللّٰهِ عَنْهُ وَلَا اللّٰهِ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ عَنْهُ وَلَا اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَيْهِ اللّٰهِ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ وَاللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَيْهِ اللّٰهِ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ وَاللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ وَاللّٰهِ وَاللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهِ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ اللللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ اللل

الإيضاح

(وإذ قال موسى لقومه باقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم ؟) أى واذ كل موسى لقومه بنا موسى بن عمران كليم الله حين قال لقومه بنا تؤذوننى وتخالفون أمرى فتتركوا القتال وأنم تعلمون صدق فيا جئشكم به من رسالة ربى ؟ وفي هذا نسلية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على ما أصابه من قومه الكافرين ومن غيرهم ، وأمر له بالصبر ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ه رحمة الله على موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » كما أن فيه نهيا للمؤمنين أن بغالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما جاء في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا اللهِ يَن آمَنُوا لَا تَسْكُونُوا كَالَذِينَ آمَنُوا لَا تَسْكُونُوا كَالَ عِنْدَا اللهِ قَرْحِيمًا » .

ثم بين عاقبة عصيا بهم ومخالفة أمره بقوله :

(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، وأصرّوا على ذلك ، صرف الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الحيرة والشك ، جزاء وفاقا لما دسّوا به أنفسهم من الذبوب والآثام ، ومخالفة أوامر رسوله ، وانهما كمِم فى الطفيان والمعاصى ، فران على قلوبهم ، وطمس على أعينهم ، فلم تنظر إلى ما تشاهد من دايل ، ولا تبصر ماترى من برهان كها قال : 9 وَنُقلَّبُ أَفْيْدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا كُمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّتُ وَنَذَرُكُمْ فِي طُغْيَا بِهِمْ يَعْتَمُونَ » .

ثم أكد إزاغته لقلوبهم وبيَّن علمها بقوله :

(والله لايهدى القوم الفاسقين) أى والله لايوفق لإصابة الحق من اختار الكفر ونبذ طاعة الله ورسوله ، بما يربن على قلبه من الضلالة ، فيحرمه النظر إلى الأدلة التي نصبت فى الكون ، وجعلت مناراً للمقول ، وشفاء للصدور .

(و إذ قال عيسى ابن مر يم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليسكم مصدقا لمسا بين يدى من التوراة) أى واذ كر لقومك ما قال عيسى ابن مر يم لقومه : ياقوم إنى مرسّل إليكم من الله ، و إنى مصدق بالتوراة و بكتب الله وأنبيائه جميما من تقدم منهم ومن تأخر .

(ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) أى وداعيا إلى التصديق بهذا الرسول السكريم الذى جاءت البشارة به فى التوراة . فقد جاء فى الفصل العشرين من السَّفْر الخامس منها : أقبل الله من سينا ، وتجلّى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، معه الربوات الأطهار عرض يمينه . « سينا معبّط الوحى على موسى ، وساعير مهبط الوحى على عيسى ، وفاران جبال مكة مهبط الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم » .

وفيها فى الفصل الحادى عشر من هذا السفر: ياموسى إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيًّا من إخوتهم مثلث ، أجعل كلامى فى فيه ، ويقول لهم ما آمره به ، "والذى لايقبل قول ذلك النبى الذى يتسكلم باسمى ، أنا أنتق. منه ومن سِيْطه . ۸٥

وفيه أيضاً : قال المسيح من يحفظ كلتي يحبني ، وأبي يحبه ، وعنده يتخذ المنزلة ، كلتكم بهذا لأنى لست عندكم بمقيم ، والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى ، هو يملكم كل شيء ، وهو يذكّر كم كل ما قلت لكم ، أستودعكم سلامي ، لا تقلق قلو بكم ولاتجزع، فإنى منطلق وعائد إليكم، لوكنتم تحبونى تفرحون بمضيًّى إلى الأب. وفيه أيضا: إن خيرا لكم أن أنطلق لأبي ، لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء فهو يو بخ السالمَ على خطيئته ، و إنَّ لى كلاما كثيرا أريد قوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميم الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جيم ما للأب.

﴿ وَالْفَارَقَلِيطَ لَفُظْ يُؤْذِنَ بِالْحَمْدُ ، فَسَرَهُ بَعْضَهُمُ بِالْحَمَّادُ وَبِعْضُهُمُ بِالْحَامَدُ ، فَفي مدلوله إشارة إلى اسمه عليه السلام أحمد) كما لا يخفى على من كشف الله تعالى غشاوة التعصب عن عينيه .

(فلما جاءهم بالبينات قالوا هـ ذا سحر مبين) أى فين جاءهم أحمد المبشَّرُ به بالأدلة الواضحة ، والمعجزات الباهرة ، فاجثوه بالتكذيب والإعراض عنه استكبارا وعنادا وقالوا : إن ما جئت به ما هو إلا ترَّ هات وأباطيل، وسحر واضح لاشك فيه . وبحو الآية قوله تعالى : « الَّذينَ يَتَّبعُونَ الرَّسُولَ النِّيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ، الآية.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِّمْنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلاَمِ ٱ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقُوْمَ الظَّالِمانَ (٧) يُريدُونَ لِيُطفِّيُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّٰهُ مُنِّمٌ ۚ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الخُقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كَلَّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) .

تفسير المفردات

الإسلام: الاستسلام والانقياد والخضوع فله عز وجل ، والمراد من إبطال نور الله أف أفواههم إرادتُهم إبطال الإسلام ، بنحو قولهم هـذا سحر منترى ، والله متم نوره: أى والله متم الحق ومبلنه غابته ، بالهدى أى بالمرآن ، ودين الحق : أى بالملة السمحة ، ليظهره: أى ليطيه ، طى الدين كله : أى على سائر الأديان .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر فيا سلف أن الجاحدين لنبوته صلى الله عليه وسلم من المشركين وأهل الكتاب لما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مفترى - أردف ذلك بيبان أنهم دعوا إلى الإسلام والخضوع لخالق الخلق ومبدع العالم ، وأقيمت لهم على ذلك الأدلة ونصب لهم المنار ، لكنهم ظلموا أنفسهم وجعدوا النور الواضح ، والبرهان الساطم . قد تذكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طمم للماء من سقم ثم بين أن السبب في ذلك هو سوء استعدادهم وتدسيتهم لأنفسهم ، وأن مثلهم في صد الدعوة عن الدين مثل من ير يد إطفاء نور الشمس بالنفخ بغيه ، وأنى له بذاك ؟

م بين ال السبب في لنك هو هو المستدادهم وتدسيهم و تفسيهم ، وال منهم في صد الدعوة عن الدين مثل من ير يد إطفاء أور الشمس بالنفخ بفيه ، وأنى له بذاك ؟ فالله متم نوره ، ومكلّ دينه ، مهما جدّ المشركون في إطفائه ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم ماجاء إلا بما فيه هداية البشر وسمادتهم في معاشهم ومعادهم ، وبالدين الحق الذي لا تجد المقول مطمنا فيه ، ولا طريقا إلا الاعتراف بما جاء به من حِكم وأحكام .

الإيضاح

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام؟) أى ومن أشد ظلما وعدوانا بمن اختلق على الله الكذب وجمل له أندادا وشركاء، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص؟

وتلخيص المدى - أى الناس أشد ظلما بمن يدعى إلى الإسلام والخصوع ، فلا يجيب الداعى بل يفترى على الله الكذب بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا ، والمراد أنه أظلم من كل ظالم ، لأنه قد أهدر عقله ، وركب هواه ، وألتى الأدلة وراه ظهريا .

ثم بين سبب ظلمهم وفساد عقائدهم فقال :

(واقد لا يهدى القوم الظالمين) أى واقد لا يرشد الظالمين لأنفسهم إلى ما فيه صلاحهم ورشادهم ، لأنهم دسوها باجتراح السيئات ، وارتـكاب الوبقات ، فخيم على القلومهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، فلا تفهم الأدلة المنصوبة فى الكون ، ولا تهتدى , يدى المقل ، بل تسيرفى عماية ، وتمشى فى ظلام دامس لا تلوي على شى . .

ثم ذكر حِدَّهم واجتهادهم فى إبطال الدين، واستهزأ بما أكذوه من الوسائل فقال:
(ير يدون ليطفئوا نور اقه بأفواههم) أى إن مثلهم فى مقاومتهم لدعوة الدين،
وحِدَّهم فى إخماد نوره — مثل من ينفخ فى الشمس بفيه ليطفئ نورها، وبحجب
ضياءها، وأنى له ذلك ؟ فما هو إلا كن يضرب فى حديد بارد، أو كمن يريد أن
يضرم النار فى الرماد، أو كمن يريد أن يصطاد المنقاء.

أرى العقاء تكبر أن تصادا فعانيد من تعليق له عنادا (والله متم نوره ولوكره الكافرون) أى والله معلن الحق ومظهر دينه وناصر محدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه ولوكره ذلك المكافرون به . روى عن ابن عباس « أن الوحى أبطأ أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف : يامعشر يبود أبشروا ، أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه ، وماكان الله ليتم نوره ، فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت : يُر يدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ، الآية .

ثم بين العلة في إخماد دعوتهم ، وأنه لاسبيل لقبولها لدى العقول فقال :

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الشركون) أى هو الله الحنيفية ، ليمليه الشركون) أى هو الله الحنيفية ، ليمليه على جميع الأديان المخالفة له ، وقد أنجز وعده ، فلم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام .

وإنما قال أوّلا: ولو كره الكافرون ، وقال ثانيا : ولو كره المشركون ، لأنه ذكر أولا النور وإطفاء فاللاثق به الكفر ، لأنه ستر وتفطية، وذكر ثانيا الحاسدين للرسول وأكثرهم من قريش، فناسب ذكر المشركين .

ياً بِمَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلْكُمْ عَلَى يَجَارَةٍ تُنْضِيكُم مِنْ عَذَابِ الْهِمِ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَجُهَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمُوالِكُمْ وَأَنْشُرِكُمْ ، ذَلِكُمْ غَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَفْفِرْ لَكُمْ وَأَنْشُرِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُ الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيَّبَةً وَنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتِ بَجْرِي مِنْ تَحْتِبُا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيَّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنِ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمَطْيِمُ (١٢) وَأَخْرَى تُحْبُونَهَا نَصْرُ مِنَ اللهِ فِي جَنَّاتٍ عَدْنِ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمَطْيِمُ (١٢) وَأَخْرَى تَحْبُونَهَا نَصْرُ مِنَ اللهِ وَقَعْتُ قَرِيبٌ ، وَبَشِرِ الْمُونِينَ (١٣) يَأْمُهُمْ اللهِ وَالْمُولُولُولُولُونَ : كَا قَالَ الْحُوارِيُونَ : كَا أَنْسَارِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، فَنْ أَنْسَارِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، فَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، مِنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، فَنْ أَنْصارَ فِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، مِنْ أَنْصارَ فِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، فَنْ أَنْصارَ فِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، مِنْ أَنْصارَ فِي إِلَى اللهِ وَكَفَرَتْ طَاقِفَةٌ ، فَنْ عَبْدُوا فَلْهِو مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِن اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ الْمُونِ مُنْ اللهُ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مِنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُنْ اللهِ مُ

تفسير المفردات

التجارة هنا: ما يقدمه المرء من عمل صالح ، لينال به التواب كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا اللهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمُّوالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجُنَّةَ » طبية : أى طاهرة مستلزة ، جنات عدن : أى بساتين إقامة وخلود ، قريب : أى عاجل وهو فتح مكة ، وحواري الرجل : صفيه وخليله ، وأنصار الله : أى الناصرون لدينه ، فأيدنا : أى قوّينا وساعدنا ، على عدوهم : أى السكفار ، ظاهرين : أى غالبين .

المعنى الجملي

بعد أن حث فى الآيات السابقة على الجهاد فى سبيله ، ونهاهم أن يكونوا مثل قوم موسى فى التواكل والتخاذل ، إذ قالوا له : اذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاً إِنّا هَاهُنَا عَاصِدون ، ونهاهم أيضا عن أن يكونوا مثل قوم عيسى فى العصيان بعدأن أنى لحم بالأدلة الباهرة على صدق نبوته — ذكر هنا أن الإيمان بالله والجهاد بالمسال والنفس فى سبيله تجارة رابحة ، فإن المجاهد ينال الفوز العاجل ، والثواب الآجل ، فيظفر بالنصرة فى الدنيا والفلبة على العدو وأخذ الفنأم وكرائم الأموال ، ويحظى فى الآخرة بغفران الذب ، ورضوان الرب ، والكرامة فى جنات الخلود والإقامة ، ولا فوز أعظم من هذا .

ثم ضرب لهم مثلا بقوم عيسى فقد انقسموا فوقتين : فوقة آمنت به وهم حواديه ، وفرقة كفرت به وهم البقية الباقية منهم ، فأمد الله المؤمنين بروح من عنده ، فتم لهم الفوز والنصر على الكافرين ، وغلبوهم بإذن الله كما هى سنة الله فى البشركا قال : «كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ » وقال : « إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرُ ثُمْ وَيُعَبِّتُ أَقَدَامَكُمْ » .

الإيضاح

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلـكم على تجارة تنجيكر من عذاب أليم) أى يا أيها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله : ألا أدلـكم على صفقة رابحة ، وتجارة نافمة ، تنالون بها الربح العظيم ، والنجح الخالد الباق .

وهذا أساوب يفيد التشويق والاهتمام بما يأتى بعده كما تقول : هل أدلك على عالم عظيم ذى خلق حسن ، وعلم فياض ؟ هو فلان ، فيكون ذلك أروع فى الخطاب وأجلب لقبوله .

ثم بين هذه التجارة بقوله :

(تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالسكم وأنفسكم) أى اثبتوا على إيمانسكم ، وأخلصوا لله العمل ، وجاهدوا بالأنفس والأموال فى سبيل الله بنشر دينه ، وإعلاء كلته .

والجماد ضروب شتى : جهاد للمدو فى ميدان القتال لنصرة الدين ، وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التى ترديها ، وجهاد بين النفس والخلق ، بترك الطمع فى أموالهم ، والشفقة عليهم ، والرحمة بهم ، وجهاد بين للرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها ، وألا ينفق المال إلا فيا تجيزه الشرائم ، وتقره المقول السلمة .

(ذلك خير لكم إن كنتم تسلون) أى هذا الإيمان والجهاد خير لمكم من كل شىء فى الدنيا من نفس ومال وولد ، إن كنتم من أهل الإدراك والعلم بوجوه المنافع وفهم المقاصد ، فإن الأمور إنما تتفاضل بغاياتها ونتائجها .

ولهذه التجارة فوائد عاجلة وأخرى آجلة، وقد فصل كلا الأمرير_ وقدم الثانية فقال:

(يغفر لسكم ذنو بكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة

ف جنات عدن ذلك الفوز المظیم) أى إن فسلم ذلك فاَمنتم بالله وصدقتم رسوله ، وجاهدتم في الله الله وصدقتم رسوله ، وجاهدتم في الله الديس جناته وأسكنكم مساكن تطبيب لدى النفوس ، وتقرّ بها الميون فى دار الخلد الأبدى ، وهذا منتهى ماتسمو إليه النفوس من الفوز الذي لافوز بعده .

ثم ذكر الفوز العاجل فى الدنيا فقال :

(وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) أى ولسكم على هذا فوز فى الدنيا بنصركم على عدوكم، وفتحكم للبلاد، وتمكينكم منها حتى تدين لسكم مشارق الأرض ومفاريها .

وقد أنجز الله وعده ، فرفعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من العالم فى زمن وجيز لم يعهد التاريخ نظيره ، وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة ، وساسوا العالم سياسة شهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق .

ثم أمرهم بأن يكونوا أنصار الله فى كل حين ، فلا يتخاذلوا ولا يتواكلوا ، فيكتب لهم النصر على أعدائهم كما فعل حواريو عيسى فقال :

(يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله عن أنصار كونوا أنصار أنه أن الله عن أنصار كانه أنه أن الله المواريون أنصار عيسى حين قال لهم: الله ، فارفعوا شأن دينه ، وأعلوا كلته ، كما فعل الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: من أنصار ي إلى الله ؟ أنهار الله وأنصار دينه .

وقصاری ذلك — كونوا أنصار الله فى جميع أعمالكم وأقوالكم، وأنفسكم وأموالكم كما استجاب الحوار بون لميسى .

(فَأَمَنت طَائِفَة مَن بَى إِسرائيل وكفرت طَأَئِفَة) لما بلَّغ عيسى عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ، ووازره مر الحواريين من وازره ، اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بمــا جاءهم به ، وضلت طائفة أخرى إما جحودا لرسالته ورميه هو وأمه بالمظائم كما فعل اليهود ، وإما بالناو و إعطائه فوق ما أعطاه الله من مرتبة اللبوة ؟

فمن قائل إنه ابن الله ، ومن قائل إنه أالت ثلاثة ، الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله .

(فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى فنصرنا المؤمنين على من عداهم ، وأمددناهم بروح من عندنا على مقتضى ستننا « والماقبة للمتقين » فغلبوا أعدامهم وظهروا عليهم كما قال « إنّا لَنَفْسُرُ رُسُلنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا » فله الحد على ما أعطى ، وللنة على ما أنهم ، وصل ربنا على محد وآله .

ما جاء في أثناء السورة من موضوعات

- (١) اللوم والتمنيف على مخالفة القول للعمل .
 - (٢) البشارة بمحمد على لسان عيسى .
- (٣) محمد صلى الله عليه وسلم أرسل بالمدى والدين الحق.
- (٤) التجارة الرابحة عند الله هي الإيمان والجهاد في سبيله .
 - (٥) الأمر بنصرة الدين كا نصر الحواريون دينهم .

سورة الجمعة

مدنية وآيها إحدى عشرة ، نزلت بعد الصف .

ومناسبتها لما قبلها من وجوه :

- (١) إنه ذكر فى السورة قبلها حال موسى مع قومه بإيذائهم له ، ناعيا عليهم ذلك ، وذكر فى هذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أمته ، تشريفا لهم ، ليملم الفرق بين الاثنين .
- (٣) إنه حكى فى السورة قبلها قول عيسى: « وَمُبَشَّرًا بِرَسُولِ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى السَّمُةُ أَخْمَدُ » وذكر هنا: (هُو الذي بَسَثَ فى الأُمَيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) إشارة إلى أنه هو الذي بشر به عيسى.
- (٣) لما ختم السورة قبلها بالأسم بالجهاد وسماه تجارة ، ختم هذه السورة بالأمر
 بالجمة ، وأخبر أن ذلك خير من التجارة الدنيوية .

بِشم ِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم ِ

يُسَبِّحُ يِلْهِ مَا فِي السَّمُواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُوسِ الْعَزِيزِ الْمَسْكِمِ (١) هُو الَّذِي بَعْثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ الْمَسْتِينَ وَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ الْمَاتِينَ وَالْمَكُمْةَ وَإِنْ كَا نُوا مِن قَبْلُ لَيْ صَلَالٍ مُبِينِ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَا يَلْمَقُوا بِهِمْ وَهُمُو الْعَزِيزُ اللهِ عَلَيْهُمْ لَمَا يَلْمَقُوا بِهِمْ وَهُمُو الْعَزِيزُ اللهِ عَلَيْهِمُ مَنْ يَشَاءَ وَاللهُ ذُو الْفَضْدِلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءَ وَاللهُ ذُو الْفَضْدِلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءَ وَاللهُ ذُو الْفَضْدِلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءَ وَاللهُ ذُو الْفَضْدِلُ الْمُعْلِمِ (٤).

تفسير المفردات

القدوس: المنزه عن النقائص المتصف بصفات الكمال ، الأميين: هم العرب ، واحدهم أى نسبة إلى الأم التي ولدته ، لأنه على الحال التي ولد عليها لم يتعلم الكتابة والحساب، فهو على الجبلة الأولى، يزكيهم: أى يظهرهم بتلاوة آياته، وآخرين: واحدهم آخر بمنى غير، لما يلحقوا بهم : أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ؛ وهم من جاء بعد الصحابة إلى يوم الدين .

الإيضاح

(يسبح فله مافى السموات وما فى الأرض) أى كل ما فى السموات والأرض ، إذا نظرت إليه دلك على وحدانية خالقه ، وعظيم قدرته ، كما قال سبحانه : « وَ إِنْ مِنْ شَيْء إِلا يُسَبِّعُ مِحَمَّدُهِ » .

(الملك القدوس) أى هو المالك لمـا فى السموات والأرض للتصرف فيهما بقدرته وحكته ، المنزه عن كل مالايليق بجلاله وكاله .

(العزيز الحكم) أى هو الفالب عباده المستخرلهم بقدرته ، الحكيم في تدبير شئومهم فيا هو أعلم به من مصالحهم الموصلة إلى سعادتهم في معاشهم ومعادهم .

ثم وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات المدح والكمال فقال :

(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويسلمهم الكتاب والحسكة) أى هو الذى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأممة الأمية التى لاتقرأ ولا تسكتب وهم العرب. أخرج البيخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن ابين عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنا أمة "أمية لانسكتب ولا نحسب » .

وهذا الرسول من جملتهم أى مثلهم ، ومع ذلك يتلو عليهم آيات الكتاب

ليجعلهم طاهرين من خبائث المقائد والأعمال ، ويعلمهم الشرائع والأمور العقلية التي. تكمل النفوس وتهذبها ، وإلى ذلك أشار البوصيرى فى قوله :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزةً فى الجاهلية والتأديب فى اليُتُم وتخصيص الأميين بالذكر لايدل على أنه لم يرسل إلى غيرهم ، فقد جاء العموم فى آليات أخرى كقوله : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْمَاكِمِينَ » وقوله : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِنْكِهُمُ جَمِيمًا » وقوله : « لِأَ نُذِرَ كُمْ بِهِ وَمَنْ بَكَمْ » .

ومن حكمته تعالى أنه أرسله عربيا مثلهم ، ليفهموا ما أُرسَل به ويعرفوا صفاته وأخلاقه ، ليسهل اقتناعهم بدعوته .

وخلاصة ما سلف : أنه ذكر الفرض من بعثة هذا الرسول ، وأجملها في أمور ثلاثة :

- (١) أنه يتلو عليهم آيات القرآن التى فيها هدايتهم وإرشادهم لخير الدارين ، مع كونه أميا لا يكتب ولا يقرأ ، لئلا يكون هناك مطمن فى نبوته ، بأن يقولوا إنه نقله من كتب الأولين كما أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ إِلَيْهِ مِنْ أَلْمُعْلُونَ ﴾ .
 - (٧) أنه يطهرهم من أدناس الشرك وأخلاق الجاهلية ، و بجملهم منيبين إلى الله مخبتين له فى أعمالهم وأقوالهم ، لايخضمون لسلطة مخلوق غيره ، من ملك أو بشر أو حجر .
 - (٣) أنه يعدهم الشرائع والأحكام وحكمتها وأسرارها ، فلا يتلقون عنه شيئاً
 إلا وهم يعدون الفاية منه ، والفرض الذى يفعله لأجله ، فيُقبلون إليه بشوق واطمئنان ،
 وقد تقدم مثل هذا في سورة آل عمران .
 - (و إن كانوا من قبل لني ضلال مبين) ذلك أن العرب قديما كانوا على دين إبراهيم ، فبدلوا وغيروا واستبدلوا بالتوحيد شركا ، وباليقين شكا . وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله ، فكان من الحكمة أن يبعث سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم

بشرع عظيم فيه هداية للبشر، وبيان ماهم فى حاجة إليه من أمور معاشهم ومعادهم، ودعوتهم إلى مافيه رضوان ربهم، والتمتع بنسيم جناته، ونهيهم عما يوجب سخطه ويقربهم إلى النار.

(وآخرين منهم لما يلحقوا جمم) أى و بعثه فى غيرهم من المؤمنين إلى يوم القيامة وهم من جاهوا بعد الصحابة إلى يوم الدين من جميع الأمم كالفوس والروم وغيرهم ، روى البغارى عن أبى هر يرة قال : ﴿ كنا جاوسا عند النّبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمة فتلاها ، فلما بلغ ﴿ وَ آخَرِينَ مِنْهُمُ كَا يَلْحَقُوا بِمِمْ ﴾ قال رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا ؟ فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا ، قال وسلمان الفارسى فينا ، فوضم رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال : ﴿ وَالذِينَ نَعْسَى بَيْدِهُ لَو كَانَ الإِيمَانَ بِاللّهِ يَا لِتَنَاوِلُهُ رَجِال مِن هؤلاء ﴾ .

وقد تـكلم في هذه الرواية جمع من المحدَّثين .

(وهو العزيز الحكيم) أى وهو ذو العزة والسلطان ، القادر أن يجمل هذه الأمة المستضعفة صاحبة النفوذ والقوة التى تنشر فى غيرها من الأمم روح العدل والنظام بإرسال رسول من أبنائها ينقذ الناس من الضلالة إلى الهدى ، ومن الظامات إلى النور ، وهو الحكيم فيا يفعل من تدبير أمور الخلق لما فيه خيرهم وفلاحهم .

م ذكر سبحانه أن إرسال هذا الرسول فضل منه ورحمة فقال :

(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى إرسال هذا الرسول إلى البشر مزكيا مطهراً لهم ، هاديا معلما فضل من الله وإحسان منه إلى عباده ، يعطيه من يشاء ممن يصطفيه من خلقه بحسب مايعلمه من استعداده وصفاء نفسه ، وهو أعلم حيث بجمل رسالته .

وهو سبحانه ذر الفضل العظيم عليهم في جميع أمورهم في دنياهم وآخرتهم ، في معاشهم ومعادهم ، فلا بجسلهم في حيرة من أمرهم تنتابهم الشكوك والأوهام ، ولا يجدون للخلاص منها سبيلا ، ولا بجسل قويهم يبطش بضبيقهم ، وينتصب أموالهم ويسعى فى الأرض بالفساد ، ويهلك الحرث والنسل ، فيكون العالم ككرة تتقاذفها أكفّ اللاعبين ، فهو أرحم بعباده من أن يتركهم سدى حملاً ، لاصلاح لهم فى دين ولادنيا .

مَثَلُ الَّذِينَ مُمَّلُوا التَّوْرَاة ثُمَّ لَمَ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَشْفَارًا اللَّهِ مَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ (هَ عُلْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللْمُوالِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُولِ

تفسير المفردات

حَلوا النوراة : أى عُلَّوها وكُلُنُّوا العمل بها ، لم يحملوها : أى لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فى تضاعيفها ، والأسفار : واحدها سفر ؛ وهو الكتاب الكبير ، هادوا : أى تهودوا أى صاروا يهودا ، أولياء فله : أى أحبّاء له ، بما قدمت أيديهم : أى بسبب ما اجترحوه من الكفر والماصى .

المعنى الجملي

بعد أن أثبت سبحانه التوحيد والنبوة، وذكر أن الرسول بعث للأميين قال اليهود: إن الرسول لم يبعث لنا، فرد الله عليهم مقالهم بأنهم لوفهموا التوراة حق (٧) الفهم ، وعملوا بما فيها ، لرأوا فيها نست الرسول والبشارة به ، وأنه بجب عليهم اتباعه ، وما مثلهم فى حملهم للتوراة وتركهم العمل بها إلا مثل الحار يحمل الكتب ولا يجديه حملها نفعا .

ثم رد علمهم مقالا آخر إذ قالوا نحن أحباء الله وأولياؤه و إنه لن يدخلنا النار إلا أياماً ممدودات — بأنه لو كان ما تقولونه حقا لتمنيتم للوت حتى تخلصوا من هذه الدار دار الأكدار ، وتذهبوا إلى دار النسم ، و إنكم لن تقملوا ذلك فأنتم كاذبون فيا تدّعون ، و لم تقرون منه وهو ملاقيكم ولا محالة ؟ وهناك ترجمون إلى ربكم فيفيشكم بما قدمتم من عل و مجاز يكم عليه ، إن خيرا و إن شرا .

الإيضاح

وصفوة القول: إن هذا النبي الذي تقولون إنه أرسل إلى العرب خاصة ، هو ذلك النبي المنموت في التوراة والمبشّر به فيها ؛ فكيف تنكرون نبوته ، وكتابكم يحض على الإيمان به ؟ فما مثلكم في حملكم التوراة مع عدم العمل بما فيها إلا مثل الحمار يحمل الكتب ولا يدرى ما فيها ، فأنتم إذ لم تعملوا بما فيها وهي حجة عليكم إلا مثل الحار ليس له إلا ثيثر الحل من غير انتفاع له بما حل .

ثم بين قبح هذا المثل وشديد وقمه على من يمقله ويتدبره فقال :

(بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى ماأقبح هذا مثلا لهم ، لتكذيبهم بآيات الله التى جامت على لسان رسوله لو كانوا يتدبرون و يتفكرون ، إذ لم يكن لهم مايشبههم من ذوى المقول والحجا من ملك أو إنس ، بل لا شبيه لهم إلا ما هو أحقر الحيوان وأذله وهو الحيار .

> ولا يُقَمِ على ضسيمُ يراد به إلا الأذلَّان عَيْرُ الحَى والوَتِدُ هذا على الخسف مر بوط برمَّته وذا يُشجُّ فلا يرثِى له أحدُ

(والله لايهدى القوم الظالمين) لأنفسهم إذ هم دسّوها حتى أحاطت بهم الخطيئة وأعمت أبصارهم ، ورانت على قلوبهم ، فلم تر نور الحق ، ولم تشعر بحبعة ولا برهان ، بل هى فى ظلام دامس لاتهتدى لطريق ، ولا تصل إلى غاية .

ولما كان من شأن من لم يعمل بالكتاب الذي أنزل إليه أن يكون محبًّا المعياة ، تاركا لمكل ماينعمه في الآخرة قال آمراً رسوله أن يقول لهم :

ثم أخبر بأنهم لن يتمنوه أبدا لما يعلمون من سوء أفعالهم وقبيح أعمالهم فقال:

(ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى ولا يتمنونه أبدا لعلمهم بسوء أعمالهم، لكنرهم بآيات الله وتدسيتهم أنفسهم بالماصى والشرور والآثام .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : والذى نفسى بيده لايقولها أحد منكم إلا غَصَّ بريقه » : فل يتمنَّ أحد لعلمهم بصدقه ، وأيقنوا أنهم لو تمنوه لماتوا لساعتهم ، وحق عليهم الوعيد ، وحل بهم العذاب الشديد .

(والله عليم بالظالمين) ولا يخنى مافى هذا من شديد النهديد والوعيد .

(قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) أى وماذا بجديكم الفرّار من الموت؟ ولماذا تمتنمون من المباهلة خوفا على الحياة ؟ فإنه سيلاقيكم البتة من غيرصارف يلويه ، ولا عاطف يثنيه ، فإن كنتم على الحق فلا تحقيلوا بالحياة ، فإن أيام الحياة مهما طال أمدها لابد من نفادها .

(ثم تردون إلى عالم النيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون) أى ثم ترجمون بعد مماتــكم إلى عالم غيب السموات والأرض ، فيخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من حسن وسيء ، ثم يجازيكم على كلّ بما تستحقون .

وغير خاف مافي هذا من شديد التهديد وعظيم الوعيد لو كانوا يمقلون .

ياً ثُمَّا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمْمَةِ فَاسْمَوا إِلَى فَإِذَا فَرِي لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمْمَةِ فَاسْمَوا إِلَى فَإِذَا فَرَى اللهِ وَذَرُوا النَّبْعُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَشْلَمُونَ (٩) فَإِذَا فَعُمَّ السَّلاةُ فَانْتَشَرُوا فِي الأَرْضِ وَالبَّنَمُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْ كُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَمَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأُوا تِجارَةً أَوْ لَهُوًا انْفَضُوا إِلَيْهَ وَتَرَ كُوكَ فَاقًا ، قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهُ وِ وَمِنَ النَّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرٌ مِنَ اللَّهُ وَ وَمِنَ النَّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّاوَقِينَ (١١) .

تفسير المفردات

نودى للصلاة : أى النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج فجلس على المنبر، أما النداء الأول على الزوراء (أعلى دار بالمدينة حينئذ بقرب المسجد) فقد زاده عثمان لكثرة الناس ، فاسعوا : أي فامشوا ، وذكر الله : هو الصلاة ، وذروا البيع : أى الركوه ، فانتشروا : أى فتفرقوا ، من فضل الله : أى من رزقه ، والمراد باللهو : الطبول والمزامير ونحوها ، انفضوا : أي انصرفوا ، فأتما : أى على المنبر وأنت تخطب .

المعنى الجملي

بعد أن نمى على اليهود فرارهم من الموت حبًا فى الدنيا والتمتع بطيباتها - ذكر هنا أن المؤمن لا يمنع من اجتناء ثمار الدنيا وخيراتها مع السعى لما ينفعه فى الآخرة كالصلاة يوم الجمة فى المسجد مع الجماعة ، فعليه أن يعمل للدنيا والآخرة معا ، فعا الدنيا إلا مزرعة الآخرة كا ورد فى الأثر : « اعمل لدنياك كا نك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كا ثك تموت غدا » .

ثم نسى على المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تشاغلهم عن سمساع عظاته وهو يخطب على المذبر بأمور الدنيا من تجارة وضرب دُفّ وغناء بالمزامير ونحو ذلك ، وأبن لهم أن ما عند الله من الثواب والنميم المقيم خير لهم من خيرات الدنيا والتمتع بلذاتها الفانية .

الايضاح

(يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) أى إذا أذّن المؤذن بين يدي الإمام وهو على المنبر في يوم الجمة الصلاة فاتركوا البيع واسعوا لتسمعوا موعظة الإمام فى خطبته ، وعليكم أن تمشوا الهو بنى بسكينة ووفار حتى تصاوا إلى المسجد .

روى الشيخان عن أبى هر يرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ إِذَا أَقِيمَتُ الصلاة فلاتأتُوها وأنتم تسمَوُن (تسرعون) وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فسلوا ، وما فاتكم فأتموا ﴾ .

وعن أبى قتادة قال : « يبيما نحن نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جَلَبة رجال ، فلما صلى قال : ماشأنكم؟ قالوا : استمجلنا إلى الصلاة ، قال : فلاتفعلوا، إذا أتيتم فامشوا وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلّوا ، وما فاتكم فأتموا » رواه البخاري ومسلم .

(ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى ذلكم السمى وترك البيع خير لكم من التشاغل بالبيع وابتناء النفع الدنيوى، فإن منافع الآخرة خير لكم وأبق، وهى المنافع الاباقية، أما منافع الدنيا فهى زائلة، وماعند الله خير لكم إن كنتم من ذوى العلم الصحيح بما يضر وما ينفع.

ثم ذكر مايفعلون بعد الصلاة فقال :

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلمكم تفلحون) أى فإذا أديتم الصلاة فتغرقوا لأداء مصالحمكم الدنيوية بعد أن أديتم ماينفحكم فى آخرتكم ، واطلبوا الثواب من ربكم ، واذكروا الله وراقبوه فى جميع شئونكم ، فهو العليم بالسر والنجوى ، لا تخنى عليه خافية من أموركم ، لعلمكم تفوزون بالفلاح فى دنياكم وآخرتكم .

وفي هذا إيماء إلى شيئين :

(١) مراقبة الله في أعمال الدنيا حتى لا يطفى عليهم حبها مجمع حطامها بأي الوسائل من حلال وحرام .

(٧) إن فى مراقبته تعالى الفوز والنجاح فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فلأن من راقبه لا يُفشّ فى كيل ولا وزن ولا يغيِّر سلمة بأخرى ، ولا يكذب فى مساومة ، ولا يحلف كذبا ، ولا يخلف موحدا ، ومتى كان كذلك شُهر بين الداس بحسن المعاملة وأحبوه وصار له من حسن الأحدوثة مايضاعف له الله به الرزق ، وأما فى الآخرة فيفوز برضوان ربه « ورضوان من الله أ كُبرُ » وبجنات تجرى من تحتما الأمهار ، ونعم أجر العاملين .

وعن عراك بن مالك رضى الله عنه أنه كان إذا صلى الجمة انصرف فوقف على باب المسجد وقال : « اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين » .

ثم عاتب سبحانه عباده للؤمنين على ما كان منهم من الانصراف عن الخطبة يوم الجمه إلى التجارة التي قدمت للدينة يومثذ فقال :

و إذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائمًا) أى و إذا رأى المؤمنون عِبر تجارة أولهوا أسرعوا وتركوك قائمًا وأنت تخطب الناس .

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذى فى جماعة عن جابر بن عبد الله قال: « بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجملة قائما إذ قدمت عيبر (إبل محملة طعاما من دقيق و بُرُّ وزيت) فابتدرها أسخاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وأبو بكر وعمر فأنزل الله تعالى: وَ إِذَا رَأُوا يَجَارَةً أَوْ لَهُوا إلى آخر السورة » .

والذي قدم بهذه التجارة دِحْيَة الكلمي من الشام ، وكان إذا قدم لم تبق عانق (الشابة حين أدركت) بالمدينة إلا أننه ؛ ثم يضرب بالطبل ليؤثرن الناس بقدومه ، فيضرجوا ليبتاعوا منه ، وكان ذلك طريق الإعلان عن التجارة حينفذ.

ثم رغبهم في سماع المظات فقال :

(قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أي قل لهم مبينا خطأ ما عماوا :

ماعند افت مما ينفعكم في الآخرة خير لكم عما يفيدكم في الدنيا مر. الثمتم بخيراتها ، وكسب لذاتها ، فغلك باقية ، وهذه فانية .

(والله خير الرازقين) فإليه سبحانه فاسموً ا، ومنه فاطلبوا الرزق ، ولن يفوتكم ذلك بسماع عظانه ، فالله كفيل برزقكم ، ولن ينقص بترككم البيع والشراء حين الصلاة ، وحين سماع العظات والنصائح .

ولله الحمد في الآخرة والأولى ، وله الحكم و إليه ترجعون .

خلاصة مو ضوعات السورة

- (١) وصفه تمالى نفسه بصفات الـكال .
- (٢) صفات النبي الأمن الذي بمنه الله رحمة الدالمين.
- (٣) النمي على اليهود لتركيم العمل بأحكام التوراة .
 - (٤) طلب مباهلة اليهود .
- الحث على السمى الصلاة يوم الجمعة حين النداء والإمام على المنبر.
 - (٦) الأمر بالسمى على الأرزاق بعد انقضاء الصلاة .
- (٧) عتاب المؤمنين على تركهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قائمًا وتفرقهم لرؤية التجارة أو اللهو

سورة المنافقين

هى مدنية وآياتها إحدى عشرة نزلت بعد الحج.

ووجه اتصالها بما قبلها — أنه ذكر فى الأولى حال المؤمنين الذين بُعِث إليهم النبى الأمى يتلو عليهم كتابه ويزكيهم ويملهم الكتاب والحكمة ، وأمرهم بالصلاة وترك البيم حين أدائها ، وفى هذه ذكر أضدادهم وهم المنافقون الذين يشهدون كذبا بأن محدا رسول افحه ومحلنون الأيمان الحخرجة على ذلك ، ومن ثم كان النبى يقرأ فى صلاة الجمعة فى الركمة الأولى بسورة الجمعة ، فيحرَّض بها المؤمنين على العبادة ، وفى الركمة الأولى بسورة الجمعة ، فيحرَّض بها المؤمنين على العبادة ،

بسم الله الرَّحْنِ الرَّحِيمِ

تفسير المفردات

المنافق: من يظهر الإيمان ويُعطِّن الكفر ، جُنَّةً : أى وقاية وسترا الدمانهم وأموالهم ، آمنوا : أى بألسنتهم ، كفروا : أى بقلوبهم ، طبع : أى ختم عليها كما يختم بالطابع على مايراد حفظه حتى لايؤخذ منه شىء ، لايفقهون : أى لايملون ، تسجيك أجسامهم : أى لمساحتها وتناسب أعضائها ، تسمع لقولهم : أى لفصاحتهم وحسن حديثهم ، خشب : واحدها خشباء ؛ وهى الخشبة التى نخر جوفها ، والصيحة : الصوت قاتلهم الله : أى لسنهم وطردهم من رحته ، يؤفكون : أى يصرفون عما هم عليه .

المعنى الجملي

وصف الله تمالى المتافقين بأوصاف هي منتهي الشناعة والقبح:

- (١) أنهم كذابون يقولون غير ما يستقدون .
- (٢) أنهم لايبالون بالحلف بالله كذبا ، سترا لنفاقهم ، وحقناً فدمائهم .
- (٣) صدهم الناس عن الدخول في الإسلام وعن الإنفاق فيها يعلى شأنه .
- (3) أنهم جبناه ، فهم على ضخامة أجسامهم ، وفصاحة ألسنتهم، يظنون أن كل مناد ينادى إنما يقصدهم للإيقاع بهم .

الإيضاح

(إذا جاءك للنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أى إذا حضر مجلسك للنافقون كعبد الله بن أبى وصحبه قالوا نشهد شهادة لانشك في صدقعها ، إنك رسول من عند الله حقا ، أوحى إليك وحيه ، وأنزل عليك كتابه ، رحمة منه بسباده .

ثم أتى بجملة معترضة بيّن ما قبلها وما بمدها ، تحقيقا لرسالته فقال :

(والله يعلم إنك لرسوله) أى والله يعلم إنك لرسوله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، لتنقذهم من الضلال إلى الهدى .

ثم بيّن كذبهم في مقالمم الذي حدّ ثوا به فقال:

(والله يشهد إنّ للنافقين لكاذبون) فيما أخبروا به ، لأنهم لايعتقدون صدق مايقولون ، ولا تواطئ قلوبهم ألسنتهم في هذه الشهادة . مْ ذَكُرُ أَنْهُمْ يَحْتَالُونَ عَلَى تَصْدَيقَ النَّاسَ لَمْ بَكُلُّ يَمِينَ نُحُرِّجَةً فقال :

(أكذوا أيمانهم جنة) أى جىلوا أيمانهم الكاذبة وقايةً وسترا لحقن دمائهم ، وحفظ أموالهم ، فيحلفون بالله إنهم لمذكم ، ويقولون : نشهد إنك لرسول الله ، حتى لاتجرى عليهم أحكام الكفار ، من القتل والأسر وأخذ الأموال غنيمة .

قال قتادة : كما ظهر عليهم مايوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين ، عصمة لدمائهم وأموالهم .

و فى هذا تعداد لقبائع أفعالهم ، وأن من عادتهم أن يَسْتَجَيِّوا بالأيمان الكاذبة ، كما استعنوا بالشهادة الكاذبة .

ثم حكى عنهم جريمة أخرى وهي إضلال الناس وصدهم عن الإسلام فقال :

(فصدوا عن سبيل الله) أى فنعوا الناس عن الهخول فى الإسلام ، وهن الإنفاق كما حكى عنهم سبحانه بعدُ .

وقصارى ذلك — أنهم أجرموا جُرمين:

 أعدوا الأيمان الكاذبة وهيثوها لوقت الحاجة، ليحلقوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة.

(٣) أنهم بمنمون الناس عن الدخول في الإسلام وينفر ونهم منه متى استطاعوا
 إلى ذلك سبيلا .

ثم بین قبح منبَّة مایصلون ، و و بال مایصنعون فقال :

(إنهم ساء ما كانوا يعملون) أى قبح ضلهم إذ آثروا الكفر على الإيمان . وأظهروا خلاف ما أضروا ، وسيلقون نـكالا وو بالا فى الدنيا والآخرة .

أما فى الدنيا فسيفضحهم الله على رءوس الأشهاد، ويُظُهِّر نفاقهم للمؤمنين بنحو قوله: ﴿ وَلَا تُصَلَّ عَلَى أَحَد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَشَمُ عَلَى قَدْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . وأما فى الآخرة فحسبهم جهنم و بئس المهاد .

ثم ذكر ما جرأهم على الكذب والاستخفاف بالأيمان المحرجة فقال :

(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لاينقهون) أى ذلك الذى فعلوه لسوء سريرتهم ، وقبح طويتهم ، فاستهانوا بما يأتون وما يذرون ، ولم يكن همهم إلا المحافظة على دمائهم وأموالهم ، ومن ثم أظهروا للناس إيمانا وأبطنوا كفرا، وقد خُيم على قلوبهم فلا تهتدى إلى حق ، ولا يصل إليها خير ، ومن جَراء ذلك تحمُوا عما نُصِب من الأدلة على صدق الرسول ، وصُمنَّت آذاتهم عن سماع مايوجب الإيمان ، فهم صم بكم عمى فهم لايمقلون .

ثم ذكر مالهم من جمال في الصورة واعتدال في القوام فقال:

(و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) أى لاستواء خَلْقهم ، وجمال صورهم كَا وصفهم بالفصاحة وذرابة اللسان فقال :

(و إن يقولوا تسمع لقولم) لحلاوة منطقهم وحسن توقيع حديثهم ، فإذا مجمهم سامع أحب أن يُصْغِيَ إليهم ، وأن يطول حديثهم جَهْد الاستطاعة .

ثم وصفهم بأن أفئدتهم هواء لاعقول لهم ولا أحلام فقال :

(كأنهم خشب مسندة) أى هم أشباح بلا أرواح ، لهم جمال فى النظر ، وقبح فى المَخْبَر ، فسدت بواطنهم ، وحسنت ظواهرهم ، فكانت كالخشب الجوفاء التى نخرها السوس ، فهى مع حسنها لاينتفع فيها بعمل ، ولا يستفاد منها خير ، والله در أبى نواس :

> لا تخدَعَنْك اللحى ولا الصُّورَ تسعةُ أعشارِ من ترى بقر تراهمُ كالسحاب منقشرا وليس فيه لطالب تمطر فى شجر السّروِ منهمُ مَثَلُ له رُوّالا وما له ثمــر ثم وصفهم بالجبن والللة فقال :

(يحسبون كل صيحة عليهم) أى كلا نادى مناد فى المسكر ، أو انفلنت ذابة أو نُشدِت ضالة ـ غلنوا أن العدو قد فأهم ، وأن أمرهم قد افتضح ، وأنهم هالـكون لا محلة ، ولقد قالوا : يكاد المريب يقول خذونى ، ويكاد السارق يقول إذا رأى القيد : ضعوه فى يدى ، لما ألقى من الرعب فى قلوبهم ، فهم يخافون أن تُهتَك أستارهم ، وتُحشف أسرارهم ، ويتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة .

ونحو الآية قوله تعالى : « أُشِيِّحةٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا جَاء اَنْفُوفُ رَأْ يَتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَغْيَبُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ، فَإِذَا ذَهَبَ اَنْفُوفُ سَلَقُوكُ بِأَلْسِنَةِ حِدَادِ » وقد نظر التنبى إلى الآية في قوله :

وضاقت الأرض حتى كان هار بُهم إذا رأى غــيرَ شيء ظنه رجلا (هم المدق) الذي بلغ الغاية في المداوة .

(فاحذرهم) ولا تأمنهم على سر، ولا تلتفت إلى ظاهرهم، فقلوبهم متحرّقة حسدا و بفضا ، وأعدى الأعداء المدو للداجى الذى يكاشرك (يبتسم لك) وتحت ضلوعه الداء الديءٌ ، والشر للستطير .

ثم زاد سبحانه في ذمهم وتوبيخهم ، وعبَّب من حالم فقال :

(قاتلهم الله) أى لمنهم الله وطردهم من رحمته ، فما أفظم حالمم ، وما أشدهم غفلة عن مآلهم .

وهذا تعليم منه لعباده المؤمنين أن يلعنوهم ، فكأنه قال : قولوا قاتلهم الله .

(أتّى يؤفّكون) أى كيف بُصْرفون عن الحق إلى الباطل ، وقد كان لهم مدّكر فيا حولهم ، وفيا أمامهم من صدق الداهى بما أنّى به من البينات الدالة على أنه مرسل من ر به .

و إن تعجب من شيء فاعجب من حجالهم وظهم الفاسد أنهم على الحق ، فما أعظمها محقة ، وأعجب بها نقمة ، جازاهم الله بها على سوء أعمالهم ، وقبح فعالهم . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا يَسْتَنْفَرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوُوا رُهوسَهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَسُدُونَ وَهُمْ مُسْتَكَيْرُونَ (٥) سَوَالِهُ عَلَيْهِمْ أَسْتَفْفَرْتَ لَمُمْ أَمْ نَا يَسْفَوْنَ وَهُمْ مُسْتَكَيْرُونَ (٥) سَوَالِهُ عَلَيْهِمْ أَسْتَفْفَرْتَ لَمُمْ أَمْ نَا اللهَ لَا يَسْدِي اللّهُومَ اللهَ لَهُ كَمْمُ ، إن الله لا يَهْدِي اللّهُومَ اللهَ عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى الْفَطْسِينَ (١) هُمُ اللّهِ بِنَ يَقُولُونَ لا تَنْفَقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ، وَلِيهِ خَزَائِنُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَفْهَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَا يُنْفَرِجَنَّ الْأَعَرُ مِنْهَ الْمُزَقْ ، وَلِلهِ الْمِزَّةُ وَلِيسُولِهِ وَلِلْمُولِهِ وَلِلْمُ وَلِيهِ الْمَرَّةُ مِنْهَ الْمُؤَلِّدَ (٨) .

تفسير المفردات

لؤوا راوسهم : أى حوّلوها استهزاء ، يصدون : أى يُعُرِضُون عن القائل ، الفاسقين : أى الخارجين من طاعة الله وطاعة الرسول ، المنهكين فى أنواع الشرور والآثام ، حتى ينفضوا : أى حتى يتفرقوا ، خزائن السموات والأرض : أى خزائن المرزاق فيهما ، لايفقهون : أى لا يملمون علماً صادراً عن إدراك لجلال الله وقدرته ، والأخز : أى للناقمون ، والأذل فى زعمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ، والعزة : الغلبة والنصر .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر كذب المنافقين في قولهم الرسول صلى الله عليه وسلم: نشهد إنك لرسول الله ، و بيّن أنهم يسترون نفاقهم بالأيمان الفاجرة ، ثم أعبه بذكر جبهم وصلفهم ، وأنهم أجسام البغال ، وأحلام العصافير ، ثم أردفه ببيان أنهم أعداء الله حقا أعقب هذا بذكر ما صدر منهم مما يثبت كذبهم ونفاقهم ، بما لا يدع شبهة لمن يلتمس الماذير ، و يبرئهم من النفاق ، فن ذلك :

(١) أنهم إذا طُلبِ منهم أن يتقدموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليستنفر لهم علىما فرط نهم من الذنوب، أمالوا رءوسهموأعرضوا استكبارا وأنفة أن يفعلوا .

 (٣) أنهم قالوا : لأمن رجعنا من وقعة بنى المُصْطَلَقِ (قبيلة من اليهود) إلى المدينة لنخرجن الأذلاء محمدا وصحبه منها .

ثم نعى عليهم ماقالوا بأنهم قوم لا حـــاوم لهم ، ولا هم ينقهون جليل قدرة الله و بديع صنعه .

روى أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسَلم حين غزا بنى المصطلق علا المُرَيْسيم (ماء لهم) وهزمهم وقتل وأسر - ازدحم على الماء جَهْجَاه بن سعيد الفِفاري، وكان أجيرا لممر مِن الخطاب، وسنان الْجلهني، وكان حليف عبد الله بن أبي ، واقتتلا فصرخ جهجاه وقال : ياللَمهاجرين ، وصرخ سنان وقال : يا لَلأَنصار ، فأعان جهجاها رجل من الماجرين ولطم سنانًا ؟ فقال عبد الله بن أبيّ للماجرين : ماصحبْنا محدا إلا لنُلْطَمَ ، والله مامثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل : سمِّن كلبك يأكلك ، أما والله لمن رجِمنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل ، ثم قال لقومه : لو أمسكتم عن هذا وذويه فضل الطمام لم يركبوا رقابكم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق قال : إذًا تَرْعُد أَنفُ كثيرة بيثرب (يريد صلى الله عليه وسلم أنه يهيج الشر) قال : فإن كرهت أن يقتله مهاجر فأمر به أنصاريا ، قال : فكيف إذا تحدث الناس أن محداً يقتل أصحابه ؟ . ثم قال لمبد الله: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني ، قال : والله الذي أنزل عليك السكتاب ماقلت شيئا من ذلك ، و إن زيدا (يريد زيدبن أرقم الذى بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم) لكاذب ، فنزلت هذه الآيات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: ياغلام إن الله صدَّقك وكذب المنافقين، فلما بان كذب عبد الله قيل له : قد نزلت فيك آي شداد ، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر

الك ، فلوسى رأسه وقال : أمرتمونى أن أومن فآمنت ، وأمرتمونى أن أز كمّى فزكيت ومابقى إلا أن أسجد لحمد ، ولم يلبث إلا أياما حتى اشتسكى ومات .

الإيضاح

(وإذاقيل لهم تعالوا يستغفر لسكم رسول الله لوتوا رءوسهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون) أى وإذا قبل لجماعة المنافقين كعبد الله بن أبي : هلموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لسكم من ربكم غفران ذنوبكم ــ صدوا وأعرضوا.

قال الكلبي: لمنا نزل القرآن بصفة المنافقين مشى إليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم : ويلكم افتضحتم بالنفاق ، وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتو بوا إليه من النفاق ، واسألوه أن يففر لكم ، فأبتوا ذلك وزهدوا في الاستففار فنزلت الآية :

وقال ابن عباس : لمما رجع عبد الله بن أبى من أُحُـد بكثير من الناس مقته المسلمون وعتقوه وأسمعه ما يكره ؛ فقال له بنو أبيه : لو أتبت رسول الله صلى الله عليه وصلم حتى يستنفر لك و يرضى عنك ، قال : لا أذهب إليه ولا أريد أن يستنفر لى ، وجعل يلزى رأسه فنزلت .

ثم أيأسهم من جدوى الاستغفار لهم فقال :

(سواء عليهم أستفرت لهم أم لم تستففر لهم ، لن يففر الله لهم) أى الاستففار لهم ، وعدمه سيان لايجديا لهم فقماً ، لأن الله قد كتب عليهم الشقاء بما كسبت أيديهم، وبما اجترحت من الفسوق والآثام ، وبما ران على قلوبهم من الجحود والطفيان ، ثم على ذلك بقوله :

(إن الله لايهدى القوم الفاسقين) أى إن الله لايهدى من أحاطت به خطيئته فلم تجد الهداية إلى قلب عسبيلا تسلكه ، ولا المواعظ والنصائح متسماً في فؤاده ، فَأَنَى لِقَلْبِ أَن يَهِتَدَى، وللمقل أن برعوى، وماذا تنيد الآيات والنذر عن قوم لايمقلون؟ ثُم ذَكر هَنَة أخرى لهم فقال :

(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) أى هم الذين يقولون للأتصار : لا تطعموا محمداً وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة ، فيتركوا نبيهم حين يَتَضهم الجوع بنابه .

ثم رد عليهم وخطّأهم فيما يقولون فقال :

(ولله خزائن السعوات والأرض) أى ولله جميع ما فى السعوات والأرض من شيء ، و بيده مغانيح أرزاق العباد ، لا يقدر أحد أن يعلى أحدا شيئاً إلا بمشيئته .

(ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك ، لجملهم بسنن الله فى خاته ، وأن الله قد كفل الأرزاق لعباده فى أى مكان كانو ا متى عملوا وجدوا فى الحصول عليها .

ثم ذكر هَنَة ثالثة لهم وهي أعظمها فقال:

(يقولون اثن رجمنا إلى للدينة الميغرجنّ الأعز منها الأذل) أى يقول عبد الله ابن أبيّ ومن يلوذ به من صحبه : اثن عدنا إلى للدينة لنخرجنكم منها أيها للؤمنون فإننا الأقوياء الأشداء الأعزاء ، وأنّم الضمفاء الأذلاء .

فرد عليهم مقالم فقال:

(ولله العزة ولرسوله والمؤمنين) أى ولله الغلبة والقوَّة ، ولمن أعزه الله من الرسول والمؤمنين .

روي « أن عبد الله بن عبد الله بن أبن ، وكان مؤمنًا مخلصا ، سلّ سيغه على أبيه عند ما أشرفوا على للدينة وقال : فله على ألبيه عند ما أشرفوا على للدينة وقال : فله على الاأغز وأنا الأغز وأنا الأغز وأنا

وروىٰ ﴿ أَنه وقف واستل سيفه وجل الناس يمرون عليه حتى جاء أبوه فقال : وراءك ، قال مالك ويلك؟ قال والله : لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله (٨) صلى الله عليه وسلم ، فإنه العزيز وأنت الذليل ، فرجع حتى لتى رسول الله ، وكان إنما يسير ساقة (فى آخر الجيش) ، فشكا إليه ما صنع ابنه ، فأرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم أن خلَّ عنه يدخل ففعل » .

(ولكن للنافقين لا يعلمون) أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن العاقبة للمتقين ، وأن الله ينصر من ينصره كما قال «كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي » وسننه تعالى لا تبديل فيها ولا تشيير ، وهو لا بد جاعل عباده المؤمنين هم الأعزاء كما وعد ، وجاعل مخالفيه هم الأذلاء .

ولا دخل للمال والنشب ، ولا للحسب والنسب ، فى تلك القوّة التى ُعد بها من يشاء ، والنصرة التى يمنحها عباده الخلصين ، و إن الله منجز وعده لنبيه ، كما أُنجِزه لمن قبله من رسله ، وقد تم لهم الفاقر على أعدائهم الضالين .

يناً يُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَ الْكُمْ وَلاَ أَوْلاَ ذُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله ، وَمَنْ يَهْمَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاصِرُونَ (١) وَأَنْفِتُوا بِمَا رَزَفْنا كُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَا ثِيَ أَحَدَ كُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبَّ لَوْلاَ أَخَّرْ تَنِي إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله كَفْسًا إِذَا جَاءً أَجَلُها وَالله خَبِيرُ عَا تَشْمَلُونَ (١١) .

تفسير المفردات

لا نلهكم : أى لا تشفلكم ، وذكر الله : العبادات المذكّرة به ، والمال والأولاد يراد بها زخوف الدنيا ، الخاسرون فى تجارتهم : إذ باعوا العظيم بالحقير ، لولا : كلة تفيد تمنى حصول ما بعدها .

المعنى الجملي

بعد أن حكى مقال المنافقين من أنهم الأعزاء، وأن الثرمنين هم الأذلاء ، اغتمارا بما لهم من مال ونشب ، وأن ذلك هو الذى صدهم عن طاعة الله ، وجعلهم بعرضون عن الإيمان باقه إيمانا حقا ، ويؤدون فرائضه ، ويقومون بما يقربهم من رضوانه ؛ أردف ذلك نهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم فى ذلك ، بل عليهم أن يلهجوا بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، ويؤدوا ما فرض عليهم من العبادات ، ولا يشغلهم عن ذلك زخرف هذه الحياة من مال ونشب وأولاد وجاه ، فا متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ؛ ثم أمرهم أن ينفقوا أموالهم فى أعمال البر والخير ، ولا يؤخروا ذلك حتى بحل الموت فيندموا حيث لا ينفع الندم ، ويتمنوا أن يعلى الله أعارهم ليمو شوا بعض ما فاتهم ، ولكن أنى لهم ذلك ؛ ولكل نفس يطيل الله أعارهم ليمو شور بعان بعم على أعمالهم ، إن خيرًا . أبي عدود لا تعدوه ، والله خبر بحا يعمارن ، وهو مجازيهم على أعمالهم ، إن خيرًا .

الإيضاح

(يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله) أى لا يشفلكم تدبير أموالكم، والصااية بشؤون أولادكم، عن القيام بحقوق ربكم، وأداء فرائضه ، التى طلبها منكم، واجعاوا للدنيا حظا من اهتمامكم، وللآخرة مثله، وهذا ما عناه الحديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا». و بهذا امتازت الملة الحنيفية السمعة، فما طلب من المؤمنين أن يكونوا ماديين يتكالبون على جم حطام الدنياكما يفعل اليهود، ولا أن يكونوا روحانيين بجردون أغسمهم من لذات هذه الحياة، و يتبتلون إلى ربهم كا يفعل المسيحيون، كما يرشد إلى هذا قوله تمالى: «قُلُ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الْهِ النِّي أَخْرَجَ لِيمادِهِ وَالطَّيْبَاتِ مِنْ إلى هذا قوله تمالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الْهِ النِّي أَخْرَجَ لِيمادِهِ وَالطَّيْبَاتِ مِنْ الرُّزْقِ» وقوله : «يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينتَكُمْ عنْدَ كُلُّ مَسْعِيدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا » .

ثم توعد من يفعل ذلك فقال :

(ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) أى ومن تلة بالدنيا وشقلته عن حقوق الله فقد باء بغضب من ربه ، وخسرت تجارته ، إذ باع خالفاً باقيا ، واشترى فانيا زائلا ؟ وكيف يرضى عاقل بمثل هذه التجارة الخاسرة ؟ .

ومن أهم مايقرب العبد من ربه ، ويجعله يغوز برضوانه -- رحمة البائسين من عباده ، وبذل المال فى الوجوه التى فيها سعادة الأمة : وإعسلاء شأن الملة ، وانتشار الدعوة ، ومن ثم قال:

(وأنفقوا مما رزقنا كم من قبل أن يأنى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب الله أخرتنى إلى أجل قريب فأصدت وأكن من الصالحين) أى وأنفقوا بعض ما أعطيناكم من فضلنا من الأموال، شكرا على النعمة ، ورحمة بالفقراء من عباده ، وادخروا ذلك ليوم العرض والحساب ، فتجنوا ثمار ماعملتم ، ولا تدخروه فى صناديقكم ، وتدكوه لوارثسكم ، فر بما أضاعه فيا لا يكسبكم حمدا ولا مدحا ، بل يكسبكم ذما وقدحا.

وقد جاء فى الخبر: «أطعموا الطعام ، وصلحا الأرحام ، وصَنَّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وجاء أيضا : « يابن آدم ليس لك من مالك إلا مالبست فأبليت، أواً كلت فأفنيت ، أوتصدَّقت فأبقيت » .

ولا تنتظروا حتى يحين وقت الاحتضار ، وتروا الموت رأى العين ، ثم تتمنون أن لو مدًّ الله فى الأجل ، وأطال العمر ، لتتداركوا مافات ، وتحسنوا العمل ، وتساعدوا البائسين وذوى الحاجة ، فيهمات هيهات ، فليس ذا وقت الندم .

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغى مرتع مبتفيه وخيم فأنّى العمر أن يطول، وللحياة أن تزيد ؟ ولكل نفس أجل لا تعدوه ، وعمر لا يزيد ولا ينقص ، فماذا يغيد التمنى ، وماذا ينفع الندم والحسرة ؟ وذلك ما عناه - سبحانه بقوله :

(ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها) فعليكم أن تستمدرا قبل حلول الأجل. وهيثوا الزاد ليوم للعاد « فَأَمَّا مَنَ تَقَلَتْ مَوَازِينَهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَمَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَذْرَاكَ مَاهِيَهُ . نَارْ عَامِيّةٌ » .

وفي هذا عبرة لمن اعتبر، ولم يفرّط في أداء الحقوق والواجبات.

ثم حذرهم وأنذرهم بأنه رقيب عليهم في كل ما يأتون وما يذرون فقال :

(والله خبير بما تعملون) فمجاز يكم على الإحسان إحسانًا ، وعلى الإساءة إمراضا

عنكم وسخطا ، و بعدا عن رضوانه . إنك لا تجنى من الشوك العنب.

وصلى الله على سيدنا محد وعلى آله .

تضمنت هذه السورة شيئين

(١) وصف المنافقين وبيان سبئ خصالهم من الكذب والأيمان الفاجرة والجبن .

(٢) حث المؤمنين على الطاعة وإنفاق المال قبل انقضاء الأجل.

سيمورة التغاس

هي مدنية ، وآياتها تماني عشرة ، نزلت بعد التحريم .

ومناسبتها لما قبلها :

- (١) إنه في السورة قبلها ذكر حال المنافقين ، وخاطب بعد ذلك للؤمدين ، وهنا قسم الناس قسمين مؤمن وكافر .
- (٢) نهى هناك عن الاشتنال بالأولاد عن ذكر الله، وهنا ذكر أن الأموال والأولاد فتنة .
- (٣) فى السورة السابقة حث على الإنفاق فى سبيل الله . وفى ذكر التغابن
 حث عليه أيضا .

بسم الله الاستمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّلُوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْثُ وَلَهُ الْحُمْدُ وَهُوَ عَلَى مُنْكُمْ عَلَى اللَّهِ مَلَا اللَّهِ عَلَى كُلُ شَيْهُ عَلَيْرٌ (١) هُو اللَّذِي خَلَقَ السَّمُواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ مُوْمِنٌ ، وَاللهُ عَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمُواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَخْسَنَ صُورَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُواتِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ عَلَيْمٌ بِذَاتِ المُشْدُورِ (٤) .

الإيضاح

(يسبح لله ماني السموات وماني الأرض) أي إن وجود ما في السموات والأرضى حالًا على تنزيه الله وكاله ، وأن هذه المحلوقات مسخرة منقادة له . (له للك وله الحد) فهو المتصرف في جميع الكائنات ، المحمود على جميع ما يخلق و يقدر ، لأنه مصدر الخيرات ، ومفيض البركات .

(وهو على كل شيء قدير) ف أراد كان بلا بمانع ولا مدافع، ومالم يشأ لم يكن. ثم ذكر بسض مقدوراته تعالى فقال:

(هو الذي خلقــكم) أي هو الذي أوجدكم كما شاء على ماشاء .

ثم قسم هذا المخلوق فقال :

(فَسَكُم كَافر ، ومنكم مؤمن) أى فبمضكم نختار للكفر كاسب له على خلاف ما تقتضيه فطرته ، و بمضكم نختار للإيمان كاسب له بحسب ماتدعو إليه القطرة كما جاء فى الحديث : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوادانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وقد كانت الأدلة الكونية فى الأنفُس والآفاق كفيلة أن تردكم إلى الحق ، فتختاروا الإيمان شاكر بن لنصة الخلق والإيجاد وما يتبمهما من سائر النم ، ولكنكم مافعلم ذلك ، بل تفرقم شيما ، وجعدتم الخالق ، وكفرتم بأنصه عليكم ، بعد أن أفصح الصبحُ لذى عينين .

(والله بما تعملون بصير) أى وهو البصير بمن هو مستمدّ للهداية لصفاء نفسه ، وزكاء روحه ، فيمطيه ماهو له أهل ، ومن خيثت طويته ، وفسدت سجيته ، ودسى نفسه بكيائر الذنوب والآثام ، وسيجزى بما هو به حقيق من المذاب الأليم في جهنم « إنّيا سَاءَتُ مُستَقَرَّا وَمُقَامًا » .

وبعد أن ذكر نعمة خلق الإنسان ذكر النعمة الشاملة بخلق العاكم كله على أتم مايكون من الحسكمة والمدل فقال :

(خلق السموات والأرض بالحق) أى بالحسكمة البالنة للتضيئة لمنافع الدينوالدنيا (وصوركم فأحسن صوركم) حيث أودع فيكم القوى ، وللشاعر الظاهرة والباطئة وجملسكم صفوة جميم محلوقاته ، وخصكم بملاصة خصائص مبدعاته ، فالإنسان يضم روحا هو من علم الأرواح ، و بدنا هو من عالم الأشباح ، وأنشدوا : وتزعم أنك جرِّم صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبرُ

(و إليه المصير) فى الحياة الآخرة ، وهو الذى يجازى كل نفس بما كسبت ، لا معقّب لحكه وهو سريع الحساب ، فاصرفوا ما خلق لسكم فى شكره والوفاء محق نعمه المتظاهرة عليكم ، ظاهمة و واطنة .

(يعلم ما فى السموات والأرض) فلا تخنى عليه خافية من أمرها ، وهو إيد برها بحسب علمه الواسع ، وقدرته الشاملة « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَسَكُونُ » .

ثم خص بمض ما يعلمه عناية بأمره ، إذ عليه الثواب والمقاب فقال :

(ويعلم ما تسرون وما تعلنون) فاجعلوا أعمالكم ظاهرها وباطمها وَقَقْ ما يطلبه منسكم الدين ، لتنالوا الفوز برضوان الله وجميل مثو بته .

ثم علل هذا بقوله :

(وافئ عليم بذات الصدور) أى لأنه تمالى محيط بجميع ما أضمره المرء فى صدره ، واستكنّ فى قلبه ، فلا يخفى هليه ما يسرّ وما يطن .

أَلَمْ ۚ يَأْتِـكُمْ ۚ نَبَأَ الَّذِينَ كَفُرُوا ۚ مِنْ ۚ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَ لِيمٌ (ه) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَا نَتْ تَأْتِهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيْنَاتِ فَقَالُوا أَ بَشَرْ يَهْدُونَنَا ؟ فَحَكَفُرُوا وَتَوَانُّوا وَاسْتُفْنَى اللهُ ، وَاللهُ غَنِي ّحِيدٌ (٦) .

تفسير المفردات

ألم يأتكم : هذا الاستفهام للتعجيب من حالهم، والنبأ : الخبر الهام، وأصل الوبال : الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور، ومنه الطمام الوبيل أى الثقيل على للمدة، والوابل : للمطر الثقيل القطر، ثم استعمل فى الفر لأنه يثقل على الإنسان والأسم :الكفر، وعبر به للإيذان بأنه جناية عظيمة وأسم هائل، والبينات : للمجزات، وتولوا : أعرضوا، واستغنى الله : أى أظهر غناء عنهم ؛ إذ أهلكهم وقطع دابرهم .

المعنى الجملي

بعد أن بسط سبحانه الأدلة على عظيم قدرته وواسع علمه ، وأنه خلق السموات والأرض ، وأنه صوَّرهم فأحسن صورهم ، وأنه يعلم السر والنجوى — حدَّر الشركين من كفار مكة على تماديهم في الكفر ، والجحود باياته ، و إنسكار رسالة نبيه محد صلى الله عليه وسلم ، و بين لهم عاقبة ما يحل بهم من المذاب في الدنيا والآخرة ، وضرب لم الأمثال بالأمم الكذبة من قبلهم ، فقد كذبوا رسلهم ، وعادوا في عنادهم ، وقالوا : أيرسل الله من البشر رسلا ، فحلّت بهم نقمة ربهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأصبحت ديارهم خرابا يباباء كأن لم يفنوا بالأهس، فهلا يكون ذلك عبرة لهم ، فيثو بوا إلى رشدهم ، و يرجعوا إلى ربهم لوكانوا من أد باب النّقي .

الايصاح

(ألم يأنكم نبأ الذين كفرا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولم هذاب ألم) أى الم يلفكم أيها المشركون من أهل مكة نبأ الذين كفروا بالرسل من قبلكم كقوم ألم يبلفكم إليها المشركون من أهل مكة نبأ الذين كفروا بالرسل من قبلكم كقوم عقاب ربهم ، وعظيم نقمته ، وأرسل عليهم ألوانًا من العذاب لا قِبَل لهم بها ، فن صاعقة من الداء تجتاحهم ، إلى رجنة في الأرض شهلكهم ، إلى صيعة تُميم الآذان نبيدهم وتجعلهم كأ مس الدابر ، وتمحوهم من صفحة الوجود ، إلى طوفان يعم الأرض ويتعلمهم ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وسيكون لهم عظيم الدكال والو بال يو

وفى هذا الأسلوب تعجيب من حالهم ، وأنه قد كان لهم فى ذلك مدّ كر ، لوكانوا يستبصرون ، وعبرة لوكانوا يعتبرون .

ثم بيّن أسباب ما حل بهم من النقم ، فقال :

(ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ؟ فكفروا وتولوا واستغنى الله ، والله غنى حميد) أى إن ما حل بهم من سوء الصذاب كان من جَرّاء تكذيبهم بالرسل بعد أن جاءوهم بالأدلة الواضحة ، والمعجزات الباهرة ، وقالوا : إن من المعجب الماجب أن يكون هَدْينًا على يدّى بشر منا لا ميزة لهم عنا يعقل راجع ، ولا بسلطان يتملكون به قيادنا ، ويجمل لهم بسطة النفوذ علينا . كا قالت عمود : « أَبْشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَمْهُ » وقد جهاوا أن النبوة رسالة يصطفى بها الله من يشاء من عاده كا قال : « أثن أُعَلَمُ حَيْثُ بَجُعَلُ رساكته » .

و بعد أن طال عنادهم وتمادّوا في غيّهم أهلكهم الله بسلطانه وجبروته ، وقطع دابرهم ، واستفنى عن إيمانهم ، وهو الغنى عن العالمين جميعا ، والغنى عن إيمانهم وطاعتهم ، وهو الحقيق بالحمد على ما أنمم به على عباده من النعم المتظاهرة عليهم ، ظاهرة و باطنة .

تفسير المفردات

زم فلان كذا : أى ادعى علمه مجصوله ، وأكثر مابستعمل للادعاء الباطل ، بلى : كلة للجواب تقع بعد النهق لإثبات ما بعده كما وتع فى الآية ، لنبعثن : أى لتحاسبُنّ وتجزّون بأعمالكم ، والنور : هو القرآن ؛ وسمى بذلك لأنه بيَّن فى نفسه مبيَّن لنبره ، والخبير : هو العلم ببواطن الأشياء ، يوم الجمع : هو يوم القيامة ؛ صمى بذلك لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين فى صميد واحد ، والتنابئ ، من قولهم : تنابن القوم فى التجارة : إذا غين بعضهم بعضا كأن يبيع أحدهم الشىء بأقل من قيمته ، فهذا غين المشترى .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه فيها سلف إنكار الشركين للألوهية ، ثم إنكارهم النبوة يقولهم : « أَبَشَرُ يَهِدُّونَكَا » ثم أعقبه بأنهم سيلقون الوبال والنكال جزاء ما فعاوا ...
أردف ذلك ذكر إنكارهم البحث ، ثم إثبات تحققه وأنه كائن لا محالة ، وأن كل المرئ سيجازى بما فعل يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد حين ينبن المكفار في شرائهم ، لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى والمذاب بالمنفرة ، ويفوز المؤمنون في تجارتهم بالصفقة الرابحة ، لأن الله اشترى منهم أموالهم وأنفسهم بالجنة فضلا منه ورحة .

الأيضاح

(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) أى ادعى المشركون أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء فقالوا : ﴿ أَثِذَا كُنّا نُرَابًا أَثِنًا لَفِي خَلْتي جَدِيدٍ؟ ﴾ وقالوا : ﴿ مَنْ ۖ يُحْمِي الْمِظَامَ وَهِي رَبِيمٌ *؟ ﴾ . المِظَامَ وَهِي رَبِيمُ*؟ ﴾ . فأمر رسوله بالرد عليهم و إبطال زعمهم بقوله :

(قل بلى وربى لتبعثنَّ ثم لتنبؤن بما علتم وذلك على الله يسير) أى قل لهـــم: إن البـت كائن لامحالة، و إنــكم وربى الذى برأ الخلق وأنشأهم من العدم ستحاسبُنَّ على أعمالكم وتجزَّوُنَ على الــكثير والقليل ، والنقير والقطمير ، وذلك هين عليه يـــير .

ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّ وَهُوَ بِكُلُّ خَلْقٍ عَلَيْ ﴾ وقوله : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَخَقٌ هُو ؟ قُلْ إِي وَرَدِّي إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَنْهُ بَمُخْزِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَقَالَ اللَّيِنَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَى وَرَقِى لَتَأْتِينَاكُمْ ﴾ الآية .

وبعد أن أبان لهم أدلة التوحيد والنبوة بما لامجال معه للإنكار _ طالبهم بالإيمان بهما فقال :

(فا منوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) أى فصدقوا بالله ورسوله وكتابه المهادى لكم إلى سواء السبيل إذا ترا كمت ظلمات الشبهات ، والمنقذ لكم من الضلالة إذا أحاطت بكم الخطيئات .

ثم توعدهم على مايأتون وما يذرون فقال :

(والله بما تعملون خبير) فلا تخنى عليه أعمالكم ، وسيحاسبكم على ما كسبت أيديكم من خيرأوا كتسبت من شر ، فراقبوه وخافوا شديد عقابه .

(يوم يجمعكم ليوم الجمع) أى وتذكروا يوم يجمع الله الأولين والآخرين للحساب والجزاء في صعيد واحد، 'يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، لتجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله صريع الحساب .

ُ وَنحو الآية قوله تعالى : « ذَلِكَ بَوْمٌ تَجْمُوعٌ لهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْمُودٌ » ، وقوله : « قُلْ إِنَّ الأَوَّالِينَ وَالآخِرِينَ لَمَيْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَمْلُومٍ » .

(ذلك يوم النغابن) فالكافرون قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فحسرت صفقتهم ولم يربحوا فيها ، والمؤمنون باعوا أغسهم بالجنسة فر بحت صفقتهم وما كانوا خاسرين ، وفى الصحيح « مامن عبد يدخل الجنة إلا أري مقمده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، ومامن عبد يدخل النار إلا أري مقمده من الجنة ، ليزداد حسرة » .

والخلاصة — إنه لاغبن أعظم من أن قوما ينصون ، وقوما يمذبون ، وأن قوما مغبونين فى الدنيا أصبحوا فى الآخرة غابنين لمن غبنوهم فيها .

ثم بين هذا التفابن وفصله بقوله :

(ومن يؤمن باقد ويعمل صالحا يكفر عنه سيئانه ويدخله جنات تجرى من تحمها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) أى ومن يصدف بالله ويعمل بطاعته وينته إلى . أصمه ونهيه – يمح عنه ذنو به ويدخله جنات تجرى من تحت أشجارها الأنهار لابئين أفيها أبدا لايموتون ولا يخرجون منها ، وذلك هو الفوز الذى لافوز بعده ، لانطوائه على اللبجاة من أعظم المهالك ، وأجل المحاطر .

(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس للصير) أى والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا بأدلته وآى كتابه الذى أنزله هلى عيده محمد صلى الله عليه وسلم أوائلك أصحاب النار خالدين فيها أبدا ، وبئس النار مصيرا لهم.

تفسير المفردات

المصيبة : ماينال الإنسانَ و يصيبه من خير أوشر ، بإذن الله : أى بقدرته ومشيئته ، يهد قلبه : أى يشرحه لازدياد الخير والطاعة .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه فيا سلف أن الناس قسمان : كافر بالله مكذب لرسله لا يألو جهدا في إيصال الأذى بهم ، ومؤمن بالله مصدق لرسله وهو يعمل الصالحات .. أردف ذلك ببيان أن مايصيب الإنسان من خبر وشر فهو بقضاء الله وقدره بحسب النظم التي وضعها في الكون، فعلى الإنسان أن يجد ويعمل ، ثم لايبالي بسد ذلك بما يأتى به القضاء ، لعلمه بأن مافوق ذلك ليس في طاقعه ، ولن يهوله أمره ، ولن يحزن عليه ، ثم أمر بعد ذلك بطاعة الله وطاعة الرسول ، وأبان أن تولى الكافرين عن الرسول لن يضيره شيئا، فإنه قد أدى رسالته ، وما على الرسول إلا البسلاغ ، وأن على المؤمن أن يتوكل على الله وحده ، وهو بكفيه شر ما أهمه .

الأيضاح

(ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله) أى ماأصاب أحسدا من خيرات الدنيا ولا أمرزاياها وشرورها -- فهو بقضاء الله وقدره بحسب ما وضع من السنن في نظم الحكون ، فعلى المرء أن يعمل و يحد و بسمى لجلب الخير ودفع الضر عن نفسه أوعن غيره ما استطاع إلى ذلك سديلا ، ثم هو لا يحزن ولا يغثم لما يصيبه بعد ذلك لأنه قد فعمل ماهو في طاقته وما هو داخل في مقدوره ، وما بعد ذلك فليس له من أحره شيء .

والخلاصة - إن على المؤمن واجبين :

- (١) السمى وبذل الجمد في جلب الخير ودفع الضر ما استطاع إلى ذلك سبيلا .
- (۲) التوكل على الله بعد ذلك ، اعتقاداً منه أن كل شيء بحدث فإبما هو بقضائه وقدره ، فلا ينتم ولا يحزن لدى حلول الشر ، ولا يتمادى فى السرور عند يجيء الخير.

ثم بين أن الإيمان يضيء القلب ، و يشرح الصدر لخير السل فقال :

(ومن يؤمن بالله يهدقله) أى يشرح صدره ، لازدياد الخسير والمفى قَدُما فى طاعته ، وأئّ نسمة أعظم من هذه النصة ؟ جِدْ فى عمل الخير ، واستراحة لدى الغم والحزن ، واطمئنان للنفس ، ووثوق بفضل الله .

(والله بكل شىء عليم) أى والله عليم بالأشياء كلها ، فهو عليم بالقلوب وأحوالها ومطلع على سرها ونجواها ، فاحذروه وراقبوه فى السر والسلن ، كما جاء فى الأثر « اعبد الله كما ذلك تراه ، فإن لم تسكن تراه فإنه براك » .

(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى وأطيعوا الله فيا شرع ، وأطيعوا رسوله فيا بكّم ، وافعلوا ما به أمر ، واتركوا ما عنه نهى وزجر ، فإن أعرضم عن ذلك فإنما عليه أداء ما ُحّل من الرسالة ، وعليكم ما حمّلم من السم والطاعة ، وهو قد أدى ما عليه ، ولا يكلف شيئا بعد ذلك .

(الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل للؤمنون) أى وحدوا الله وأخلصوا له العمل وتوكلوا عليه ، ونحو الآية قوله : « رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخَذْهُ وَكِيلاً » .

وفى هذا إبماء إلى أن للؤمن لا يعتمد إلا على الله ، ولا يتقوَّى إلا به ، لأنه يعتقد أنه لا قادر فى الحقيقة إلا هو ، وفيه حث لرسوله صلى الله علي عليه وسلم على التوكل عليه . والتقوّى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ، وكأنها تشير إلى أن من لا يتوكل عليه فليس ؛ؤمن ، وهى كالخائمة والفذلكة لما تقدم .

يَا أَيُهَا النَّيِنَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًا لَـكُمْ فَاَحْذَرُوهُمْ ، وَإِنْ تَفْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهِ عَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) فَاتَشُوا إِنَّا أَمُوالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فَوْنَدَهُ وَاللهُ عَنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَشُوا اللهَ مَا الشَّطَةُمُ وَاسْمَوُا وَأَطِيمُوا وَأَنْهُ تُوا خَيْرًا لِأَنْهُرِكُمْ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَ تَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ اللهُلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا الله وَرْضَا حَسَنَا يُضَاعِفُهُ لَـكُمْ وَيَغْفِرْ لَـكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ النّفَيْبِ وَاللهُ اللهَ وَرْضَا الله وَرُضَا وَاللهُ مَنْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ النّفَيْبِ وَاللهُ اللهَ وَرَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ مَنْ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَرَالُولُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ مَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَاللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَالُهُ مَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلِينَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَالِهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلِيلُولُ اللهُ وَلَا اللهُ وَمِنْ اللهُ وَلَالُهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللّهُ وَلَهُ اللهُ وَاللهُ وَلَوْلَا اللهُ وَاللهُ وَلَا اللهُ وَلَا لَهُ وَلَا اللهُونِ وَلَوْلُولُولُهُ وَلَالِهُ وَاللهُ وَاللهُ وَلَا لَهُ وَلِولُولُولُولُولُولُهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَلَا لَهُ وَلِلْهُ وَلِمُ وَلِلْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلِلْهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا

تفسير المفردات

فتنة: أى بلاء ومحنة ، ومن يوق: أى من يحفظ نفسه، والشح: البخل مع الحرس، والفرض الحسن : هو التصدق من الحلال بإخلاص وطيب نفس .

المعنى الجملي

بعد أن أمر بطاعة الله وطاعة رسوله ، وذكر أن المؤمن بنبغى أن يتوكل على الله تعالى والله على الله تعالى والله والزوجات أعداء لآبائهم وأزواجهم بنبطونهم عن الطاعة ، ويصدونهم عن تلبية الدعوة لما فيه رضة شأن الدين وإعلاء كلته ، فعليكم أن تحذروهم ولا تتبعوا أهواءهم حتى لا يكونوا إخوان

الشياطين يزيتون لكم للماصى ويصدونكم عن الطاعة ، ثم أردف هذا بيبان أن الإنسان مفتون بماله وولده ، فإنه ربما عمى الله تعالى بسبهما ، فنصب المال أو غبره لأجلهما ، فعليه أن يتقى الله ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولينفق ذو سعة من سعته ، فمن جاد بماله ووقى نفسه الشح فهو الفائر بخيرى الدنيا والآخرة ، ومن أقرض الله قرضًا حسنًا فالله يضاعف له الحسنة بعشرة أضعافها إلى سبعائة ضعف ، وهو عالم بما يغيب عن الإنسان ، وما بشاهد ، وهو المزيز الحكيم في تدبير شئون عباده .

أخرج الترمذى والحاكم وابن جرير وغيرهم عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : « يَانَّيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاحِكُمْ » فى قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعوهم ، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس قد قَتُهُوا فى الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله : « وَ إِنْ تَمَنُّوا وَتَمَنَّعُوا وَتَمَنْرُوا » الآية . وفى رواية عنه أنه قال : كان الرجل بريد المجرة قتحبسه امرأته فيقول : أما والله أنن جمع الله بيني و بينكم فى دار المجرة لأنمان ولأهمان ولا قد أنه الآية .

الإيصاح

(يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عــدوًّا لــكم فاحذروهم) أى أيها الذين صدّقوا الله ورسوله: إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لــكم يحولون بينــكم و بين الطاعات التى تقر بكم من ربكم ، والأعمال الصالحة التى تنفعكم فى آخر تــكم ، ور بما حاوكم على السعى فى اكتساب الحرام ، واكتساب الآثام لمنفعة أنفسهم .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى زمان على أمتى يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجه وولده ، يعيّرانه بالفقر ، فيركب مراكب السوء فيهلك » .

ومن الناس من محمله حبهم والشفقة عليهم ، ليكونوا في عبش رغد في حياته (٩) و بعد بمــانه ، فيرتــكب المحظورات لتحصيل ما يكون سببا لذلك ، و إن لم يطالبوه فيهلك .

ومن المفسرين من حمل العداوة على المداوة الدنيوية وقالوا: إن الزوجات والأولاد ربما آذوا أزواجهم وآباءهم ، وجرعوهم النُصَص والآلام ، وربما جرّ ذلك إلى وضع السمّ فى اللسم أو إلى قتلهم ، وفى المشاهد أكبر عبرة لمن اعتبر.

والخلاصة — إنه إماأن يراد بالمداوة العداوة الأخروية ، فإن الأزواج والأولاد ربما أضروا بأزواجهم وآبائهم فيها إذا منعوهم عن عمل الخير لها ، و إما أن يراد المداوة فى الدنيا فتكون عداوة حقيقية بينهم لها آثارها الدنيوية

ثم أرشدهم إلى التجاوز عن بعض هَناتهم فقال:

(و إن تعفوا وتصفحوا وتنفروا فإن الله غفور رحيم) أى و إن تعفوا عن ذنو بهم التى ارتـكبوها بترك المعاقبــة ، وتصفحوا بالإعراض وترك التثريب عليها ، وتنفروا بإخفائها ، وتمهيد معذرتهم فيها ، فهو خير لكم فإن الله رحيم بكم وبهم ، ويعاملـكم بمثل ماعاملتم ويقفضل عليكم .

ثم أخبر سبحانه بأن الأموال والأولاد فتنة فقال :

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى إنما حبكم لأموالكم وأولادكم ابتلاء واختبار إذ كثيرا مايترنب على ذلك الوقوع فى الآثام ، وارتكاب كبير المحظورات .

وفدست الأموال على الأولاد لأنها أعظم فتنة كما قال : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَعْلَنَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ .

أخرج أحمد والطبرانى والحاكم والترمذى عن كسب بن عياض قال : سمعت رسُول الله صلى الله ُ عليه وسلم يقول : « إن لسكل أمة فتنة ، و إن فتنة أمتى المسال » .

(والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبته وطاعته على محبة الأولاد وطاعتهم ، فلا تباشروا للمامى بسبب الأولاد ، ولا تواثروهم على ماعند الله من الأجر المظيم . (فاتقوا الله ما استطمم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أمرتكم بأس فأنوا منه ما استطمم ، وما نهيتكم عنه فاجنبوه » .

ونحو هذا ماجاء فى قوله : « اتّقُوا اللهَ حَقٌّ تَقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنَّ إِلاَّـوَاْ نَبُمْ مُـسُلِمُونَ ٣. (واسمعوا وأطيعوا) أى كونوا منقادين لما يأسمركم الله ورسوله به ، ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يُسرة ، ولا ترتكبوا ما نُهيتم عنه .

(وأنقوا خيرًا لأنفسكم) أى وابذلوا بما رزقكم الله على الفقراء والساكين وذوى الحاجات، وفي الوجوه التي يكون فيها صلاح الأمة ولللة، وسعادة الدين والدنيا، يكن ذلك خيرا لأنفسكم من الأموال والأولاد ؛ وهذا حثّ على البذل، وبيان أن الامتنال خير لا محالة.

تم زاد في الحث على الإنفاق فقال :

(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم الفلحون) أى ومن يبتمد عن البخل والحرص على المــال -- يكن من الفائزين بكل ما يرجو ، ونيل كل ما يبغى فى دينه ودنياه ، ويكون محبياً إلى الناس ، قرير المين برضاهم عنه وحنوهم عليه ، سميداً فى الآخرة بالقرب من ربه ومحبته ورضوانه ودخول جنانه .

ثم بالغ في الحث على الإنفاق أيضًا فقال :

(إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويفغر لكم) أى إن تنفقوا فى طاعة الله ، متقرّبين إليه بإخلاص وطيب نفس — يضاعف لكم ذلك ، الحينة بعشر أمثالها إلى سبمائة ضعف ، و يستر لكم ما فرط من زلاتكم ؛ جاء فى الصحيحين : « إن ائه يقول : من يقرض غير ظلام ولا عدم » ؟

وعن أبى هر برة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله: استقرضت عبدى فأبى أن يقرضنى ، ويشتمنى عبدى وهو لايدرى ، يقول وادهراه وادهراه وأنا الدهر، ثم تلا أبوهر برة هذه الآية » أخرجه ابن جر بر والحاكم وصححه . ونحو الآبة ما جاء في سورة البقرة : « فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْمَافًا كَثِيرَةً » .

ثم بين علة المضاعفة ورغب في النفقة فقال:

(والله شكور حليم) فيثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة ، ولا يعاجل من عصاه بعقو بته على كثرة الذنوب والحماليا .

ثم ذكر ما يزيد في الترغيب في النفقة أيضا فقال:

(عالم النيب والشهادة العزيز الحكيم) أى هو العليم بما غاب عنكم و بما تشهدونه ، فكل ما تعملون فهو محفوظ لديه في أمّ الكتاب ، لا يعزب عنه مثقال ذرة، وسيثيبكم عليه ويجازيكم به أحسر الجزاء ؛ وهو ذو العزة والقدرة ، النافذ الإرادة ، الحسكيم في تدبير خلقه على ما يعلم من المصلحة .

خلاصة ما حوته السورة

- (١) صفات الله الحسني .
- (٣) إنذار المشركين بذكر ما حل بمن قبلهم من الأمم مع بيان السبب فيما نالهم
 من ذلك .
 - (٣) إنكار المشركين البعث.
 - (٤) بيان أن ما يحدث في الكون فهو بأمر الله وتقديره .
 - (٥) تسلية الرسول صلى الله ُ عليه وسلم بأنه لايضيره إصرارهم على الكفر .
 - (٦) إن من الأرواج والأولاد أعداء للمرء.
 - (٧) الأموال والأولاد فتنة وابتلاء .
 - (A) الحث على التقوى والإنفاق في سبيل الله .

سورة الطلاق

هي مدنية ، وآيها ثنتا عشرة ، نزلت بعد سورة الإنسان .

ومناسبها لما قبلها _ أنه قال في السورة السابقة : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأُولاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ وكانت هذه المداوة قد تفضى إلى الطلاق _ أرشد هنا إلى أحكام المطلاق والانفصال عن الأزواج على أجمل وجه . فقال :

بِسْم ِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّيْ إِذَا طَلَقَتُمُ النَّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِمِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْمِدَّةَ ، وَاتَّقُوا الله وَاتَّقُوا الله وَبَنِّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَا ثَيْنَ وَاتَّقُوا الله وَبَنِّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَا ثَيْنَ بِفَاحِشَةً مُبَيِّنَةٍ ، وَتِلْكَ خُدُودُ اللهِ ، وَمَنْ يُتَمَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ انفُسَهُ ، لاَ تَذْرَى لَذَلَ اللهُ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) .

تفسير المفردات

طلقتم النساء : أى أردتم طلاقهن كا جاء فى قوله تعالى : « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُو آنَ اللّهُ آنَ فَاسْتَمِدْ وَاقْهِ مَالَى : « فَإِذَا قَرَأْتَ اللّهُ آنَ فَاسْتَمِدْ وَاقْهِ مَالَى : « أَى اصْبِطُوها وَأَ كُلُوها عَدْهَمِنَ وَأَنْ اللّهُ وَوَا كُلُوها اللّهُ وَأَنْ لَلْهُ قَرُوه كُوامل ، وأصل الإحصاء العدّ بالحصى كا كان يستممل ذلك قديما ثم استعمل فى العد والضبط ، والفاحشة المبينة : هى ارتكاب ما يوجب الحد ، أو البّذاء على الأحماء أو على الزوج ، أو الخروج قبل انقضاء العدة ، وحدود الله : شرائهه التي أمر بها ونهى عن تركها ، ظلم نفسه : أى أضر بها ، والأمر : هو الندم على طلاقها واليل إلى رجمةها .

المعنى الجملي

أمر الله المؤمنين أن يطلقوا نساءهم في الطهر الذي يحسب لهن من عدتهن ، وهو الطهر الذي لا وقاع فيسه ، ولا يطلقوهن في الحيض إذ يسد هذا الوقت مرت قروتهن ، كا أمرهم بضبط المدة وحفظها ، والخوف من تمدى حدوده ، وعدم إخراجهن من مساكنهن التي كن فيها قبل الطلاق حتى تنتهى عدتهن إلا أن يأتين بمصية ظاهرة كالبذاء على الأحماء أو الأزواج أو الخروج من الدار قبل انقضاء المدة ، ومن يتمد هذه الحدود فقد ظلم نفسه وارتكب ما يضرها ويجملها تندم على ما فعلت . ثم أبان حكمة الإبقاء في البيوت ، وهي سهولة مراجمتها لميل القلب إليها وتحوته من بغض إلى محبة .

الإيضاح

(يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لسدتهن) أى أيها المؤمنون إذا أردتم طلاق نسائكم فطلقوهن لزمان محسوب من عدتهن ، وهو طهر لا قو بان فيسه حتى لا يطول عليهن زمان المدة فإن طلقتموهن فى زمان الحميض كان الطلاق طلاقا بدعيًّا حراما ، والراد بالنساء المدخول بهن من ذوات الأقراء ، أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن ، وذوات الأشهر سيأتى حكهن فها بعد .

أخرج الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي في آخرين عن ابن حمر «أنه طلق امرانه وهي حائض، فذكر ذلك عمرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه ثم قالم : لبراجعها ثم يمسكها حتى تطهرُ ثم تحيض ثم تطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطنّعها قبل أن يمسّع ا، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلّق لها النساء » .

وخَصَّ النبِيِّ صَلَى الله عليمه وسلم بالنداء وعَمَّ بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم ؛ كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم : يا فلات العلوا كيت وكيت ، قاله في الكشاف. .

والخلاصة -- إن السنة فى الطلاق أن تطلَّق المرأة وهمى طاهرة دون أن يكون الرجل قد لامسها فى هذا الطهر ، أو أن يطلقها وهى حامل حملا مستبينا ، ومن هذا قسم الفقها. الطلاق أقساما ثلاثة :

- (۱) طلاق سنة ، وهو أن يطلقها طاهرة من غير قربان ، أو حاملا حملا قد استبان .
- (٣) طلاق بدعة وهو أن يطلقها حين الحيض أو فى طهر قد واقسها فيه ، فلا يدرى أحملت أم لا ، والسر فى هذا أنه بصله هذا أطال عليها العدة ، لأن هذه الحيضة لا تحسب فى العدة ، وكذا الطهر الذى بعدها ، لأنها إنما تكون بثلاث حيضات كوامل .
- (٣) طلاق لاهو بسنة ولابدعة ، وهو طلاق الصغيرة والآيسة من الحيض وغير
 المدخول بها .

وقد روى عن إبراهيم النخيى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ألا بطلقوا أزواجهم للسنّة إلا واحدة ، ثم لايطلقون غير ذلك حتى تنقضى المدة ، وما كان أخس عندهم من أن يطلق الرجل ثلاث تطليقات . وقال مالك ابن أنس : لا أعرف طلاقا إلا واحدة ، وكان يكره الثلاث متفرقة أو مجموعة . وأبو حنيفة وأصحابه يكرهون ما زاد على الواحدة في طهر واحد . وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث وقال: لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة بل هو مباح .

والخلاصة — أن مالكما يراعى فى طلاق السّنة الواحدةَ والوقتَ ، وأن أبا حنيفة يراعى النفريقَ والوقتَ ، .الشافعى يراعى الوقتَ وحده .

(.أحصوا المدة) أى واحفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ، لئلا تطول على المرأة ، واحفظوا الأحكام والحقوق التي تجب فيها .

و إنما خوطب الأزواج مذلك دون النساء ، لأنهم هم الذين تلزمهم الحقوق وللؤن المرتبة عليها . (واتقوا الله ربكم) أى واخشَوُا الله ربكم ، فلا تَمْصـــو، فيما أمركم به من الطلاق لمدتهن ، وفي القيام بما للمتدات من حقوق .

وفى وصفه تمالى بالربوبية مبالفة فى وجوب الامتثال لأمره ، لمـا فى لفظ الرب من التربية التى هى الإنعام والإكرام على ضروب لاحصر لها .

ثم بيَّن بعض هذه الحقوق فقال :

(لا تخرجوهن من بيوتهن) أى لا تخرجوا المتدات من المساكن التى كنتم تساكنوتهن فيها قبل الطلاق، غضبا عليهن أوكراهة المساكنتهن أو لحاجة لكم إلى المساكن، لأن تلك السكنى حق الله تعالى أوجبه الزوجات، فليس لسكم أن تتمدّ وْ. إلا لفرورة؛ كالهدام المنزل أو الحريق أو السيل أو خوف الفتنة في الدين.

(ولا يخرجن) أى لاتأذنوا لهن فى الخروج إذا طلبن ذلك ، ولا يخرجن بأغسهن إن أردن ، إذ السكنى فى البيوت حق الشرع ، فلا يسقط بالإذن ، فإن خرجن ليلا أو نهارا كان ذلك الخروج حراماً ولا تنتهى المدة .

ثم استنى من أزوم المكث فى البيوت ما إذا دعت الضرورة إلى الإخراج فقال:
(إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى لا يُخْرَجُن إلا إذا فعلن ما يوجب حدًا من زنا أو سرقة أو غيرهما كما أخرجه عبد بن حميد عن سعيد بن المسيّّب، أو يبذون على الأحماء أو الأزواج ، فيحل إخراجهن من بيوتهن لبّذائهن ، وسوء خُلقهن ، أو خرجن متجولات عن منازلهن اللاتى يجب عليهن أن يُكمونن المدة فيها ، فأي ذلك فعلن منتجولات عن منازلهن اللاتى يجب عليهن أن يُكمونن المدة فيها ، فأي ذلك فعلن فلا رواضحة التي ارتكينها .

(وتلك حدود الله) أى هذه الأمور التى بينتها لكم من الطلاق للمدّة ، وإحصاء المدة ، والأمر بانقاء الله ، وألا تخرج الطلقة من بيتها إلا أن تأتى بفاحشة مبينة ~ هى حدود الله التى حدها لكم ، فلا تتعدّوها .

ثم بين عاقبة تجاوز تلك الحدود فقال :

(ومن يتحد حدود الله فقد ظلم نفســه) أى ومن يتجاوز ما شرع الله لعباده من شرائع ، وما أبيح له إلى مالم يُبيّح فقد ظلم نفسه وأضرّ بها من حيث لايدرى .

م بين علة هذا الضرر فقال:

(لاتدرى لمل الله يحدث بعد ذلك أمرا)أى فأنت أيها الرء لا تعلم أن الله يقلب القلوب ، فيجمل فى قلبك بحبة لها ، فتندم على فراقها ، وتود الرجمة إليها ، فلا يتسنى للك ذلك ، لأن الفرصة تكون قد ضاعت ، وما جرّ ذلك عليك إلا تمدى حدود الله .

والخلاصة — إن من يتمدّ حدود الله فقد أساء إلى نفسه ، فإنه لايدرى عاقبة ماهو فاعل ، فلمل الله يحدث فى قلبه بمد ذلك التعدى ــ أمرا يدعو إلى عكس ما فعمل ، فيمدّل البفض محبة ، والإعراض إقبالا ، ولا يتسنى له تلافى ذلك برجمة أو استثناف نكاح فنضيم الفرصة ويندم ، ولات ساعة مندم .

تليبه

الشريعة الإسلامية _ وإن أباحت الطلاق _ بغضت فيه وقبحته وبينت أنه ضرورة لايكلجاً إليها إلا بعد استنفاد جميع الوسائل لبقاء رباط الزوجية الذي حبِّبت فيه وجعلته من أجل النعم ، فرغّبت في إرسال حَكم من أهله وحكم من أهلها قبل حدوث الطلاق ، لعلما يزبلان ما بين الزوجين من نفور ، كا رغبت في أن تكون الطلقات الثلاث متفرقات ، لمل النفوس تصفو بعد الكدر ، والقلوب ترعوى عن غيها ، ولعلهما يندمان على مافرط منهما فتكون الفرصة مواتية ، و يمكن الرجوع إلى ما كانا عليه ، بل قد يعودان إلى حال أحسن مما كانا .

روى أبو داود عن محارب بن دثار أن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال : « ما أحل الله شيئا أبضض إليه من الطلاق » وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ضلى الله محلى اله عليه وسلم : « إن من أبضض الحلال إلى الله الطلاق » . وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتطلقوا النساء إلا من ربية فإن الله عز وجل لايمب الذواقين ولا الدواقات » . وعن تُوّانِ أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: « أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به ، حرَّم الله عليها رائحة الجنة » أخرجه أبوداود والترمذي .

فَإِذَا بَلَمْنَ أَجَلَهُنَ فَأَمْسِكُوهُنَ عِمْرُوفِ أَوْ فَارِقُوهُنَ بِمَمْرُوفِ وَأَقْدَ لِلّهِ ، ذَلِكُمْ يُمَوُوفِ وَأَشْهِدُوا أَنْهُم ذَوَلَ بَعْنَ مَنْ كُمْ وأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ ، ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيُومِ الآخِرِ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْمَلُ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْدُونُهُ مُنْ حَيْثُ لا يَحْرَبُهُ إِنَّ اللّهَ فَهُو حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بَاللّهِ فَهُو حَسْبُهُ إِنَّ اللّهِ بَاللّهِ فَهُو حَسْبُهُ إِنَّ اللّهِ بَاللّهِ فَهُو حَسْبُهُ إِنَّ اللّهِ بَاللّهِ فَهُو مَنْ يَتَوْ كُلْ عَلَى اللّهِ فَهُو حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بَاللّهُ إِنَّا اللّهَ اللّهُ إِنَّا اللّهِ فَهُو مَنْ اللّهِ لَهُ إِنَّا اللّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ إِنَّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ إِنَّهُ إِنَّهُ اللّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِنَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ ا

تفسير المفردات

فإذا بلفن أجلهن : أى قاربن انهاء المدة ، فأسكوهن : أى فراجعوهن ، بمعروف: أى مع حسن عشرة ، أو فارقوهن بمعروف : أى مع إعطاء الحق واتقاء المضارة ؛ كأن يراجعها ثم بطلقها تطويلا للمدة ، بالغ أسره : أى منفذ حكه وقضاءه فى خلقه يفعل مايشاء ، قدرا : أى تقديراً وتوقيتا .

المعنى الجملي

بعد أن أمر سبحانه بإيقاع الطلاق واحدة فواحدة ، ومنع الخروج من المنزل والإخراج منه إلا إذا أتين بفاحشة ،بينة ، ونهى عرب تعدى تلك الحدود حق لا يحصل الفرر والندم - خيَّر الرجل إذا شارفت عدة امرأته على الانتهاء بين أمرين :

- (١) إما أن يراجعها ويعاشرها بإحسان.
- (٢) و إما أن يفارقها مع أداه حقوقها التي لها مع التفضل والإكرام .

فإذا اختار الرجمة فليُشْهد على ذلك شاهدين عدلين قطعا للنزاع ، ودفعا للربية .

ثم أبان أث هذه الأُحكام إنما شرعت للفائدة والمسلحة . وأرشسد إلى أن تقوى الله تقدح السبل للمرء وتخرجه من كل ضيق ، وتهديه إلى الطربق المستقيم فى دينه ودنياه ، وأن من يتوكل على ربه ، يكْفِيهِ ما أهمه ، ويفرج عنه كر به .

ثم ذكر أن أمور الحياة جميعا بقضاء الله وقدره ، فلا يجزع المؤمن مما يصيبه من النوائب ، ولا يفرح و يبطر بما يناله من خيراتها .

الإيضاح

(فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أى فإذا قاربت العدة على الانتهاء، فإن شثتم فأمسكوهن وراجعوهن مع الإحسان في الصحبة وحسن العشرة، وأداء الحقوق من النفقة والكسوة، وإن سمم على المارقة فلتكن بالمعروف وعلى وجه لاعنف فيه ولامشاكسة ، مع إيفاء مالهن من حقوق لدبكم كؤخر صداق، وإعطا. متمة حسنة تذ كركن بفضلها ، ويتحدث الناس بحسن أحدوثتها ، ويكون فيها جبر لخاطوهن ، لما لحقن من ضرر بالفرق ، وليكون فيها بعص الساؤة لهن عما فقدته من العشير والأنيس.

ثم بين مايحسن إذا أر دوا الرجمة فقال :

(وأشهدوا ذُوىٌ عدل منكم) أى وأشهدوا على الرجعة إن اخترتموها شاهدين من ذوى المدالة ، حسما للنزاع فيما بعد. إذ ربما يمرت الزوج فيدعى الورثه أن مورشهم لم يراجع زوجته ، لممنعوها ميرائها ، ودفعًا للقيل والقال وسمية الربية ، ومحافة أن تنكر المرأة الرجة لتقضى عدّمها ، وتنكح زوجًا غيره .

وهذا الإشهاد واجب عند الشافع. حين الرجمة ، مندوب حين الفرقة ، ويرى أبو حنيفة أن الرجمة لا تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق .

ثم خاطب الشهود زجرًا لمم فقال:

(وأقيموا الشهادة لله) أى وأشهدوا على الحق إذا استشهدِ ثم ، وأدوا الشهادة على الصحة إذا أنْم دُعيتم إلى أدائها .

و إنما حث على أداء الشهادة ، لما قد يكون فيه من المسر على الشهود ، إذ ربما بؤدى ذلك إلى أن يترك الشاهد مهام أموره ، ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذى نؤدى الشهادة عنده ، وقد يبعد للكان، أو يكون للشاهد عوائق تحول بينه و بين أدائها .

(ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى هذا الذى أمرتكم به ،
وعرّ فتكم عنه من أمر الطلاق، والواجب لبمضكم على بعض حين الفراق أو الإمساك ،
عظة منا لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ليممل على مهجها وطريقتها .

ثم أتى بجملة معترضة بين ما سلف وما سيأتى ، لتأكيد ما سبق من الأحكام والخروج من مشاكلها بعد انتاء الله فتال :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . و يرزقه من حيث لا يحتسب) أى ومن يخش الله فلا يطلق المراق المحتدة فلا يخرجها من الله فلا يطلق المراق المحتدة فلا يخرجها من مسكنها ، و يحتاط بالإشهاد حين الرجمة _ بجعل الله له مخلصا مما عسى أن يقع فيه من الغم و يفوج عنه ما يمتريه من السكرب ، و يرزقه من جهة لا تخطر ببسساله ولا يحتسبها .

والخلاصــة -- من اتتى الله جل له مخلصا من غم الدنيا ، وهم ۗ الآخرة ، وغرات الموت ، وشدائد يوم القيامة . روى عن أن عباس أنه قال : وجاء عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله كليه وسلم فقال: يارسول الله: إن ابني أسره العدو وجزعت أمه ، فم تأمرني؟ قال آمرك و إياها أن تستكثرا من قول : « لاحول ولا قوة إلا بالله » فقالت المرأة : يعتم ما أمرك ، فجعلا يكثران منها ، فتفغل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه ، فنزلت هذه الآية » أخرجه ابن مردويه .

وفى الآية إيماء إلى أن التقوى ملاك الأمر عندالله ، وبها نيطت السعادة في الدارين ، وإلى أن الطلاق من الأمور التي تحتاج إلى فضل تقوى ، إذ هو أبضض الحلال إلى الله ؛ لما يتضمنه من إيماش الزوجسة وقطع الألفة بينها وبين زوجها ، ولما في الاحتياط في المعتمد من المحافظة على الأنساب وهي من أجل مقاصد الدين ، ومن ثم شدد في إحصاء المدة حتى لا تختلط ويكون أمرها فوضى .

وروى عن ابن مسعود أنه قال : إن أجم آية فى القرآن : ﴿ إِنْ اللَّهِ كَأْمُورُ بِالْمَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ و إن أكبرآية فى القرآن فرجا : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهُ يَجْمَلُ لَهُ تَخْرَجًا ﴾ .

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى ومن يكل أمره إلى الله ويفوض إليه الخلاص منه ـ كفاه ما أهمه فى دنياه ودينه ، والمراد بذلك أن المبد يأخذ فى الأسباب التي حملها الله من سُننه فى هذه الحياة ، ويؤديها على أمثل الطرق ، ثم يكل أمره إلى الله فيا لا يسلمه من أسباب لا يستطيع الوصول إلى علمها ، وليس المراد أن يلقى الأمور على عواهما ويترك السعى والممل ويفوض الأمر إلى الله ، فا بهذا أمر الدين بدليل قوله تمالى : « وَأَعِدُوا فَهُمْ مَا اسْتَطَعُمُ مِنْ قُورَةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ الخَيْسِ لِ » بدليل قوله تمالى : « وَأَعِدُوا فَهُمْ مَا اسْتَطَعُمُ مِنْ قُورَةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ الخَيْسِ يه وقوله صلى الله عليه وسسما ه « اعقلها وتوكل » إلى نحو ذلك نما هو مستغيض فى الكتاب والسنة » .

وروى عن ابن عباس أنه ركب خلف رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم يوما فقال

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياغلام إنى معلّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله عبده تجاهك ، وإذا استمنت فاستمن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء كتبه الله عليك ، رُفعت الأقسلام وجمّت الصحف » .

ثم ذكر السبب في وجوب التوكل عليه فقال:

(إن افى بالغ أمره ، قد جمل الله لسكل شى ه قدرا) أى إن افى تعالى منفذ أحكامه فى خلقه بما يشاه ، وقد جمل لسكل شى ه مقدارا ووقتا ، فلا تحزن أيها المؤمن إذا فاتك شى ه مما كنت تؤمل وترجو ، فالأمور مرهونة بأوقاتها ، ومقدرة بتقادير خاصة ، كا قال : « وَ كُلُّ ثَنَى مُ عِنْدَا مُ يَعْدَارٍ » .

وَاللَّارِثِى يَثِيشَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمُ إِنِ الْرَئَتُمُ فَعِدَّتُهُنَّ مَّ مِنْ الْمَحْلُونَ الْمُوْمِ أَنْ يَضَمْنَ الْمَاكِمُ الْمُوالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَمْنَ خَلَهُنَّ أَنْ يَضَمْنَ خَلَهُنَّ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْمُلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْنُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحَكِّفُرْ عَنْهُ سَبَنَّاتِهِ وَيُمْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) .

المعنى الجملي

بمد أن ذكر أن الطلاق السنى إنما يكون في طهر لا وقاع فيه ، ولم يبين مقدار المدة وكان قد ذكر في سورة البقرة التي نزلت قبل هذه أن عدة الحائض ثلاثة قروم ذكر هنا عدة الصفار اللاتي لم يحضن ، والكبار اللائي يئسن من الحيض ، وأنها ثلاثة أشهر ، وعـدة الحامل وأنها تـكون بوضع الحل سواء كانت مطلقة أومتوثى غنها زوجها .

أُخرج الحاكم والبيهتي في جماعة آخرين عن أبيّ بن كعب أن ناسا من أهل المدينة لما نزلت آية البقرة في عدة النساء قالوا لقد بتي من عدة النساء عدد لم تذكر في القرآن ، الصغار والسكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحل فأنزل الله تعالى في سورة النساء القصرى : « وَاللائِي يَئِسْنَ » الآية .

وروى أن قوما منهم أبيّ بن كسب وخلاد بن النمان لمــا سمعوا قوله تمالى : « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَترَبَّشْنَ بَأَنْشُهِمَنَ ثَلَائَةٌ قُرُوء » قالوا يارسول الله فما عدة من لا قوء لها من سخر أوكبر ؟ فغزلت : « والملاَّف يَلْمُسْنَ » الآية .

الإيضاح

(واللائي ينسن من الحيض من نسائكم إن ارتبتم فعلتهن ثلاثة أشهر ، واللائي للم يحضن) أى واللائي بلغن سن "اليأس فانقطع حيضهن لكبرهن بأن بلغن سن" الخامسة والخدين فحا فوقها فعدتهن ثلاثة أشهر ، وكذا الصفار اللوالي لم محضن ، إن شكر وجهلتم كيف تكون عدتهن وما قدرها .

(وأولات الأحمال أجلين أن يضمن حملهن) أى وعدة الحوامل أن يضمن حملهن سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن كا روى عن عمر وابنه . فقد الخرج مالك والشافى وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عمر أنه سئل عن المرأة يتوفى عنها زوجها وهى حامل فقال : إذا وضمت حملها فقد حكّ ، فأخبره رجل من الأنصار أن عر بن الحطاب قال : لو ولدت وزوجها على سريره لم يدفن حكّ . وهكذا روى عن ابن مسمود ، فقد أخرج عنه أبو داود والنسائى وابن ماجه أنه قال : من شاء لاعنته أن الآية التي فى النساء القصرى « وَأُولاَتُ اللَّحَالِ » الآية نزت بعد سورةالبقرة بكذا وكذا شهرا ، وكل مطلقة أومتوفى عنها زوجها فأجلها أن تضم حلها .

وروى أن سُيمة بنت الحرث الأسلمية كانت تحت سمد بن خولة فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فوضمت بمدوفاته بثلاثة وعشرين يوما ، فاختضبت واكتحلت وتزينت تريد الزواج ، فأنكر ذلك عليها ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

(إن تفعل فقد خلا أجلها » .

(ومن يتق الله بجعل له من أمهه يسمرا) أى ومن يخف الله و يرهبه ، فيؤدى فرائضه و يحتنب نواهيه — يسهل عليه أموره ، و يجمل له من كل ضيق فرجا ، وُ يُبرِّ له طريق الهدى فى كل مايعرض له من المشكلات ، فإن فى قلب المؤمن نورا بهديه إلى حلّ عويصات الأمور .

وفى الآية إيماء إلى فضيلة التقوى فى أمور الدنيا والآخرة ، وأنها المخرج من كل ضيق يعرض للمرء فيهما .

(ذلك أمر الله أنزله إليكم) أى هذا الذى شيرع لسكم من الأحكام السالفة فى الطلاق والسكنى والعدة -- هو أمر الله الذى أمركم به وأنزله إليكم لتأتمروا به ، وتعملوا وفق مهجه .

ثم كرر الأمر بالتقوى لأنها ملاك الأمر وعماده في الدنيا والآخرة فقال:

(ومن يتق الله يكفر عنه سبئانه ويعظم له أجرا) أى ومن يخف الله فيؤدًّ فرائضه ويجتنبُ نواهيه ــ يمح عنه ذنو به كا وعد بذلك فى كتابه : « إنَّ الحَسَنَاتِ يُذُهِنَ السَّيْئَاتِ» وبجزل له الثواب على يسير الأعمال .

أَسْكَنُوهُنَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُوهُنَّ لِتُصَمَّعُ وَلاَ تُضَارُوهُنَّ لِتُصَمَّقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَمَّنَ حَلَّهُنَّ ، فَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ عَلْي فَأَ تَفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَمَّنَ حَلَّهُنَّ ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتْمِولَا يَيْنَكُمُ عَلَيْهُونَ ، وَإِن تَمَاسَوْتُمْ فَسَتُوْضِعُ لَهُ أُخْرَى (١) لِيُنْفِقَ ذُو سَمَسة بِمُثْرُوضٍ مُ قَالَمُوسَى لَهُ أُخْرَى (١) لِيُنْفِقَ ذُو سَمَسة بِمَشْرُوفٍ ، وَإِن تَمَاسَوْتُمْ فَسَتُوْضِعُ لَهُ أُخْرَى (١)

مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ۚ فَالْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ ، لاَ يُكَلَّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهاً ، سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرِ يُسْرًا (٧) .

تفسير المفردات

من وُجدكم : أى من وسعكم ، وقال الفراه : أى على قدر طاقتكم ، ولا تضاروهن : أى في النفقة والسكنى ، لتضيقوا عليهن : أى لتلجئوهن إلى الخروج بشغل المسكان أو بإسكان من لا يُرد ن السكنى معه ، اثمروا : أى تآمروا وتشاوروا ، يمروف : أى : يجميل في الأجر والإرضاع فلا بكن من الأب بما كسة ولا من الأم معاسرة ، و إن تعامرتم : أى ضيق بعضكم على بعض بالمشاقة في الأجر أو بطلب الزيادة ، قدر عليه : أى ضيق ، آناه الله : أى أعطاه ، ما آناها : أى إلا بقدر ما أعطاها من الأرزاق . قلر أوجل " .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر مقدار المدة للصفار والسكبار والحوامل - أرشد إلى ما يجب للمقدة من النققة والسكنى على مقدار الطاقة ، ثم أردف ذلك ببيان أن الحوامل لهن النفقة والسكنى مدة الحل بالنة مابلنت ، فإذا هن ولدن وجب لهن الأجر على إرضاع المولود، فإن لم يتفقا عليه أتى بمرضع أخرى يدفع الأب نفقها ، والأم أحق بالإرضاع إذا هى رضيت بمثل أجرتها ، والنفقة لركل من الموسر والمسر على قدر مايستطيع ، فالله لايكلن نفساً إلا ماتطيق .

الإيضاح

(أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) أى أسكنوا مطلقات نسائكم فى للوضع الذى تسكنون فيه على مقدار حالسكم ، فإن لم نجـدوا إلا حجرة بجانب (١٠) حجرتكم فأسكنوها فيها ، و إنمــا أمر الرجال بذلك ، لأن السكنى نوع من النفقة وهى واجبة على الأزواج .

ثم نهى عن مضارّة المطلقات في السكني فقال :

(ولا تضاروهنّ لتضيقوا عليهن) أى ولا تستعملوا معهن الضرار فى السكنى بشغل المكان أو بإسكان غيرهنّ معهنّ ممن لايحببن السكنى معه ، لتلجئوهنّ إلى الخروج من مساكنهنّ.

ثم بيّن نفقة الحوامل فقال :

(و إن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهنّ حتى يضمن حملهنّ) لأنه بالوضع تنقضى. العدة ، وهذا حكم الممللةة طلقة بائنة ، أما للطلقة طلقة رجمية فتستحق النفقة وإن لم تكن حاملا .

ثم بين حكم إرضاع الطفل بعد ولادته فقال :

(فَإِن أَرْضَعَن لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورُهُنَّ) أَى فَإِن أَرْضَعَن لَكُمْ وَهُنَّ طُوالَق قَدْ مِنَّ بانقضاء عدّمَنَّ ، فلهنَّ حينتذ أن يرضعن الأولاد ولهنَّ أن يمتنعن ، فإِن أَرْضعن فلهنَّ أُجِر للنُّل ويتفقن مم الآباء أو الأولياء عليه .

وفى هذا إيماء إلى أن حق الرضاع والنفقة للأ ولاد على الأزواج ، وحق الإمساك والحضانة على الزوجات .

(والشمروا بينكم بمعروف) أى وتشاوروا فيا يينكم أيها الآباء والأمهات فى شئون الأولاد بما هو أصلح لمم فى أمورهم الصحية والخلقية والثقافية ، ولا تجملوا للـــال عقبة ف سبيل إصلاحهم ، ولا يكن من الآباء بما كسة فى الأجر وسائر النفقات ، ولا من الأمهات معاسرة و إحراج للآباء ، فالأولاد هم فِلْذات أكبادهم ، فليحافظوا عليهم جهد الستطاع .

ثم أرشد إلى ما يجب أن يعمل إذا لم يحصل الوفاق بين الأبوين فى الإنفاق فقال : (و إن تعاسرتم فسترضع له أخرى) أى و إن ضيق بعضكم على بعض بأن شاخً الأب فى الأجر ، أو اشتطت الأم فى طلب زيادة لا يؤديها أمثاله ، فليُحْشِرِ الأب مرضعا أخرى تقوم بالإرضاع ، فإن رضيت الأم بمثل ما استؤجرت به الأجهبية فعى أحق بولدها .

وفى الآية إيماء إلى معاتبة الأم ، فهو كقولك لمن تطلب منه حاجة فيتوانى فىقضائها ، إن لم تقضها فسيقضيها غيرك ، وكا أنه قال له : إنها ستقضى وأنت ملوم .

و إنما خص الأم بالعتاب ، لأن البذول من جهتها هو لبنها لوائدها ، وهو ليس بمال ولا مما يضن " به في العرف ولا سيما من الأم ، والمبذول من جهة الأب هو المال وهو مضنون به في العادة ، فهي إذا أجدر باللوم وأحق بالعَتْب :

هذا إذا قبل الولد ثدى مرضع أخرى ، فإن لم يقبل إلا ثدى الأم وجب عليها الإرضاع .

أتم بين مقدار الإنفاق بقوله :

(لينفق ذو سمة من سسته) أى لينفق الوالد على المرضع التي طُلِّقَت منه بفدر سعته وغناه .

(ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى ومن كان رزقه بمقدار القوت لحسنبُ فلينفق على مقدار ذلك .

(لا يكلف الله نسأ إلا ما آتاها) أى لا يكلف الله أحدا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا بمقدار ما آتاه من الرزق ، فلا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى . ونحو الآية قوله : ﴿ لَا يُكَلَّفُ اللَّهُ ۚ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

ثم بين أن الأرزاق تتحول من عسر إلى يسر والعكس بالعكس فقال:

وهذا كالبشرى للمؤمنين الذين كان يغلب عليهم الفقر والفاقة في ذلك الحين .

وَكَأَيْنَ مِنْ قَوْ يَهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَجًا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدْ بْنَاهَا عَلَيْهُ أَمْرِهَا وَكُانَ عَاقِبَةٌ أَمْرِهَا خَسْرًا (٩) أَعَدَ اللهُ كُمْمُ عَذَابًا شَكْرًا (٩) فَذَاقَتْ وَ بَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةٌ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَ اللهُ كُمْمُ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَقُو اللهَ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ اللّهِ يَنْ اللهِ اللهَ اللهِ اللهُ اللهُ إِنْهُ مَنْ اللهُ اللهُ اللهُ وَعَمُلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، مُبَيِّنَاتٍ لِيُحْرِجَ اللّذِينَ آمَنُوا وَعَمُلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَمَنْ يُولِدُ وَيَعْمَلُ صَالِحًا يُدْخَلُهُ جَنَّاتٍ تَجَرِّي مِنْ تَحْتَمَ اللهُ الْأَمْارُ وَمَنْ يَوْدِ (١٠) .

تفسير المفردات

وكأين من قرية : أى كثير من أهل القرى ، عتت : أى تجبرت وتكبرت ، نكراً : أى منكراً عظيا ، وبال أمرها : أى عاقبة عتوها ، خسراً : أى خسارة فى الآخرة ، ذكراً أى قرآنا ، رسولا : أى وأرسل رسولا .

المعنى الجملي

بعد أن أمر بأن الطلاق لا يكون إلا في أوقات خاصة ، و بأنه يجب انقضاء المدة حتى تحل الرأة لزوج آخر ، وذكر مدة المدة وما يجب للمتدة من النققة والكسوة ، ونهى عن تجاوز حدود الله ، وأن من يتجاوزها يكون قد ظلم نفسه ، توعد هنا من خالفوا أمره ، وكذبو ارسله ، وسلكوا غير ما شرعه ، وأنذرهم بأن يحل بهم مثل ما سل بالأمم السالفة التي كذبت رسلها ، فأخذها أخذ عز يز مقتدر ، وأصبحت كأمس الدابر، وصارت مثلا في الآخر بن .

الايضاح

(وَكَا يَنَ مِن قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديداً وعذبناها عذابا نكرًا) أى وكثير من أهل القرى خالفوا أمر ربهم ، فكذبوا الرسل الذين أرسلوا إليهم ، وتجوا في طنياتهم يعمهون، وسنحاسبهم حساباً عسيرًا ، ونستقصى عليهم ذنوبهم ، ونناقشهم على النقير والقطير ، ونعذبهم عذابا نكرا في الآخرة ، ومبر بالماضى عن المستقبل دلالة على التحقق كما في قوله تعالى : « وَنَفْيَتَ فِي الصُّورِ » .

ثم بين أن هذا جزاء ما كسبت أيديهم فقال :

(فذاقت و بال أموها وكان عاقبة أموها خسرًا) أى وستجنى تمار ما غرست أيديها ولا يُجنّى من الشر إلا الشركا جاء فى أمثالم : إنك لا تجنى من الشوك العنب. فكان عاقبة أمرها الخسران والنكال الذى لا يُقدر قدره .

ثم أكد هذا الوعيد بقوله :

(أعد الله لهم عذابا شديدًا) أى هيأ الله لمم المذاب للرتقب ، لتماديهم فى طفياتهم و إعراضهم عن اتباع الرسل فيا جاءوا به من عند ربهم .

ثم نبه المومنين إلى تقوى الله حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم فقال :

(فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا) أى فخافوا أيها المؤمنون عقاب الله ، ف فأنتم أصحاب المقول الراجحة ، والفيطر السليمة ، واحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بمن قبلكم ، وتذكروا فإن الذكرى تنفع للؤمنين .

ثم بين ما يكون مذكرا لهم وداعيا لتقوى الله فقال :

(قد أنزل الله إليكم ذكرا . رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وهملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) أى قد أنزل الله إليكم يا ذوى البصائر ذكرا لكم وهو القرآن الكريم يذكركم به ، لتستمسكوا مجبله للتين وتعملوا بطاعته وأرسل إليكم رسولا يتلو عليكم آيات هذا الكتاب الذي أنزل عليه ، وهي واضحات لمن تدبرها وعقلها ، كي يخرج من لديه استعداد للهدى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إذا هو أنعم في النظر فيها ، وأجال الفكر في أسرارها ومفازيها ، فهي النبراس المساطع ، والضوء اللامع ، لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد .

ثم بين جزاء الإيمان والعمل الصالح فقال :

(ومن يؤمن بالله و يصل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) أى ومن يصدق بالله وعظيم قدرته ، و بديع حكمته ، و يصل جااعته — يدخله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار ما كثين فيها أبدا لا يموتون ولا يُخرجون منها ، وقد وسع الله لم فيها الأرزاق من مطاعم ومشارب بما لاعين رأت ، ولا تُخر حول خطر على قلب بشر .

َاللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، يَنَزَّلُ ٱلأَمْرُ يَيْنَهُنَّ ، لِتَمْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلُّ شَيْءِ فَدِيرِ " ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أُحَاطَ بِكُلِّ شَيْءِ عْلَمَا (١٢) .

المعنى الجملي

بعد أن أنذر سبحانه مشركى مكة بأنهم إن لم يتبعوا أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم يحل "بساحتهم مثل ما حل بسائر الأمم قبلهم ممن كذبوا رسلهم وعنوا عن أمر ربهم فاستأصلوا وبادوا فى الدنيا ، وسيحل بهم المذاب الذى لامرد له فى الآخرة -- ذكر هنا عظيم قدرته وسلطانه ، وبديع خلقه للمالم العلوى والسفلى ليكون ذلك باعثا على استجابة دعوة الرسول ، والعمل بما أنزل عليه من تشريع فيه سعادة الدارين .

الإيضاح

(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) أى الله هو الذي خلق السموات السبم وخلق مثلهن في العدد من الأرضين .

وهذا الأساوب في اللغة لايفيد الانحصار في السبعة ، و إنما يفيد الكثرة ، فالعرب تعنى في كلامها بذكر السبعة والسبعين والسبعائة الكثرة خشبُ ؛ ويؤيد هذا أن علماء الفلك في العصر الحاضر قالوا : إن أقل عدد ممكن من الأرضين الدائرة حول الشموس المظيمة التي نسميها نجوما لايقل عن ثلثائة مليون أرض ، ولا شك أن هذا قول هو بالظن أشبه منه باليقين .

روى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن ، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى السكرسي إلا كمحلقة ملقاة بأرض فلاه ».

وروى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ سَبْعَ مَهُوَاتِ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلُمُنَّ ﴾ الآية قوله : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم بتكذيبكم بها . وهذا من الجبر دليل على أن هناك عوالم كثيرة لامجدر بالملماء أن يحدَّثُوا عَنها العامة ، فإن عقولهم تضل في فهمها ، فلتبق في صدور الملماء وأهل الذكر حتى لايفتَدُوا بها .

(يتنزل الأمر بينهن) أى يجرى أمر الله وقضاؤه وقدره بينهن ، وينفذ حكمه فيهن ، فهو يدبر ما فيها وفق علمه الواسع ، وحكمته في إقامة نظمها ، بحسب العمدل والمصلحة .

أخرج ابن للنذر وغيره عن قتادة قال : « في كل سياء و في كل أرض خلق من خلقه تعالى ، وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه عز وجل » .

(لتملموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) أي ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك ، كي تملموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه ، وأنه لا يتعذر عليه شيء أراده ، ولا يتنع عليه أمر شاءه ، فهو على مايشاء قدير ، ولتعلموا أن الله بكل شيء من خلقه محيط علما لايمزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السياء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

فخافوا أيها المخالفون أمر ربكم ، فإنه لايمنمه من عقوبتكم مانع ، وهو قادر على ذلك ، ومحيط بأعمالكم لايخفي عليه منها خاف ، وهو محصيها عليكم ، ليجازيكم بها يوم تجزى كل نفس بمما كسبت .

ما تضمنته هذه السورة من الشئون

اشتملت هذه السورة على أحكام شرعية ، ومناهج دينية ، وفتاوى إسلامية ، وضعت لإقامة المدل بين الخلق ؛ وما أهل الأرض ولا أحكامهم ولا شرائمهم ولا شرائمهم ولا دياناتهم إلا نحة من نور العدل العام ، وقبضة من فيضه ، وزهرة من شجرته ، فإن قضى القضاة على كرامى الحسكم بين السباد ، فأعطوا زيداً مايجب على عمرو ، وقالوا للحامل عدتك وضع الحل ، فسكم بين السموات والأرض من قضاء في هذا

الفضاء الواسع الصامت لفظا الناطق معنى ، وكم من حكم بيننا نرى أثره ، ولا نسم النطق به ، نرى الشمس محكوما عليها أن تطلع من مواضع فى المشرق ، وتغيب فى مواضع فى المقرب لاتجوزها ، ونرى الرياح محكوما عليها ، والسحب مأمورة والأنهار جارية ، والمزارع قد حكم عليها أن تكون فى زمن خاص ، وأمكنة خاصة ؛ فليس القطن أن ينبت فى البلاد الباردة ، ولا أن يشمر فى زمن الشتاء ، ولا النخل أن يشمر إلا بعد عدد من السنين ، وكل ذلك حكم لمصلحة الناس، وسعادتهم فى دنياهم.

فانظر أى الحكمين أكثر منفعة ؟ أحكم لمصلحة أشخاص متنازعين ، أم حكم بسمادة هؤلاء المتنازعين من كل أهل ملة ودين ؟.

سورة التحريم

هى مدنية ، وآيها ثنتا عشرة ، نزلت بعد الحُجُرات .

ومناسبتها لمــا قبلها :

- (۱) أن سورة الطلاق فى حسن معاشرة النساء والقيام بمقوقهن ، وهذه السورة فيا حصل منهن مع النبى صلى الله عليه وسلم تعليما لأمته أن يحذروا أمر النساء ، وأن يعاماوهن بسياسة اللين كما عاملهن الذي صلى الله عليه وسلم بذلك ، وأن ينصحوهن نصحًا مؤثراً .
 - (٢) أن كلتيهما افتُتُحت بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٣) أن تلك فى خصام نساء الأمة ، وهذه فى خصومة نساء النبى صلى الله عليه
 وسلم ، وقد أفردن بالذكر تعظيماً لمكانتهن .

بِسْم ِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ياً يُهَا النَّيْ لِمْ تَحُرَّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاهَ أَزْوَاجِكَ ، وَاللهُ مَوْلاً كُمْ فَعَلَة أَعَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاً كُمْ فَعَلَة أَعَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاً كُمْ فَعَلَة أَعَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاً كُمْ وَهُو اللهِ يَعْفِ أَنْفاجِهِ حَديثًا ، فَلَمَّا نَبَأَتْ فِي وَأَظْهِرَهُ أَنْهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَسْضَة وَأَعْرَضَ عَنْ بَسْضَ ، فَلَمَّا فَلَمَّا نَبَأَتْ فِي وَأَظْهِرَهُ أَنْهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَسْضَة وَأَعْرضَ عَنْ بَسْضَ ، فَلَمَّا نَبُأُهَا فِيهُ وَاللهِ مَنْ أَنْهُ عَلَى مَنْ أَنْبَأَكُ هَذَا ؟ قَالَ نَبْتًا فِي اللّهِ مِنْ أَنْفَهِ وَمُولاً هُ وَاللّهُ وَعَلَى اللهِ وَعَلَى اللّهِ وَاللّهُ وَعَلَى اللّهِ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَلَى اللّهِ وَاللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَلْمُ اللّهِ وَعَلَى اللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلْمُ اللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَعَلْمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَلْمُ اللّهُ وَعَلْمُ وَعَلَى وَاللّهُ وَعَلْمُ وَعَلَّى اللّهُ وَعَلْمُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ وَعَلَى الللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّ

إِنْ مَلَقَتَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْرًامِنْكُنَّ مُسْلِمات مُوْمِنات قاتِتات تائبِات عابدات سائحات وَبَات مِن اللهِ عابدات سائحات وَبَبَات وَأَبْكارًا (٥) .

تفسير المفردات

تحرّم : أى تمتنع ، ما أحل الله لك : هو العسل ، تبتغى : أى تطلب ، فرض : أى شرع ، و بيّن كما جاء فى قوله : « سُورَةٌ أُنزُ لنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا » ، وتحلة أبمانـكم : أى تحليلها بالكفارة ، وتحلة القسم تستعمل على وجهين :

- (١) أحدها تحليله بالكفارة كافي الآية .
- (۲) ثانيهما بمنى الشيء القليل وهذا هو الأكثركا جاء في الحديث: و لن يلج النار إلا تحلة النسم » أي إلا زمنا يسيرا.

مولا كم : أى وليكم وناصركم ، بعض أزواجه : هى حفصة على الشهور ، نبأت به : أى أخبرت عائشة به ، وأظهره : أى أطلمه وأعلمه قول حفصة لمائشة ، هر ف : أى أعلم ا ببعض الحديث الذى أفشته ، وأعرض عن بعض : أى لم يخبرها به ، إن تتو با : أى حفصة وعائشة ، صغت قلو بكما : أى عدلت ومالت إلى ما يجب الرسول صلى الله عليه وسلم من تعظيم وإجلال ، وإن تظاهرا عليه : أى تتظاهرا وتتعاونا على الذاء الرسول ، مولاه : أى وليه وناصره ، ظهير : أى ظهراء معاونون ، على إذاء الرسول ، مولاه : أى خاضات أله بالطاعة ، مؤمنات : أى مصدقات وأنصار مساعدون ، مسلمات : أى خاضات أله بالطاعة ، مؤمنات : أى مقدات عن الذنوب ، عابدات : أى متبدات متذللات الأمر الرسول صلى الله عليه وسلم : سائحات : أى صائحات ، وسمى الصائم بذلك من حيث إن السائح لازاد معه ولا يزال مسكا حتى يجهد الطهام ؛ كالصائم لايزال كذلك حتى يجهء وقت الإفطار.

المعنى الجملي

روی البخاری ومسلم عن عائشة أنها قالت: ﴿ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عب الحَلَقَ ا والسل ، وكان إذا انصرف من المصر دخل على نسائه ، وكان يمكث
عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا ، فتواطأت أنا وحفصة أنَّ أيتنا دخل
النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل له : إنى أجد منك ربح مغافير ، أكلت مفافير
(صمع حُلُوْ له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له المُرْقُطُ يكون بالحبحاز) ، فقال لا
بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له وقد حلفت ، لا تخبرى

وقد كانت عائشة وحفصة متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال إن التي دخل عليها النبي صلى عليه الله وسلم ، ويقال إن التي دخل عليها النبي صلى عليه الله عليه وسلم استكتمها أمامها هي حفصة فأخبرت عائشة ، فأن أباها الخبركا استكتمها ما أسرتها به من الحديث الدى يسرتها ويسرت عائشة ، أن أباها وأما عائشة يكو نان خليفتين على أمتى من بعدى ، فالسركان لها بأمرين :

- (١) تحريم العسل الذي كان يبغيه عند زينب.
 - (٢) أمر الخلافة لأبويهما من بعده .

الإيضاح

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك؟) أى يا أيها النبى. لم تمتنع عن شرب العسل الذى أحله الله لك ، تلتمس بذلك رضا أزواجك؟

وهذا عتاب من الله لرسوله على فعله ذلك، لأنه لم يكن عن باعث مرضى ، بل كان. طلبًا لمرضاة الأزواج .

رف هذا تنبيه إلى أن ماصدر منه لم يكن مما ينبغي لمقامه الشريف أن يفعله .

وفى ندائه صلى الله عليه وسـلم بيأيها النبي فى مفتتح العتاب حسن تلطف. ، وتنويه بشأنه عليه الصلاة والسلام ، على نحو ما جاء فى قوله : « عَفَا اللهُ عَنْكُ لمَ أَذْنَتَ لَهُمْ ؟ » .

(والله غفور رحم) أى والله غفور لذنوب التائبــين من عباده ، وقد غفر لك امتناعك عما أحله لك، رحم بهم أن يعاقبهم على ما تابو امنه من الذنوب .

و إنما عاتبه على الامتناع عن الحلال وهو مباح سواء كان مع العين أو بدونه ، تعظيها لقدره الشريف ، و إجلالاً لمنصبه أن يراعى مرضاة أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله به ، و إيماء إلى أن ترك الأولى بالنسبة إلى مقامه السامى يعدّ كالدنب و إن لم يكن في نفسه كذلك .

(قد فرض الله لسكم تحلة أيمانكم) أى قد شرع لسكم تحليل أيمانكم بالسكفارة عمها ، فسليك أن تكفر عن يمينك . وقد روى « أنه عليه الصلاة والسلام كفر عن يمينه فأعتق رقبة (عبدا أو أمة) » .

(والله مولا كم) أى والله متولى أموركم بنصركم على أعدائكم ، ومسهل لكم سبل الفلاح فى دنياكم وآخرتكم ، ومنير لسكم طرق الهداية إلى ما فيه سعادتكم فى معاشكم ومعادكم .

(وهوالعليم الحسكيم) أى وهوالعليم بما يصلحكم فيشرعه لسكم ، الحسكيم فى تدبير أموركم ، فلا يأس/كم ولا ينها كم إلا وَفْقَ ما تقضيه المصلحة .

ثم ساق ما هو كالدليل على علمه فقال :

(وإذ أسر "النبي إلى بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت به وأغلهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) أى واذ كر حين أسر النبي صلى الله عليه وسلم إلى حفصة أنه كان يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، وقال لن أعود له وقد حلفت ، لا تخبرى بذلك أحدا ، فلما أخبرت عائشة بما استكتمها من السر ، وأطلعه الله على ما دار بين حفصة أن تكتمه - أخبر حفصة ما دار بين حفصة أن تكتمه - أخبر حفصة

بيمض الحديث الذي أفشته وهو قوله لها : كنت شربت عسلاً عنــد زينب بنت جحش فلن أعود ، وأعرض عن بسف الحديث وهو قوله وقد حلفت ، فلم يخبرها به نكرمًا منه ، لما فيه من مزيد خجلها ، ولأنه صلى الله عليه وسلم ماكان يود أن يشاع عنه اهمامه بمرضاة أزواجه إلى حد امتناعه عن تناول ما أحل الله له .

(فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال نبأنى العليم الخبير) أى فلما أخبر النبى سلى الله عليه وسلم حفصة بما دار بينها و بين عائشة من الحديث ، قالت من أنبأك بهذا ؟ طنًا منها أن عائشة قد فضحها بإخبارها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أخبرنى ربى العلم بالسر والنجوى ، الحبير بما فى الأرض والسماء لا يخفى عليه شيء فيهما .

وفي الآية إيماء إلى أمور اجتماعية هامة :

- (١) أنه لامانع من الإباحة بالأسرار إلى من تركن إليه من زوجة أو صديق .
 - (٧) أنه يجب على من استُكثيم الحديث أن يكتمه .
- (٣) أنه يحسسن التلطف مع الزوجات فى العثب والإعراض عن الاستقصاء فى الذنب .

ثم وجه الخطاب إلى حفصة وعائشة مبالغة في العتب فقال :

(إن تتوبا إلى الله فقد صنت قلوبكا) أى إن تتوبا من ذنبكا و تُقلما عن مخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم فتحبًا ما أحب وتكرها ما كرهه -- فقد مالت قلوبكا إلى الحق والخير، وأديبًا ما بجب عليكا نحوه صلى الله عليه وسلم من إجلال وتكريم لمنصيه الشريف.

روى عن ابن عباس أنه قال: لم أزل حريصا أن أسأل عر رضى الله عنه عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله لها : « إنْ تَتُوبًا إِلَى الله » الآية . حتى حج عمر وحبحبت ممه ، فلما كان ببعض الطريق نزل ليتوضأ فصببت على يديه ، فقلت : يا أمير للؤمنين من المرأنان من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ ﴾ الآية ؟ فقال واعجبا لك يابن عباس هما عائشة وحفصة ، ثم أخذ يسوق الحديث.

ثم ذكر سبحانه أنه حافظه وحارسه فلا يضره أذى مخلوق فقال:

(و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ، وجبريل وصالح للؤمنين ولللائكة بعد ذلك ظهير) أى و إن تتماونا على السل على ما يؤذيه ويسوؤه من الإفراط فى النيّرة و إفشاء سره — فلن يضره ذلك شيئا ، فإن الله ناصره فى أمر دينه وسائر شئونه على كل من يتصدى لما يكرهه ، وجبريل وللؤمنون الصالحون ولللائكة مظاهرون له ومعينون .

وقد أعظم سبحانه شأن نصرة نبيه هلى هانين الضميفتين، للإشارة إلى عظم مكر النساه ، وللمبالغة في قطع أطاعهما بأنه ربما شفع لهما مكانهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحند للؤمنين لأمومتهما لهم ، وكرامة له صلى الله عليه وسلم ورعاية لأبويهما ، ولتوهين أمر تظاهرهما ، ودفع ما عسى أن يتوهمه للنافقون من ضرره في أمر النبوة ، وقهر أعداء الدين ، إذ قد جرت المادة بأن الشئون المنزلية تشفل بال الرجال وتضيع زمنا من تفكيره فيها ، وقد كانوا أحق به في التفكير فيا هو أجدى.

ثم حذرهما بما يلين من قناتهما ، ويخفض من غُلَوائهما ، ويطمئن من كريائهما فقال:

(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكمن مسلمات مؤمنات فانتات تائبات عابدات سائحات ثبيات وأبكارا) أى عسى الله أن يعطيه (صلى الله عليه وسلم) بدلكن أزواجا خيرا منكن إسلاما وإيمانا ، ومواظبة على العبادة ، و إقلاعا عن الذنوب ، وخضوعا لأوامر الرسول ، بعضهن ثيبات ، و بعضهن أبكارا ، إن هو قد طلقكن . والخلاصة — احذرن أيتها الأزواج من إيذاء رسول الله صلّى الله عَليه وسلّم والتألب عليه ، والعمل على ما يسوؤه ، فإنه ربما أُحْرِج صدره فطلقمكن والبدله الله من هو خير منكن في الدين والصلاح والتقوى ، وفي الشئون الزوجية . فأعطاه بعضهن أبكارا و بعضهن ثيبات .

ولا شيء أشد على للرأة من الطلاق . ولا سما إذا استبدل خير منها بها .

روى البخارى عن أنس قال : قال عمر : أجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فى النَّبَرَة عليه ، فقلت : عسى ربه إن طلقـكنَّ أن يبدله أزواجا خيرا منـكنَّ فنزلت هذه الآية .

وروى عن أنس عن حمر قال: بلغنى عن بعض أمهاتنا أمهات الأمنين شدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهن إياه ، فاستقر يتهن امرأة امرأة أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول: إن أبيتن أبدله الله خبرا منكن حتى أثيت على رينب ' فقالت يابن الحطاب: أما فى رسول الله مايمظ نساءه حتى تعظهن أثبت على رينب ' فقالت يابن الحطاب: أما فى رسول الله مايمظ نساءه حتى تعظهن أنت فأسكت ، فأنزل الله: « عَمَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْسَكُنَ أَنْ يُبُدِدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا فِي مِسْكُنَ » الآية .

 نُورُهُمْ يَسْمَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَ غَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغَمْ لَنَا نُورَنَا، وَأَغْفِرْ لَنَا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِ (٨) .

تفسير المفردات

قوا أنفسكم : أى اجعلوا لها وقاية من النار بترك المامى ، وأهليكم : أى بحملهم على ذلك بالنصح والتأدب ، والحود (بفتح الواو) : ما توقد به النار ، والحجارة هى الأصنام التى تعبد لقوله تمالى : « إِنْكُمْ وَمَا تَمْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَمْ مَا ملائكة : هم خزنها التسعة عشر ، غلاظ : أى غلاظ القلوب لا ير حون إذا استر حوا شداد : أى أقو ياء الأبدان ، والتو بة النصوح : هى الندم على ما فات والعزم على عدم العودة إلى مثله فيا هو آت :

المعنى الجملي

بعد أن أمر بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالتوبة عما فرط من الزلات ، وأبان لهم أن الله كالى وسوله وناصره ، فلا يضره تظاهرهن عليه ، ثم حذرهن من التمادى فى مخالفته صلى الله عليه وسلم خوظ من الطلاق وحرمانهم من الشرف المظلم بكونهن أمهات المؤمنين ومن استبدال غيرهن بهن من صالحات المؤمنات ... أمر المؤمنين عامة بوقاية أنفسهم وأهليهم من نار وقودها الناس والحجارة يوم القيامة ، يوم يقال للكافرين : لاتمتذروا فقد فات الأوان ، وإنما تلقون جزاء ما علم فى الدنيا ، ثم أمر للؤمنين أن يقلموا عن زلامهم ، وأن يتوبوا توبة نصوحا ، فيندموا على ما فرط منهم من المقوات ، ويعزموا على عدم المعودة فيا هو آت ، ليكفر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات النعيم .

الإيضاح

(يائيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) أى أيها الذين صدقوا الله ورسوله: ليُمثلِّم بعضا مانتقون به النار وتدفعوهها عنكم، إنه طاعة الله تعالى وامتثال أوامره، ولتملّوا أهليكم من العمل بطاعته ما يقون به أنفسهم منها، واحملوهم على ذلك بالنصح والتأديب.

ونحو الآية قوله تمالى: « وَأَمَرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْفَايِرْ عَلَيْهَا » وقوله : « وَأَنْذِرْ عَشْيَرَتَكَ الْأَقْرَ بِينَ » .

وى أن عمر قال حسين نزلت يا رسول الله : نقى أنفسنا ، فسكيف لنا بأهلينا ؟ فقال عليه الصلاة و السلام « تنهونهن عما نها كم الله عنه ، وتأمرونهن بماأمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهم وبين النار» .

أخرج ابن المنذر والحاكم فى جماعة آخرين عن على كرم الله وجهـــه أنه قال فى الآية : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم .

والمراد بالأهل مايشمل الزوجة والولد والعبد والأمة.

وفى الآية إيماء إلى أنه يجب على الرجل تنمُّ ما يجب من فرائض الدين وتعليمها لهؤلاء ، وجاء فى الحديث: « رحم الله رجلا قال يا أهلاه : صلاتَكم ، صيامكم ، زكاتكم ، مسكينَكم ، يتيمَــكم ، جبرانَـكم ، لعل الله يجمعكم معهم فى الجنة » .

(عليها ملائكة) أى موكَّل بها يلى أمرها وتمذيب أهلها تسعة عشر ملكا هم زبانيتها الذين سيأنى ذكرهم فى سورة المدثر فى قوله تعالى : «سَأَصْلِيهِ سَقَوَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَاسَقَرُ . لاَ ثُبْنِتِي وَلاَ تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِلْبشَرِ . عَلَيْهَا تِيْسَةَ عَشَرَ » .

(غلاظ شداد) أي غلاظ على أهل النار أشداء عليهم .

ثم بين عظيم طاعتهم لربهم فقال:

(لايمصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) أىلايخالفون أمره ، بل يؤدون مايؤمرون به فى وقته بلا تراخ ، فلا يقدمونه عنه ، ولا يؤخرونه .

وقد أفادت الجلة الأولى ننى العناد والاستكبارعمهم فعى كقوله: ﴿ لَا يَسْتَسَكَّمْدُونَ عَنْ عَبَادَتِهِ ﴾ وأفادت الجلة الثانية ننى السكلسل عنهم فهى كقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَسْتَغْسِرُونَ ﴾ .

وخلاصة ذلك -- إنهم يمتثلون الأمر ولا يمتنمون عن تنفيذه ، بل يؤدونه من غير تثاقل ولا توان .

و بعد أن ذكر شدة العذاب فى النار واشتداد الملائكة فى الانتقام من أعداء الله الكافرين — بين أنه يقال للكافرين لاقائدة فى الاعتذار لأنه توبة ، والتوبة غير مقبولة بعد الدخول فى النار فقال :

> ندم البغاةُ ولاتَ ساعةَ مَنْدَم ِ والبغْىُ مَرْقَعُ مبتغيه وخِيمُ ثم بين السبب في عدم فائدة الندم فقال:

(إنما تجزون ما كنتم تعملونُ) أي لأنكم إنما تثابون اليوم وتعطون جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا ، فلا تطلبوا المعاذير منها .

والخلاصة — إن هذه الدار دار جزاء لادار عمل ، وأثم قد دسّيم أنفسكم في الدنيا بالكفر والمعاصي بعد أن نهيتم عنها ، فاجنوا ثمر ماغرستم ، واشر بوا من السكا س التي قد ملاشم .

و بعد أن ذكر أن التوبة في هذا اليوم لا تجدى فعا — نبَّه عباده المؤمنين إلى للهادرة بالتوبة النصوح فقال : (يأيها الذين آمنوا تو بوا إلى الله تو بة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنسكم سيئات كم ويدخل كم جنات تجرى من تحتها الأسهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا ممه) أى أيها الذين صدقوا الله ورسوله : ارجعوا من ذنو بكم إلى طاعة الله وإلى ما يرضيه عنكم ـ رجوعا لاتعودون فيه أبدا ، عسى ربكم أن يمحو سيئات أعمالكم التي سافت منكم ، ويدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار حين لايخزى الله محمدا على الله عليه وسلم والمؤمنين به .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: التو بة النصوح أن يندم العبد على الذنب الله أحرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: الله أحرك الله على الذنب الله أو عن مسعود وأبي بن كسب والحسن وغيره .

وقال الإمام النووى : التو به النصوح ما استجمعت ثلاثة أمور :

- (١) الإقلاع عن المصية .
 - (٢) الندم على فعلها.
- (٣) العزم الجازم على ألا يعود إلى مثليا أبدا .

فإن كانت المصية تتعلق بآدمى وجب رد الظلامة إلى صاحبها أو وارثه ، أوتحصيل البراءة منه .

والخلاصة — إن للمصية إن كانت فى خالص حق الله كنى فيها الندم كما فى الفراد من الزحف وترك الأمر بالمعروف، وإن تعلقت بمقوق العباد لزم مع الندم العزم على إيصال حق العبد أو بدله إليه إن كان الذنب ظلما كما فى النصب والقتل العمد ، والاعتذار إليه إن كان إيذاء كما فى الفيية إذا بلفته ، ولا يلزم تفصيل ما اغتابه به إلا إذا بلغه على وجه أفحش .

وجى، بكلمة (عسى) التي تفيد الطمع في حصول المغو فحسب ، مع أن الله سبحانه وعد بقبول التوبة -- جريا على سنن الملوك في التخاطب ، فإنهم يقولون إذا أرادوا فعلا : عسى أن نفعل كذا ، و إشعارا بأن ذلك تفضل منه سبحانه ، والتو بة غير موجبة له ، وأن العبد ينبغى أن بكون بين خوف ورجاء ، و إن بالغ فى إقامة وظائف العبادة .

ثم بين ما يكون للنبي والذين آمنوا معه من علامات الظفر والفوز بالمطلوب فقال : (نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم) أي نورهم يسعى بين أيديهم حين يمشون و بأيمانهم حين الحساب ، لأمهم يؤتون الكتاب بأيمانهم وفيه نور وخير لهم .

ثم بين مايطلبونه من ربهم فقال :

(يقولون: ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا) أى يسألون ربهم أن يبقى لهم نورهم فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، حين يقول لهم المنافقون وللنافقات: انظرونا فقتبس من نوركم، وقد تقدم نحو هذا في سورة الحديد، ويطلبون أيضاً منه أن يستر عليهم ذنوبهم، ولا يفضحهم بعقوبتهم عليها حين الحساب.

ثم ذكروا مايطمهم في إجابة الدعاء فقالوا :

(إنك على كل شيء قدير) أي إنك على إتمـــام نورنا ، وغفران ذنو بنا ، وكل مانوجو منك ونطمع — قدير يار بنا . فاللهم أجب دعاءنا ، ولا تحيب رجاءنا .

وقد روى أن أدناهم منزلة من يكون نوره بقدر ماييمسر موطى ٌ قدمه ، لأن النور على قدر السل .

وروى أن السابقين إلى الجنة يمرون على الصراط مثل البرق ، ويمر بعضهم كالريح ، وبعضهم يحبو حبواً أو يزحف زحفا ، وهم الذين يقولون : «رَبَّنَا أُتَّيمُ لَنَا نُورَنَا » .

ياً مَهُا النَّيُّ جَاهِدِ الكُفاَرَ وَالْنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْ وَاهُمْ جَمَّمُ مُ

تفسير المفردات

الجهاد تارة يكون بالسيف وأخرى بالحجة والبرهان ، واغلظ عليهم : أى شدّ د ، والمجاد تاكون المجاد والإقامة .

المعنى الجملي

بمدأن أمر سبحانه المؤمنين بالتو بة النصوح والرجوع إلى الله والإخبات له . أمر رسوله بقتال الكفار الذين يقفون فى سبيل الدعوة إلى الإيمان بالله ، و بوعيد المنافقين والنلظة عليهم حتى ينو بوا إلى رشدهم ، وذكر أن جزاءهم فى الآخرة جهم و بئس المقبل والمأوى .

الإيضاح

(يأيها النبي جاهد الكفار وللنافقين واغلظ عليهم) أى جاهد الكفار بالسيف ، وفاتلهم قتالا لاهوادة فيه ، وجاهسد المنافقين بالإنذار والوعيد و بيان سوء المنقلب ، وعنفهم بفضيحة عاجلة تبين قبح طواياهم وخيث نفوسهم ، كا حدث منه صلى الله عليه وسلم في المسجد الجامع لبعض المنافقين على ملاً من الناس فقال : اخرج يافلان ، اخرج يافلان ، اخرج يافلان ، اخرج عافلان ، اخرج

ثم بين سوء عاقبتهم فقال :

(ومأواهم جهنم وبئس المصدر) أى وسيكون مسكنهم جهنم وبئس المثوى والقيل.

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْمُرَأَةَ نُوحٍ وَالْمُرَأَةَ لُوطٍ كَا تَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَغَا تَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِياً عَنْهُمَا مِنَ ٱللهِ شَبْئًا وَقِيلَ أَدْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَّبِ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرُأَةً فَرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبَّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ مَيْتًا فِي الجُنْةَ وَنَجَّنِي مِنْ فَرْعَوْنَ وَمَمْلَهِ وَنَجَّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ مِمْرَانَ الّي فَرْعَوْنَ وَمَدَّنَ فَرْجَا أَبْنَةَ مِمْرَانَ الّي أَحْصَلَتْ فَرْجَا فَنَفَضْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبَّهَا وَكُثْبُهِ وَكَالَتْ مِنَ الْقَانِينِ (١٢).

تفسير المفردات

ضرب المثل : ذكر حال غريبة لتمرف بها حال أخري تشاكلها في الغرابة : تحت عبدين : أي في عصمتهما ، فخانتاها : أي نافقتا فأخفتا الكفر وأظهرتا الإيمان ، وكانت امرأة نوح تقول لقومه : إنه مجنون ، وامرأة لوط تدل قومه على نزول أضيافه عليه ، فلم يغنيا عنهما : أى لم يفيداها ولم يجز يا عنهما من الله شيئا ، امرأة فرعون : على ماقيل هي آسية بنت مزاحم ، نجني من فرعون وعمله : أي خلصني منه فإني أبرأ إليك منه ومن عمله ، والقوم الظالمون : هم الوننيون أقباط مصر ، وأحصنت فرجها : أي حنظته وصانته ، والفرج : شق جيب الدرع (القميص) إذ الفرج لفة كل فرجة بين الشيئين ، وبراد بذلك عقبها ، وكمات ربها : أي شرائهه وكتبه التي أنزلها على رسله ، والقاندين : أي العالمين المخيين قه المنتاين أوامره .

المعنى الجملي

بعد أن أمر عباده المؤمنين بالتو بة النصوح بالندم على ما فات ، وعدم العودة فيا هو آت ، وأمر رسوله بجهاد الكافرين وللنافقين والشلظة لهم فى القول والعمل . ذكر هنا أن النفوس إن لم تـكن مستمدة لقبول الإيمـان ، وفى جوهرها صفاء وثقاء

114

فلاتجدى فيها العظة والعبرة ، ولا مخالطة للؤمنين المتقين ، وضرب لذلك المثل بامرأة نوح وامرأة لوط فقد كانتا في بيت النبوة ولم يلن قلبهما للإيمان والإسلام .

كذلك إذا كان جوهر النفس نقيا خالصا من كدورة الكفر والنفاق فبجاورم، المكفرة وعشرتها إباهم لاتفير من حالها شيئا ، ولا يؤثر فيها ضلال الضالين ولا عتو الظالمين ، وضرب لذلك مثل امرأة فرعون التي ألحف عليها فرعون وقومه أن تمتنق الوثفية التي كانوا يدينون بها ، وتستقد ألوهيته هو فأبت وجاهدت في الله حق جهاده ، حتى لاقت ربها وهي آمنة مطمئنة قريرة العين عا دخل في قلبها من نور الإعمان ، وكذلك مريم ابنة عمران التي عمّت فأتاها الله الشرف والكرامة ، وأنجبت نبى الله عيسى ، وصدفت بجميم شرائعه وكتبه وكانت من العابدين القانتين .

وفى هذا المثل إيماء إلى أن قرابة المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم لا تجديهم نعما بعد كفرهم وعداوتهم له وللمؤمنين ، فإن السكفر قد قطع العلائق بينه و بينهم وجعلهم كالأجانب ، بل أبعد منهم كال امرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاها ، كا تضمن التعريض بأمى المؤمنسين حفصة وعائشة لمسا فرط منهما ، والتحذير لها على أغلظ وجه وأشده .

الإيضاح

(ضرب الله مثلا الذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبدنا صالحين فضائتاهما فلم يغنيا عبها من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين أى ضرب الله مثلا يبين به حال الكافرين الذين لم ينتفعوا بعظات المؤمنين الصادقين من النبين والمرسلين لظلمة قلوبهم وسوء استعدادهم وفساد فطرتهم المرأة نوح وامرأة لوط إذ كانتا في عصمة نبيين يمكنهما أن ينتفعا بهديهما و يحصلا ما فيه سعادتهما معاشهما ومعادهما ، لكنهما أبتا ذلك وعملتا ما يدل على الخيانة والكفر ، فاتهمت الأولى زوجها بالجنون ، وكانت الثانية ترشد قوم لوط إلى ضيوفه لمارب خبيئة

فلم يدفع عنهما قربهما من ذينــك العبدين الصالحين شيئا ، وحاق بهما سوء ما عملتا ، وسيحل بهما عقاب الله ، وسيدخلان النار فى زمرة داخليها جزاء وفاقا لمــا اجترحتا من السيئات ، ومادستا به أنفسهما من كبير الآثام ، وعظيم للماصى .

وفى هذا تعريض بأمهات المؤمنين ، وتخويف لهَنَّ بأنه لا يفيدهنَّ — إن أتين بمصية — اتصالهنَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وكونهنَّ في عصمته .

و بعد أن ضرب مثلا يبين به أن وصلة الكافرين بالمؤمنين لا تفيدهم شيئا . أرشد إلى عكس هذا ، فأفاد أن اتصال المؤمنين بالكافرين لايضرهم شيئا فقال :

(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجى من فرعون وعمدله ونجى من القوم الظالمين) أى وجعل الله حال امرأة فرعون مثلا يبين به أن وصلة للؤمنين بالكافرين لا تضرهم شيئا إذا كانت النفوس خالصة من الأكدار ، فقد كانت تحت أعدى أعداء الله فى الدنيا ، وطلبت النجاة منه ومن عمله ، وقالت فى دعائها : رب اجعلى قريبا من رحمتك : وابن لى يبتا فى الجنه ، وخلصنى من أعمال فرعون الخبيئة ، وأنقذى من قومه الظالمين .

وفی هذا دلیل علی أنها كانت مؤمنة مصدقة بالبعث ، ومن سنن الله أن لا تزر وازرة وزرأخری ، وأن لكل نفس ما كسبت ، وعليها ماا كتسبت .

(ومريم ابنة عران التي أحصنت فرجها فنفضا فيه من روحنا وصدقت بكلات ربها وكتبه وكانت من القانتين) أى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حال مريم ، وما أوتيت من كرامة الدنيا وكرامة الآخرة ، فاصطفاها ربها مع أن أكثر قومها كانوا كفارا ، من قبل أنها منصت جيب درعها جبريل عليه السلام وقالت له : لا إني أعُوذُ بالرَّحْنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَعَيَّا » فانبت بذلك عنها وكال طهارها ، فنفخ جبريل فيمه فحلت بنبي الله وكلته عيسى صلوات الله عليه ، وصدفت بشرائع الله وكته التي أنزلها على أنبيائه ، وكانت في عداد القانتين العابدين الحبتين لربهم للطمعين له .

روى أحمد فى مسنده: « سيدة نساء أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة » وفى الصحيح « كُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويك، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطمام ».

و إنما فضل التريد لأنه مع اللحم غذاء جامع بين اللذة وسهولة التناول وقلة المثونة فى المضغ وسرعة المرور فى المرىء ، فضر به مثلا المؤذن بأنها رضى الله عنها أعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق ، وفصاحة الكلام ، وجودة القريحة ، ورزانة الرأى ، ورصانة المقل ، والتحبب البعل ، وبحسبك أنها عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مالم يمقل غيرها من الفساء ، وروت مالم يرو مثله الرجال .

ما تضمنته هذه السورة

اشتمات هذه السورة على شيئين :

(١) أخبار نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وحافه صلى الله عليه وسلم ألا يشرب العسل إرضاء لبعضهن ، وإطلاع الله له على ما أفشدين من سري أمر من بكتمه ، من أول السورة إلى قوله : ٥ وَمَأُواهُمْ جَمَةُمْ وَيَثْسَ الصَيرِرُ » .

(٢) ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمين .

وكان الفراغ من مسودة هذا الجزء بمحلوان من أرباض القاهرة كورة الديار المصرية فى العشرين من شهر رمضان العظم من سنة خمس وستين وثثيائة بعد الألف من الهجرة .

فيرسين معرين

أهم المباحث العامة التي في هذا الجزء

البح

السامحة

- ماقالته خولة بنت ثعلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها.
 - ٧ أحكام الظهار والمقوبات التي شرعت لذلك .
 - من يشاق الله ورسوله بلحقه الخزى و الهوان .
 - ١١ لايتناجي ثلاثة إلا والله رابسهم ولا خمسة إلا والله سادسهم .
 - ١٢ كان اليهود يحيون الرسول بغير تحية الله استهزاء به .
 - 1٤ نهي المؤمنين عما سيكون سببا للتباغض من التناجي بالعدوان.
- ١٦ كان الصحابة يتنافسون فى الترب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم السباع حديثه .
 - 14 أمر المؤمنين بتقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحديث معه .
 - كان قوم من المنافقين يوادّون اليهود ويطلعونهم على أسرار المؤمنين .
 - ٧٥ المنافقون شاقوا الله ورسوله فكتب عليهم الللة في الدنيا والآخرة . .
 - ٧٧ لايجتمع إيمان مع موادّة أعداء الله .
 - ٨٨ اللهم لانجمل لفاجر ولا لفاشَّ على يدا ولا نممة فيوده قلبي .
 - ٣٢ نقض اليهود للعهد و إجلاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهم إلى بلاد الشام .
 - ٣٤ قذف الله الرعب في قاوب اليهود فلم يجدوا للمقاومة سبيلا .
 - ٣٧ حكم ما أخذ من أموال اليهود .

المحث

المقعة

٣٩ ما آتا كم الرسول فخذوه وما نها كم عنه فانتهوا .

٤١ مدح الأنصار.

٤٤ « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

٤٧ مناصحة المنافقين كعبد الله بن أبيٌّ ورفقته لليهود.

٤٩ نكوس المنافقين في عهودهم لليهود .

٥٣ نصح المؤمنين بازوم التقوى والعمل بما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم .

٥٤ من مواعظ أبى بكر رضى الله تعالى عنه .

٥٦ القرآن الحريم مرشد وهاد .

٦١ مافعله حاطب بن أبي بلتمة من نصيحته المشركين .

٦٣ ذكر الموانع التي تمنع من مناصحة المشركين.

٦٥ أمر الصحابة بأن يتأسُّوا بإبراهم عليه السلام وأصحابه .

٦٦ كان بعض المؤمنين يدعون لآبائهم الذين ماثوا على الكفر فهوا عن ذلك .

٦٩ وعد المؤمنين بأنه سيفير من طباع المشركين ويفرس في قلوبهم محبة الإسلام.

٧١ الكافرون الماندون أقسام ثلاثة .

٧٣ كتاب الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين عام الحديبية .

٧٥ مباينه المؤمنات المهاجرات للنبي • ل الله عليه وسلم .

٧٧ كان بعض فقراء المؤمنين يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ليصيبوا من ثمارهم .

٨٠ أحب الأعمال إلى الله إيمان به ، وجهاد لأهل معصيته .

٨١ أمر المؤمنين بالقتال صفا صفا كا نهم بنيان مرصوص .

٨٤ ماجاء في التوراة والإنجيل من البشارة بمحمد عليه الصلاة والسلام.

الم

٨٧ الصادّ عن دعوة الدين كمن يريد إطفاء نور الشمس.

٨٨ فرح اليهود ببطء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم.

٨٩ الإيمان بالله والجياد بالنفس تجارة رابحة .

۹۰ الجهاد على ضروب .

٩١ - رُفعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من الأرض في زمن وجيز .

٩٤ الحكة في إرسال الرسول عربيا إلى العرب.

٩٩ « لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من فارس » .

٩٧ النعي على المشركين كأنهم لم يفهموا التوراة .

وه آنة الباهلة .

١٠١ نھي المؤمنين عن تشاغلهم عن عظات النبي صلى الله عليه وسلم .

١٠٢ أمر المؤمنين أن يأتوا إلى الصلاة وعليهم السكينة .

١٠٢ مراقبة الله تنيل الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة .

١٠٦ وصف الله سبحانه المنافقين بأقبح الصفات.

١٠٧ كانت عُدّة المنافقين الأيمان الكاذبة .

١٠٨ وصف المنافقين محسن المنظر وقبح المُخَبّر.

١١٠ ذكر الأدلة على نفاق المنافقين .

١١٣ مافعله عبد الله بن عبد الله بن أبي النافق .

١١٥ نهي المؤمنين عن تشاغلهم بالدنيا .

١١٩ الإنسان يضم روحا من عالم الأرواح وبدنا من عالم الأشباح .

١٢١ تحذير المشركين من تماديهم في الجحود و إنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

: الل

١٧٣ إقامة الأدلة على أن البعث حق لاشك فيه .

١٣٦ مايصيب الإنسان من خير وشر فيو بقضاء الله وقدره .

١٢٧ على للؤمن واجبان : السعى في جلب الخير ودفع الضر ، ثم التوكل على الله .

١٢٨ من الأولاد والزوجات أعداء للا نسان يثبطونهم عن الطاعة .

١٣٠ في الحديث « إن لكل أمة فتنة و إن فتنة أمتى المال » .

١٣١ من يقرض غير ظلوم ولاعديم ؟ الحديث .

١٣٤ الأمر بالطلاق في الطهر الذي يحسب للمرأة .

١٣٥ الطلاق أقسام ثلاثة.

١٣٦ أمر المطلقة بالمكث في البيت إلا أن تأتى بفاحشة مبينة .

١٣٧ ه إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق » الحديث.

١٤١ قصص عوف بن مالك الأشجى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٢ عدَّة الصغار اللاتى لم يحضن والمكبار اللائمي يئسن من الحيض.

١٤٣ عدة الحامل وضع الحل ولو بعد ساعة .

١٤٥ مايجب للمعتدة من النفقة والسكني على مقدار الطاقة .

١٤٦ نفقة الحوامل.

١٤٧ القدر الواجب في النفقة .

١٤٩ لا تحل المطلقة لزوج آخر إلا بعد انقضاء عدَّتها .

١٥٢ ماتضمنته سورة الطلاق من الأحكام الشرعية والشئون الدينية .

١٥٦ في الحديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل » .

١٥٧ أسرَّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى حفصة حديثًا فأخبرت به عائشة .

المحث

الصفحة

١٥٨ لاحرج في الإباحة بالسر إلى من تركن إليه من زوجة أوصديق .

١٦٠ تحذير أمهات المؤمنين من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٣ الآخرة دار جزاء لادار عمل.

١٦٤ شروط التوبة النصوح .

١٦٦ الأمر بقتال المشركين الذين يقفون في سبيل الدعوة إلى الإيمان.

١٦٧ النفوس إن لم يكن في جوهرها صفاء لاتنفع فيها السظة .

١٦٩ ضرب المثل بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران .

١٧٠ في الحديث ﴿ كُلُّ مِن الرجال كثير ولم يكل من النساء إلا أربع ٩

تفييني الراعي

تأكيف

صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

احمصطفالهاغي

أستنا ذالشربعية الإسلامية واللغة العربية بحلية دا رالعب ومسابقا

الجزرالتاسع والعشون

دَاراجِيا والنرا<u>ث ا</u>لعَربيْ ب_{يَر}ونت

الجزء التأسع والعشرون

سورة اكلك

هى مكية ، وآيها ثلاثون ، نزلت بمد سورة الطور.

ومناسبتها لما قبلها — أنه لما ضرب مثلا للكفار بتينك للرأتين اللتين قدر لهما الشقاء و إن كانتا تحت عبدين صالحين ، ومثلا المؤمنين بآسية ومريم وقد كتب لهما السمادة و إن كان أكثر قومهما كفارا — افتتح هذه السورة بما يدل على إحاطة علمه عز وحل وقهره وتصرفه في ملكه على ماسبق به قضاؤه .

بسيماللِّ إلرِحْنِ الرَّحِيمُ

تَبَارِكَ الَّذِي يِيَدِهِ الْمُلْثُ وَهُو َ كَلَّ ثَنَىٰهُ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيْرُ الْمُقَوْرُ (٢) اللهِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيْاةَ لِيَبْلُوكُمُ أَنْتُكُمْ أَحْسَنُ مَمَلاً وَهُوَ الْمَزِيزُ الْمُقُورُ (٢) اللّذِي خَلَقِ الرَّحْمَ مِنْ تَفَاوُتٍ اللّذِي خَلَقِ الرَّحْمَ مِنْ تَفَاوُتٍ فَلُورِ (٣) ثُمَّ أَرْجِع لِلْبَصَرَ كَلَّ تَبْقُ

يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ أَلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيْنًا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَمَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥).

شرح المفردات

البركة: الزيادة حسية كانت أو عقلية ، خلق: أى قدر ، ليباوكم : أى ليختبركم والمراد ليعاملكم معاملة المختبر لأعمالكم ، أحسن عملا: أى أخلصه لله ، العزيز: أى الغالب الذى لا يعجزه عقاب من أساه ، الغفور: أى كثير المغفرة والستر للدنوب عباده ، طباقا: أى طبقة بعد طبقة ، تفاوت : أى اختلاف وعدم تناسب ، والفطور: الشقوق ، واحدها قطر ، يقال فطره فانفطر ، كرتين : أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل ، والمراد بذلك التكرير والتكثير : أى رجعة بعد رجعة ، ينقلب : أى يرجع ، خاسئا: أى صاغرا ذليلا مبتدا لم ير مايهوى من الخلل ، حسير : أى كليل منقطع لم يدرك ماطلب ، والحاسر : المدياً لنفاد قواه ، والمصابيح : واحدها مصباح وهو مايرجم السراج ؛ والمراد بها الكواكب ، والرجوم : واحدها رجم (بالفقح) وهو مايرجم و يرمى به ، والشاطين : هم شياطين الإنس والجن ، وأعتدنا : أى هبأنا ، عذاب السرر : أى عذاب النار السقرة الموقدة .

المعنى الجملي

بحد الله نصه وأخبر أن بيده الملك والتصرف فى جميع الخاوقات بما يشا. لامعقب لحكه ، ولا يسأل عما يفعل ، المهره وحكته وعدله ، وهو القدير على كل شى. ، ؛ ثم أخبر بأنه قدر الموت والحياة ليبلوكم فينظر من منكم أخلص له عملا، وهو ذو العرة الغالب على أمره ، النفور لمن أذنب ثم تاب وأقلع عنه ، ثم أردف ذلك بأنه خلق سبع محوات بعضها فوق بعض لاخلل فيها ولا عيب ، فانظر أيها الرائي أترى فيها شقا أو عيبا؟ ثم أعد النظر وحدق بالبصر، انستيقن تمام تناسبها واستواء خلقها ، وقد زينًا أقرب السموات إليكم بكوا كب يهتدى بها السارى، ويعلم بها عدد السنين والحساب ، وعليها تتوقف حياة الحيوان والنبات ، وهى أيضا سبب الأرزاق المهيجة لشهوات شياطين الإنس والجن ، وهؤلاء قد استمدوا شيطنتهم من مظاهم الطبيعة بوساطة الحرارة والضوء من الكواكب، وبذا أعد لهم عذاب السعير جزاء ما اقترفوا في حياتهم الدنيا .

الإيضاح

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) أى تعالى ربنا الذي بيده ملك الدنيا والآخرة ، فهو يعز من يشاء و يذل من يشاء ، و يرفع أقواما و يخفض آخرين ، وهو على مايشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه مانع ، ولا يحول بينه و بين مايريد عجز ، فله التصرف التام فى الموجودات على مقتضى إرادته ومشيئته بلا متازع ولا مدافع .

والخلاصة — تماظم عن صفات المخلوقين من بيده الملك والتصرف فى كل شىء، وهو قدير يتصرف فى ملكه كيف يربد من إنعام وانتقام ، ورفع ووضع، و إعطاء ومنع .

ثم شرح يفصل بعض أحكام الملك وآثار القدرة، ويبين ابتناءها على الحمكم وللصالح، وأنهما يستنبعان غايات جليلة فقال :

(الذي خلق الموت والحياة) أي الذي قدر الموت وقدر الحياة وجعل لكل منهما مواقيت لا يعلمها إلا هو .

(ليباوكم أيكم أحسن عملا) أى ليعاملكم ، ماملة من يُختبر حاله ، وينظر أيكم أخلص فى عمله ، فيجازيكم بذلك بحسب تفاوت مراتبكم وأعمالكم ، سواء أكانت أعمال القلب أمكانت أعمال الجوارح . وقد روى فى تفسير الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيكم أحسن عقلا ، وأورع عن محارم الله ، وأسرع فى طاعته عز وجل » يعنى أيكم أتم فهماً لما يصدر عن حضرة القدس ، وأكل ضبطا لما يؤخذ من خطابه ، وأيكم أبسد عن ملابسة الكبائر، وأسرع فى إجابة داعى الله .

وفيه ترغيب في الطاعات وزجر عن المعاصىكا لايخفي على ذوى الألباب .

(وهو العزيز الففور) أى وهو القوى الشديد الانتقام ثمن عصاه وخالف أمره، الغفور لذنوب من أناب إليه وأقلم عنها .

وقد قرن سبحانه الترهيب بالترغيب في مواضع كثيرة من كتابه كقوله تعالى : ﴿ نَهُمْ عِبَادِي أَنِّى أَنَا الْفَقُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْفَذَابُ الْأَلْبُمُ » .

و إثبات العزة والنفران له يتضمن كونه قادرا على كل المقدورات ، عالما بكل المعلومات ، ليجازى المحسن والمسىء بالثواب والمقاب ، ويعلم المطيع من العاصى ، فلا يقع خطأ فى إيصال الحق إلى من يستحقه ، ثوابا كان أو عقابا .

ثم ذكر دلائل قدرته فقال :

(الذي خلق سبع سموات طباقا) أى هو الذي أوجد سبع سموات بعضها فوق بعض فى جو الهواء بلا عماد ، ولا رابط ير بطها مع اختصاص كل منها بحيز معين ونظم 'نابتة لاتتغير ؛ بل بنظام الجاذبية البديع بين أجرام الأرضين والسموات ، كا جاء فى قوله : « الله الذي رَفَحَ السَّمَوَاتِ بِنَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَحَّرَ الشَّمْنَ وَالْفَمَرُ كُنْ يَجْرِى لِأَجَلِ مُسْتَى ، .

ثم ذكر دلائل العلم فقال :

(ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور) أى لاترى أيها الرأئ تفاوتا وعدم تناسب ، فلا يتجاوز شىء منه الحد الذى يجب له زيادة أو نقصا على نحو ماقيل : تناسبت الأعضاء فيه فلا ترى بهن اختلافا بل أنيَّن على قَدْر فإن كنت فى ريب من هذا فارجع البصر حتى تتضح لك الحال ، ولا يبقى لك شبهة فى تحقق ذلك التناسب والسلامة من الاختلاف والشقوق بينها ·

و إنما قال: (في خلق الرحمن من تناوت) دون أن يقول: (نيها) تنظيما خلقهن "، وتنبيها إلى سبب سلامتهن " من التناوت بأنهن " من خلق الرحمن ، وأنه خلقهن " بباهم قدرته وواسع رحمته تفضلا منه و إحسانا ، وأن هـ ذه الرحمة عامة في هذه الموالم جميعا .

ثم أمره بتكو ير البصر فى خلق الرحن على سبيل التصفح والتنبع، هل يجد فيه عيبا وخللا فقال :

(ثم ارجع البصر كرنين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير) أى إنك إذا كررت النظر لم يرجع إليك البصر بما طلبته من وجود الخلل والعيب ، بل يرجع إليك صاغرا ذليلا لم ير مايهوى منهما ، حتى كأنه طرد وهو كليل من طول اللماودة وكثرة المراجمة .

والمراد بقوله ﴿ كُرتين ﴾ التكثير كقوله :

لوعُدَّ قبر وقبر كان أكرمهم بيتًا وأبعدهم من منزل النَّام

و بعد أن بين خلوً السموات مر السيب ذكر أنها الفاية في الحسن والبهاء فقال:

(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابح) أى ولقد زينا السماء القربى من الأرض وهى التى يراها الناس بكواكب مضيئة بالليل كما يزيّن الناس منازلهم ومساجدهم بالشُرُج، ولكن أتى لسرج الدنيا أن تكون كسرج الله ؟

والخلاصة -- أن نظام السموات لاخلل فيه ، بل هو أعظم من ذلك ، فقد زينت سماؤه القريبة منا بمصابيح ، هي مهجة للناظرين ، وعبرة للمعتبرين . (وجعلناها رجوما الشياطين) أى وهذه الكواكب لا تقف عند حد الزينة في بضوئها يكون ما في الأرض: من رزق وحياة وموت ، بحسب الناموس الذي سنناه ، والتدر الذي أمضيناه ، ويكون في العالم الإنساني وعالم الجن نفوس تتقاذفها الأهواه ، وتتجاذبها اللذات والشهوات التي تنجم من العناصر المتفاعلة بسبب الأضواء المشهّة النازلة من عالم الكواكب المشرقة في الساه .

وقصارى القول ــ إن هذه الكواكب كاهى زينة الدنيا ، وأسباب لرزق ذوى الصلاح من الأنبياء والمماء والحكاء ، هى أيضا سبب لتكون الأرزاق المهيجة لشهوات شياطين الإنس والجن ؛ فهذا العالم قد اختلط فيه الفر بالنفع ، وأعطى لكل ما استعد له ؛ فالنفوس الفاضلة ، والنفوس الشريرة ، استمدت من هذه المادة المسخرة المقهورة ، فصارت سببا لتواب النفوس الطيبة ، وهذاب النفوس الخبيئة ، وصار لهم فيها رجوم وظنون ، إذ هم قد استمدوا شيطنتهم من مظاهر الطبيمة الماشئة من الحوارة والضوء .

ويرى بعض الفسرين أن للراد أن المصابيح التى زيّن الله بها السهاء الدنيا لا تزول عن مكانها ولا يرجم بها ، بل ينفصــل من الكوكب شهاب يقتل الجنيّ أويّغَبُّــله .

قال قنادة : خلق الله النجوم لئلاث : زينة للسياء ، ورجوم للشياطين ، وعلامات يهتدى بها فى البر والبحر ، فمن تكلم فيها بنير ذلك فقد تكلم فيا لايمل ، وتعدى وظلم .

(وأعتدنا لهم عذاب السمير) أى وهيأنا لهؤلاء الشياطين فى الآخرة عذاب النار الموقدة كفاه ما أكلسبوا من اللذات ، وانجذبوا إليه من الشهوات ، وغفلوا عن جمال هذه الموالم التى لم يعرفوا منها إلا شهواتهم، أما عقولهم فقد احتجب عنها. والخلاصة - إن السهاء قدأضاءت على البر والفاجر ، فالفتحار حصروا أشسهم في شهواتهم ، فلم ينظروا إليها نظر فكر وعقل، بل نظروا إليها باعتبار أن بها تقوم

حياتهم ، وهؤلاء أعتدنا لهم عذاب السعير فى الآخرة ، لأن هذا يشاكل حالهم فى الدنيا ، إذ هم فيها قد حبسوا أنفسهم فى نيران البخل والحقد والطمع ، فتحولت إلى نار مبصرة يرون عذابها فى الآخرة .

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بِنْسَ المَصِيرُ (١) إِذَا أَلْتُوا فِيهَا سَمِمُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِي تَقُورُ (٧) تَكَادُ ثَمَيَّرُ مِنَ الْنَيْظِ كُلَّمَا أَلْنِي فِيهَا مَوْجُ سَأَلَهُمْ خَرَتَهُما أَلَمْ بَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) فَالُوا بَلَى قَدْجَاءَا نَذِيرٌ فَيها فَوْجُ سَأَلَهُمْ خَرَتَهُما أَلَمْ بَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) فَالُوا بَلَى قَدْجَاءَا نَذِيرٌ فَعَلَى اللهِ فَي صَلَالَ كَيْدٍ (٩) فَاغْتَرَفُوا وَقَالُوا : لَوْهُ مِنْ شَفَاء إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي صَلَالَ كَيْدٍ (٩) فَاغْتَرَفُوا بِذَنْهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْعَابِ السَّعِيدِ (١٠) فَاغْتَرَفُوا بِذَنْهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْعَابِ السَّعِيدِ (١١) .

شرح المفردات

ألقوا فيها: أى طرحوا فيها كما يطرح الحطب فى النار ، والشهيق: تنفس كتنفس المتفيظ قاله المبرَّد ، تفور: أى تغلى بهم كفلى المرجل قاله ابن عباس ، وقال الليث: كل شى جاش فقد فار كفور القدر والماء من الدين ، تميز: أى ينفصل بعضها من بعض ، والنيظ: شدة الفضب قاله الراغب ، فوج: أى جاعة ، خزتها: واحدها خازن ، وهم مالك وأعوانه ، نذير: أى رسول ينذركم بأس الله وشديد عقابه ، إن أتم : أى ما أتم ، ضلال كبير: أى ضلال بعيد عن الحق والصواب ، فسحقا لهم : أى فهدًا لهم من رحة ربهم .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أن شياطين الإنس والجن قد أعدّ لهم عذاب السعير ، أروف ذلك ببيان أن هذه النار قد أعدها لكل جاحد بوحدانيته ، مكذب برسله ، منكر للبعث والبوم الآخر ، ثم وصف هذه النار بأوصاف تشيب من هولها الولدان ، وتصطك لسياعها الأسنان ، منها :

- (١) أنه يسمع لها شهيق حين يلقي الكافرون فيها .
- (٢) أنها تفور بهم كما يفور مافى الرُّ جل حين يفلى .
- (٣) أنها تكون شديدة الفيظ والحنق على من فيها .
- (٤) أن خزنتها يسألون داخليها : ألم تأتكم الرسل نتبمدكم عن هذا المذاب ؟
- أن أهلها يمتزفون بأن الله ماعذبهم ظلما، بل قد جاءهم الرسل فكذبوهم
 وقالوا لهم : أنتر في ضلال بعيد .
 - (٦) دعاء الملائكة عليهم بالبعد من رحمة الله وألطافه ، وكرمه و إحسانه .

الايضاح

(وللذين كنروا بربهم عذاب جهنم و بئس المصير) أى قد سبق قضاؤنا ، وجرت منتنا أن من أشرك بنا ، وكذب رسلنا ، فقد استحق عذاب جهنم ، و بئس المما ل والمنقل .

نم ذكر فظائع أحوال هذه النار فقال :

(إذا ألقوا فيها محموا لها شهيقا وهى تفور) أى إذا طرح المجرمون فيها محموا لهــا صياحا وصوتا كصوت المتنبظ من شدة الفضب ، وهى تفــلى بهم كغلى المرشكل بمــا فيه :

(تكاد تميز من النيظ) يقال فلان يتميز غيظا ، ويتمصف غيظا وغضبا

فطارت منه شعلة فى الأرض وشعلة فى الساء ، إذا وصفوه بالإفراط فى النضب . من قِبَل أن النفب إلى النفب أعلى النفل الن

ثم بين سبحانه عدله فى خلقه وأنه لايمذب أحدا إلا بعد قيام الحجة و إرسال الرسول إليه نقال:

(كلما ألتى فيها نوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟) أى كلما طرح فى جهنم جماعة من الكفار سألهم مالك وأعوانه من الزبانية سؤال تقريع وتوبيخ : همل أتشكر رسل من ربكم تنذركم شديد بأسه ، وعظيم عقابه لمن عصاه وخالف أمره .

ونحو الآية قوله تمالى : « وَمَا كُنَّا مُمَدًّ بينَ حَتَّى نَبْقَتَ رَسُولًا » .

حينئذ يجيبهم هؤلاء مع التحسر على مافات والندم على ماكان .

(قالوا بلى قد جاء نا نذبر فكذبنا وقلنا مانول الله من شئ إن أنتم إلا فى ضلال كبير) أى بلى جاء نا الرسول وأنذرنا فكذبناه وقلنا له : إن الله لم يوح إليك بشئ ولم يبعثك رسولا ، وما أنت إلا بشر مثلنا ، فما أنت فيا تدَّعى إلا مجانف للحق ، بعيد عن جادة الصدق .

ونحو الآبة قوله تعالى : «حَقَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتِيَعَتْ أَبُوّا بُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَمَّ تِأْنِيكُمْ رُسُلُ مِنْكُمُ بِيَّلُونَ عَلَيْكُمُ آ بَاتِ رَبَّكُمُ وَيُنْذِرُونَكُمُ لِيَاءً يَوْمِيكُ هَذَا ؟ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كُلِهُ أَلْتَذَاب عَلَى الْكَافِر بِنَ » .

ثم عادوا على أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لاينفع الندم فقالوا :

(وقالوا: لو كنا نسم أونعقل ما كنا في أسحاب السير) أى وقالوا: لو كانت لنا عقول ننتفع بها ، أوآذان تسمع ما أنزل الله من الحق ، ما كنا على ما نحن عليه من الكفر بالله ، والاغترار باللذات التي كنا منهمكين بها في دنيانا ، فبؤنا بسخط ربنا وغضيه ، وحل بنا عقابه الألم . وقد نفوا عن أنفسهم الساع والعقل ، تنزيلا لما عندهم منهما منزلة المدم ، حين لم ينتخموا بهما .

ُ وقُصاری ماسلف - إنهم قالوا : لو كنا سممنا كلام النذير وقبلناه ، اعتماداً على مالاح مرخ صدقه ، وفكرنا فيه تفكير المستبصر ، وعملنا به ما كنا في زمرة للمدّ بين .

ولسكن هيهات هيهات ، فلا يجدى الاعتراف بالدنب ، ولا يفيد الندم ، فقد فات أوانه ، وسبق ماحُمُّ به القضاء .

صاح هل رَيْتَ أُو سُمت براع ردّ فىالضَّرْع ماقرى فى الحِلاَب ومن ثم أحل بهم سبحانه نقمته فقال :

(فاعترفوا بذنهم فسحقاً لأصحاب السعير) أى فاعترفوا بمــاكان منهم من نكذيب الرسل، وأتى يفيدهم ذلك؟ فبمدًا لهم من رحمتى ، جمعدوا أو اعترفوا ، فهو ليس بمغنزٍ هنهم شيئا ، فقد وقعت الواقعة ، وحل بهم من بأسى ما ليس له من دافع .

روى أحمد عن أبى البحترى الطائى قال : أخبرنى من سممه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يهلك الناس حتى يُمذِّروا من أنفسهم » ، وجاء في حديث آخر : « لايدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة » .

إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبِّهُمْ بِالْمَيْفِ لَهُمْ مَنْفِرَةٌ وَأَجْرُ كَبِيرٌ (١٧) وَأَسِرُّوا فَوْلَكُمْ أَو اَجْرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّــدُورِ (١٣) أَلاَ بَشَمَّمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَيْرِدُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً ، فَامْشُوا فِي مَنَاكِهِمَ وَكُلُوا مِنْ وَرُقْهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ (١٥) .

شرح المفردات

بالنيب: أى غانبين عن أعين الناس ، بذات الصدور: أى بما في النفوس ، واللطيف : هو العالم بالأشياء التى يحفي علمها على العالمين ، ومن ثم يقال : إن لطف الله بعباده مجيب ، و يراد به دقائق تدبيره لهم ، الخبير : أى بظواهر الأشياء و بواطنها ، ذلولاً : أى سهلة متقادة يسهل عليكم السير فيها والانتفاع بها وفيا فيها ، والمناكب : واحدها منكب ، وهو مجتمع مابين العضد والكتف ، والمراد طرقها وفياجها ، النشور : أى المرجم بعد البعث .

المعنى الجملي

بعد أن أوعد الكفار بما أوعد ، وبالغ فى ترهيبهم بما بالغ — وعد المؤمنين بالمغفرة والأجر الكريم ، ثم عاد إلى تهديد الكافرين بأنه عليم بما يصدر منهم فى السر والمان ، وأقام الدليل على ذلك بأنه هو الخالق ، فلا يخفى عليه شئ من أمرهم ، بل يصل علمه إلى ظواهم أمورهم و بواطنها ، ثم عدد نماه عليهم ، فذكر أنه عبّد لهم الأرض وذلها لهم ، وهيأ لهم فيها منافع من زروع وتحدار ومعادن ، فليتمتموا بما أوتوا ثم إلى ربهم مرجعم ، وإليه بشهم ونشورهم .

الإيضاح

(إن الذين يخشون ربهم بالنيب لهم مفقرة وأجركبير) أى إن الذين يخافون مقام ربهم فيا بينهم و بينه إذا كانوا غائبين عن أعين الناس ، فيكفون أفسهم عن الماصى ، ويقومون بطاعته حيث لا يراهم إلا هو ، مراقبين له في السر والمان ، واضمين نُصُب أعينهم ماجاء في الحديث : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإن لم تكن تراه ، ويجزيهم جزيل

الثواب ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كِفاء ما أسلفوا في الأيام الخالية .

وقد ورد فى الحديث : « سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله — وذكر منهم : ورجلا دعته امرأة ذات منْصِب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتملم شماله ماتنفق يمينه » .

ثم نبه إلى أنه مطلع على السرائر فقال :

(وأسرُّ وا قولكم أواجهروا به إنه عليم بذات الصدور) أى إن عملكم وقولكم على أى سبيل وجد فالله عليم به ، فدوموا أيها الخاشعون على خشيتكم ، وأنيبوا أيها المفترون إلى ربكم ، وكونوا على حذر من أمركم .

روى عن أبن عباس أنه قال : ﴿ كَانَ المُشْرِكُونَ يِنَالُونَ مِنَ النِّيصِلَى اللَّهُ عَلَيْهُ وسلم فيوحَى إليه بمنا قالوا ؛ فقال بعضهم لبعض : أسروا قولكم كيلا يسمع ربُّ محمد فنزلت الآمة ، .

وقدم السرعلى الجهر للايذان بافتضاح أمرهم ووقوع ما يحذرون على كل حال أسروا أوجهروا ، ولأن مرتبة السر مقدمة على مرتبة الجهر ؛ فما من شي ٌ يجهر به إلا وهو أومبادئه مضمر في النفس.

وقوله « إنه علم بذات الصدور » كالعلة والسبب لما قبله .

والخلاصة — إنه تعالى محيط بمضمرات النفوس وأسرارها الخفيــة المستكنة في الصدور ، فكيف لايملم ماتسرون وما تجهرون به ؟.

ثم نصب الأدلة على إحاطة علمه بجميم الأشياء فقال :

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أي كيف لايعلم السر والجهر من أوجد بمكمته ، وواسع علمه ، وعظم قدرته ، جميع الأشياء ؛ وهو النافذ علمه إلى ما ظهر منها وما بطن .

وكأنه سبحانه يقول : ألا يعلم سركم وجهركم ، من يعلم الدقائق والخفايا ، حملَها وتفاصيلها ؟ .

ثم نبه إلى نمه على عباده فقال:

(هو الذي جمل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) أي ربكم هو الذي سجر لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها فارّة ساكنة ، لا تمييد ولا تضطرب بما جمل فيها من الجبال ، وأوجد فيها من العيون ، لسقيكم وسقى أنمامكم وزروعكم وتماركم ، وسلك فيها السبل ، فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أرجائها ، لأنواع المكاسب والتجارات ، وكلوا بما أوجده لكم نيها بفضله من واسع الأرزاق لا ينافى التوكل على الله . روى أحمد عن عرب الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق العاير، تندوخاساً ، وتروح بطاناته فأثبت لها غدوًا وراحا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المستحر المسبّب .

وأخرج الحكيم الترمذي عن معاوية بن قُرَّة قال : « مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : المتوكلون ، قال : بل أنتم المتأكلون ، إنما المتوكل رجل ألتي حبه فى بطن الأرض وتوكل على الله عز وجل » .

وجاء فى الأثر : « إن الله يحب السبد للؤمن المحترف » .

وفى الآية إيماء إلى ندب التجارة والتكسب بجميع ضروبه ، وفيها تهديد للكافرين كأنه قال لهم : إنى عالم بسركم وجهركم ، فاحترسوا من عقابى ، فهده الأرض التى تمشون فى منا كبها ، أنا الذى ذلتها لكم ، وجملتها سببا لنفعكم ، وإن شئت خسفتها بكم ، وأنزلت عليها ألوانا من الحن والبلاء .

(و إليه النشور) أى و إليه المرجع يوم القيامة ، فينبنى أن تعلموا أن مكشكم فى الأرض ، وأكلكم مما رزقكم الله فيها ، مكث من يعلم أن مرجمه إلى الله ، و يستيقن أن مصيره إليه ، فاحذروا الكفر والعاصى فى السر والعان . ءَأَمِيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءَأَنْ يَحْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تُمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاء أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوْلَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُسْكِمُنَّ إِلاَّ الرَّحْنُ ، إِنَّهُ بِكُلُّ شَيْءٌ بَسِيرِهُ (١٩) .

شرح المفردات

الأمن : ضد الخوف ، من فى السياء : هو ربكم الأعلى ، وخسف الله به الأرض عقيبه نيها ، ومنه قوله : « تَفْسَقْنا بِرَوَ بِدَارِهِ الْأَرْضَ ، وتمور : أى تهتز وتضطرب حاصباً : أى ربحا شديدة فيها حصباء تهلككم ، نذير : أى إنذارى وتحويفى ، نكير : أى إنكارى عليهم بإنزال المذاب بهم ، صافّات : أى باسطات أجنحتهن فى الجوّ حين طيرانها تارة ، ويقيضن : أى ويضمنها تارة أخرى .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر ما أعده للكافرين من نار تلظى ، ووصف هذه النار بما تشيب من هوله الولدان - أددف ذلك بترهيبهم وتخويفهم بأنهم لا يأمنون أن يحل بهم في الدنيا مثل ماحل بالمكذبين بالرسل من قباهم : من خسف عاجل تمور به الأرض مورا ، أو ريح حاصب تهلك الحرث والنسل ، ولا تبقى منهم ديارا ولا نافتخ نار ؟ ثم ضرب لهم المثل عاحل بالأم قبلهم من ضروب الحن والبلاء ، فقد أهلكت يمود بصاعة لم تبق ولم تذر ، وأهلكت عاد بالربح الصرصر الدانية التي سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما - متتابعة - وأهلك فرعون وقومه بالنرق في بحر القلار منهم المتراقع من عمل القلاعم منها منهم المتراقع من عمل القلام منهم المتراقع من عمل القلام المناسبة التي معاده ، فعلل منهم المناسبور المتلائم المناسبور المتلائم المناسبور المتلائم المناسبورة عن عمل القلائم المناسبورة المتلائم المتلائم المناسبورة المتلائم المتلائم المتلائم المتلائم المناسبورة المتلائم المتلا

أن يروا الطيروهي تبسط أجنحتها في الجو تارة ، وتضمها أخرى بتسخيرالله وتعليمه ماهي في حاجة إليه .

الإيضاح

(مأمنتم من فى السياء أن يخسف بكم الأرض فإذا مى تمور) أى مأمنتم أن يخسف ربكم بكم الأرضكا خسفها بقارون ، فإذا هى تنحرك بكم حين الخسف ، وتبتلكم وتمور فوقكم جيئة وذهابا .

ثم انتقل من الوعيد بهذا إلى الوعيد بوجه آخر فقال :

(أم أمنتم من فى السياء أن يرسل عليكم حاصبًا فستملمون كيف نذير) أى بل -أمنتم أن يرسل عليكم رميحا فيها حصباء (حجارة صفار) كما فعل بقوم لوط ، وحينئذ تعلمون كيف يكون عقابى إذا شاهدتموه ، ولكن لاينفعكم العلم حينثذ .

والخلاصة — كيف تأمنون من فى السهاء أن يصب عليكم المذاب من فوقكم أومن تحت أرجلكم ، وقد ذلل لكم الأرض ، وزين لكم السهاء بمصابيح ، فإذا لم تشكروا النمم ، فأنتم حريّون بأن يرسل عليكم النقم .

وَنحو الآية قوله تعالى : « قَلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ بَبَشَتَ عَالَمْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَعْتِ أَرْ جُلِكُمْ » وقوله : «أَ فَأَيْنَتُمْ أَنْ يَجْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرَّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ خَاصِيًّا ثُمَّ لا تَحْبُدُوا لَكُمْ وَكِيلًا » .

ثم لفت أنظارهم إلى ماحل بالأمم قبلهم ، الله يكون فيه مزدجر لهم فقال:
(ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) أى واتمد كذب من قبلهم
من الأمم السالفة والقرون الفابرة من أرسلناهم من رسلنا فحاق بهم من سوء المذاب
ما لامرة له ، وحل بهم من البأس مالم يجدوا له دافعا على شدة هوله وعظيم فظاعته .
والخلاصة - إن الكفار قبلهم شاهدوا أمثال هذه العقوبات بسبب كغرهم ،

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، ثم ذكر الدلائل على قدرته على إيصال أنواع العذاب بهم فقال :

(أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يسكهن إلا الرحمن) أى أغفاوا عن قدرتنا ولم ينظروا إلى الطير فوقهم وهى باسطات أجنعتهن فى الجو حين طيرانها الرق ، وقابضات لها أخرى ، وما يمسكهن فى الجو حين الصف والقبض على خلاف مقتضى طبيعة الأجسام الثقيلة من البزول إلى الأرض والانجذاب إليها إلا واسع رحمة من براً هن على أشكال وخصائص هو العلم بها ، وألهمهن حركات تساعد على الجرى فى الهواء المسافات البعيدة لتحصيل أقواتهن ، والبحث عن أرزاقهن ؟ .

ثم بين علة هذا فقال:

(إنه بكل شئ بسير) أى إنه سبحانه عليم بدقيق الأشياء وجليلها ، فيعلم كيف ببدع خلقها على السنن التي هو عليم بنائدتها لهباده .

والحلاصة — إنكم رأيتم بعض العجائب التي أبرزناها ، والحركم التي أظهرناها فهل أثتم آمنون أن ندبر محكمتنا عذابا نصبّه عليكم صبّا ، ولا معقّب لحسكمنا ، ولا دافع لقضائنا .

أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ مِينْصُرُكُ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافَرِ وَلَا اللّهِ عَنْ مُحَدَا اللّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ الْسَاكَ رِزْقَهُ بَلْ جُوا فِي عُنُو وَقُقُورِ (٢١) أَ هَنْ يَشِي مُكِيّاً عَلَى وَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٧) قُلْ هُوَ وَجُهِدِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٧) قُلْ هُوَ اللّهِى أَنْشَأَ كُمْ وَبَعَلَ لَكُمُ السَّعْجَ وَالْأَبْصَلِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) مَا لَسُعْمَ وَالْأَبْصَلَ ارَ وَالْأَنْدِةَ قَلِيلاً مَا مَشَكُرُ وَرَ (٣٠) فَلْ هُوَ اللّذِي ذَرَأَ كُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُ وَزَ (٢٤)

وَيَشُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٥٠) قُلْ إِنَّمَا الْسِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةَ سِيشَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ ۚ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) .

شرح المفردات

جند: أى عون ، ينصركم : أى يساعدكم فيدفع المذاب عنكم ، من دون الرحمن : أى من غيره ، فى غرور : أى فى خداع من الشيطان الذى يغركم بأن لاعذاب ولا حساب ، أمسك رزقه : أى بإمساك المطر وغيره من الأسباب النى ينشأ منها الرزق ، "لجوا : أى تماذوا ، فى عتر" : أى تكبر وعناد عن قبول الحق ، وتفور : أى إعراض وتباعد منه ، مكبًا على وجهه : أى واقما عليه ، سويا : أى معتدلا منتصبا ، والأفئدة : المقول واحدها فؤاد ، ذراً كم : أى خلقكم ، الوعد : أى المخشر الموود ، إنما العلم : أى الدغير وجوه الذين كفروا : أى تبين فيها السوء والقبح إذ علتها الكمّا به والقترة ، ويقال : ساء الشي يسوء إذا قبح ، تذعون : أى تطلبونه وتستمجلونه استهزاء وإنكارا .

المعنى الجملي

بعد أن أبان للمشركين عجائب قدرته فيا يشاهدونه من أحوال الطهر، ووبخهم على ترك التأمل فيها _ أردفه بتو بيخهم على عبادتهم غيره تعالى يبتغون منه نصرا ورزقا ، منكرا عليهم ما اعتقدوه ، مبينا لهم أنهم لايصاون إلى ما أمّاوه ، و إلا فليبينوا هذا الناصر والمين والرازق إذا هو أمسك رزقه .

أمّا وقد وضح الحق لذى عينين فهم فى لجاج وعناد بعد وضوح الحجمة وتبين المحجة ، ثم ضرب مثلا يبين حالى الشرك والموحّد ، فمثّل حال الأول بحال من يمشى منحنیا إلى الأمام على وجهه ، فلا یدری أین یسلك ، ولاکیف یذهب ، فیکون حائرا ضالا ، ومثل حال الثانی بحال من بمشى منتصب القامة على الطريق الواضح ، فیری ما أمامه و بهتدی إلى ما پرید .

ثم أعقب هذا بذكر الدلائل على تفرده بالألوهية بذكر خلق الإنسان فى الأرض و إعطأته نممة السمع والبصر ، وأرشد إلى أن القليل من الناس شكور لهذه النم ·

ثم أردف هذا بذكر سؤال المشركين الرسول عن ميقات البعث استهزاء به ، و إجابته إيام بأن علمه عند الله وليس له من علمه شي ، و إعاهو نذير مبين ، وذكر أنه حين تقوم القيامة و يعرف المشركون قرب وقوع ماكانوا ينكرون تعلو وجوههم غَيَرةٌ ، ترهقها قَتَرة ، ويقال لهم : إن ماكنتم تستمجلون قد وقع ولا مردّ له ، فاذا أثم فاعلون ؟ .

الإيضاح

(أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ؟ إن الكافرون إلا فى غرور) أى بل من هذا الذى يسينكم فى دفع المذاب عنكم إذا أراد بكم سوما ؟ فما أنتم فى زعكم أنكم محفوظون من النوائب بمفظ آلهتكم لابحفظ الله لكم إلا فى ضلال مبين ، وقد أغواكم الشيطان ، وفركم بهذه الأمانى الباطلة .

وفى قوله : (من دون الرحمن) إشارة إلى أنه برحمته أبقى الناس فى الأرض مع ظلمهم وجهالنهم، إذ رحمته وسمت كل شىء، فوسمت البرّ والفاجر ، والطير فى السماء ، والأنعام فى الأرض .

ثم انتقل من تو بیخهم علی دعوی ناصر سواه إلی تو بیخهم علی دعوی رازق غیره فقال :

(أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ؟) أي بل من ذا الذي يرزقكم إن

منع ربكم عنكم أسباب رزقه من الأمطار وغيرها ، أو وقف الهواء فلم تجر الرياح ، أو جمل ماء البحر غورا؟

والخلاصـــة - إنه لاجند لكم ينصركم إن هو عذبكم ، ولا رازق برزقـكم إن هو حرمكم أرزاقـكم .

و بعد أن حصحص الحق قال مبينا عتوهم وطغيانهم :

(بل لجوا فى عتو" ونقور) أى إنهم يعلمون ذلك حق العلم ويعبدون غيره ، فا هذا منهم إلا عناد واستكبار ونفور عن قبول الحق ، وما جرأهم على هذا إلا الشيطان الذى غرهم بوسوسته ، فظنوا أن آلهتهم تنفعهم وتدفع الضر عنهم وتقرّبهم إلى ربهم زلنى .

ثم ضرب مثلا يبين به الفارق بين حالى المشرك والموحد ، جمل فيــه المقول بصورة المحسوس ، ليكون أبين للحجة ، وأوضع اطريق المحبحة فقال :

(أفن يمشى مكبّا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستميم أ) أى أفن يمشى وهو يتمثر فى كل ساعة ، ويخير على وجهه فى كل خطوة ، لتوعم طريقه ، واختلاف أجزائها انخفاضا وارتفاعا له أهدى سبيلا وأرشد إلى القصد الذى فؤمه ، أم من بمشى سللا من التخبط والمشار على الطريق السوى الذى لا اعوجاح يه و لا انحراف ؟ فهذا المكب على وجهه هو المشرك الذى يمشى على وجهه فى النار بوم القيامة ، والذى يمشى سويا هو الموحد الذى يحشر على قدميه إلى الجنة . و بمد أن امتن على عباده بما آتاهم من زينة الساء ، و تذليل الأرض ، و إمساك الطير فى الهواه أخذ يذكر ما هو أقرب إلينا وهو خلق أفسنا فقال آمرا رسوله أن يبين لهم ذلك :

(قل هو الذي أنشأ كم وجمل لكم السمع والأبصار والأفشدة) أي قل لهم : إن ربكم هو الذي برأ كم وجمل لكم السمع لتسمعوا به المواحظ ، والأبصار لتنظروا جها بدائع صنع الخالق ، والأنثدة لتتفكروا فى كل هذا ، وتستفيدوا منه الفوائد المقلية والمادية .

أَمُ أَبَانَ أَنَ الإِنسَانَ لَنعَمَةً رَبِّهِ لَـكُنُودُ فَقَالَ :

(قلیلا ما تشکرون) أی قلما تستعملون هذه القوی التی أنعم بها ربکم علیکم فی طاعته ، وامتثال أوامره ، وترك زواجره ، وذلك هو شکرانها .

ثم لخص هذا كله بقوله آمرا رسوله :

(قل هو الذى ذراً كم فى الأرض وإليه تحشرون) أى قل لهم منها إلى خطئهم : إن ربكم هو الذى برأكم فى الأرض و بشكم فى أرجأتها على اختلاف السنتكح وألوانكم، وأشكالكم وصوركم ، ثم يجمعكم كما فرقكم ، ويعيدكم كما بدأكم للحساب والجزاء ، فيجزى كل نفس بما كسبت ، إنه سريع الحساب .

و بعد أن ذكر أن إليه المرجع والمآب ــ أردفه بذكر مقالة الكافرين المنكرين لفلك فغال :

(و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أى و يسألون الرسول استهزاء وتهكما : متى يقع ما تعدنا به من الخسف والحاصب فى الدنيا ، والحشر والعذاب فى الآخرة إن كنت صادقاً فيا تدعى وتقول ؟

فأمر رسوله أن يجيبهم بأن علم ذلك عند بارى النسم فقال :

(قل إنما العلم عند الله) أى إنمــا علم ذلك على وجه التميين عند ر بى لايعلمه إلا هو ، وقد أمرنى أن أخبركم بأن ذلك كائن لايحالة فاحذروه .

ونحو الآية قوله : ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ .

ثم بين وظيفة الرسول فقال :

(و إنما أنا نذير مبين) أى و إنما أنا منذر من عند ربى أبين لكم شرائمه ، ما حلل منها وما حرم ، لتكونوا على بينة من أمركم ، وقد بلنتكم ما أرسلت به إليكم . ثم بين حالهم حين نزول ذلك الوعد للوعود فقال :

(فلما رأوه رافة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) أي فلما رأوا المدذاب للموعود قريبا « وكل آت قريب و إن طال زمنه » ساءهم ذلك وعلت وجوههم الكآبة والخسران ، وغشيتها القترة والسواد ، إذ جاءهم من أمر الله ما يكونوا يحتسبون ، ويقال لهم على سبيل التقريع والتو بيخ : هذا الذي كنتم تستمجلون وقوعه وتقولون لرسوله : « أَثَيْنًا بِمَا تَمِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ السَّادِقِينَ » . وَعَم اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ يَعْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ عَلَم اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى ا

فُلْ أَرَأَ يُثُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللهُ وَمَنْ مَمِى آَوْ رَحِمَنَا ، فَنْ يُجِيدُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَاب أَنْ يُجِيدُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَاب أَلِيم (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ وَوَكَلْنَا ، فَسَتَمْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ؟ (٢٩) قُلْ أَرَأْ يُثُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمُ غَوْرًا فَنَ بَأْتِيكُمْ عِلَا مَمِينِ ؟ (٣٠) .

شرح المفردات

أرأيتم : أي أخبروني ، غورا : أي غائرا في الأرض لاتناله الدلاء ، معين : أي جار سهل المأخذ تصل إليه الأيدى .

المعنى الجملي

روى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى للؤمنين بالهلاك كما حكى الله عنهم فى آية أخرى بقوله : ﴿ أَمْ يَتُولُونَ شَاعِرْ ۖ نَعَرَبَّسُ بِعِـ رَبِّبَ المَنُونِ ﴾ وقوله : ﴿ بَلُ ظَنَفْتُم ۚ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْوَاْمِيْوَنَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا » فَنزلت الآية ، ثم أمره أن يقول لهم : إن هلاكى أو رحمتى لاتجيركم من عذاب الله ، ثم أمره أن يقول لهم : إنا آمنا بربنا وتوكلنا عليه ، وستملمون غدا من الهالك ؟ ثم أمره أن يقول لهم : إن غار ماؤكم فى الأرض ولم تصل إليه الدلاء ، فن يأتيكم بماء عذب زلال تشربونه ؟

الإيضاح

أجاب سبحانه عن تمنى المشركين موته صلى الله عليه وسلم ومن معه بوجهين :
(†) (قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من
عذاب ألم) أى قل لهم مو بخنا : أخبرونى عن فألمدة موتى لكم : سواء أماتنى الله
ومن معى ، أو أخر أجلنا ؛ فأى راحة لكم فى ذلك ، وأى منفعة لكم فيه ، ومن
ذا الذى يجيركم من عذاب الله إذا نزل بكم ، أتقلنون أن الأصنام أو غيرها تجيركم ؛
وهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب، فتقروا بالتوحيد والنبوة والبعث؟.

وخلاصة هذا ﴿ إِنه لاَعجِير لَكُمْ مَنْ عَذَابِ اللهِ بِسِبِ كَفَرَكُمُ الْوَجِبِ لَهَذَا الهذاب _ سواء هلكناكا تتمنون فقرنا برحمة الله ، أو انتصرنا عليكم ورفعنا شأن الإسلام كما نرجو، فكلا الأمرين فيه ظفر بما ينبغي، ونيل لما نحب ونهوى .

وفي هذا إيماء إلى أمرين :

- (١) حشهم على طلب الخلاص بالإيمان الخالص لله والإخبات إليه .
- (٧) إنه كان ينبغى أن يكون ما هم فيه شاغلا لهم عن تمنى هلاك النبي صلى الله
 عليه وسلم ومن معه من المؤمنين .
- (ب) (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أى قل لهم : آمنا برب المالمين الرحمن الرحيم ، وعليه توكلنا فى جميع أمورناكا قال : « فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ » وهو سيجيرنا من عذاب الآخرة .

وفي هذا تمريض بهم حيث اتكلوا على أولادهم وأموالهم و وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ

أَمْوَالاَ وَأَوْ لاَدَا وَمَا نَمَنُ مِمَدَّ بِهِنَ » و إشارة إلى أنهم لايرحمون فى الدارين ، لأنهم كفروا بالله وتوكلوا على غيره .

ئم ذكر ما هوكالنتيجة لما قبله فقال :

(فستعلمون من همو في ضلال مبين) أي فسيستبين لكم مَن الضالعُ منا ومن المهتدى . ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ؟.

ولما ذكر أنه يجب التوكل عليه لاعلى غيره أقام الدليل على ذلك نقال آمرا رسوله أن يقول لهم .

(قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فن يأتيكم بماء مُمين) أى قل لهم: أخبرونى إن ذهب ماؤكم في الأرض ولم تصل إليه الدلاء، فن يأتيكم بناء حارب الشرونه عذبا زلالا . ولا جواب لكم إلا أن تقولوا هو الله ، بُو إِذَا فِلْ تَصَعَلُونَ مِاللا يقدر على شيء شريكا في المبادة لمن هو قادر على كل شيء .

وفى هذا طلب إقرار منهم ببعض نحه ، ليريهم قبح ماهم عليه من الكفر . وقصارى ذلك — إنه تمالى فضلا منه وكرما أنبع لكم للياء وأجراها فى سائر الأقطار بحسب حاجتكم إليها قلة وكثرة ، فله الحمد وللنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

ما حوته السورة من موضوعات

- (١) وصف السبوات .
- (٢) بيان أن نظام العالم لاعوج فيه ولا اختلاف .
 - (٣) وصف عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة .
 - (٤) التذكير مخلق الإنسان ورزقه وأشباه ذلك ·

سيورة القلم

هي مكية إلا من آية ١٧ إلى ٣٣، ومن آية ٤٨ إلى آية ٥٠ فدنية .

وعدد آیها ثنتان وخمسون ، نزلت بمدالملق .

وهى من أواثل مانزل من القرآن بمكة ، فقد نزلت : « اقْرَأُ بِالشمِ رَبِّكَ » نم هذه ، ثم المزمل ، ثم المدركا روى عن ابن عباس .

ومناسبتها لما قبلها:

 (١) إنه ذكر في آخر (الملك) تهديد المشركين بتغوير الأرض ، وذكر هنا ماهوكالدليل على ذلك وهو تمر البستان الذي طاف عليه طائف فأهلك وأهلك أهله وهم نأمون .

(٧) إنه ذكر فيا قبل أحوال السمداء والأشتياء، وذكر قدرته الباهرة وصله الواسع ، وأنه لو شاء لحسف بهم الأرض أو أرسل عليهم حاصبا، وكان ما أخبر به هو ما أوسى به إلى رسوله ، وكان المشركون ينسبونه فى ذلك سرة إلى الشعر وأخرى إلى السحر وثالثة إلى الجنون -- فبرأه الله فى هذه السورة مما نسبوه إليه ، وأعظم أجره على ضبره على أذاهم وأثنى على خلقه .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَ وَالْقَلَمِ وَتَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِمْمَةِ رَبُكَ بِمَجْنُونِ (٢) وَإِنَّكَ لَيَنِي مُكْتِهِ وَإِنَّكَ لَتَنَى خُلَّى عَظِيمٍ (٤) فستَبُصِرُ وَإِنَّكَ لَتَنَى خُلَّى عَظِيمٍ (٤) فستَبُصِرُ وَيُنْ مَنْ عَنْ مَنْكُ عَنْ مَنَلًا عَنْ مَنْكًا مَنْ أَعْلَمُ مِنْ مَنَلًا عَنْ سَبِلِهِ وَمُو أَعْلَمُ مِنْ أَعْلَمُ مِنْ مَنَلًا عَنْ سَبِلِهِ وَمُو أَعْلَمُ مِنْ أَعْلَمُ مِنْ مَنَلًا عَنْ سَبِلِهِ وَمُو أَعْلَمُ إِنْ لَهُمَنِّونَ (٧) .

شرح المفردات

يسطرون : أى يكتبون ، ممنون : أى مقطوع ؛ يقال منَّه السير إذا أضعه ، وللنين : الضيف ، المفتون : المجنون لأنه ُ نَيْن ، أى ابتلى بالجنون .

المعنى الجملي

أقسم ربنا بالفلم وما يُسطَّر به من الكتب: إن عجدا الذى أنم عليه بنصة النبوة ليس بالمجنون كما تدَّعون ، وكيف يكون مجنونا والكتب والأقلام أهدت لكنابة ماينزل عليه من الوحى .

وقد أقدم سبحانه بالقلم والكتب فتحا لباب التعليم بهما ، ولا يقسم ربنا إلا الأمور العظام ؛ فإذا أقسم بالشمس والقمر ، والليل والفجر فإنما ذلك لعظمة الخلق وجال الصنع ، وإذا أقسم بالقلم والكتب فإنما ذلك ليمم العلم والعرفان ، و به تهذب التفوس ، وترق شئوننا الاجماعية والمعرانية ، ونكون كما وصف الله «كُنتُم خَيْر أَمَّة أُخْرِجَت لِلنَّاسِ » ثم وعد رسوله بما سيكون له من جزيل الأجر على صعره على احتمال أذى للشركين ، وأردف هذا بوصفه بحسن الخلق ورفقه بالناس امتثالا لأمره « خُذِ النَّفْرَ وَأَمْرُ بِالنُّرُ فِي وَأَعْرِضْ عَنِ المَبْلِينَ » قالت عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن .

ثم هدد المشركين وتوعدهم بما سيتبين لهم من عاقبة أمره وأمرهم ، وأنه سيكون العزيز المهيب في القلوب وسيكونون الأذلاء ، وأنه سيستولى عليهم ويأسر فريقا ويقتل آخر ، وسيملمون حينئذ من المجنون ؟ والله هو العليم بالمجانين الذين ضلوا عن سبيله ، والعقلاء الذين اهتدوا بهديه .

الإيضاح

(نَ) تقدم أن قلنا غير مرة إن أرجح الآراء فى معنى الحروف المقطمة التي. وقعت فى أوائل السور أنها حروف تنبيه نحو ألا ، وأما .

(والقلم وما يسطرون) أي أقسم بالقلم وما يكتب به من الكتب .

ثم ذكر المقسم عليه فقال:

(ما أنت بنعمة ر بك بمجنون) أى إنك لست بالمجنون كما يرعمون ، فقد أنم الله عليك بالنبوة وحصافة العقل وحسن الخلق .

ثم بين بعض نعمه عليه فقال :

(١) (و إن لك لأجرا غير ممنون) أى و إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل
 الذى لاينقطع على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على الأذى ومقاساة
 الشدائد .

 (٧) (وإنك لعلى خلق عظيم) فقد بَرَأَك الله على الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق كريم .

روى الشيخان عن أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وســـلم خشر سنين فما قال لى أفّ ِ قط ولا قال لشى. فسلتهُ لم فسلته ؟ ولا لشى. لم أفسلة ألاّ فسلته ؟ »

وروى أحمد عن عائشة قالت : « ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ، ولا ضرب امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خُيرٌ بين شيئين قط إلا كان أحبُها إليه أيسرَ هما حتى يكون إنماً ، فإذا كان إنماً كان أبعد الناس من الارتم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تُمنّهك حومات الله » .

وفى الآية ردر إلى أن الأخلاق الحسنة لاتكون مع الجنون ، وكما كان الإنسان أحسن أخلاقًا كان أبعد من الجنون .

ثم توعدهم بما يحل بهم من النكال والوبال فى الدنيا والآخرة فغال : (فسنبصر ويبصرون بأيكم للفتون؟) أى فستطم أيها الرسول وسيعلم مكذبوك

من المفتون الضال منكم ومنهم ؟

ونحو الآية قوله تعالى : « سَيَقْلُمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَابُ الْاشِرُ » وقوله : « وَ إِنَّا أُو إِنَّا كُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي صَلاَل مُبين » .

والخلاصة — ستبصر و يبصرون غلبة الإسلام واستيلاءك عليهم بالفتل والأسر وهيبتك في أعين الناس أجمين ، وصيرورتهم أذلاً - صاغرين .

وهـذا يشمل ماكان فى بدر وغيرها من الوقائم التىكان فيها النصر المبين للمؤمنين ، والحزى والهوان وذهاب صولة الشركين نماكان عبرة ومثلًا للآخر بن.

ثم أكد ماتضمنه الكلام السابق من الوعد والوعيد فقال:

(إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى إن ربك سبحانه هو أعلم بمن حاد عن الطريق السوى المؤدى إلى سعادة الدارين ، وهام في تيه الضلالة ، فلا يفرق بين ماينفع وما يضر ، بل مجسب الضر نفعا والنفع ضرا ، وأعلم بالمهتدين إلى سبيله ، الفائزين بكل مطلوب ، الناجين من كل محذور ، ويجاذى كلاً من الفريقين مجسب مايستحقون من المقاب والثواب .

فَلاَ تُطِيعِ الْمُكذَّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (١) وَلَا تُطِعِ الْمُكذَّبِينَ (٨) وَدُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَدْرِ تُطِعِ كُنَّ حَلاَّفٍ مِبِينِ (١٠) هَمَّازِ مَشَّاء بِنَدِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَدْرِ مَمَّدَ أَرْبِمِ (١٢) أَنْ كَانَ ذَا مَالُ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُرْبَعِ (١٢) أَنْ كَانَ ذَا مَالُ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُرْبَعِ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُدْوا وَمِرْ(١٦)

شرح المفردات

قال الليث: الادهان: اللين والمصانمة والمتاربة في الكلام ، وقال المبرد: يقال داهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا أغلهر خلاف مايضمر ، والحلاف : كثير الحلف في الحق والباطل ، والمهين : المحتقر الرأى والحميز ، والحماز : السياب الطمان ، والمنام بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم ، والمتاع للخير : البخيل، والممتدى : الذي يتجاوز الحق و يسير في الباطل ، والأثم ي : المكثير الآنام والذنوب ، والدُّم : الشديد الخصومة الفظ الفليظ ، والزيم : الذي يعرف بالشر واللؤم كانعرف الشاه بزعتها (الجزء المسترخى من أذنها حين تشق و يبقى كالشي المملق) سنسمه :

المعنى الجملي

بعد أن ذكر مقالة المشركين فى الرسول بنسبته إلى الجنون ، مع ما أمم الله به عليه من الكال فى الدين والخلق — أردفه بما يقوى قلبه و يدعوه إلى النشدد مع عليه من الكال فى الدين والخلق الكفار (إذ هذه السورة من أوائل ما نزل) فنهاه عن طاعتهم عامة ، ثم أعاد النهى عن طاعة المكذبين الذين اتصفوا بالأخلاق النميمة التى ذكرت فى هذه الآيات خاصة ، دلالة على قبح سيرتهم ، وضمة نفوسهم ، وتدسيتهم لما بعظيم الذنوب والآثام .

الإيضاح

(فلا تطع المكذبين) أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعة المكذبين عامة وتشدد في ذلك .

وفى هذا إيماء إلى النهى عن مداراتهم ومداهنتهم ، استجلاباً لقلوبهم ، وجذباً لهم إلى اتباعه . (ودّوا لو تدهن فيدهنون) أى ودّ المشركون لو تلين لهم فى دينك بالركون إلى آلهتهم ، فيدينون لك فى عبادة إلهك .

روى أن رؤساء مكة دعوه إلى دين آبائه فنهاه عن طاعتهم .

وخلاصة ذلك — ودوا لو تترك بعض ما أنت عليه ثما لايرضونه مصانمة لهم ، فيفعلون مثل ذلك ، و يتركون بعض مالا ترضى ، فتلين لهم ويلينون لك ، وترك بعض الدين كله كفر" بَوَاحْ" .

والمراد من هذا النهي التهييجُ والنشدد في المخالفة والتصميم على معاداتهم . ونحو الآية قوله : « وَكُوْ لاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرَ كُنُ إَلَيْهِمْ شَيْئًا فَلِيسِلاً . إِذَا لأَذَفْنَاكَ ضِمْفَ الحَيَاةِ وَضِمْفَ الْمَاتِ ، ثُمُ ۗ لاَ نَجِدُ لَكَ عَلَمْنَا نَصِيرًا » .

ثم خص من هؤلاء المكذبين أصنافا هانت عليهم نفوسهم فأفسدوا فطرتها ، تشهيراً بهم فغال :

(١) (ولا تطع كل حلّاف) أى ولانطع المكثار من الحلف بالحق و بالباطل.
والكاذب يتق بأيمانه الكاذبة التي بجترى بها على الله — ضعفه ومهانته أمام الحق ، وفيه دليل على عدم استشعاره الحوف من الله .

والـكذب أسُّ كل شر ، ومصدر كل معصية ، وكفى مزَّجَرَةً لمن اعتاد الحلف ، أن جعله المولى فاتحة للثالب ، وأسق للعايب .

(٢) (مهين) أي محتقر الرأى والتفكير .

(٣) (حَمَّاز) أى عَيَّاب طمَّان يذكر الناس بالمكروه ، وينال منأعراضهم بذكر مثالبهم .

(٤) (مشّاء بميم) أى نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد بينهم.
 وأصل النميمة الحركة الخفيفة ؛ ومنه أسكت الله نأمته أى ماينم عليه من حركته .

- (ه) (مناع النحير) أى بخيل بماله عسك له ، لا يجود به لدى البأساء والفراء فهو لايدفع عوز المعوزين، ولا يساعد المحتاجين البائسين ، ولا ينجد الأمة إذا حزبها الأمر ، وضافت بها السبل ، كدفع عدو يهاجم البلاد ، أودفع كارثة نزلت بها، تحتاج إلى بذل المال.
- (٦) (معتد) أى متجاوز لما حدّه الله من أوامر ونواه ، فهو بخوض فى الباطل خوضه فى الحق ، ولا يتحرَّج عن ارتكاب الماتئم والمظالم .
- (٧) (أثيم) أى كثير الآثام ديدنه ذلك ، فهو لا ببالى بما ارتكب ،
 ولا بما اجترح .
- (A) (عتل بعد ذلك) أى وقوق ذلك هو فظ غليظ جاف ، يعامل الداس بالطلقة والفظائلة .
- (دنيم) أى معروف بالشرور والآنام ، كما تعرف الشاة بالزنمة ؛ روى عن
 بن عباس أنه قال : هو الرجل يمر" على القوم فيقولون رجل سو" ء .

ثم ذكر بعض مار بما دعاه إلى طاعتهم فقال:

(أن كان ذا مال و بنين) أى لانطم مَن هذه مثالبه من جَرَّاء ماله ، وكثرة أولاده وتَقَوِّيه بهم ، فإن ذلك لايجديه نفماً عند ر به كما قال سبحانه : « يَوْمَ لاَينْفُمُ مَالُ وَلاَ بَنُونَ . إلاَّ مَنْ أَنَى اللهُ بقَلْبِ سَلِمٍ » .

ثم ذكر سبب النهى عن طاعته فقال :

(إذا تنلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أى إذا تلى عليه القرآن قال ماهو إلا من كلام البشر ، ومن قصص الأولين التى دُوَّنت فى الكتب ، وليس هو من عند الله .

ونحو الآية قوله تعالى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيــدًا . وَجَمَلْتُ لَهُ مَالًا تَمْذُودًا . وَبَيْنِنَ شُهُودًا . وَمَهَدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمُّ بَطْمهُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاْ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأَرْهِقَهُ صَنُودًا إِنَّهُ فَكَمَّرَ وَقَدَّرَ . فَهَبُلِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمُّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْقَكُبَر . هَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ » .

و بعد أن ذكر قبائح أضاله توعَّده فقال:

(سنسمه على الخرطوم) أى سنجمل له سِمة وعلامة على أنفه ؛ والمراد أنا سنبين أمره بيانا واضحاحتي لايخفي على أحدكما لايخفي ذو السمة على الخرطوم.

وفى هذا إذلال ومهالة له ، لأن السمة على الوجه شَين ، فحا بالك بها فى أكرم موضع ، وهو الأنف الذى هو مكان العرّة والحقية والأنفة ، ومن ثم قالوا : الأنفُ فى الأنف ، وقالوا حيى أنفه ، وقالوا : هوشامخ العرّ نين ، وعلى عكسه قالوا فى الذليل: بُدِع أنفه ، ورُغِم أنفه ، قال جو ير :

لمّا وضمتُ على الفرزدق مِيسَمى وعلى البَعِيث جَدَعتُ أَنْمَ الأَخْطلِ
وفي التمبير بلفظ (الخرطوم) استخفاف به ، لأنه لا يستمبل إلا في الفيسل
والخذير، وفي استجال أعضاء الحيوان للانسان كالمِشْفَر الشفة ، والظَّلف للقدم دلالةٌ
على التحفير كا لايخني .

والحلاصة — سنذله فى الدنيا غاية الإذلال ، ونجمله ممقونا مذموما مشهوراً بالشر ، ونسمه يوم القيامة على أفغه ، ليعرف بذلك كفره وانحطاط قدره .

إِنَّا بَاوْنَاهُمْ كَمَا بَلُوْنَا أَصْحَابَ الَجُنَّةِ إِذْ أَفْسَسَمُوا لَيَصْرِمُهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلاَ يَسْتَثَنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفْ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَاتُمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٧٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٧) فَاطْلَقُوا وَهُمْ (٣) يَتَخَافَتُونَ (٣٣) أَلاَ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينُ (٢٢) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدِ قَادِرِينَ (٣٥) فَلَمَّا رَأُوهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٣٦) بَلْ نَحْنُ عَرْوُمُونَ (٣٧) قَالَ أُوسَطَهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لُولاً تُسَبِّحُونَ (٨٨) قَالُوا: سُبْحُانَ رَبَّنَا إِنَّا كُتًا ظَالِمِينَ (٣٩) فَأَقْبَلَ بَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَلْكَوْرُونَ (٣٠) قَالُوا يَاوَيُلْنَا إِنَّا كُتًا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يَتَكَرُّومُونَ (٣٠) كَذَلِكَ الْعَذَاب، وَلَمَذَابُ الْخَرْوَةُ أَلْبُكُوا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبُّنَا رَاغِيُونَ (٣٣) كَذَلِكَ الْعَذَاب، وَلَمَذَابُ الْخَرْوَةُ أَكْبُرُ لَوْ كَانُوا يَهْلُمُونَ (٣٣)

شرح المفردات

بلوناهم: أى امتحناهم بألوان من البلاء والآفات ، والجنة : البستان، ليصرمتها : أى ليقطمن ثمار نخيلها ، مصبحين : أى وقت الصباح ، ولا يستثنون : أى ولاينثنون عا هموا به من منع المساكبن ، فطاف عليها طائف من ربك : أى طرقها طارق من عذاب ربك ، إذ أرسل عليها صاعقة من السياء أحرقها ، كالصريم : أى كالليل البيم فى السواد بعد أن احترقت ، فتنادوا : أى نادى بعضهم بعضا ، أن اغدوا : أى اخرجوا غدوة مبكرين ، حرثكم : أى بستانكم ، صارمين : أى قاصدين الصرة وقطع الممار ، يتخافتون : أى يتشاورون فيا بينهم بطريق المخافقة والمناجاة حتى لا يسمعهم أحد ، على عرد : أى على منه ، محرومون : أى حرمنا خبرها مجنايتنا على أفسنا ، أوسطهم : أى أرجعهم رأياً ، قسبعون : أى تذكرون الله و تشكرونه على ما أنم به عليكم ، يتلاومون : أى يلوم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين ، طاغين : أى متعاوزين بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين ، طاغين : أى متعاوزين

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه فيا سلف أن ذا للال والبنين كغر وعصى وتمرد لما آتاه الله من النعم _ أردف هذا ببيان أن ما أونيه إنماكان ابتلاء وامتحانا ليرى أيصرف ذلك فى طاعة الله وشكره ، فيزيد له فى النعمة ، أم يكفر بها فيقطمها عنه ، ويصب عليه ألوان البلاء والمذاب ؟ كما أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من للماصى دمر الله جنتهم ، فا بالك بمن حاد الله ورسوله وأصر على الكفر وللمصية .

روى أن هذه الجنبة كانت على فرسخين من صنماء بأرض المين لرجل صالح وكان يترك للساكين ما أخطأه المنتجل ، وما فى أسفل الأكداس ، وما أخطأه القطاف من العنب ، وما بق على البساط تحت النخلة إذا صُرمت ، فكان بجتمع لهم من ذلك شيء كثير ، فلسا مات الرجل قال بَنُوه إن فعلنا ما كان ينعل أبونا ضاق علينا الأمر ، ونحن أولو عيال ، فلغوا ليصرمُنها وقت الصباح فِينْية عن ضاف علينا الأمر ، ونحن أولو عيال ، فلغوا ليصرمُنها وقت الصباح فِينْية عن المساكن فجازاهم الله بما يستحقون وأحرق جنتهم ، ولم يُبُق منها شيئا .

الإيضاح

(إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أى إنا امتحنا كفار مكة بما تظاهم عليهم من النم والآلاء، وما رحمناهم به من واسع العطاء ، لنرى حالهم ، أيشكرون هذه النم ويؤدون حقها ، وينيبون إلى ربهم ، ويتبون الداعى لهم إلى سبيل الرشاد وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بشناه لهم هاديا و بشيرا ونذيرا ، أم يكفرون به ويكذبونه ، فيجحدون حق الله عليهم ، فيتليهم بمذاب من عنده و بيبد تلك النم جزاء كفرانهم وجحودهم ، كما اختبرنا أسحاب ذلك البستان الذين منموا حق الله فيه، وعزموا على ألا يؤدوا زكانه لبائس ولا فقير ، فتى عليهم من الجزاء ما هم له أهل ، ودمره شر التدمير .

(إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون) أى حين حلفوا ليجدُّنَّ كُمُرها غدوة حتى لايط بهم سائل ولافقير ، فيتوافر لهم ماكان يأخذه هؤلاء الفقراء ، ولم يتثنوا عماهموا به .

ثم أخبر عما جازاهم به لكفرانهم بهذه النيم ومنعهم حق الفقراء فقال :

(فطاف عليها طائف من ر بك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم) أى فطرق تلك الجنة طارق من أمر الله ليلا وهم نيام ، إذ أرسل عليها صاعقة فاحترقت وصارت تشبه الليل البهم فى السواد .

أخرج عبد س حميد وابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال : فال رسول الله سلى الله عليه وسلم : « إياكم والمصية فإن المبد ليذنب الدنب الدنب من العلم ، و إن العبد ليذنب الذنب من العلم ، و إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ، و إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ، و إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزةا قد كان همي أله ، ثم تلا : فطاف عليها طائف الآية ، قد حُر موا خير جنتهم بذنبهم » .

وقد غفلوا عما قدر لهم ظم يدروا مماكان شيئا ، ومر_ ثم أرادوا تنفيذ ما عزموا عليه .

(فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أى فنادى بعضهم بعضا هلمتوا واذهبوا غدوة لقطع تمار بستانكم إن كنتم فاعلين .

وقد أحكموا التدبير وأخفوا الأمر جد الخفية حتى لا يتسمع لهم أحدكا قال:
(فانطلقوا وهم يتخافتون. ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أى فحضوا إلى حرثهم يتسار ون و يقول بعضهم لبعض: لا يمكنوا اليوم مسكينا من الدخول فيها.
(وغدوا على حرد قادرين) أى وغدوا مصممين على منع المساكين وحرمانهم وهم قادرون على نعمهم ، فهم قد تعجاوا الحرمان وكان أولى بهم أن تكون همهم متوجهة إلى الفع الذى هم قادرون عليه .

ولكن واخيبة أملاه ، وواضياع مسماهم ، ويا هول ما رأوه مما لاتصدقه العين ولا يخطر لهم بيال ، بستان كان بالأمس عاصرا زاخرا بالخير والبركة أصبح قاعاً صفصفا قد تفيرت معالمه ، ودرست رسومه ، حتى تشككوا فيسمه حين رأوه كما قال سمعانه :

(فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أى فلما صاروا إلى بستانهم ورأوه محترقا أنكروه وشكّوا فيه وقالوا : أبستاننا هذا أم نحن ضالون طريقه ؟

ولكن بعد أن تبيئت لهم معالمه واستيقنوها عادوا على أنفسهم بالملامة وقالوا:

(بل نحن محرومون) أى لسنا بضالين ، بل نحن قد حرمنا خيره بجنايتنا على
أنفسنا ، بشؤم عزمنا على البخل ومنع مساعدة البائسين والمعوزين ، وندموا على
ما فرط منهم حيث لايفع الندم ، كما يرشد إلى ذلك قوله سبحانه حاكما عنهم .

(قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى قال أرجعهم رأيا ، وأحسنهم تدبيرا : ألم أقل لكم : هلا تسبحون الله وتشكرونه على ماأولاكم من النم ، فتؤدوا حق البائس الفقير ، ليبارك لكم فيا أنهم وتفضل ، لكفكم أعرضتم عما أدليت لكم به من الرأى وضريتم به عُرض الحائط .

و بعد اللَّمَيها والتي ، و بعد ضياع الفرصة نبين لهـم خطأ ما كانوا عزموا عليه ، واعترفوا بذنوبهم كما حكى عنهم سبحانه بقوله :

(قالوا سبحان ربنا) أي ننزيها لربنا أن يكون ظالمًا فيها صنع بجنتنا .

نم أكدوا ندمهم واعترافهم بالذنب تحقيقا لتو بتهم وهضما لأنفسهم فقالوا:

(إنا كنا ظالمين) لأنفسنا محرماتنا البائس الفقير، ولكن هيهات فقد ضاعت الفرصة ، وحل مكانها الفُصَّة ، وهكذا شأن الإنسان .

و بعد أن حدث ما حدث ألتي كل منهم تبعة ما وقع على غيره وتشاحنوا ، وهذا ما أشار إليه سبحانه بحوله : (فأقبل بمضهم على بعض يتلاومون) فيقول هذا لهذا : أنت الذي أشرت علمينا بهذا الرأى ، ويقول ذاك لهذا : أنت الذىخوفتنا الفقر ، ويقول الثالث لنيره : أنت الذى رغبتنى فى جمع للال .

ثم نادوا على أنفسهم بالويل والثبوركما أشار إلى ذلك سبحانه حاكيا عنهم : (قالوا يا ويلنا) أى قالوا : أقبل أيها الهلاك فلا نستحق غيرك ، ثم يينوا علة هذا الدعاء بقولهم .

(إناكنا طاغين) أى إنا اعتدينا على ماحده الله لنا من الإحسان على الفقراء والموزين، وتركنا الشكر على نصه علينا .

ثم رجموا إلى الله وسألوه أن يموضهم خيرا من جنتهم فقالوا :

(عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) أى لعل الله يعطينا بدلاً هو خير منها ، بتو بتنا مر زلاتنا ، ويكفر عنا سيثاننا ، إنا راجون عفوه ، طالبون الخير منه .

روى عن مجاهد أنهم تابوا فأبدلهم الله خيرا منها

(كذلك المذاب) أى وهكذا عذاب من خالف أمر الله و بحل بما آتاه وأ نعم به عليه ومنع حق البائس الفقير .

و إذا كانت هذه حال من فعل الذنب اليسير كأصحاب الجنة ، فمــا بالـكم بذنب من يعاند الرسول ويصرّ على الــكفر والمصية ؟.

و بعد أن أبان لهم أن عذاب الدنياكما سمتم ورأيتم أشار إلى عذاب الآخرة فقال :

(ولمذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون) أى إن عذاب الآخرة أشد وأنكى من عذاب الدنيا ، فما عذاب هذه إلا هلاك الأموال والممرات ، وعذاب تلك نار وقودها الناس والحجارة ، فلوكانوا من ذوى العلم والمعرفة لارتدعوا عن غيّهم وثابوا إلى رشدهم .

وفي هذا نعى عليهم بالغفلة ، وأنهم ليسوا من أرباب النُّهي والمرفة .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّيْمِ (٤٠) أَفَنَجْعَلُ المسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ؟ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ (٣٦) أَمْ لَكُمْ لَكَانُ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ عَلَى السَلْمِقِينَ عَلْمَ عَلَى الللهُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلْمُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلْمُ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلْمُ عَلِي عَلْمُ عَلِي عَلَيْنَ عَلْمُ عَلِي عَلِي عَلِي عَلْمُ عَلْمُ عَلِي عَلَيْنَ عَلْمُ عَلِي عَلِي عَلِي عَلْمُ عَلْمُ عَلِي عَلِي عَلْمُ عَلِي عَلِي عَلِي عَلْمُ عَلِي عَلِي عَلْمُ عَلِي

شرح المفردات

تدرسون: أى تقرمون ، تخيرون: أى تختارون ، أيمان : أى عهود ، بالغة : أى متناهية فى التوكيد موقّقة ، إلى يوم التيامة : أى ثابتة لكم علينا إلى هذا اليوم ، أيهم بذلك زعم : أى أيهم كغيل بذلك الحسكم وأن لهم فى الآخرة ما للسلمين فيها، كشف الساق : يراد به الشدة، وقد كانوا إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق .

قد شمّرت عن ساقها فشدوا وجدّت الحرب بكم فجنُّوا روى عن ابن عباس أنه سثل عن هذه الآية فقال : إذا خنى عليكم شىء من القرآن فابتغوه فى الشعر فإنه ديوان العرب . أما سمتم قول الواجز :

صــــبراً عناق إنه شر باق

قد سن لى قومُك ضربَ الأعناقُ وقامت الحرب بنا على ساقُ خاشمة أبصارهم: أى ذليلة ، سالمون: أي أصاء .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوه وخالفوا أمره _ أعقب هذا بيبان أن لمن أتفاه وأطاعه جنات النميم التي لاتبيد ولا تفنى في المدار الآخرة ، ثم ردّ على من قال من الكفار : إن صح أنا نبحث كما يزعم محمد وصحبه ، لم يفضلونا بل تكون أحسن منهم حالا ، لأن من أحسن إلينا في الدنيا بحسن إلينا في الآخرة _ بأنكم كيف تسوّون بين المطيع والماصي فضلاعن أن تفضلوا الماصي عليه ، ثم أخذ يقطع عليهم الحجة فقال : أتلقيتم كتابا من السيام مفرأتم فيه أنكم تحتارون ما تشاءون ، وتكونون وأتم مجرمون كالمسلمين الصالحين ، أم أعلينا كم عهودا أكدناها بالأيمان فاستوثقم بها فهي ثابتة لكم إلى يوم القيامة ثم أم أعلى يذهران مذهبكم في هذا القول ، وإن صح أن لكم ذلك فلتأثوا بهم أم لكم أناس يذهبون مذهبكم في هذا القول ، وإن صح أن لكم ذلك فلتأثوا بهم يوم يشتذ إلى السجود ولم سالمون وتكون أبصارهم خاشمة ذليلة ، وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود وهم سالمون أصاد ، فيأبون كل الإياء .

الإيضاح

(إن للمتقين عند ربهم جنات النسم) أى إن لمن انثوا ربهم فأدّوا فرائضه، واجتنبوا نواهيه ، جنات ينعمون فيها النسم الخالص الذى لايشو به كدر ينفصه كما يشوب جنات الدنيا . قال مقاتل: لما ترلت هذه الآية قال كفار مكة للسلمين: إن الله فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بدّ أن يفضلنا عليكم فى الآخرة ، فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة ، فرد الله عليهم ما قالوا وأكد فوز للتقين بقوله :

(أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟) أى أفنحيف فى الحكم ونسوّى بين هؤلا. وهؤلاء فى الجزاء ،كلا ورب الأرض والسياء .

ثم عبِّب من حكمهم واستبعده ، و بين أنه لايصدر من عاقل فقال :

(مالــكم كيف تحكمون ؟) أى ماذا حصل لــكم من فساد الرأى وخبل العقل حتى قاتم ماقلتم ؟

ثم ســـدّ عليهم طريق القول ، وقطع عليهم كل حجة يستندون إليها فيا يدّعون فقال :

(أم لحكم كتاب فيه تدرسون. إن لحكم فيه لما تخيرون) أى أفبأيديكم كتاب نزل من السهاء تدرسونه وتتداولومه، ينقله الخلف عن الساف، يتضمن حكما مؤكدا كما تدعون، أن لحكم مانختارون ونشتهون، وأن الأمر مفوض إليكم لا إلى غيركم؟ وخلاصة هذا – أفسدت عقولكم حتى حكتم بهذا، أم جامكم كتاب فيه تخييركم وتفويض الأمر، إليكم ؟.

(أم لكم أيمان علينا بالفة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) أى أم ممكم عهود منا مؤكدة لانخرج مر عهدتها إلى يوم القيامة أنه سيحصل لكم كل مانهوورة وتشتهون ؟.

وخلاصة ذلك — أم أقسمنا لكم قسما إن لكم كل ماتحبون؟ .

ثم طلب إلى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسألهم على طريق التوبيخ والتقريم فقال : (سلهم أيهم بذلك زعيم) الزعيم عند العرب الضامن والمتكلم عن القوم ، أى · قل لهم من الـكنيل بتنفيذ هذا ؟

(أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) أى أم لهم ماس يشاركونهم فى هذا الرأى ، وهو التسوية بين المسلمين والحجرمين؟ و إن كان كذلك فليأتوا بهم إن كانوا صادقين فى دعواهم .

وقصارى هذا الحجاج — نفى جميع مايمكن أن يتعلقوا به فى تحقيق دعواهم، فنبه أوّلا إلى نفى الدليل الفقل بقوله: « مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » ثم إلى نفى الدليل النقل بقوله: « أمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيه تَدْرُسُونَ » ثم إلى ننى الوعد بذلك حدووعد الكريم دين عليه – بقوله: « أمْ لَكُمْ أُيّانَ عَلَيْنَا » ثم إلى ننى التقليد الذى هو أوهن من حبال القمر بقوله: « أمْ كُمْ شُركاً» ».

(يوم يكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيمون) أى فليأتوا بهؤلاء الشركاء ليماونوم إذا اشّتد الهول وعظم الأمر يوم القيامة .

وحينئذ يدعى هؤلاء الشركاء إلى السجود تو بيمنا لهم على تركهم إياه فى الدنيا فلا يستطيعون ، فنزداد حسرتهم وندامتهم على مافرطوا فيه حين دُعوا إليه فى الدنيا وهم سالمون أسحاء فلم يفساوا .

(خاشمة أبصارهم ترهقهم ذلة)أى يدعون إلى السجود وتكون أبصارهم خاشمة وتفشاهم ذلة فذلك اليوم ، وقد كانوا فى الدنيا متكبر بن متجبر بن ، فموقبوا بنقيض ماكانوا عليه .

(وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون) أى إنهم لمـا دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنموا منه مع سحتهم وسلامة أبدانهم ، عوقبوا فى الآخرة بمدم قدرتهم عليه، فإذا تجلى الرب سجد له المؤمنون ، ولم يستطع أحد من الــكافر بن والمنافقين أن يسجد ، بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحد ، فكلما همّ بالسجود خرّ اتفاه بعكس السجود فى الدنيا .

وقال النخمى والشمي : المراد ِالسجود الصاوات للفروضة ، وقال آخرون : إن المراد جميع العبادات .

فَذَرْ فِي وَمَنْ بُكَذَّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ ، سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْث لاَ يَشْلُمُ أَجْرًا الْحَدِيثِ ، سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْث لاَ يَشْلُمُ أَجْرًا الْحَدِيثِ ، سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْث مِنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَثْنَا أَلُمُ أَجْرًا الْحَمْ الْفَيْبُ فَهُمْ يَكُتُبُونَ (٤٤) فَأَصْبِر فَيْمَ مَنْ مَنْ مَنْ مُومَ (٤٤) فَأَصْبِر الْحَوتِ إِذْ نَادَى وَهُو مَكْتُلُومٌ (٤٤) فَأَصْبِر الْحَوتِ إِذْ نَادَى وَهُو مَكْتُلُومٌ (٤٤) فَأَصْبِر الْحَوتِ إِذْ نَادَى وَهُو مَكْتُلُومٌ (٤٤) فَأَحْبَاهُ لَوْ لَا إِنْ اللهِ اللهِ مَنْ السَّالِينِ (٠٠) وَإِنْ يَكُود الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ رَبُّهُ فَجَمَلُهُ مِنَ السَّالِينِ (٠٠) وَإِنْ يَكُود الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ رَبِهُ مَنْ السَّالِينِ (٥٠) وَمَا هُوَ إِلاَّ يَكُودُ لَا إِنَّهُ لَمُؤْمُونَ (١٥) وَمَا هُوَ إِلاَّ يَرْطُولُونَ إِنَّهُ لَمُؤْمُونَ (١٥) وَمَا هُوَ إِلاَّ يَكُودُ لَا إِلَّا لَكُونَ (١٥) وَمَا هُو إِلاَّ مَنْ السَّالِينَ (٢٠)

شرح المفردات

تقول: ذرنى و إياه : أى كله إلى فإنى أكفيكه ؛ ويقال استدرجه إلى كذا : إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورّطه فيه ، وأملى لهم : أى أعلهم وأطيل لهم المدة ؛ يقال أملى الله ا أه : أى أطال له الملاوة وهى المدة من الزمن ، والكيد هنا : الإحسان ، والمغرم : الترامة المالية ، مثقلون : أى مكلفون أحمالا ثقالا فهم بسببها يعرضون عنك ، النيب : هو ما كتب فى اللوح واستأثر الله بعلمه ، يكتبون : أى يحكون على الله عا شاه عا شادوا وأرادوا ، حكم ربك : هو إمهالهم وتأخير تصرتك عليهم،

صاحب الحوت: هو يونس عليه السلام ، مكظوم: أى مملوء غيظا ، من قولهم: كلم السقاء إذا ملأه ، والعراء: الأرض الخالية ، فاجتباه : أى اصطفاه ، يزلقونك : أى يزلون قدمك ، يقولون : نظر إلى نظرة كاد يصرعنى ، أو كاد يأكلنى : أى لو أمكنه بنظره أن يصرعنى أو يأكلنى لفسل ، قال شاعرهم :

يتقارضون إذا التقَوْا في موطن نظرا يزلّ مواطن الأقدّام والله ... والذكر : القرآن ، ذكر : أي تذكر وبيان لجيم مايحتاجون إليه .

المعنى الجملي

بعد أن خوّف الكفار من هول يوم القيامة — خوّفهم مما في قدرته من الفهر فقال لرسوله مؤنّبا لهم ومو بحنا : خلّ بيني و بين من يكذب بهذا القرآن ، فإنى عالم بما ينبغي أن أفعل بهم ، فلا تشغل قلبك بهم ، وتوكل على في الانتقام منهم ، إنا سندنيهم من العذاب درجة فدرجة ، وتورطهم فيه بما توليهم من النعم ، وترزقهم من الصحة والعافية ، فترداد معاصيهم من حيث لايشعرون ، فكلما جدّدوا معصية جددنا لهم نعمة ، وأنسيناهم شكرها .

ثم قال لرسوله : ماذا ينقمون منك ؟ وأنت تسألهم أجرا على تبليغ الرسالة ثقل عليهم فامتنعوا عن إجابة دعوتك ؟ أم عندهم علم النيب المكتوب في اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكون به ؟ كلا ، لاهذا ولا ذاك ، إذا فالقوم مماندون ، فلم يبق إلا أن تصبر لحسكم ربك ، وقد حكم بإحالهم وتأخير نصرتك ، وهم إن أمهلوا فلن يُمتكوا .

ثم نهى رسوله أن يكون كيونس عليه السلام حين غضب على قومه فنارقهم ونزل إلى السفينة فابتلمه الحوت ودعا ربه وقال : ﴿ لَا إِلَهُ ۚ إِلاَّ أَنْتَ سُبْتَعَانَكَ إِلَىٰ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » وهو بملوء غيظا وحثقا . ثم أخبر رسوله بأن الكافرين ينظرون إليه شذرا حين يسمعون منه القرآن ، و يقولون حســـدا على ما آثاه من النبوة :«إِنْكَ لَمْجَنُونُ»تنفيرًا منه ومن دعوته ، وما القرآن إلا عظة للجن والإنس جميعا ، لايفهمها إلا من كان أهلا لها .

الإيضاح

(ذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى كِل أيها الرسول أمر هؤلاء للكذبين بالقرآن إلىّ، ولا تشغل قلبك بشأنهم فأنا أكفيك أمرهم ، وهذا كما يقول القائل لمن يتوعد رجلا : دعنى وإياه ، وخلَّى و إياه ، فأنا أعلم بمساءته والانتقام منه .

وفي هذا تسلية لرسوله وتهديد للمشركين كما لابخني .

وخلاصة ذلك — حسبك انتقاما منهم أن تكل أمرهم إلى ونُحَلَى يبنى و بينهم. ثم بيَّن كيف يكون ذلك التمذيب للستفاد إجالا من الكلام السابق فقال : (سنستدرجهم من حيث لايملمون) أى سنستنزلهم إلى المذاب درجة فدرجة بالإمهال و إدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لايملمون أنه استدراج ، بل يزعمون أنه إيثار وتفضيل لهم على المؤمنين ، مع أنه سبب في هلا كهم في العاقبة .

ونحو الآية قوله : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا كُمَدَّهُمْ ۚ بِهِ مِنْ مَالَ وَبَغِينَ . نُسَارِعُ لَمُمْ فِى الْخَيْرَاتِ؟ بَلْ لاَيشْمُرُونَ » وقوله : « فَلَمَّا نَسُوا مَاذَ كُرُّ وا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلَّ نَيْءْ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَنْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلُسُونَ » .

(وأملى لهم إن كيدى متين) أى وأؤخرهم وأنسىٌ فى آجالهم ملاوة من الزمان على كفرهم وتمردهم علىَّ لتتكامل حججى عليهم ، وإن كيدى لأهل الكفر لقوى شديد .

وسمى سبحانه إحسانه إليهم كيدا « والكيد ضرب من الاحتيال » لكونه في صورته ، من قِبَل أنه تمالي فِعل بهم ماهو نفع لهم ظاهرا وهو يربد بهم الضرر، لما علم من خبث طويّتهم ، وسوء استمدادهم وتماديهم فى السكمور وتدسيتهم أنفسهم بالآثام وللعاصى .

وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿إِنَ اللهُ تَعَالَى لَمُمِلَى الطَّالَمُ حَى إِذَا أَحْسَدُهُ لِمُ يُمْلِيّهُ ، ثَمْ قرأ : وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الشّرَى وَهِمَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيرٍ شَدِيدٌ ۗ » .

ثم ذكر من الشبه ماربما يكون هو المانع لهم عن قبول الحق فقال :

(۱) (أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون) أى بل أنسأل أيهـــا الرسول هؤلاء المشركين بالله على ما آتيتهم من النصيحة والدعوة إلى الحق أجرا دنيويا ؟ فهم من غُرَّم ذلك الأجر مُثقّلون بأدائه ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا لعظم ما أصابهم من الذم الدخول فى الدين الذى دعوتهم إليه .

وخلاصة ذلك — إن أمرهم لعجيب ، فإنك لتدعوهم إلى الله بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجو ثواب ذلك من ربك ، وهم مع ذلك يكذبونك فيما جئتهم به من الحق جهلا وعناداً .

(٣) (أم عندهم النيب فهم يكتبون)أى أم عندهم اللوح المحفوظ الذى فيه نبأ ماهوكائن، فهم يكتبون مايريدون من الحبيج التي يزعمون أنها تدل على قولهم، ويخاصمونك بما يكتبون من ذلك ، ويستغنون بذلك عن الإجابة لك، والامتثال لما تقول .

ولما بالغ فى تزييف طريق الكافرين ، وزجرهم عما هم عليه ، أمر رسوله بالصبر على أذاهم فقال :

(فاصبر لحسكم ربك) أى فاصبر على قضاء ربك وحكمه فيك وفى هؤلاء المشركين ، وامض لما أمرك به ، ولا يثنك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه -- تكذيبهم وأذاهم لك . روى أنه عليه الصلاة و السلام أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض نفسه على القبائل بمكة فنزل قوله تمالى :

(ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) أى ولا تكن كيونس ابن متَّى حين ذهب مفاضبا لقومه ، فكان من أمره ما كان من ركوب البحر والقتام الحوت له ، وشروده به فى البحار ، فنادى ر به فى الظامات من بطن الحوت وهو مملوء غيفا من قومه إذ لم يؤمنوا حين دعاهم إلى الإيمان .

وجا. فى الآية الأخرى: « فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبُعَانَكَ إِلَّى النَّلَمُ مِنَ الْفَاتُمَ مِنَ الْفَاتِمَ وَكَذَٰ لِكَ نَتُجِي إِلَى كُنْتُ مِنَ الْفَاتِمَ وَكَذَٰ لِكَ نَتُجِي اللَّهُ مِنِينَ » .

(لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالمراء وهو مذموم) أى لولا أن تداركته معة الله بتوفيقه للتو بة وقبولها منه ، لطرح بالفضاء من بطن الحوت وهو مليم مطرود من الرحمة والسكرامة .

(فاجتباء ر به فجمله من الصالحين) أى ولكن تداركته نسمة من ر به فاصطفاه وأوحى إليه وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون ، وجمله من المرسلين الماملين بما أمرهم به ربهم ، المنتهين عما نهاهم عنه .

ثم بيَّن بالغ عداوتهم له ، فذكر أنها سرت من القلب إلى النظر نقال :

(و إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمسوا الذكر) أى إنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزّرا ، حتى ليكادون يزلون قدمك تخصدعُ حين سمموك تتلوكتاب الله ، حسدًا لك و يغضا .

و برى بمضهم أن المراد إنهم يكادون يصيبونك بالمين ، وروى أنه كان فى بنى أسد عيّانون ، فأراد بمضهم أن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله وأنزل عليه هذه الآية . وقد صح هذا الحديث من عدة طرق: « إن العين لتدخل الرجل القبر ، والجل القدر». وروى أحمد عن أبى ذرّ مرفوعا : «إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتى يصمد حالقا تم يتردّى منه » .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وعن الحسن : رُقية المين هذه الآية .

وسر هذا أن من خصائص بعض النفوس أن تؤثر في غيرها بوساطة الدين ، لما فيها من كمر بية خاصة يكون بها تأثير فيا تنظر إليه ، والله يخص ماشاء بما شاء .

وشبيه بهذا تأثير سض النفوس فى بعض بوساطة التنويم المفناطيسى الذى أصبح الآن فنا له أساليب علمية لايمكن إنكارها .

(و يقولون إنه لمجنون) أى و يقولون لحيرتهم فى أمره ، وجهلهم بما فى تضاعيف القرآن من عجائب الحـكم ، و بدائم العلوم : إنه لمجنون .

(وما هو إلا ذكر للمالمين) أى يقولون ماقالوا، وما هو إلا تذكير و بيان لجميع مايحتاجون إليه من أمور دينهم ، أفيكون من أنزل عليه مثل هذا وهو مطلع على أسراره ، محيط بجميع حقائقه خُبرا ، ممن ينطبق عليه مثل هذا الوصف الذى قالوه ، أم يكون مثل هذا من أدل الدلائل على كال الفضل والمقل ؟

والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسحبه وسلم

ماتضمنته هذه السورة من موضوعات

- (١) محاسن الأخلاق النبوية إلى قوله : « وَ إِنَّكَ لَتَلَى خُلُقِ عَظِيمٍ » .
- (٧) سوء أخلاق بعض الكفار وجزاؤهم من قوله : « فَسَنَبْهـِرُ وَيُبْهـِرُونَ»
 إلى قوله : « سَنَسِيهُ عَلَى الْخُرْطُوم » .
- (٣) ضرب المثل لهم بأصحاب الجنة من قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْ نَاهُمْ ۚ إِلَى تَولَهُ ﴿ لَوَ ۚ كَأَنُوا يَدْلَمُونَ ﴾
 - (٤) تقريع المجرمين وتوبيخهم و إقامة الحجج عليهم .
- (٥) تهديد الشركين المكذبين بالقرآن بقوله : «فَذَرْني وَمَنْ يُكَذِّبُ الح» .
- (٦) أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى المشركين حتى الأيكون كصاحب الحوت.

سورة الحاقة

هى مكية ، وآيها ثنتان وخمسون ، نزلت بعد سورة الملك .

ومناسبتها لما قبلها :

 (١) إنه وقع في نَ ذكر يوم القيامة عجلا ، وهنا فصل نبأه وذكر شأنه العظيم .

 (۲) إنه ذكر ميا قبلها من كذب بالقرآن وما توعده به ، وهنا ذكر أحوال أم كذبوا الرسل وما جرى عليهم ، ليزدجر المكذبون المماصرون له عليــه الصلاة والسلام .

بِسم ِ اللهِ الرُّحْمَنِ الرَّحِيم

آلَّهُ أَقَّةُ (١) مَا آلَّهُ أَقَّهُ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا آلُّهُ أَقَّهُ (٣) كَذَّبَتْ مَعُودُ وَعَادُ بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَلَا مُعُودُ وَعَادُ بِالطَّاغِيةِ (٥) وَأَمَّا عَادُ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِ وَتَمَانِيَةَ فَاهْلِكُوا بِالطَّاغِيةِ (٥) وَأَمَّا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِ وَتَمَانِيَةَ أَبًام حُسُومًا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِ وَتَمَانِيَةَ أَبًام حُسُومًا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِ وَتَمَانِيةَ أَبًام حُسُومًا فَتَرَى الْقُومَ فِيها صَرْقَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَادُ ثَعْلِ خَاوِيةٍ (٧) أَبَّا فَهَلُ وَاللَّوْ الْفَوْقَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيةً (١٠) إِنَّا فِلْهُ اللَّهِ صَلْمًا كُمْ اللَّهِ مَلْنَا كُمْ فَا الْجُارِيَةِ (١١) لِيَجْعَلَهَا لَكُمْ الْمُ كَرَفً اللَّهِ الْمَالِكُمْ الْمُ لَكُمْ الْمُ لَلِيَةً (١١) لِيَجْعَلَهَا لَكُمْ الْمُ كَرَفًا وَالْمِنَةُ (١) وَتَعَمَّا أَذُنُ وَاعِيَةً (١٠) لِيَعْمَلُهَا لَكُمْ الْمُ كَرَفًا وَالْمُؤْمِنَ وَالْمَالِقَةً (١١) لِيَعْمَلُهَا لَكُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنَ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَةُ لَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَةُ لَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَةُ لَاللَهُ وَمَنْ وَاللَّهُ وَاللَّوْمُ لَلْمُ اللَّهُ وَمَانُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَةُ لَاللَهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُولُ وَمَنْ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُهُ وَالْمُؤْمِلُومُ وَمِنْ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمِلُهُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ و

شرح المفردات

الحاقة : من حق الشيُّ ، إذا ثبت ووجب ، أي الساعة الواجبة الوقوع ، الثابتة المجيء وهي يوم القيامة ، ما الحاقة : أي أيّ شي هي ؟ تفضيا لشأنها ، وتعظيما لهولها ، وما أدراك ما الحاقة : أي أي شيء أعلمك ماهي ؟ فلاعل لك بحقيقتها ، إذ بلغت من الشدة والهول أن لايبلغها علم المحلوقين ، والقارعة : هي الحاقة التي تقرع قلوبالناس بالخافة والأهوال ، وتقرَع الأجرام بالانفطار والانتشار ، وسميت قارعة لشدة هولها ، إذ القرع ضرب شي م بشي ، والطاغية : هي الوافعة التي جاوزت الحد في الشدة والقوة كَما قال ﴿ إِنَّا لَمْنَّ عَلَمْ عَلَمُ المَّاهِ ﴾ أي جاوز الحد ، والمراد بها الصاعقة ، والصرصر : الشديدة الصوت التي لها صرصرة ، عانية : أي بالغة منتهي القوة والشدة ، سخرها عليهم: أي سلطها عليهم ، حسوما : أي متنابعة واحدها حاسم ، والحسم : القطع والاستشمال ؛ وسمى السيف حُساما لأنه يحسم العدو عما يريد من عداوته ، وصرعى : واحدهم صريعاًى ميت، وأعجاز : واحدها عجز، وهو الأصل، وخاوية : أىخالية الأجواف لاشي منها ، والباقية : البقاء ، والمؤتفكات : أي المنقلبات وهي قرى قوم لوط ، جمل الله عاليها سافلها بالزلزلة ، والخاطئة: الخطأ ، رابية : من ربا الشي ُ إذا زاد أى الزائدة في الشدة ، وطنى الماء : تجاوز حده وارتفع ، حملنا كم : أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ، والجارية : السفينة التي تجرى في الماء ، وتعيها : أي تحفظها ، وتقول الكل ما حفظته في نفسك : وعيتُه ، وتقول لكل ماحفظته في غير نفسك : أوعيته ؛ فيقال أوعيت المتاع في الوعاء قال: «والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد » .

المعنى الجملي

ذكر سبحانه أن يوم القيامة حق لاشك فيه ، وأن الأمم التي عصت رسلها وكذبتهم ، أصابها الهلاك والاستئصال بألوان من المذاب ، فنمود أهلكت بالصاعقة وعاد أهلكت بريح صرصر عاتية سلطها عليهم سبع ليال وثمــانية أيام متتابعة ، فصاروا صرعى كأنهم أصول نخل جوفاء ، لم يبق منهم ديًار ، ولانافخ نار ؛ وكذلك أهلك فرعون وقومه بالغرق ، وقوم لوط بالزلزال الشديد الذى قلب قواهم وجمل عاليها سافلها ، وأهلك قوم نوح بالطوفان .

الإيضاح

(الحاقة ما الحاقة ؟) هذا أسلوب من الكلام يفيد التفخيم والمبالغة في الغرض الذي يساق له ، فكا أنه قيــل : أي شئ هي في حالها وصفتها ؟ فهي لا تحيط بها المبارة ، ولا يبلغ حقيقتها الوصف

ثم زاد سبحانه في تفظيع شأنها ، وتفخيرأمرها ، وتهويل حالها فقال :

(وما أدراك ما الحاقة ؟) أى أى أى شى أعلمك ماهى ؟ فهى خارجة عن دائرة علوم المخلوقات ، لمظم شأنها ، ومدى هو لها وشدتها ، فلا تبلغها دراية أحد ولاوهمه، فكيفها قدرت حالها ، فهى فوق ذلك وأعظم .

فال سفيان بن عيينة : كل مافى القرآن قال فيه: وما أدراك ، وإنه صلى الله عليه وسلم أُخبِرَ بِه ، وَكل شي الله فيه : وما يدريك ، فإنه لم يخبر به .

نم ذكر بعض الأم التي كذبت بها ، وماحاق بها من العذاب فقال :

(كذبت تمود وعاد بالقارعة) أى كذبت تمود وعاد بالقيامة التي تقرع الناس بالفزع والهول ، والسياء بالانفجار ، والأرض والجبال بالنسف ، والنجوم بالطمس والانكدار .

ثم فصل مانزل بكل أمة من المذاب فقال:

(أ) (فأما تمود فأهلكوا بالطاغية) أى فأما تمود فأهلكهم الله بصيحة جاوزت الحِد في الشدة كما جاء في هود « وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَالَمُوا الصَّيْحَةُ » وهي الصاعقة التي جاءت في حمّ السجدة ، والرجفة والزانة التي جاءت في سورة الأعراف ، فلا تمارض بين الآيات ، لأن الهلاك فى بعضها نسب إلى السبب التريب ، وفى بعضها نسب إلى السبب البميد .

(٧) (وأما عاد فأهلكوا بربح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) أى وأما عاد فأهلكوا بربح صرصر عاتية . فنا قلم عليه أي وأما عاد فأهلكوا بربح مهلكة عنت عليهم بلا شفقة ولارحمة ، فقد والحلاص منها بحيلة : من استتار ببناء ، أو لياذ بجبل ، أو اختفاء فى حفرة ، فقد كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم ، وقد دامت سبع ليال وثمانية أيام بلا انتظاء ولا فتور .

ثم ذكر نتائجها فقال :

(فنرى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ؟) أى فنرى قوم عاد فى تلك السبع الليالى والنمانية الأيام المتتابعة صرعى هالكين ، كأنهم أصول نخل متأكلة الأجواف لم يبق منهم ولامن نسلهم أحد، وجاء فى آية أخرى : « فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إلاَّ مَسَا كِنْهُمْ » .

(٣) (وجاء فرعون ومن قبسله والمؤتفكات بالخاطئة) أى وجاء فرعون ومن
 تقدمه من الأمم التي كفرت بآيات الله كقوم نوح وعاد وثمود والقرى التي التفكت
 بأهلها ، وصار عاليها سافلها ، بسبب خطيئتها ومصيتها .

ثم بيَّن هذه الخطيئة بقوله :

(نعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذه رابية) أى فعمى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم رسل الله الذين أرسلوا إليهم ، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وأذاقهـــم وبال أمرهم بعقوبة زائدة على عقوبة سائر الكفار ، كما زادت قبائمهم على قبائم غيرهم .

ونحو الآية قوله: ﴿ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ كَفَقَّ وَعِيدٍ ﴾ .

(إنا لمـا طنى الماء حملنا كم فى الجارية) أى إنا لما ارتفع الماء ، وجاوز الحد ،

وجاء الطوفان حملنا آباءكم من مؤمني قوم نوح في السفينة ، لننجيهم من الغرق الذي عتم هؤلاء الكافرين جميعا .

والمشهور أن الناس كلهم من سلائل نوح وذريته .

ثم ذكر مافى هذه النجاة من المبرة فقال :

(لنجملها لكم تذكرة) أى لنجمل نجاة المؤمنين ، وإغراق الكافرين عظة وعبرة ، لدلالتها على كمال قدرة الصانع وحكمته ، وسعة رحمته .

(وَتَوْيَمُهَا أَدْنَ وَاعِيةً) أَى وَتَفَهِمها أَدْنَ حَافَظَةَ سَامِعَةً عَنِ اللهُ ، فَتَنْتَفَعُ بَمَا سممت من كتابه ولا تضييع العمل بما فيه .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى : ﴿ إِنَّى دَعُوتَ اللهُ أَنْ يَجِعَلُهَا أَذَنْكُ ياعِلَى ﴾ قال على كرم الله وجهه : فما سمت شيئا فنسيته ، وما كان لى أن أنسي.

أَوْاَ انْفِيخَ فِي الصَّوْرِ تَفْخَهُ وَاحِدَهُ (١٣) وَمُعِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَ كُتَّا دَكَةً وَاحِدَةً (١٥) وَنُشَقَّتِ الْوَاقِمَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّاءَ فَعِي يَوْمَئِذِ وَلَمَتِ الْوَاقِمَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّاءَ فَعِي يَوْمَئِذِ وَاهْيَةٌ (١٦) وَاللَّكُ عَلَى أَرْجَالُهَا وَيَحْمِلُ عَرْضَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذِ ثَمَانِيَةً (١٦) يَوْمَئِذِ ثُمَرَضُونَ لَأَتَحْفَى مِنْكُمْ خَافِيةٌ (١٨).

شرح المفردات

نفخة واحدة: هى النفخة الأولى ، حملت الأرض والجبال: أى رفعت من أما كنها ، فدكتا دكة واحدة: أى ضرب بعضها ببعض حتى اندقت وصارت كثيبا مبيلا ، الواقعة: النازلة وهى يوم القيامة ، انشقت الساء: أى فتحت أبوابا ، واهية : أى مسترخية ضعيفة القوة، من قولهم: وهى السقاء إذا انخرق، ومن أمثالهم قول الراجز: خل سبيل من وهى مقاؤه ومن هرت هريق بالفلاة ماؤه

أرجائها: أى جوانبها، واحدها رجا، ثمانية ؛ أى ثمانية أشخاص، خافية : أى سريرة .

المعنى الجمل

بعد أن قص هذه القصص الثلاثة ، ونبًّه بها على ثبوت القدرة والحكمة ، وبها ثبت إمكان وقوع يوم القيامة - شرع يذكر تفاصيل أحوال هذا اليوم وما بكون فيه من أهوال .

الإيضاح

(فَإِذَا نَفْخَ فَى الصور نَفْخَة واحدة) أَى فَإِذَا نَفْخَ إِسْرَافِيلَ النَفْخَةَ الأُولَى التَّى عندها خراب العالمَ .

(وحلت الأرض والجبال) أى رفست من أما كنها ، ولا ندرى كيف رفست فذلك من أنباء النيب ، فقد يكون ذلك برجح يبلغ من قوة عصفها أن تحملهما ، أو بقدرة الله من غير سبب ظاهر ، أو بمصادمة بعض الأجرام كذوات الأذناب ، فتنفصل الجبال وترتفع من شدة المصادمة ، وترتفع الأرض من حيرها .

(فدكتا دكة واحدة) أى فضرب بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تقطت أوصالهما ، وصارتا كثيبا مهيلا ، وهباء منبثا لايتميز شىء من أجزائهما عن الآخر . (فيومئذ وقت الواقعة) أى فحينئذ تقوم القيامة .

(وانشقت السهاء فهى يومثذ واهية) أى وتصدعت السهاء لأنها يومثذ ضميفة للُنَّةَ كالعهن المنفوش ، بعد أن كانت شديدة الأسر عظيمة القوة .

(واللَّكَ على أرجائها) أي والملائكة على جوانب السماء ينظرون إلى أهل

الأرض ، ولا ندرى كيف ذلك ، ولا الحكمة فيه ، فندع تفصيل ذلك ونؤمن به كياجا. في الكتاب ولا نز مد عليه .

(و بحمل عرش ربك فوقهم يومثذ ثمانية) أى و بمحمل عرش ربك حينئذ فوق رءومهم ثمانية من الملائكة .

(يومثذ تعرضون لانحنى منكم خافية) أى فيومثذ تحاسبون وتسألون ، لايخنى على الله شىء من أموركم ، فإنه تعالى عليم بكل شىء ، لايعزب عنه شى. فى الأرض ولا فى السياء ، كما جاء فى آية أخرى : « لاَيَعْنَى كَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَىّهُ » .

وفى هذا تهديد شديد ، وزجرعظيم ، ومبالغة لاتخفى ، وفضيحة للكافرين ، وسرور للمؤمنين بظهور ما كان خفيا عليهم من أعمالهم ، و بذلك يتكامل حبورهم وسرورهم. والتمبير بالمرض تشبيه بعرض السلطان لمسكره ، ليعرف أحوالهم ، وفى هذا المرض إقامة للمحجة ، ومبالغة فى إظهار المدل .

أخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن ماجة وابن مردويه عن أبى موسى الأشمرى قال: قال رسول ألله صلى الله عليه وسلم «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، قأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الأمدى ، فأخذ بهينه وآخذ بسماله » .

فَأَمَّا مَنْ أُوثِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ: هَاوَّمُ افْرَهُوا كِتَابِيَهُ (١٩) إِنَّى ظَنَفْتُ أَنِّى مُلاَق حِسَابِيَهُ (٧٠) فَهُوَ فِي عِيشَةِ رَاضَيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) تُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٣٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيثًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَلِيمِ الْحَالَيَةِ (٢٢)

شرح المفردات

هاژم: أى خذوا، ظننت: أى علمت، ملاقي: أى معاين، راضية: أى يرضى بها صاحبها، عالية: أى مرتفعة المسكان، والفطوف: ماميمتنى من الثمر، واحدها قطف (بكسر القاف وسكون الطاء) دانية: أى قريبة، هنيثا: أى بلا تنفيص ولا كدر، أسلفتم: أى قدمتم، الخالية: أى الماضية.

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أنهم يعرضون على الله ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم -- فصل أحكام هذا العرض ، فأخبر بأن من يؤتى كتابه بيمينه يشتد فرحه حتى يقول لسكل من لقيه : خذ كتابى واقرأه ، لأنه يعلم مافيه من خير وفضل من الله ، ويقول : إنى كنت أعلم أن هــذا اليوم آت لاريب فيه ، وإنى سأحاسب على ما أعمل ، وحينئذ يكون جزاؤه عند ربه جنة عالية ذات ثمار دانية ، ويقال له ولأمثاله : كلوا واشر بوا هنيثاً بما قدمتم لأنفسكم في الدنيا .

الإيضاح

(فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءواكتابيه) أى فأما من أعطى كتابه بيمينه فيقول : تعالوا اقرءواكتابى فرحا به ، لأنه لما أوتيه باليمين علم أنه من الناجين الفائزين بالنصم، فأحب أن يظهره لغيره حتى يفرحوا بما نال.

ثم ذكر العلة في حسن حاله فقال :

(إنى ظننت أنى ملاقي حسابية) أى إنى فرح مسرور ، لأنى علمت أن ر بى سيحاسبنى حسابا يسيرا ، وقد حاسبنى كذلك ، فالله عند ظن عبده به . قال الضحاك : كل ظن فى القرآن من المؤمن فهو يقين ، ومن السكافر فهو شكّ وقال مجاهد : ظن الآخرة يقين ، وظن الدنيا شك .

وقال الحسن فى الآية : إن المؤمن أحسن الظن بر به فأحسن العمل للآخرة ، وإن الكافر أساء الظن بربه فأساء السل لها .

ثم بيَّن عاقبة أمره نقال بـ

(فهو فى عيشة راضية) أى فهو يعيش عيشة مرضية خالية مما يكدر مع دوامها وما فيها من إجلال وتعظيم .

ثم فصل ذلك فقال:

(فى جنة عالية قطوفها دانية) أى فهو يعيش فى بستان عال رفيع ذى تمار دانية القطوف ، يأخذها للرءكما يريد، إن أحب أن يأخذها بيده انقادت له ، وهو قائم و جالس أو مضطجم ، وإن أحب أن تدنو إلى فيه دنت له .

(كلوا واشر بوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية) أى ويقول لهم ربهم جل ثناؤه : كلوا يامعشر من رضيت عنه فأدخلته جنتى — من تمارها وطيب مافيها من الأطمعة ، واشر بوا من أشر بنها ، أكلاً وشربا هنيثا لانتأذون بما تأكلون وما تشر بون جزاء مر الله ، وثوابا على ماقدمتم في دنيا كم لآخرتكم من العمل بطاعتي .

وَأَمَّا مَنْ أُو نِنَ كِتَابَهُ بِشِهَا لِوَفِيَقُولُ يَالِيَّذَى لَمَّ أُوتَ كِتَابِيهُ (٢٥) وَلَمَّ الْفَاصِيةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنَّى مَلَا أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ (٢٦) يَالَيْنَهَا كَانَتِ الْقاصِيةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيةُ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِية (٢٩) خُدُّوهُ فَفَلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٢٨) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٠) إِنَّهُ كَانَ

لاَيُوْمِنُ بِاللهِ الْمَظِيمِ (٣٣) وَلاَ يَحُضُ عَلَى طَمَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيُوْمَ هَاهُنَا حَمِيمُ (٣٠) وَلاَ طَمَامٌ ۖ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينِ (٣٦) لاَ يَأْ كُلُهُ إِلاَّ الْحَاطِئُونَ (٣٧) .

شرح المفردات

التاضية: أى القاطمة للحياة فم أبث بعدها ، ما أغنى عنى ماليه : أى لم يغن عنى ماليه : أى لم يغن عنى مالي الذى تركته فى الدنيا ، هلك : أى بطل ، والسلطان : الحبحة ، غلّوه : أى , شدّ وه بالأغلال ، والفرّا : التبد الذى يجمع بين اليدين والسنق ، والجحم : النار التاجعة المشتمة ، وصليته النار وأصليته : أى أوردته إياها ، فرعها : أى طولما ، فاسلكوه : أى فاجعلوه فيها بحيث يكون كأنه السلك : أى الحبل الذى يدخل في تقب الخرزات بعسر الضيق ذلك الثقب ، إما بإحاطتها بمنقه أو مجميع بدنه بأن تلفّ عليه ، و يقال سلكته الطريق : إذا أدخلته فيه ، حم : أى قريب مشفق ، والنسلين : الدم والماه والصديد الذى يسيل من لحوم أهل النار قاله ابن عباس ، وعن أبي سعيد الخدرى مرفوعا : «لو أن دلوا من غسلين يُهرَ آق فى الدنيا لأنتن أهل الدنياك أخرجه الحاكم وصححه ، والخاطئون : أى الآثمون ؛ يقال خطى الرجل : إذا تعمد الإثم والخطأ .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سرور السمداء بصحائف أعمالهم ، ثم بيّن حسن أحوالهم في معايشهم ومساكنهم — أردف ذلك بذكر غمّ الأشقياء السكافرين وحزنهم بوضع الأغلال والقيود في أعناقهم وأيديهم ، وإعطائهم النسلين طعاما ، ثم أعقبه بذكر سبب هذا ، وهو أنهم كانوا لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحثون على مساعدة ذوى الحاجة والبائسين .

الإيضاح

(وأما من أونى كتابه بشماله فيقول باليتنى لم أوت كتابيه) فإنه لما نظر فى صحيفة أعماله ، وتذكر قبيح أفعاله ، خجل منها وتمنى أن لوكان عذب فى النار ولم يخجل هذا الخجل .

وفي هذا إيماء إلى أن المذاب الروحاني أشد ألمًّا من العذاب الجسماني .

(ولم أدر ماحسابيه ؟) أى ولم أعلم أى شىء حسابى الذى أحاسب به ، إذ كله و ال و نكال .

(يا ليتها كانت القاضية) أى ليت الموتة التي مِتها فى الدنيا كانت نهاية الحياة ، لم أبث بعدها ولم ألتي ما أما فيه من نكال وسوء منقلب .

قال تعادة : تمنّى الموت ولم يكن فى الدنيا عنده شىء أكره من الموت اه . و شر من الموت مايطيب له للموت ، قال شاعرهم :

وشر من الموت الذى إن لقيته تمنيتُ منه الموت والموتُ أعظم (ما أغنى عنى ماليه) أى لم يدفع عنى مالى الذى كنت أملكه فى الدنيا من عذاب الله ولا من بأسه شيئا .

(هلك عنى سلطانيه) أى ذهب ملكى وتسلطى على الناس ، و بقيت تقيرا ذليلا ، ومراده التحسر والندم ، إذ كان ينازع المحقين بسبب الملك والسلطان ، فالآن ذهب ذلك و يتى الوبال .

ثم ذكر سبحانه سوء منقلبه فقال :

(خذوه فنلُّوه . ثم الجحيم صلوه) أى فيقال لزبانية جهنم : خذوه فضعوا الغلَّ فى عنقه ، ثم أدخلوه فى النار الموقدة لفاء كغره بالله واجتراحه عظيم الآثام .

(ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلسكوه) أى ثم أدخُّلوه فى سلسلة طولما سبعون ذراعا تلف على جميع جسمه حتى لايستطيع تحركا ولا انفلاتا . والمرب إذا أرادت الكثرة عبرت بالسبعة والسبعين والسبعائة ، والمقصد إثبات أنها طه ملة المدى .

ثم بيَّن سبب استحقاق هذا المذاب فقال:

(إنه كان لايؤمن بالله المظيم) أى افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله فى الدنيا و إشراك به سواه ، وعدم القيام بحق عبادته وأداء فرائضه .

(ولا يحمض على طعام المسكين) أى ولا يحث الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة، فضلا هن بذل المــال لهـم .

(فليس له اليوم هاهنا حجيم) أى فليس له يوم التيامة من ينقذه من عذاب الله تعالى ، لأنه يوم يفرّ فيه القريب من قريبه ويهرب الحبيب من حبيبه .

وجاء فى آية أخرى : « وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيْ حَمِياً » وقال : « مَالِلظَّا لِمِينَ مِنْ حَمِيرُ وَلاَ شَفِيم يُطَاعُ » .

(ولا طمام إلا من غسلين . لاياً كله إلا الخاطئون) أى وليس له طمام إلا مايسيل من لحوم أهل النار من الدم والصديد الذى لاياً كله إلا من مرن على اجتراح السيئات ، ودسًى نفسه وأحاطت به الخطايا .

فَلَا أَقْدِيمُ بِمَا تُبْمِيرُونَ (٣٨) وَمَا لاَنْبَصِرُنَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقُولِ شَاعِرِ قَلِيلاً مَا تُولِمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنَ قَلْيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيل مِنْ رَبِّ الْمَا لَيْنَ (٤١).

شرح المفردات

ماتبصرون : هي المشاهدات ، وما لاتبصرون : هي المنيبات .

المعنى الجملي

بعد أن أقام الدليل على إمكان القيامة ، ثم على وقوعها ، ثم ذكر أحوال المؤمنين السعداء ، والكافرين الأشقياء — أردف ذلك بتعظيم القرآن والرسول للنزل عليه هذا القرآن .

قال مقاتل : سبب نرول الآية أن الوليد بن المفيرة قال : إن محمدا ساحر ، وقال أبو جهل : شاعر ، وقال عقبة : كاهن .

الإيضاح

(فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون) أى أقسم بما تشاهدون من المخلوقات و بما غاب عنكم ، قال نتادة : أقسم بالأشياء كلها مايبصر منها وما لايبصر ، وقال عطاء : ماتبصرون من أسرار القدرة .

(إنه لقول رسول كريم) أى إن هذا القرآن كلام الله ووحيه أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(وما هو بقول شاعر) لأن مجدا لا يحسن قول الشعر .

(قليلا ماتؤمنون) أى تؤمنون بذلك القرآن إيمانًا قليلا، والمراد أنهم لايؤمنون أصلا ، فالعرب تقول : قلما يأتينا ، يريدون أنه لايأتينا .

وقد يكون المراد بالقلة أنهم قد يؤمنون في قلوبهم ثم يرجمون عنه سريما .

(ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون) أى وليس بقول كاهن كما تزعون ، لأنه سبّ الشياطين وشتمهم ، فلا يمكن أن يكون بإلهامهم ، ولكنكم لما لم نستطيموا فهم أسرار نظمه – قلتم: إنه من كلام الكهان.

ثم أكد ماتقدم بقوله :

(تَعْزِيل من رب العالمين) أى بل هو تَعْزِيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على رسوله صلى الله عليه وسلم .

وَلَوْ تَقُولُ عَلَيْنَا بَمْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْتِيبِ (٥٤) ثُمُّ الْفَطَفْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ الْفَطْفْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ الْمَدِّ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ الْمَدْ مُرَكُمٌ مُسَكَدِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَمَامُ أَنْ مِنْكُمْ مُسَكَدِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَمَامُ أَنْ مِنْكُمْ مُسَكَدِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَمَانًا الْمَامِرَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَمَاقُ الْبَقِيرِ فِي (٥) فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكُ الْمَطْمِ (٥٥).

شرح المفردات

التِتموّل: الافتراء، وسمى بذلك لأنه قول متكلّف ، والأفاويل: الأقوال المنتراة، واحدها قول على غيرقياس، لأخذنا منه: أى لأمسكناه، بالبمين: أى بيمينه، والوتين: عرق يخرج من القلب ويتصل بالرأس، حاجزين: أى مانمين، حق اليقين: أى عين اليقين.

المعنى الجملي

بعد أن أثبت أن القرآن تنزيل من رب العالمين ، وليس بشعر ولا كهانة --أكدهذا بأن محمدا لايستطيع أن يفتعله ، إذ لو فعل ذلك لأبطلنا حجته ، وأمتنا دعوته ، أو سلبناه قوة البيان فلا يتكلم بهذا الكذب ، أو قتلناه فلم يستطع نشر الأكاذيب ، وقد جرت سفتنا بأن كل متكف القول لايقبل قوله ، ولا يصغى السامعون إلى كلامه كما قال : « وَمَا أَنَا مِنَ الْتَسَكَلَّقِينَ » ولا يستطيع أحد بعدئذ أن يدافع عنه .

ثم ذكر أن القرآن عظة لمن يتقى الله و يخشى عقابه ، و إنه حسرة على الكافرين حيبًا يرون ثواب المؤمنين ، و إنه لحق لاريب فيه .

نم أمر رسوله بأن يقدس ربه العظيم ويشكره على ما آناه من النعم ، وعلى ما أوحى به إليه من القرآن العظيم .

الإيضاح

(ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه بالهين) أى ولو افترى محمد علينا بعض الأقوال الباطلة ونسبها إلينا لعاجلناه بالعقوبة ، وانتقمنا منه أشد الانتقام .

والأخذ باليمين يكون عند ضرب الرقبة و إزهاق الروح ، وقد جرى ذكر هذا على التثنيل بما يفعله لللوك بمن يتكذب عليهم فإنهم لايمهلونه ، بل يضر بون رقبته على الفور .

(ثم لقطمنا منه الوتين) الوتين : عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر .

قال الشاخ ابن يضراد:

إذا بلَّمْتِني وحملتِ رحلي حَرابةً فاشْرَق بدم الوتين

والمراد — أنه لوكذب علينا لأزهتنا روحه ، فكان كن قطع وتينه ، وهذا تصوير للإهلاك بأفظع مايفعله الملوك بمن يفضبون عليه ، إذ يأخذه القتّال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه .

(فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى فما أحد منكم بمنمنا عن عقوبته ، والتنكيل به .

وجم «حاجزين» باعتبار أحد، إذ هو في معنى الجاعة ، ويقع على الواحد والجمع

وللذكر وللؤنث كا جاء فى قوله : « لاَنفُرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُــلِهِ » وقوله : « لَمنتُنَّ كاحَدِ مِنَ النَّسَاء » .

و إنه لتذكرة المتقين)أى و إن هذا الترآن لعظة وذكرى لمن يخشى عقاب الله فيطيع أوامره ، و ينتهى عما نهى عنه ، وخص (للتقين) بالتذكرة والعظة ، لأنهم هم الذين ينتخسون بها .

(و إنا لنعلم أن منكم مكذبين) له بسبب حبكم للدنيا وحسمدكم للداعى ، و إنا لنجاز يكم على ذلك بما تستحقون إظهارا للمدل .

والخلاصة — إن منكم من اتقى الله فتذكر بهذا القرآن وانتفع به ، ومنكم من مال إلى الدنيا فكذب به وأعرض عنه .

وفي هذا وعيد شديد لايخني .

(و إنه لحسرة على الكافرين) أى و إن همذا القرآن لحسرة عظيمة على الكافرين في دار الدنيا إذا رأوا دولة للؤمنين ، وفي الآخرة إذا رأوا ثواب المصدقين.

(و إنه لحق اليتين) أى و إنه للحق الذى لاشك فى أنه من عند الله لم يتقوّله محد صلى الله عليه وسلم .

(نسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح الله تعالى بذكر اسمه ، تنزيها له عن الرضا بالتقوّل عليه ، وشكرا له على ما أوحى به إليك من هذا القرآن الجليل الشأن. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

ماتضمنته هذه السورة الكريمة

تضمنت هذه السورة ثلاثة مقاصد:

- (١) هلاك الأم المكذبة لرسلها في الدنيا من أول السورة إلى قوله: «أَذُنَّ وَاعِيَّةُ »
- (۲) عذاب الآخرة جزاء على التكذيب في الدنيا ,
 (۳) إثبات أن القرآن العظيم وحيى من عند الله وليس بقول شاعر ولا كاهن.

سورة المعارج

هى مكية ، وآياتها أربع وأربعون ، نزلت بعد الحاقة،وهى كالتتمة لها فى وصف القيامة وعذاب النار .

بِسْم ِ اللهِ الرَّنْعَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِصَذَابِ وَاقِع (۱) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِح (۲) مِن الله ذِي الْمَعَارِج (۳) تَمْرُجُ الْلَاثِكَةُ وَالرُّوحُ اللهِ فِي يَوْم كَانَ مِنْ اللهِ ذِي الْمَعَارِج (۳) تَمْرُجُ الْلَاثِكَةُ وَالرُّوحُ اللهِ فِي يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ خَسِينَ أَلْفَ سَنَة (٤) فَاصْدِ صَبْرًا جَهِلاً (٥) إنَّهُم بَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٢) وَنَرَاهُ فَرِيبًا (٨) وَتَلَكُونُ اللَّهَاءُ كَالُهُلِ (٨) وَتَلَكُونُ اللَّهَاءُ كَالُهُلِ (٨) وَتَلَكُونُ اللَّهَاءُ كَالُهُلِ (٨) وَتَلَكُونُ اللَّهَاءُ كَالُهُلِ (٢١) وَلَا يَسْأَلُ جَمِيمٌ خَمِياً (١١) يُبَعَّرُونَهُمْ يَوَدُ الْمُجْرِمُ اللَّي تُوفِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيمًا ثُمَّ يُشْعِيدِهِ (١٤) كَلَا إِنَّهَا لَيْنَ تُوفِيهِ (١٣) وَنَعَلَيْهِ (١١) وَمَعَمَ لَوْمِ وَلَا وَهُمَ اللهُ عَلَى (١٥) نَوَّعَ لَلْ (١٥) تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ لَطَى (١٥) أَنَّاعَةً لِلسَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَلَوْمَ مِنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَلَا فَوْمِ وَلَهُ (١٨) .

شرح المفردات

سأل سائل: أى دعا داع ،من قولك: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه كما جاء في قوله: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا ۚ بِكُلُّ ۚ فَا كَهُ ٓ آمِنِينَ ﴾ ليس له دافع : أى إنه واقع لامحالة ، وللمارج: واحدها ميرج، وهو المصعد (أسنسير) كما قال: ﴿ وَمَمَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهُرُ وَنَ﴾ والمراد بها النم التي تكون درجات متفاضلة ، تصل إلى الخلق على مراتب مختلفة ، والروح : هو جبريل عليه السلام ، والمهل : دردى الزيت ، وهو ما يكون في قمر الإناء منه ، والمهن : الصوف المصبوغ الوانا والحجم : القريب ، يبصرونهم : أى يبصر الأحماء الأحماء الأحماء الأجماء و يرونهم ، يود : أى يتمنى ، والحجرم : المذنب ، وصاحبته : زوجته ، وفصيلته : هى عشيرته ، تؤويه : أى تضمه و يأوى إليها ، كلاً : هى كلة تفيد الزجر عا يطلب ، لغلى : هى النار ، والشوى : واحدها شواة ، وهى جلدة الرأس تنتزعها النار انتزاعا فتفرقها ثم تمود إلى ما كانت عليه ، تدعو : أى تجذب وتحضر ، تولى : أى أعرض عن الطاعة ، جمع فأوعى : أى جم المال فجمله في وعاء .

المعنى الجملي

كان أهل مكة يقول بعضهم لبعض : إن محمدا يخوقنا بالمذاب ، فما هذا المدذاب ؟ ولمن هو ؟ وكان النضر بن الحرث ومن لَفَتْ لِنَّهُ يقولون إنكارا واستهزاء :

« اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاء أو الثَّيْنَا بَعَذَاب أُلمِي » فنزلت هذه الآيات .

الإيضاح

(سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع) أى طلب طالب عذابا واقعا لامحالة ، سواء طلب أم لم يطلب ، لأنه نازل بالكافرين فى الآخرة لايدفسه عنهم أحد ، فلماذا هم يطلبونه استهزاء ؟.

(من الله ذى المعارج) أى ليس لذلك المذاب الصادر من الله دافع من جهته إذا جاء وقته ، فإذا اقتضت الحكمة وقوعه امتنع ألا يفعله ، وهو ذو النعم التى تصل إلى الناس على مراتب مختلفة ، ودرجات متفاوتة . والخلاصة — إن العذاب الذى طلبه السائلون واستبطئوه واقع لامحالة ، وهو سبحانه لم يفعل ذلك إلا لحكة ، وهى وضعهم فى الدركات التى هم أهل لها بحسب استعدادهم ، وما دستوا به أنفسهم من سيء الأعمال والخطايا التى أحاطت بهم من كل صوب .

وقد نظم سبحانه العوالم فجل منها مصاعد ، ومنها دركات ، فليكن هؤلاء في الدركات ، وليكن المؤمنون والملائكة في الدرجات طبقا عن طبق على نظم أابتة اقتضها الحكمة والصلحة .

ثم بيَّن مقدار ارتفاع تلك الدرجات فقال :

(تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أى تصعد في تلك المعارج الملائكة وجبريل عليه السلام إلى مواضع لو أراد واحد من أهل الدنيا أن يصعد إليها لبق في ذلك الصعود خمسين ألف سنة ، لكنهم يصعدون إليها في الزمن القليل ، وليس المراد من ذكر الخمسين تحديد العدد ، بل المقصد أن مقام القدس الإلحى بعيد المدى عن مقام العباد ، فهم في المادة مفعوسون ، وهناك عوالم ألطف وألطف ، درجات بعضها فوق بعض ، وكل عاكم ألطف مما قبله ، وكما لعلف العالم العلوى كان أشد قوة وهكذا : « وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنتهَى» .

(فاصبر صبرا جمیلا) أی إذا سألوا استمجال المذاب علی سبیل الاستهزاء والتكذیب بالوجی ، وكان هذا بورث صجرك أیها الرسول _ فاصبر صبرا جمیلا بلا جزء ولا شكوی ، لأنه أمر محقق ، وكل آت ٍ قریب .

ثم ببَّن أن هذا اليوم آت ٍ لاشك فيه فقال :

(اُنهم برونه بسيدا وتراه قَريبا) أى إنهم برون هذا اليوم الذى مقداره حسون أنف سنة _ بسيدا غير نمكن ، ونحر تراه قريبا هيئًا غير بميد علينا ولا متعذر . ثم ذكر وقت حدوثه فقال :

(يوم تكون السهاء كالمهل) أى إن المذاب واقع الكافرين يوم تكون السهاء كأنها عكر الزيت ، وللراد أنها تكون واهية ضعيفة غير متاسكة . أسورة

(وتكون الجبال كالمهن) أى وتكون الجبال هشّة غير متلاحة كأنها الصوف النفوش إذا طيرته الريح ، روى عن الحسن : أنها تسير مع الرياح ثم تنهدّ ، ثم تصير كالمهن ، ثم تنهد قصير هباء مشورا .

(ولا يسأل حمّ حميا) أى ولا يسأل قر ب مشفق قريبا عن حاله ، ولايكلمه لأبتلاء كل منهما بما يشغله كا جاء فى قوله : « وَإِنْ تَدْعُ مُثَقَّلَةٌ إِلَى خِلْهَا لاَ يُحْمَلُ مِنهُ شَيْ وَقُو كَانَ ذَا قُرْ بِي » وقوله : « يَوْمَ يَفِرْ اللَّهُ مُ مِنْ أُخِيهِ وَأَمَّةُ وَأَيْمُ وَكَانِيهِ . وَصَالِحَةً فِي وَمُنْفِيهِ يَوْمَنْفِ شَأْنٌ يُغْفِيهِ »

(يبصرونهم) من قولك بصّرته بالشيء إذا أوضحته له حتى يبصره ، أى يتمارفون ثم يفرّ بعضهم من بعض بعد ذلك .

تم أرشد إلى هول ذلك اليوم فقال :

(يود الحجرم لو يفتدى من عذاب يومثذ ببنيه . وصاحبته وأخيه . وفصياته التي تؤويه . ومن في الأرض جميما تم ينجيه) أى يتسفى الكافر لو ينفع أعز الناس إليه فدية ، لينجيه من ذلك المذاب ، فيؤد لوكان أبناؤه أو زوجته أو أخوه أو عشهرته التي تضمه إليها ، أو أهل الأرض جميما فداء له ليخلص من ذلك المذاب .

والخلاصة — يتمنى الكافر لوكان هؤلاء جميما فى قبضة يده ليبذلهم فدية عن نفسه ، ثم يتجيه ذلك ــ هيهات .

(كلا) أى لايقبل منه فداء ولوجاء بأهل الأرض ، أو بأعزَ ما يجده من مال ولو بملء الأرض ذهبا ، أو بولده الذى كان حشاشة كبده فى الدنيا ، أو بزوجته وعشيرته .

(إنها لظى . نزّاعة الشوى . تدعومن أدبر وتولى . وجع فأوعى) أى إنها النار الشديدة الحرارة التى تنزع جلدة الرأس وتفرقها ، ثم تعود إلى ماكانت عليه وأنشا وا قول الأعشى :

قالت فَنَيْلَةُ مالهُ قد جُلَّتَ شيباً شَوَاتُهُ ا

وهذه النارتجذب إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدّر أنهم فى الدنيا يسلمن عملها ، من بين أهل المحشر ، فدسّوا أنسهم إذ كذبوا بقلوبهم ، وتركوا العمل بجوارحهم ، وجمعوا المال بعضه على بعض وكنزوه ولم يؤدوا حتى الله فيه ، وتشاغلوا به عن فرائضه من أوامر ونوام .

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الثَّرُ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الثَّرُ مَنُوعًا (٢٠) إِلَّا المُصَلَّمِنَ (٢٧) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَاعُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَاعُونَ (٢٧) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٧٧) مُسَدِّقُونَ بيوم الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٧٧) أَوَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٧٧) إِنَّ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٧٧) إِنَّ الدِّينَ هُمْ الْمَدُونَ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَيْرُ مَلُومِينَ (٣٨) فَمَن ابْتُهَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولِينَ هُمْ الْمَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ كُمَ الْمَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ كُمَ الْمَانَةِمِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى مَكْرَمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى مَكْرَبُونَ (٣٣)

شرح المفردات

الهلم: سرعة الحزن عند مس المكروه، وسرعة المتعند مس الخير، من قولم: الله علم : إذا كانت سريمة السير . وسأل محمد بن طاهر الهابات الهلم فقال : قد فسره الله ، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره سبحانه _ يمنى قوله : « إذا مسة ، الآية . والجزع : حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده و يقطمه عنه ،

والخير : المال والغنى ، حق معلوم : أى نصيب معين يوجبونه على أنفسهم تقرُّ با إلى الله و إشفاقا على المحتاجين ، الحموم : الفقير الذى لايسأل الناس فيظن أنه غنى " ، يصدقون به تصديقاً يكون له الأثر فى نفوسهم ، فيسخرونها ويسخرون أموالهم فى طاعة الله ومنفعة الناس ، مشفقون : أى خائفون ، طافطون : أى لايخلون بشى م من حقوقها :

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أنه هو ذو المارج والدرجات المالية ، والنمم الوفيرة التى يسبخها على عباده الأخيار ... أردف هذا بذكر المؤهلات التى توصل إلى تلك المراتب وتبعد عن ظامة المادة التى تدخل النفوس فى النار الموقدة التى تنزع الشوى ، و بيّن أنها عشر خصال تفكّه من السلاسل التى تقيده بها غرائزه التى فطر عليها ، وعاداته التى أنها وركن إليها ، وهى ترجع إلى شيئين : الحرص، والجزع . وهذه الخصال هى :

(1) الصلاة .

- (٢) المداومة علمها في أوقاتها الملومة .
- (٣) إقامتها على الوجه الأكل محضور القلب ، والخشوع للرب ، ومراعاة سننها وآداما .
 - (٤) التصديق بيوم الجزاء بظهور أثر ذلك في نفسه اعتقادا وعملاً
 - (a) إعطاء صدقات من أموالهم للفقراء والمحرومين .
 - (٦) مراعاة العهود والمواثيق .
 - (٧) أداء الأمانات إلى أهلها .
 - (A) حفظ فروجهم عن الحرام .
 - (٩) أداء الشهادة على وجهها .
 - (١٠) الخوف من عذاب الله .

الإيضاح

(إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا) أى إن الإنسان جبل على الهلع ، فهو قليل الصبر ، شديد الحرص ، فإذا افتقر أو مرض أخذ فى الشكاة والجزع ، وإذا صار غنيًا أو سليا معاتى منع معروفه وشح عاله ، وما ذلك إلا لاشتغاله بأحواله الجميانية العاجلة ، وقد كان من الواجب عليه أن يكون مشفولا بأحوال الآخرة ، فإذا مرض أو افتقر رضى بما تُحيم له ، علماً بأن الله يفعل ما يشاه ، و يحكم بما يريد ، وإذا وجد المال والصحة صرفهما في طلب المسادة الأخروية ، وقد استثنى من هذه الحال من اتصفوا بالصفات الآنية :

(١) (إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دأعون) أى إن الإنسان بطبعه متصف بصفات الذم، خليق بالمقت إلا من عصمهم الله ووفقهم ، فعداهم إلى الخير ويسر لهم أسبابه ، وهم المصاون الذين محافظون على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغلهم عنها شيء من الشواغل .

وفى هذا إبماء إلى فضيلة المداومة على العبادة ، أخرج بن حِبّان عن أبي سَلَمة قال : حدثنى عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا من العمل ما تعليقون ، فإن الله لا يمل حتى تملّوا ، قالت فكان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما داوم عليه و إن قل " ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها ، وقرأ أبو سلمة : الذين هم على صلاتهم دامُّون .

 (٣) (والذين في أموالهم حق معلوم. السائل والمحروم) أي والذين في أموالهم نصيب معين لذوى الحاجات والبائسين . تقربا إلى الله و إشفاقا على خلقه ، سواء سألوا واستتجدوا ، أولم يسألوا تعففا منهم .

والراد بهذا الحق المعلوم: ما يوظفه الرجل على نفسه ، فيؤديه كل جمعة أو كل شهر أو كما جدت حاجة تدعو إلى بذل المسال ، كإغاثة فود أو إغاثة أمة طرأ عليها ما يستدعى البذل لمصلحة هامة لها ،كالدفاع عرض عدو أو دفع مجاعة أو ضرورة ملحّة مفاحثة .

(٣) (والذين يصدقون بيوم الدين) أى والذين يوقنون بالماد والحساب، فيصلون
 عمل مر يرجو الثواب و يخاف المقاب؛ وتظهر آثار ذلك في أفعالهم وأقوالهم
 ومتقداتهم، فيُنيبون إلى الله و يخيتون إليه .

(٤) (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى والذبن هم خاتفون وَجِلون من تركهم للواجبات ، و إقدامهم على المحظورات ، ومن يدم به الخوف والإشفاق فيا كلف به يكن حذراً من التقصير ، حريصا على القيام بما كلف به من علم وعمل .

 ونحو الآية قوله : « وَالَّذِينَ يُوانُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلِيَّا أَنْهُمُ إِلَى رَبِّهُمْ رَاجِمُونَ » وقوله : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ » .

ثم ذكر الداعي لهم إلى هذا الخوف فقال :

(إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لاينيني لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ فى الطاعة ، ومن ثم أثر عن السلف الصالح أنهم كانوا كثيرى الخوف والوجل كا يشعر بذلك قول بعضهم : ليت أمى لم تلدنى . وقول آخر : ليتنى شجرة تُمُضّد، إلى أشباه ذلك مما يعبر عن شديد الوجل والحشية .

- (ه) (والذين هم لمروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ماومين . فن ابتنى وراء ذلك فأولئك هم العادون) راجع تفسير هذا بتوسّع فى سورة للؤمنين
- (٣) (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى إذا الرتمتوالم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يندروا .
- (٧) (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى والذين يقومون بأداء الشهادة عند

الحكام ، ولا يكتمونها ولا يغيرونها ، والشهادة من جملة الأمانات ، وخصها بالذكر لعظه شأنها ، إذ بها تحيا الحقوق ، و بتركها تموت .

(٨) (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى والذين يحافظون على صلاتهم ، و براعون شرائطها ، و يكملون فرائضها ؛ فيجتمدون قبل الدخول فيها فى تفريغ القلب من الوساوس والالتفات إلى ماسوى الله ، مع حضور القلب حين القراءة ، وفهم مايتلى فيها من آكى الذكر الحكيم .

ثم وعد هؤلاء بحسن المآل فقال :

(أولئك فى جنات مكرمون) أى هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال فى بساتين يكرمون فيها بأنواع اللذات والمسرات ، و إلى ذلك أشار الحديث « فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمت ، ولا خطر على قلب بشر » .

فَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِمِينَ (٣٧) عَنِ الْتَهِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ أُمْرِي مِهُمُّ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَهِيمِ (٣٧) كَلاَ أَعْرِينَ (٣٧) فَلاَ أَقْسِمُ بِرَبَّ الشَّارِقِ وَأَلْمَارِبِ إِنَّا لَقَاوِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بَعَسْبُو قِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْمُبُوا حَتَى يُلاَقُوا يَوْمُهُمُ اللَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ مِرَاعًا كَا نَهُمْ إِلَى نُصُب يُوفِضُونَ (٣٤) خَاشِمَةً أَبْصَارُهُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ مِرَاعًا كَا نَهُمْ إِلَى نُصُب يُوفِضُونَ (٣٤) خَاشِمَةً أَبْصَارُهُمْ مَنْ وَعَدُونَ (٣٤) خَاشِمَةً أَبْصَارُهُمْ

شرح المفردات

قِبَلَكَ : أَى فَى الْجِهَة التَّى تَلَيْكُ ، مهطمين : أَى مسرعين نحوكُ ، مادَّى أعناقهم إليك ، مقبلين بأبصارهم عليك ، ليظفروا بما يجهلونه هزوا ، وأنشدوا : بمكة أهلُها ولقد أراهمُ إليه مهطمين إلى السماع عزين : أَى فَوْفَا شَتَى حِلْقاً حِلْقاً ، قال عَبيد بن الأبرص .

فجاءوا يُهْرُ عون إليه حتى كونوا حول منبّره عِزِينا

واحدهم عزة ، وأصلها عزوة ، لأن كل فرقة تمترى وتنسب إلى غير من تمترى إليه الأخرى ، بمسبوقين ؛ أى بمفلوبين ، والأجداث ؛ القبور ، واحدها جَدَث ، والسَّراع : واحدهم سريع ، والنصب (بضمتين) كل شىء منصوب كالمَلَم والراية وكذا ماينصب المبادة، وهوالمراد هنا ، و يوفضون : أى يسرعون ، خاشمة أبصاره : أى ذليلة ، ترهقهم : أى تنشاهم .

المعنى الجملي

بعد أن وعد المؤمنين بجنات النميم مع السكرامة والإجلال - أردف ذلك بذكر أحوال الكافرين مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبان لهم خطأهم فيا يرجون من جنات النميم على ماهم عليه من كفر وجحود ، ثم توعدهم بالهلاك ، ولن يستطيع أحد دفعه عنهم ، ثم أمر رسوله أن يدعهم وشأنهم حتى يوم البعث ، يوم يخرجون من قبورهم مسرعين كأنهم ذاهبون إلى معبوداتهم الباطلة من الأصنام والأوثان ، وقد كان من دأبهم أن يسرعوا حين الذهاب إليها) وهم في هذا اليوم تكون أبصارهم ذليلة ، وترهق وجوههم قترة ، لما تحققوا من عذاب لامنجاة لهم منه ، وقد أوعده في الدنيا فكذبوا به .

روى : أنه عليه السلام كان يصلى عند الكعبة و يقرأ القرآن ، وكان المشركون بخممون حوله حِلقًا حِلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون و يستهزئون و يقولون: إن دخل هؤلا. الجنة كما يقول عمد فلندخلئ قبلهم ، فنزلت هذه الآيات .

الإيضاح

(فما للذين كغروا قِبَلك مهطمين . عن الممين وعن الشال عزين) أى فما بالهم يسرعون إليك ، ويجلسون حواليك ، عن يمينك وعن شمالك ، جماعات متفرقة ، نافرين منك ، لا يلتفتون إلى ماتلقيه عليهم من رحمة الله وهديه ، ونصعه و إرشاده، وما هيه سمادتهم في معاشهم ومعادهم .

ونحو الآية قوله : « فَمَا لَمُمْ عَنِ النَّذْ كِرَةِ مُمْرِضِينَ ؟ كَأَنَّهُمُ مُحُرُّ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتُ مِنْ فَسُورَةِ » .

أخرج مسلم وغيره عن جابر قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه ومسلم المسجد ونحن حلّق منظم قون ، ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الاول و يتراصّون فى الصف» وقد كانت عادتهم فى الجاهلية أن مجلسوا حلقا مجتمعين. قال شاعرهم :

ترانا عنده والليل داج ٍ على أبوابه حِلَقاً عِزينا

ثم أيأسهم من نيلهم للسعادة التي يفوز بها مر_ يستمعون القول فيتبعون أحسنه فقال :

(أيطمع كل امرئ منهم أن يُدخَل جنة نسيم ؟ كلا) أى أيطمع هؤلا. وهم نافرون من الرسول صلى الله عليه وسلم ، معرضون عن سماع الحقى _ أن يدخلوا جنتى كما يدخلها المؤمنون الخبتون الذين يدعون ربهم خوفا وطمعا ؟ كلا لامطمع لهم فى ذلك مع ماهم عليه . ثم ذكر السبب في تيئيسهم منها فقال:

(إنا خلقناه بما يعلمون) أى إنا خلقناهم من أجل مايعلمون، وهو تكيل النفس بالإيمان والطاعة ؛ فن لم يكلها بذلك فهو بمعرِّل عن أن يتبوأ متبوأ الذين أخلصوا لله وحده ، و بعدت نفوسهم عن دنس الشرك والمامي .

ثم توعدهم بأنهم إن لم بثو بوا إلى رشدهم أهلكهم واستبدل بهم قوما غيرهم خيرا منهم قال :

(فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون . على أن نبدًّل خيرا منهم وماتمين بمسبوقين) أى أقسم برب الكواكب ومشارقها ومغاربها ، إنا لقادرون على أن نخلق أمثل منهم يستمعون دعوة الداعى ونصح الناصح ، ونهلك هؤلاء ، ولن يعجزنا ذلك ، لكن مشيئتنا اقتضت تأخير عقو بتهم .

والخلاصة — إن هؤلاء المشركين فى تناقض واضطراب فى الرأى ، فكيف يشكرون البعث ثم يطمعون فى دخول الجنة ، وكيف ينكرون الخالق وقد خلقهم أرّلا مما يعلمون ، وهو قادر على خلق مثلهم ثانيا .

وفى هــذا تهكم بهم وتنبيه إلى تناقضهم فى كلامهم ، فإن الاستهزاء بالساعة ودخول الجينة نما لايقبله إلا من عنده دخَل فى المقل ، ومجانفة لصواب الرأى .

ثم سلَّى رسوله عما يقولون ويفعلون فقال :

(فذرهم یخوضــوا ویلسوا حتی یلاقوا یومهم الذی یوعدون) أی دعهم فی تكذیبهم وعنادهم إلی یوم البمث ، وحینئذ یعلمون عاتبة و بالهم، ویذوقون شدید نكالهم ، حین یُمرضون للحساب والجزاء ، یوم تجزی كل نفس بما عملت ، لاشفیم ولا نصیر ، یوم لاینفع مال ولا بنون إلا من أتی الله بقلب سلیم .

ثم فصل أحوالهم في هذا اليوم فقال :

(يوم يخرجون من الأجداث سراع كأنهم إلى نُصُب يوفضون . خاشعةُ أبصارهم ترهتم ذلهُ أى يوم يخرجون من قبورهم إذا دعاهم الداعى لموقف الحساب — معراعا يسابق بعضهم بعضا ، كما كانوا فى البدنيا بهرولون إلى النَّصُب إذا عاينوه يبتدرون أيهم يستلمة قبل سمع خشوع الأبصار وذلتها لهول ماتحققوا من العذاب، تعلو وجوههم القترة ، لما أصابهم من الكاّبة والحزن .

ثم ذكر أن ذلك المذاب الذي وقعوا فيه ، كانوا قد أُنذروا به ، ولم يأتهم بغتة فقال :

(ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) أى ذلك اليوم وما فيه من أهوال عظام كانوا قد أنذروا فى الدنيا أنهم ملاقوه وكانوا به يكذبون ، فلا عذر لهم فيا سيموا به من سوه المذاب .

خلاصة ماحوته السورة الكريمة من أغراض ومقاصد:

- (١) وصف يوم القيامة وأهواله .
 - (٢) وصف النار وعذابها .
- (٣) صفات الإنسان التي أوجبت له الجحيم ، وكيف يجتهد لإزالة مابه من النقص حتى برتتي إلى المعارج ، ويخرج من عالم المادة .
 - (٤) وعيد الكافرين على مايلافونه في ذلك اليوم .

سورة نوح

هي مكية ، وعدد آبها ثمان وعشرون ، نزلت بعد سورة النبط .

ووجه اتصالها بما تبلها :

(١) أنه قال فى السورة السابقة : ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ . فَلَى أَنْ نُبَدِّلُ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ وذكر هنا قصة قوم نوح المشتملة على إغراقهم إلا من قد آمن ، وإبدالهم بمن هم خير منهم ، فكأنها وقعت موقع الاستدلال على تلك الدعوى .

(۲) تواخى مطلع السورتين فى ذكر المذاب الموعود به الكفار .

بِسْم ِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْدِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَا تِيهُمُ عَذَابُ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَنْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُو بِكُمْ وَيُوَّخُرْ كُمْ إِلَى أَجَلِ مُسَمَّى، إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَلاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ نَعْلَمُونَ (٤).

المعنى الجملي

أخبر سبحانه أنه أرسل نوحا إلى قومه وأمره أن ينذرهم بأسه قبل حلوله بهم ، فقال نوح : ياقوم إنى نذير لسكم ، فعليكم أن تعبدوا الله وحده وتطيعوه ، فإن فعلتم ذلك غفر لسكم ذنو بكم ومدٌ فى أعماركم ، ودراً عنكم المذاب ، وأمر الله إذا جاء لايردٌ ولا يدفع ، فهو العظيم الله ى قهر كل شىء ، العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات .

الإيضاح

(إنا أرسلنا 'وحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب ألم) أى إنا أرسلنا نوحا رسولا إلى قومه وقلنا له : أنذرهم بأس الله وعذابه ، قبل أن يغرقهم الطوفان .

ثم أخبر بأنه لما أمره بذلك امتثل الأمر.

(قال ياقوم إنى لـكم نذير مبين) أى قال نوح لقومه : إنى أنذركم عذاب الله فاحذروا أن ينزل بكم على كفركم به .

تم فصل ما أنذرهم به ، فذكر ثلاثة أشياء :

(١) (أن اعبدوا الله)أى آمركم بمبادة الله وحده ، والأسم بذلك يتناول جميع الواحبات وللندو بات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح .

(۲) (وانقوه) أى وآمركم بتقواه وخوف عذابه ، بأن تتركوا محارمه ،
 ۲۰ ش.

وتحتنبوا مآثمه .

(١) (يغفر لكم من ذو بكم) أى إذا فعلتم ما أمركم به ، وصدقتم ما أرسلتُ
 به إليكم — غفر لكم ذنو بكم وسامحكم فيا فرط منكم من الزلات .

وفي هذا وعد لهم بإزالة مضار الآخرة عنهم، وأمنهم من مخاوضًا .

(٢) (ويؤحركم إلى أجل مسمى) أى ويمد فى أعماركم إلى الأمد الأقمى
 الذى قدره الله إذا آمنوا وأطاعوا وراء ما قدره لهم ، على تقدير بقائهم على
 الكفر والمصيان .

واستدل العلماء بهذه الآية على أن الطاعة والبروصلة الرحم يزاد بها في العمر

حقيقة كما جاء فى الحديث : « صلة الرحم تريد فى العمر » ؛ ولا ريب أن التقوى والطاعة تؤثر هذا الأثر ، إذ طهارة الأرواح ، ونقاء الأشباح تطيل العمر ، فبها يحفظ الأمن ، وتكنسب الفضائل ، وتجتلب المنافع المادية .

والخلاصة — إن الأجل أجلان على ماقله الزغشرى ؛ وعبارته : فقد قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة ، و إن بقوا على كفرهم أهلسكهم على رأس تسعمائة سنة ؛ فقيل لهم آمنوا : يؤخركم إلى أجل مسمى ، أى إلى وقت سماه الله وضربه أمدًا تنتهون إليه ، وهو الوقت الأطول ، وهو تمام الألف اه .

ثم أخبر أنه إذا انقضى ذلك الأجل الأطول فلا بد من الموت فقال :

(إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لوكنتم تعلمون) أى إن أجل الله الذى كتبه على خلقه فى أم الكتاب إذا جاء لايؤخر عن ميقاته لوكنتم من أهل العام، لكنكم لستم من أهله، ولذا لم تسارعوا إلى العمل بمما أمركم به.

وفى قوله لو كنم تعلمون : زجر لهم عن حب الدنيا والتهالك عليها ، والإعراض عن أوامر الدين وبواهيه ، وكاتبهم قد بلغ بهم الأمر إلى أنهم شاكون في الموت .

قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعُوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَهَارًا ۚ فَلَمْ يَرَدُهُمْ دُعاَئِى إِلا فِرَارًا (٢) وَإِنِّى كُنَّا دَعَوْتُهُمْ لِتَهْفِرَ لَهُمْ جَمَالُوا أَصَابِهُمْ فِي آ ذَانِهِمْ فِيرَارًا (٢) وَإِنِّى كُنَّا وَاسْتَخْشَوْا لِشَيْكُمْ رَارًا (٧) مُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جَمَارًا(٨) ثُمَّ إِنِّى اَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرُتُ لَهُمْ إِسْرَارًا(٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُ وا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَقَلْتُ اسْتَغْفِرُ وا وَاسْتَكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيَحْمَلُ اللَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُجْمَلُ اللَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُجْمَلُ اللَّمَاءِ وَيَجْمَلُ اللَّمَاءَ وَيَجْمَلُ اللَّهُمْ وَأَرَا (١١) وَقَدْخَلَقَكُمْ أَطُوالًا وَيَجْمَلُ اللَّمَاءَ اللَّهُمُ الْمُوالِ وَيَجْمَلُ اللَّهُمْ وَالرَّا (١١) وَقَدْخَلَقَكُمْ أَطُوارًا (١٤)

أَلَمُ ۚ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمُوات طِبَاقًا (١٥) وَجَمَلَ الْقَمَرَ فِيمِنَّ تُورًا وَجَمَلَ الشَّسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَانًا (١٧) ثُمُّ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَانًا (١٧) ثُمُّ أَنْبِيدُ كُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللهُ جَمَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا شُبُلاً فِجَاجًا (١٨).

شرح المفردات

ليلا ونهارا : أى دائما ، جعلوا أصابعهم فى آذانهم : أى سدوا مسامعهم ، استفشوا ثيابهم : أى تفطوا بها لئلا برونى كراهة النظر إلى ، السياء : أى المطركا جاء فى قوله :

إذا نزل الساء بأرض قوم فَكُلُوا حيثًا نزل الساء

مدرارا: أى متتابعا ، جنات: أى بساتين ، ترجون: أى تخافون ، وَقارا: أى عظمة و إجلالا ، أطوارا: واحدها طور وهو الحال والهيئة ، فطورا نطفة ، وطورا علقة ، وطورا عظاما ، ثم تكسى العظام لحما ، ثم تنشأ خلقاً آخر ، طباقا: أى بمضها فوق بعض ، بساطا: أى منبسطة تتقلبون فيها ، فجاجاً: أى واسعة ، واحدها فج ، وهو الطريق الواسع قاله الفراء وغيره .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أن نوحا أيس أن ينذر قومه قبل أن يحل بهم بأس ربهم، وعظيم بطشه ، وأنه لتي نداءه ، فأنذرهم وأمرهم بتقواه وطاعته ، ليغفر ذنو بهم، وكيد في أعداهم — أردف ذلك بمناجاته لر به وشكواه إليه ، أنه أنذرهم بما أمره به ، فعصوه وردّوا عليه ما أتاهم به من عنده ، ولم يزدهم دعاؤه إلا إدباراً عنه ، وهر با منه ، وأنه كان يدعوهم تارة جهرة ، وتارة سرّا، وأمرهم أن يطلبوا من ربهم (٢)

منفرة ذوبهم ، ليرسل المطر عليهم ، و يمدهم بالأموال والبنين ، و يجعل لهم الجنات والأنهار ، ثم نبههم إلى عظمته تعالى ، وواسع قدرته ، وافت أنظارهم إلى خلقه تعالى لهم أطوارًا ، وخلقه للسموات طباقا ، وجمل القمر فيهن نورا ، وجمل الشمس سراجا ، وجمل الأرض كالبساط يتنقلون فيها من واد إلى واد ، ومن قطر إلى قطر .

الإيضاح

(قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاً فى إلا فرارا) أى قال رب إنى أنذرت قومى ولم أثرك دعاءهم فى ليل ولا نهار امتثالا لأمرك ، وكلما دعوتهم ليقتر بوامن الحق فرّوا منه ، وحادوا عنه .

ثم أخبر عن أحوال أخرى لهم تدل على الفظاظة وجفاء الطبع فقال :

(و إلى كلما دعوتهم لتفغر لهم جعلوا أصابعهم فى آذاتهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا) أى و إلى كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك ، والعمل لطاعتك ، والبراءة من عبادة كل ماسواك ، لتنفر لهم ذنو بهم — سدّوا مسامعهم حتى لايسمعوا دعاً فى ، وتعطّوا بثيابهم كراهة النظر إلى ، وأكبّوا على الكفر والمعاصى ، وتماظموا عن الإذعان للحق ، وقبول مادعوتهم إليه من النصح .

ثم بين أنه ماترك وسيلة في الدعوة إلا فعلها فقال :

(ثم إلى دعوتهم جهارًا. ثم إلى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا) أى ثم إلى كنت أسرً لهم بالدعوة تارة ، وأجهر لهم بها تارة أخرى ، وطورا كنت أجم يين الإعلان والإسرار.

والخلاصة — إنه عليه الصلاة والسلام لم يترك سبيلا للدعوة إلا فعلها ، فاستمسل طرقا ثلاثة :

(١) بدأم بالمناسمة في السر، ضلماره بمنا ذكر في الآية مرس سد الآذان

والاستغشاء بالثياب ، والإصرار على الكفر ، والاستعظام عن سماع الدعوة .

- (٢) جاهرهم بالدعوة ، وأعلنهم على وجه ظاهر لاخفاء فيه .
 - (٣) جمع بين الإعلان والإسرار..
 - نم بين ماكان يقول لهم فقال:

(فقلت استنفروا ر بكم) أى فقلت لهم : سلوا ر بكم غفران دنوبكم ، وتو بوا إليه من كنركم وعبادة ماسواه من الآلهة ، ووحدوه وأخلصوا له العبادة .

ولما كان الإنسان مجبولا على محبة الخيرات العاجلة كما قال: « وَأَخْرَى تَحَبِّونَهَا نَصْرُ مِنَ اللهِ وَفَتْحُ قُرِيبٌ » لاجرم أعلمهم أن إيمانهم بالله بجمع لهم إلى الحظ الأوفر في الآخرة ، الخصب والغني وكثرة الأولاد في الدنيا ، ومن نم وعدهم مخبسة أشياء:

- (۱) (پرسل السهاء علیکم مدرارا) أی پرسل المطر علیکم متتابعا ، فتزرعون ماتحبون ، و بکتر الخصب والفلات النافعة لکم فی معاشکم ، من حبوب و ثمار ، وتحدث لکم طمأ نینة وأمن وراحة لتوافر ماتشتهون ، مما هو سبب السعادة والهدی .

 (۳) (و یمدد کم بأموال) أی و یکثر لکم الأموال والخیرات علی سائر ضروبها واختلاف ألوانها .
- (٣) (وبنين) أى ويكتر لكم الأولاد؛ فقد ثبت لدى علماء الاجتماع أن النسل لا يكثر في أمة إلا إذا استتب فيها الأمن، وارتفع منها الظلم، وساد العدل بين الأفراد، وتوافرت لهم وسائل الرزق.

وأصدق شاهد على هذا الأمة المصرية ، فقد كانت فى عصر الماليك فى الغون السابع عشر الميلادى ، أيام الظلم والعسف والجـ ببروت ، فى فقر وضنك ، وسلب ونهب ، فتدهور عدد سكانها حتى بلغ الثلاثة الملايين . ولما اعتلى عرش مصر «محمد على » رأس الأسرة للالكة في مصر في أوائل القرن الثامن عشر ، وساس البلاد بحكته ، وسعى جَهد طاقته في تنظيم مرافقها من زراعة وصناعة ومعارف وعلوم ، تكاثر النسل وما زال يزيد ، ونهج أبناؤه وحفدته نهجه حتى بلغ عدده في عصرنا الحاضر نحو عشرين مليونا .

(٤) (ويجمل لكم جنات) أى ويوجد لكم بسانين عامرة تأخذون من ثمارها مابه تنقمون ، ولن يطمع الناس فى الفاكهة إلا إذا وجدت أسبهم الأقوات ، وكثرت الفلات .

 (ه) (و بجمــل لكم أنهارا) جارية بها يكثر الخصب والزرع بمختلف ألوانه وأشكاله.

لاجرم أن الأمة الكثيرة البساتين والمزارع ، يعمها الرخاء ، وتســعد في حياتها الدنيوية .

وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال له: استغفر الله ، وشكا إليه آخر الفقر وقلة النسل فقال له: استغفر الله ، استغفر الله ، فقال له: استغفر ألله ، فقال له استغفر الله ، فقال له بعض القوم : أتاك رجال يشكون إليك أنواعا من الحاجة ، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فقال: ماقلت من نفسى شيئا ، إنما اعتبرت قول الله عز وجل حكاية عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال القومه: « استغفر و اربّكم » الآية . و بعد أن أدّبهم الأدب الخلق بطلبه منهم تهذيب نفوسهم واتباعهم مكارم الأخلاق ، شرع يؤدبهم الأدب العلمي بدراسة علم التشريح ، وعلم النفس ، ودراسة أحوال العوالم العلوجة والسفلية فقال :

(مالكم لاترجون فه وقارا . وقد خلقكم أطوارا) أى مالكم لاتخافون عظمة الله وقد خلقكم على أطوار نختلفة ، فسكنتم نطقة فى الأرحام ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم كما عظامكم لحما ، ثم أنشأ كم خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالفين . و بعد أن ذكر النظر في الأنفس أنبعه بالنظر في العالم العلوى والسفلي فقال :

(ألم ترواكيف خلق الله سبع سموات طباقا وجمل القمر فيهن نورا وجمل
الشمس سراجا) أى ألم ترواكيف خلق السموات متطابقة بعضها فوق بعض ،
وجمل القمر بروجا ومنازل وفاوت نوره ، فجمله يزداد حينا حتى يتناهى ، ثم يبتدى أ ينقص حتى يستسر ليدل ذلك على مُضى الشهور والأعوام ، وجمل الشمس كالسراج يزيل ظلمة الليل .

ونحو الآية قوله : « هُوَ الَّذِي جَمَّلَ الشَّمْسَ ضِياءَ وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرُهُ مَنَاذِلَ لِتَمْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالِحْسَابَ ، مَا خَلَقَ اللهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِالْحُقِّ ، ' بِفَصَّلُ الآياتِ لِقَوْمَ مِثْلُمُونَ ﴾ .

(والله البتكم من الأرض نباتا) أى والله أنبت أباكم آدم من الأرض كما قال: « إِنَّ مَمَّلَ عِبدَى عندً اللهِ كَمَثَلُ آدَمَ خَلَقُهُ مِنْ ثُرَابٍ » .

وقد يكون المنى — إنه أنبت كل البشر من الأرض ، لأنه خلقهم من النطف وهي متوالدة من الأغذية المتوالدة من النبات المتوالد من الأرض .

وجعلهم نباتا لأمهم يمون كما يمو النبات ويلدون ويموتون ، وأيديهم وأرجلهم كأفرع النبات : وعروقهم المنشبة في الجسم والتي يجرى فيهما الدم وينتشر في الأطراف ، تشبه ما في الشجر ، وأحوالهم مختلفة كأحوال النبات ، فنه الحلووالمر" والطيب والخبيث ، واستدادهم مختلف كاستمداد النبات ، فلكل امرى" خاصة كما لكل نوع من النبات خاصة .

(نم يسيدكم فيها ويخرحكم إخراجا) أى نم يعيدكم فى الأرض كاكنتم ترابا ، ويخرجكم منها متى شاء أحياء كاكتم بشراً . ثم أخذ يعدد النعم التى أعدها ثلإِنسان فى الأرض ، وذكر أن الأرض مهيأة مسخرة لأمره كتسخير البساط للرجل يُتقلب عليـــــه كما يشاء ، ويظهر مواهبه لاستخراج ما فى بطنها من المعادن المختلفة ، وخيراتها المنوعة فقال :

(والله جمل لكم الأرض بساطا) أى والله بسط لكم الأرض ومهّدها ، وثبتها بالجبال الراسيات .

تم بين حكمة هذا فقال :

(لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى لتستقروا عليها ، وتسلكوا فيها ، أين شثتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها المختلفة .

وقصاری ما سلف — إن نوحا عليــه السلام أمر قومه بالنظر فی علوم الأنفس والآفاق من معدن ونبات وحيوان و إنسان وسماء وأرض وشموس وأقمار .

قَالَ نُوحٌ رَبَّ إِنْهُمْ عَصَوْ بِى وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ ۚ يَرِدُهُ مَالَٰهُ ۖ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبُارًا (٢٢) وَقَالُوا لاَتَذَوْنُ آلْهِ َسَكُمْ وَلاَ تَذَوْنُ وَدَا وَلاَ سَوَاعًا وَلاَ يَنُوثَ وَيَنُوقَ وَنَشْرًا (٣٣) وَقَدْ أَصَلُّوا كَثِيرًا وَلاَ نَرْدِ الظَّالِينَ إِلاَّ صَلالاً (٢٤).

شرح المفردات

الخسار: الخسران ، كبارا : أى كبيرا عظيا ، لاتذرن : أى لاتتركن ، ودّ وسُواع ويقوث ويعوق ونسر: أسماء أصنام كانوا يعبدونها :

المعنى الجملي

أخبر عن نوح أنه أعلم ربه وهو العليم الذى لايعزب عنه مثقال ذرة أنه مع ما استعمله من الوسائل والأساليب المختلفة المشتملة على الترغيب طورا والترهيب طورا آخر - كذبوه وعصوه وانبعوا أبناء الدنيا بمن غفل عن أمر ربه ، ومُتَّم بمال وولد وقالوا: لانترك آلهتنا التي عبدناها نحن وآ باؤنا من قبل ، ولاعب فقد أضلت الأصنام خلقا كثيرا ، فدعا عليهم : رب أخذُل هؤلاء القوم الظالمين ولا تردهم إلا ضلالا .

الإيضاح

(قال نوح رب إنهم عصونى وانبعوا من لم يزده ماله وولد، إلا خسارا) أى قال نوح : رب إنهم عصونى فيا أمرتهم به ، وأنكروا ما دعوتهم إليه ، وانبعوا رؤسامهم الذين بطروا بأموالهم ، واغتروا بأولادهم ، فكان ذلك زيادة فى خسرانهم وخروجا عن محجة الصواب ، و بُعدا من رحة الله .

(ومكروا مكراكبّارا) أى مكراكبيرا ، فاحتالوا فى الدين ، وصدّوا الناس عنه بأساليب شتى ، وأَهْرَوْهم بأذى نوح عليه السلام .

(وقالوا لاتذرن آلمنتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعا ولا يفوث ويسوق ونسرا) أى وقال بعضهم لبعض : لاتتركوا عبادة آلهتكم وتعبدوا رب نوح ، ولا سيا هذه الأصنام التي هي أكبر المعبودات وأعظمها .

وقد انتقلت هذه الأصنام إلى العرب في بعد . أخرج البخارى وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال : صارت هذه الأوثان في العرب بعد فكان :

ودٌ : لـكلب .

سواع : لهُذَيْل .

يغوث : لنُعليف باكبارُف عندسباً .

يسوق : لهمدَان .

نسر: لِخُيْرَ آل ذي الـكلاع. وهناك أصنام أخرى لأقوام آخرين: اللات: لتُقيف بالطائف.

العُزِّى : لسُليم وغطفان وجُشم .

مَناة : الخزاعة بقدَيد .

أساف : لأهل سكة .

نائلت: « ﴿

هُبَل : « « وهو أكبر الأصنام وأعظمها عندهم ومن ثم كان يوضع فوق الكسة .

وليس الراد أن أعيان هذه الأصنام صارت إليهم ، بل المراد أنهم أخذوا هذه الأسماء وسموا مها أصنامهم .

(وقد أضلوا كثيرا) أى وقد ضل بعبادة هذه الأصنام التى استحدثت على صور هؤلاء الفغر ، كثير من الناس ، فقد استمرت عبادتها قرونا كثيرة كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام فى دعائه : « وَاجْنُدْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَشْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَشْلُكُ الْلُّصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَشْلُكُ كَثِيرًا مِنَ النَّاس » .

ثم دعا على قومه لتمردهم وعنادهم فقال :

(ولا ترد الطالمين إلا ضلالا) أى ولا ترد الظالمين لكفرهم بآياتك إلا ضلالا وطبعا على فلومهم حتى لامهندوا إلى حق ، ولا يصلوا إلى رشد .

وقصارى ما قاله عليه الصلاة والسلام — أن دعا عليهم بالخذلان ، وأن دعا لنفسه بالنصر وظهور دينه كما جاء في قوله : « رَبِّ انْصُرْ فِي عَمَا كَـذَّ بُونِ » .

مِّمَا خَطِينًا بَهِمْ أُغْرِفُوا فَأَدْخِلُوا فَارًا فَلَمْ بَجِيدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ ثُوحٌ رَبَّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْمَكَافِرِينَ دَّبَارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُوا عِبَـادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَمَّارًا(٢٧) رَبُّ اغْفِرْ لِي وَلِوَ الدِّى َّ وَلِمَنْ دَخَلَ يَنْتِيَ مُوْمِنَّا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا(٢٨) ·

شرح المفردات

مما خطيئاتهم : أى من أجل ذنوبهم وآثامهم ، أغرقوا : أى بالطوفان ، نارًا : أى عذابا في القبر ، ديّارا : أي أحدا ، تبارا . أي هلاكا .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر مقالة نوح وشكواه إليه _ أردفه بما جازاهم به من الغرق والمذاب، وأنهم لم يجدوا من يدفعها عنهم، ثم أخبر بدعاء نوح على قومه، وعلل هذا بأنهم يضاون الناس وأنهم لو نسلوا لم يلدوا إلا الكفرة الفجرة، ثم دعا لنفسه ولوالديه ولن دخل سفينته من للزمنين والمؤمنات بالمنفرة، ودعا على قومه بالتبار والهلاك.

الإيضاح

(مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أى من أجل مصاصبهم وذنو بهم أغرقهم الله بالطوفان ، وسيمذبهم فى قبورهم ، ولا يجدون من آلهتهم أنصارا ولا أعوانا يدنمون عنهم ماكتب عليهم ، وبذا ضل سعيهم ، وخاب فألهم .

(وقال نوح ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا) أى وقال نوح : رب لا تَذَعُ على وجه الأرض منهم أحدا .

ثم بيّن علة هذا الدعاء بشيئين :

(١) (إنك إن تذرهم يضارا عبادك) أى إنك إن أبقيت منهم أحدا أضلوا
 عبادك الذين آمنوا بك .

(٢) (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أى وإنهم لايلدون إلا الكفرة الفجرة .

وقد كان دعاؤه عليهم بعد خبرته لهم ، وتمرّسه بأحوالهم ، ومكثه بين ظهرانيهم ألف سنة إلا خمسين عاما .

روى أن الرجل منهم كان ينطلق بابنه إليه و يقول له : احذر هذا فإنه كذاب، و إن أبى أوصانى بمثل هذه الوصية ، فيموت الكبير و ينشأ الصنير على ذلك .

و بمدأن دعا على السكفار ، دعا لنفسه ولأبو يه وللمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة فقال ·

(رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا والمؤمنين والمؤمنات) أى رب

استرعلى ذنوبى وعلى والدى وعلى مر دخل مسجدى ومصلاى مصدقا بنبو تمى . و بما فرضته على ، وعلى المصدّقين بوحدانيتك ، والمصدقات بذلك من كل أمة إلى يوم القيامة .

ثم أعاد الدعاء على الكافرين مرة أخرى لنيظه منهم فقال :

(ولا تزد الظللين إلا تبارا) أى ولا تزد الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك ا إلا خسرانا و بُعدًا من رحمتك .

وصلّ ربنا على محمد وآله ، واغفر لى ولوالديّ وللمؤمنين والمؤمنات .

مقاصد هذه السورة

اشتملت هذه السورة على مقصدين :

(١) دعوة نوح قومه إلى الإيمان وقد حوت :

- (١) طلب تركهم للذنوب ، وأنهم إذا ضاوا ذلك أكثر الله لهم المال والبنين.
 - (ب) النظر في خلق السموات والأرض والأنهار والبحار .
- (ح) النظر في خلق الإنسان وأنه يُخلق في الأرض كما يخلق النبات ، وأن
 الأرض مسخرة له يتصرف فها كما يشاء .
 - (٢) كَفر قومه وعقابهم في الدنيا والآخرة :

سورة الجر.

مكية ، وآيها ثمان وعشرون ، نزلت بعد سورة الأعراف .

ووجه اتصالها بما قبلها من وجوه :

 (١) أنه جاء في السورة السابقة : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّـكُمْ ﴾ وجاء في هذه السورة : ﴿ وَأَنْ لَو اسْتَقَامُوا كَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاء غَدَقًا ﴾ .

(٢) أنه ذُ كِر في هذه السورة شيء يتعلق بالسهاء كالسورة التي قبلها .

(٣) أنه ذكر عذاب من يمصى الله فى قوله : « وَمَنْ يَمْضِ الله وَرَسُولَهُ وَرَسُولَهُ عَلَيْ مَنْ نَدْمَ عَنْ الله وَرَسُولَهُ عَلَيْ فَا نَارَ جَهَنَمُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » وذكر هناك مثله فى قوله : « أُغْرِقُوا فَارًا » .

بستم الله الومخمن الرحيم

قُلُ أُوحِى إِنَّى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرْ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِمْنَا قُوْ آنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِنِّى الرُّشْدِ فَآمَنًا بِهِ وَلَنْ أَشْرِكَ بِرَبَّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَمَالَى جَدُّ رَبَّنَا مَا الْمُحَدَّدُ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًّا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ مَطَطًا (٤) وَأَنَّا طَنَنَا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالجِيْنَ عَلَى اللهِ كَذَيْ إِنْ وَ وَلَدًّا (٣) مَنْ الْإِنْسُ وَالجِيْنَ عَلَى اللهِ كَذَيْ إِنْ وَ) وَأَنَّهُ كَانَ رَجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَمُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِّنَ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا (٢) وَأَنَّهُمْ طَنُوا كَا ظَنْتُهُمْ أَنْ لَنْ يَبْمَثَ اللهُ أَحَدًا (٧).

شرح المفردات

النفر: ما بين الثلاثة والمشرة ، والجنن : واحدهم جنى كروم ورومى ، هجبا : أمطة أى هجيبا بديما مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المنى ، والجَمَد : المطلة يقال جَدّ فلان فى عينى : أى عظم ، قال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عران جَدّ فينا : أى جل قدره وعظم ، والسفيه : الجاهل ، شططا : أى غلاتا فى الكذب بنسبة الصاحبة والولد إليه ، يموذون : أى يلتجئون ، وكان الرجل إذا أمسى بقفر قال : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، رهقا : أى تكترا ، وأصل الرهق : الأثم وغشيان الحارم .

المعنى الجملي

اعلم أن الله سبحانه سمى سور كتابه بأسماء تبعث طي النظر والاعتبار وتوجب التفكير، فسمى بالأنمام و بالحشرات كالنمل والنحل والمنكرين و بما هو ألطف من ذلك كالنور، كما سمى بيمض الأنبياء ، كيوسف و يونس وهود ، و بيمض الأخلاق كالتوبة ، و بيمض المكواكب العلوية كالشمس والقمر والنجم ، و بيمض الأوقات كاليل والفجر والضحى ، و بيمض المعادن كالحديد ، و بيمض الأماكن كالبلد ، و بيمض البات كالتين وكل ذلك مما نراه .

وهنا سمى هذه السورة بمالم لانراه وهو عالم الجن ، وهو عالم لم يعرف فى الإسلام إلا من طريق الوجى ، وليس المقل دليل عليه ؛ ولقد أصبحت هذه العوالم السنترة عنا الشفل الشاغل اليوم الملماء والباحثين، فصار علماء أوربا يدرسون عالم الملائكة وعالم لجن وعالم الأرواح ، و يطلعون على غوامض هذه العوالم ، فتحدث الناس مع أرواح أصحابهم الذين مانوا ، واتصل المالم الإنسى بالمالم الجنى ، و بعللم الأرواح الطاهمة ، وهم الملائكة ؛ وقد خطب السير أوليفراودج من أشهر علماء العلمية في هذا المصر ، فى بلاد الإنكليز فى مجمع من كبار العلماء قال: إنه حادث الأموات، و إن هناك. عقولا أسمى من عقولنا فى عالم الأرواح، و إنهم يهتمون بنا، و إن إخوانى من رجال الجاعة الروحية الذين ماتوا — كلتهم بعد موتهم، و برهنوا بأدلة قاطعة أنهم هم الذين يكلموننى، وقال: إن كل مايقوله الأنبياء عن عالم الأرواح وعن الله فهو حق بلا تأويل.

وجاء فى كتاب « إخوان الصفا » إن أرواح الأحياء بمد للوت هم الموسوسون إن كانوا أشرارا ، وهم لللمدون الناس الخير إن كانوا أخيارا .

وقال شير محمد الهندى فى كتابه فى المجلس السابع: لقد جمعت بين ماجاء به الدين الإسلامى والكشف الحديث كقولهم: إن كل علم وكل خير وشر حاصل فى الأفقدة منشؤه الأرواح الفاضلة والأرواح الناقصة ، وهو بعينه ماجاء فى الحديث: « فى القلب لمتان لمة من اللك ولمّة من الشيطان » وهدذا مصداق لقوله تعالى : « سَنُريهم آيانيا في الآفاق وفي أَنْفُسِم » . والمجب أن الفَرَّنَجَة يكشفون هذا ولا يعلمون أنه مصداق دين الإسلام اه .

واعلم أن ماجا في هذه السورة من السميات التي لادليل عليها من المقل قد بقى الإسلام حوالى أربعة عشر قرنا تتلقاء الأمة بالقبول جيلا بعد جيل دون بحث عن حقائقه حتى عنى علماء أوربا في المصر الحديث بالبحث عنه ، فظهر لهم أن الأرواح الناقصة تسمع كلام الناس وتهتدى به ، وأنها لاتعرف مافوق طاقتها ، فلا تهتدى بهدى الأرواح العالمية ؛ فالنبئ صلى الله عليه وسلم مثلا قد ارتق في العلم إلى حد لا يمكن الأرواح الناقصة أن تتعلم منه ؛ فما أشبه حالهم محال الجهال الذين يسمون من أبنائهم المتعلمين العلم ولا يفهدونه ، ومامثل حال الأرواح الناقصة بعد للوت إلا مثل حالها للشاهدة في الدنيا ، فإنا نرى الجهال لا يجلسون في مجالس العلم إلا قليلا من يمارات العلم، ولا يظهر لهم إلا القليل من ثمرات العلم، فه في الحياة الدنيا منعون من السمع ، وقد يشتد المنم إذا كان في الساع مفسدة

كمرفة الأسرار الحربية ، والخطط السياسية التي ينبغى أن تبقى سرا مكتوما بين الدول ، وهذا للنم الذى نشاهده أشبه بللنم من استراق السمع ، لأنه إنما كان لحفظ الدرجات ، وهى للمارج لأربابها .

الإيضاح

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) أمر الله رسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى به إليه من قصص الجن ، لمـا فى علمه من فوائد ومنافعر للناس ، منها :

- (١) أن يعلموا أنه كما بعث عليه الصلاة والسلام إلى الإنس فقد بعث إلى الجن .
 - (٢) أن يعلموا أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لفاتنا .
 - (٣) أن يعلموا أن الجن مكلفون كالإنس.
 - (٤) أن يعلموا أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان .
 - (ه) أن تعلم قريش أن الجن على تمردها لما استمعت القرآن عرفت إهجازه
 وآمنت به .

وظاهر الآية يدل على أنه عليه الصلاة والسلام علم استاعهم له بالوحى لا بالمشاهدة وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ، ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، و إنحا انطلق بطائمة من الصحابة لسوق عكاظ ، وقد حيل بين الجنن والسياء بالشهب، فقالوا : ماذاك إلا لشى حدث ، فاضر بوا مشارق الأرض ومفار بها ، فرر من ذهب منهم إلى تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الفجر بأسحابه بنخلة ، فلما استمعوا له فالوا : هذا الذي حال بيننا و بين السياء ، ووجموا إلى قومهم وقالوا ياقومنا الح ، فأنزل الله عليه : « قُلُ أُوحِي ٓ إِلَى الآيات ، وقد كان خلك قبل المحرة بثلاث سنين .

وقد حكى الله عن الجن أشياء:

- (١) (نقالوا: إنا سممنا قرآناً عجبه. يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) أى قالوا لفومهم حين رجعوا إليهم كما جاء فى قولهم: « فلماً تُضِى تَوَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُّنذِرِينَ » إنا سممنا كتاباً بديماً يهدى إلى الحق و إلى الطريق المستقيم ، فصدقنا به ، ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك بالله .
- (٧) (وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما انخذ صاحبة ولا ولدا) أى و إنهم كا نفوا عن أنفسهم الإشراك بالله نزهوا ربهم عن الزوجة والولد ، لأن الصاحبة تتخذ للمحاجة إليها ، ولأنها من جنس الزوج كا قال : «خَلَقَ لَسَكُمُ مِنْ أَنْفُسُكُم أَزْوَاجًا لِيَسَكُمُ الْإِنْهَا مَن جنس الزوج كا قال : «خَلَقَ لَسَكُمُ مِنْ أَنْفُسُكُم أَرُواجًا لِيَسَكَمُوا إِلَيْهَا مَن السَكِبَر و بقاء السَّرَ والدَّمِية و كَا قال :

وكم أب علا بابن ذُرا شرف كا علت بوسول الله عدنان والله سبحانه منزه عن ذلك ، تعالى ربَّنا علوا كبيرا .

والخلاصة — علا ملك ربنا وسلطانه أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أوملامسة يكون منها الولد.

- (٣) (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) أى وإن الجهال من الجن كانوا
 يقولون قولا بميدا عن الصواب ، بنسبة الولد والصاحبة إليه تعالى .
- (٤) (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) أى وأنا كنا نظن أن لن يكذب أحد على الله تعالى ، فينسب إليه الصاحبة والولد ، ومن ثم اعتقدنا سحة قول السفيه ، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم كانوا كاذبين ، وهذا منهم باقوار بأنهم إنما قفوا فى تلك الجهالات بسبب التقليد ، وأنهم إنما تخلصوا منها الاستدلال والبحث .
- (ه) (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رمقا) أى وأن رجالا من الإنس كانوا يستعيذون فى القفر برجال من الجن ، فزادوا الجن بذلك طفيانا وغيًا ، بأن أضاوهم حتى استعاذوا بهم .

وخلاصة ذلك — أنهم لما استصادوا بالجن خوفا منهـــم ولم يستعيذوا بالله ، استذلوهم واجترءوا عليهم وزادوهم قالما .

 (٦) (وأنهم ظنواكما ظنتم أن لن يبعث الله أحدا) أى وأن الجن ظنواكما ظنتم أن لن يبعث الله رسولا إلى خلقه ، يدعوهم إلى توحيده ، والإيمان برسله واليوم الآخر .

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْمُدُ مِنْهَا مَقَاعَدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يُسْتَعِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَا بَارَصَدًا(١) كُنّا نَقْمُدُ مِنْها مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يُسْتَعِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَا بَارَصَدًا(١) وَأَنَّا مَنَّا الصَّالَحُونَ وَمِنّا دُونَ ذَلِكَ كُنّا طَرَاثِقَ قِدَدًا(١١) وَأَنَّا طَننّا أَنْ لَنْ مُعْفِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْفِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَن الْهُدَى لَنْ نُعْفِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْفِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنّا لَمَّا سَمْنَا الْهُدَى لَنْ نُعْفِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنّا لَمَّا سَمْنَا الْهُدَى لَنْ نُعْفِزَهُ فَوْ الْمُهَا وَلَا مَقَالُوا وَهَا اللهَالِمُونَ وَمِنّا لِهُ اللهِ اللهَ الْعَلَيْفِ مَن فَرَنْ لَوْ السَّتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا اللهَ الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِهَمَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَنْ لَوِ السَّتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة لَا اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهُ مَن فَر كُرْ رَبِّهِ لَا اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَدَقًا (١٦) إِنَفْتَنَامُمْ فِيهِ ، وَمَنْ يُمُرْضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ لِللَّهُ مُعْ مَاءً غَدَقًا (١٦) إِنَفْتَنَامُمْ فِيهِ ، وَمَنْ يُمُرْضْ عَنْ ذِكْر رَبِّهِ لَيَسْلُمُ فَا عَذَابًا صَمَدًا (١٧) إِنَفْتَنَامُ فَي فِيهِ ، وَمَنْ يُمُرْضْ عَنْ ذِكْر رَبِّهِ لَيَسْلُولُ اللهَ عَذَابًا صَمَدًا (١٧) إِنَفْتَنَامُ عُنْ فِيهِ ، وَمَنْ يُمُرْضْ عَنْ ذِكْر رَبِّهِ لَا اللهَ اللهَ اللهُ اللهُ وَلَوْلَوْلَ الْمِنْ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الله

شرح المفردات

لمسنا السهاء: أى طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا ، والحرس والحراس ، واحدهم حارس ، وهو الرقيب ، شديدا : أى قويا ، والسمع : الاستماع ، والشهب : واحدها شهاب، وهوالشعلة للقتبسة من نار الكوكب ، رصدا : أى أرصد له ليرمى به رشدا: أى خيرا وصلاحا ، قددا: أى جاعات متعرقة وفرقا شتى ، ويقال صار القوم قددا: إذا تفرقت أحوالهم ، واحدها قدة وهى القطعة من الشي ، هر با : أى هار بين إلى السباء ، والمراد بالهدى القرآن ، والبخس : النقص ، والرهق الظلم والمسكروه الذى يشمى المظلوم ، القاسطون : أى الجائرون السادلون عن الحق ، تحرّو الرسدا : أى قصدوا طريق الحق ، حطبا : أى وقودا للنار ، والعلم يقة : هى طريق الإسلام ، غذاً : أى كثيرا ، يسلكه : أى يدخله ، صمدا : أى شاقا يعلو المذب و يغلبه ، يقال فلان فى صَمد من أمره : أى يدخله ، صمدا : أى شاقا يعلو المذب و يغلبه ، تصمدنى فى خطبة النكاح ، أى ماشق على ، وكانه إنما قال ذلك لأنه كان من عادتهم أن يذكروا جميع ما يكون فى الخاطب من أوصاف موروثة ومكتسبة ، فكان بشق عليه أن يقول الصدق فى وجه الخاطب وعثيرته .

الإيضاح

(٧) (وأنا لمسنا السياء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) يخبر سبحانه عن مقال الجن حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وحفظ منهم ، إن السياء مائت حراسا شدادا وشهبا تحرسها من سائر أرجائها وتمنعنا من استرق السمع كاكنا نفعل .

أخرج أحمد والترمذى والنسائى عن ابن عباس قال: كان للشياطين مقاعد في السياء يسمعون فيها الوحى ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسما ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما مازادوا فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُيعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يرى ، ها قبل ذلك ، فقال لهم ماهذا إلا من أمر قد حدث في الأرض ، فيعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يصلى بين جبلين بمكة ، فأنوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض .

(٨) (وأنا كنا نقمد مها مقاعد للسمع) أى وأنا كنا نقمد قبل ذلك فيها مقاعد خالية من الحرس والشهب، انسترق السمع ، فطردنا مها حتى لانسترق شيئا من القرآن ونلقيه على ألسنة الكهان ، فيلتبس الأسم ولا يدرى الصادق ، فكان ذلك من لطف الله بخلقه ، ووحمته بعباده ، وخطة لكتابه العزيز .

(فمن يستمع الآن بجدله شهابا رصداً) أى فمن يَرُم أن يسترق السمع اليوم بجدله شهابا مرصدا لايتخطاه ولا يتعداه ، بل بهلنكه ويمحقه .

و إنا لنؤمن بما جاء فى الكتاب الكريم من أن الجن كانوا يسترقون السعع، ومُنِموا من ذلك بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولسكن لانمرف كيف كانوا يسترقون السعم، ولا نعرف كنه الحرس الذين منعوهم، ولا المراد بالشهب التي كانت رصدًا لهم؛ والجن أجسام نارية فكيف تحترق من الشهب.

و يرى قوم أن مقاعد السمع هى مواضع الشبه التى يوسوس بها الجن فى صدور الناس ، ليصدوهم عن انباع الحق ، والحرس : هى الأدلة المقلية التى نصبها سبحانه لهداية عباده ، والشهب الأدلة الكونية التى وضعها فى الأنفس والآفاق .

وعلى هذا يكون للمنى: إن القرآن الكريم بما نصب من الأدلة العقلية والأدلة الكونية حرس للدين من تطرق الشبه التي كان الشياطين يوسوسون بها في صدور الزائمين، ويحوكونها في قاوب الضالين، لينموهم من تقبل الدين والاهتداء بهديه، في يفكر في إلقاء الشكوك والأوهام في نفوس الناس بعد ثذ يجد البراهين التي تقتلها من جذورها.

- (٩) (وأنا لاندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) أي و إن السهاء لم تُحرس إلا لأحد أمر بن :
 - (1) إما لمذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بفتة .
 - (ب) و إما لنبيّ مرشد مصلح .

وكأنهم يقولون : أعذابا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض ، بمنمه إيانا السمع من السياء ورجمه من استمع منا بالشهب ، أم أراد بهم ربهم الهدى ، بأن يبعث منهم رسولا مرشدا يهديهم إلي الحق و إلى طريق مستقيم ؟ .

(١٠) (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدَدا) أى وأنا منا المسلمون العاملون بطاعة الله ، ومنا قوم دون ذلك ، وأنا كنا أهواء مختلفة وفرقا شتى ، فنا للؤمن والفاسق والكافركما هى الحال فى الإنس .

(١١) (وأنا ظننا أن لن نسجز الله فى الأرض ولن نسجزه هر با) أى وأنا علمنا أن لن نسجز الله فى الأرض أينا كنا فى أقطارها ، ولن نسجزه هر با إن طلبنا ، فلا نفوته محال .

والخلاصة - إن الله قادر علينا حيث كنا ، فلا نفوته هر با .

(۱۲) (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ، فن يؤمن بر به فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى وأنا لما سمعنا القرآن الذى يهدى إلى الطريق المستقيم صدقنا به وأقررنا بأنه من عند الله، ومن يصدق بالله و بما أنزله على رسله فلا يخاف نقصا من حسناته ، ولا ذنيا يحمل عليه من سيئات غيره قاله قتادة .

وقصارى ذلك - أنه ينال جزاءه وافرا كاملا.

(١٣) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرّوًا رشدا) أى وأنا منا المؤمنون الذين أطاعوا الله وأخبتوا إليه وصماوا صالح الأعمال، ومنا الجائرون عن النهج القويم وهو الإيمان بالله وطاعته، ومن آمن بالله وأطاعه فقد سلك الطريق الموصل إلى السعادة، وقصد ماينحيه من المذاب .

ثم ذم الجنُّ السكافرين منهم فقالوا:

(وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) أى وأما الجائرون عن سنن الإسلام فكانوا حطبا لجهنم توقد بهم ، كا توقد بكفرة الإنس ، وقد ذكر ثواب المؤمنين منهم بقوله : « فأولَيْكَ تَحَرُّوا رَشَدًا » . و إلى هنا انتهى كلام الجن ثم عاد إلى ذكر الموحى به إلى رسوله فقال:

(وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً) أى وأوسى إليه أنه لو استقام الإنس والجن على ملة الإسلام ، لوسّمنا عليهم أرزاقهم ، ولبسطنا لهم فى الدنيا .

و إنما خص الماء الندق بالذكر ، لأنه أصل المماش ، وكثرته أصل السمة و إنما خص الماء ومن ثم قيل : حيثها كان المماء كان المال ، وحيثها كان المال كانت الفتنة ، ولندرة وجوده بين العرب ، ومن ثمّ امنن الله على نبية بقوله : « إِنَّا أَعْمَلِيْنَاكُ الْسَكُوْتُرَ » على تفسير السكوثر بالنهر الجارى ، ونحو الآية قوله : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَانْقُوا الْمُرَى أَنَّ اللهُ مَنْ السَّاء وَانْقُوا اللهَ مَنْ عَلَى اللهُ مَنْ مَنْ السَّاء وَالْأَرْضِ » .

وسرُّ هذا ماعرفت غير مرة من أن الخصب والسعة لايوجدان إلا حيث توجد الطمأنينة والمدل و يزول الظلم ، وتكون الناس سواسية فى نيل الحقوق ، فلا ظلم ولا إرهاق ، ولا محاباة ولا رُشا فى الأحكام .

ثم ذكر سبب البسط حينئذ فقال :

(لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم أى لنماملهم معاملة المختبر لنرى هل يشكروننا على هذه النم ، فإن وقوّها حقها كان لهم منى الجزاء الأوفى ، و إن نكصوا على أعقابهم استدر جناهم وأمهلناهم ، شم أخذناهم أخذ عز يز مقتلم ، كما قال : ٥ وَأَمْلِي كَمْمُ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ٣ .

(ومن يعرض عن ذكر ربه يسلسكه عذابا صمدا) أى ومن يعرض عن القرآن وعظاته ، فلا ينبع أوامره ولا ينتهى عن نواهيه — ندخله فى المذاب الشاق الذى يعلوه ويغلبه ، ولا يطيق له حملا . وَأَنَّ الْسَاجِدَ لِلهَ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدَا(١٨) وَأَنَّهُ لَنَّا قَامَ عَبْدُاللهِ

يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِغَّا أَدْعُو رَبِّى وَلاَ أَشْرِكُ بِهِ

أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَـنَكُمْ ضَرَّا وَلاَ رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنَّى لَنْ

يُحِيرَ فِي مِنَ اللهِ أَحَدُّ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) إِلاَّ بَلاَغاً مِنَ اللهِ

وَرِسَالاَتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَمَّ خَالِدِينَ فِيها

أَبِدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأُوا مَا يُوعَدُونَ فَسَيْمُلُمُونَ مَنْ أَضْمَفُ نَاصِرًا

وَأَنْكُ عَدَدًا (٢٣)

شرح المفردات

المساجد: واحدها مسجد، موضع السجود للصلاة والعبادة ، ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ، فلا تدعوا : أى فلا تعبدوا، يدعوه: أى يعبده ، ليداً : (بكسر اللام وفتح الباء) أى جماعات ، واحدها ليبدة ، والمراد متراكبين متراحمين ، ولا رشدا : أى ولا نفها ، ملتحداً : أى ملجاً يركن إليه ، قال : يا لمنت نفسى وفقى عير كنجدية عنى وما من قضاء الله مُلتَحد بالغامن الله : أى تبليغا لرسالاته .

الإيضاح

(وأن المساجد أله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ، وأن المساجد أله فلا تعبدوا فيها غير الله أحدا ولا تشركوا به فيها شيئا . وعن قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيّمهم أشركوا بافيه معبودات أخرى لهم، فأمرنا بهذه الآية أن تخلص في تعالى الدعوة إذا دخلنا المساجد. وقال الحسن: المراد بالمساجد كل موضع سُجِد فيه من الأرض سواء أعدَّ لذلك أم لا ، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة .

وكأنه أخذ ذلك ثما فى الحديث الصحيح «كبلت لى الأرض ُمسجداً وطهوراً». (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) أى ولما قام محمد صلى الله عليه وسلم يعبد الله ، كاد الجن يكونون جماعات بمضها فوق بعض تعبجا نما شاهدوا من عبادته ، وسمعوا من قراءته ، واقتداء أسحابه به قياما وركوعا وسجودا ، إذ رأوا ما لم بروا مثله ، ولا سمعوا مثل ماسموا .

وقال الحسن وقتادة : إنه لما قام عبد الله بالرسالة يدعوالله وحده مخالفا للمشركين فى عبادتهم الأوثان — كاد الكفار لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون متراكين جماعات جماعات .

قال مقاتل : إن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك جثت بأسر عظيم ، وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ، فأنزل الله :

(قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحداً) أى قل لأولئك الدين كادوا يكونون عليك لبِدَا : إنما أعبد الله ربى ولا أشرك به فى العبادة أحدا ، وذلك لبس ببدع ولا مستنكر نوجب المحب والإطباق على عداوتى .

ثم بيَّن أنه لايملك من الأمر شيئا ، فهو لايستطيع هدايتهم ولا جلب الخبر لهم فقال :

(قل إنى لا أملك لمكم ضرا ولا رشداً) أى قل أيها الرسول لأولئك الشركين الذين ردوا عليك ماجتهم به من النصيحة : إنى لا أملك لمكم ضرا في دينكم ولا دنياكم ، ولا تصا أجلبه لمكم ، وإنما الذي يملك ذلك كله هو الله الذي له ملك كل شيء ، وهو الفادر على ذلك وحده وكأنه عليه السلام أمر أن يقول : ما أردت إلا نفحكم فقا بالتموفى بالإساءة ، وليس في استطاعتي النفع الذي أردت ، ولا الفر الفرى أكاف كم به ، إنما ذان أنه .

وفى هذا تهديد عظيم لهم وتوكل على الله عز وجل وأنه هوالذى يجزيه بحسن صنيمه وبجزيهم بسوء صنيمهم ، وفيه إيماء إلى أنه لايدعالتبليغ لتظاهرهم عليه .

نم بيَّن عجزه عن شئون نفسه بعد هجزه عن شئون غيره فقال :

(قل إنى لن بمبرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا، إلا بلاغا من الله ورسالاته)أى قل : إنى لن بجيرنى من الله أحد من خلقه إن أراد بى سوءا ، ولن ينصرنى منه ناصر ، ولا أجد من دونه ملجأ ولا ممينا ، لسكن إن بلغت رسالته ، أطمته أحادنى .

والخلاصة - إنى لن يجيرنى من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته .

و بمدئذ بيَّن جزاء العاصين لله ورسوله فقال :

(ومن يمص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) أى ومن يمعى الله فيما أمر به ، ونهى عنه ، و يكذب برسوله فإن له نارا يصلاها ما كثا فيها أبدا إلى غير نهاية ، ولا محيد عنها ولا خروج منها .

ثم سلى رسوله وسرّى عنه وعيَّرهم بقصور نظرهم عن الجن مع ادعائهم الفطنة ، وقلَّة إنصافهم ومبادهتهم بالتكذيب والاستهزاء ، بدل مبادهة الجن بالتصديق والاستهداء فقال :

(حتى إذا رأوا مايرعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقلُّ عدداً) أى ولا يزالون يستضغون المؤمنين و يستهزئون بهم ، حتى إذا رأوا مايرعدون من فنون الهذاب فيستبين لهم من المستضعفون ؟ ألمؤمنون الموحدون قه تعالى ، أم المشركون الذين لاناصر لهم ولا معين؟.

وقصاری ذلك — إن المشركين لاىاصر لهم ، وهم أقلّ عددا من جنود الله عزّ وجل .

ونظير الآية قوله : « حَتَّى إِذَا رَأُو ْا مَايُوعَدُونَ إِمَّا الْمَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ » .

قُلُ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْمَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ اللهُ رَبِّى أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ النَّفِيْبِ فَلَا يَعْبُهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَفَى مِنْ رَسُولِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ رَبُولِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ رَبُولِ فَإِنْكُوا أَنْ قَدْ أَبْلُغُوا وَمِدًا (٢٧) لِيَمْلَمُ أَنْ قَدْ أَبْلُغُوا رَصَدًا (٢٨) لِيمْلَمُ قَأْحُمَى كُلُّ ثَى مُ عَدَدًا (٢٨).

المعنى الجملي

أمر سبحانه رسوله أن يقول للناس ؛ إنه لاعلم له بوقت الساعة ، ولا يدرى أقر يب وقتها أم بعيد ، وأنه لايعلم شيئا من النيب إلا إذا أعلمه الله به ، وهو سبحانه يعلم أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويعلم جميع الأشياء إجمالا وتفصيلا .

قال مقاتل: إن المشركين لما سمسوا قوله تمالى: « حَتَّى إِذَا رَأُواْ مَايُوعَدُونَ فَمَنَيْمَلُمُونَ مَنْ أَضْمَفُ نَاصِرًا وَأَقُلُ عَدَدًا » قال النضر بن الحارث: منى يكون هذا اليوم الذى توعدنا به ؟ فأغزل الله تمالى: « قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِ بِبُ مَاتُوعَدُونَ » إلى آخر الآيات.

الإيضاح

(قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجمل له ربى أمدا؟) أمر الله رسوله أن يقول للناس : إن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولكن وقتها غير معلوم، ولا يدرى أفريب أم يجمل له ربى أمداً بعيداً؟

وقد كان صلى الله عليه وسلم يُسأل عن الساعة فلا يُحيّب عنها ، «ولما تبدى له جبر يل فى صورة أعرابي كان فيا سأله أن قال : يا محمد أخبرنى عن الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ولما ناداء ذلك الأعرابي بصوت جهوري قتال « يا محمد متى الساعة ؟ قال ومحك إنها كائمة فما أعددت لها؟ قال أمّا إنى لم أعدٌ لها كثير صلاة ولا صيام ، ولكني أحب الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وسلم فأنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرح المسلمون بشى، فرحهم بهذا الحديث .

(عالم النيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتفى من رسول) أى عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه ، وهذا لايملم به أحد إلا من ارتضى من الرسل صلحات الله عليهم ، فإنه يطلعهم على ماشاء منه .

ونحو الآية قوله : « وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْء مِنْ عِلْمهِ إِلاًّ ِعَا شَاء » .

وفى الآية إيماء إلى إبطال الكِمانة والتنجيم والسحر ، لأن أصحابها أبعد الناس عن الارتضاء وأدخلهم فى السخط ؛ وإلى أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بالقرآن ، وفيها أيضا إبطال للكرامات ،

لأن من تضاف إليهم و إن كانوا أولياء مرتضين فليسوا رسلا، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب .

وقال الرازى : المراد أنه لايطلع على غيبه المخصوص وهو قيام الساعة ، والذى يدل على ذلك أمور :

- (١) أن أرباب الأديان والملل مطبقون على صحة علم التعبير وتفسير الرؤيا ،
 وأن المقبرقد يخبر عن الوقائم الآنية في المستقبل و يكون صادقا فيها .
- أن الكاهنة البندادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بنداد
 إلى خراسان وسألها عن أحوال آنية ، ذكرت أشياء ثم وقمت وفق كلامها
- (٣) أنا نشاهد فى أصحاب الإلهامات الصادقة (وليس ذلك مختصا بالأولياء بل قد يكون فى السحرة) من يكون صادقا فى كثير من أخباره ، وكذلك الأحكام التجومية قد تكون مطابقة موافقة لما سيكون فى كثير من الأحيان ، و إذا كان ذلك مشاهدا محسوسا ، فالقول بأن القرآن يدل على خلافه بما يجر إلى الطمن فى القرآن السكريم ، فعلمنا أن النأويل الصحيح ماذكرنا اه بتصرف .

(فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) الرصد القوم يرصدون كالحرس ، والراصد للشيء الراقب له ، والترصد الترقب، والمراد بهم هنا الملائك الحفظة ؛ أى فإنه يسلك من بين يدى من ارتضى من رسله ، ومن خلفهم حفظة من الملائكة يحفظونهم من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم حتى يبلغوا ما أوحى به إلبهم ، ومن زحة شياطين الإنس حتى لايؤذونهم ولا يضرونهم .

وعن الضحاك: مابُعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين الذين ينشبهون بصورة الملك، فإذا جاء شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره، و إن جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك .

والخلاصة — أنه يدخل حفظة من الملائكة يمخطون قواه الظاهرة والباطنة من الشياطين ويمصمونه من وساوسهم .

ثم علل هذا الحفظ بقوله :

(ليط أن قد أبلنوا رسالات ربهم) أى إنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظوا ماينزله اليهم من الوحى ، ليما أن قد أبلنوا هبذه الرسالات؛ والمراد ليما الله ذلك منهم علم وقوع في الخارج كما جاء نحو هذا في قوله : ﴿ وَكَيْمُكُنَّ اللهُ اللَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْمَانَ النَّاقَتِينَ » .

(وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عدداً) أى وهو سبحانه قد أحاط علماً بما عند الرصد من الملائكة ، وأحصى ما كان وما سيكون فرداً فرداً ، فهو عالم بجميع الأشياء منفرد بذلك على أتم وجه ، فلا يشاركه فى ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم .

والخلاصة -- أن الرسول للرتفى يُعله الله بوساطة الملائكة بعض الغيوب ثما له تملق برسالته ، وهو سبحانه محيط علماً بجميع أحوال أوثئك الوسائط، وعالم بجميع الأشياء على وجه تفصيلى ، فأين علم الوسائط من علمه ؟

ماتضمنته هذه السورة

اشتملت هذه السورة على مقصدين :

- (۱) حكاية أقوال صدرت من الجن حين سمموا القرآن كوصفهم له بأنه كتاب بهدى إلى الرشد ، وأن الرب سبحانه تنزه عن الصاحبة والولد ، وأنهم ما كانوا يظنون أن أحدا يكذب على الله ، وأن رجالا من الإنس كانوا يستميذون في الفغر برجال من الجن ، وأن الجن طلبوا خبر العالم العلوى فنعوا ، وأن الجن لايدرون ماذا يحل بالأرض من هذا المنع ، وأن الجن منهم الأبرار ومنهم الفجار، ومنهم مسلمون وجأئون عادلون عن الحق .
- (٧) ما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتبليفه إلى الخلق ، ككونه لايشرك بر به أحدا ، وأنه لايملك لنفسه ضرًا ولا نشاً ، وأنه لايمنمه أحد من الله إن عصاه ، وأنه صلى الله عليه وسلم لايدرى متى يكون وقت تمذيبهم ، فالعلم لله وحده .

سورة المزمل

هى مكية إلا قوله تعالى · « وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْ هُمْ هَجْراً جَمِيلاً . وَذَرْنِي وَالْسَكَذَّبِينَ أُولِي النَّفْمَةِ وَمَهَّالُهُمْ قَلِيلاً » . وقوله : «إِنَّ رَبَّكَ بَنْمَا ۖ أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنَى مِنْ ثُنَدِّي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلْثُهُ ۖ وَطَائِفَةٌ مِنَ النِّينَ مَمَكَ » إِلَى آخِر السورة فدنية .

وعدد آيها عشرون نزلت بعد سورة القلم .

ووجه اتصالما بما قبلها :

 (١) أنه سبحانه ختم سورة الجن بذكر الرسل عليهم السلام ، وافتتح هذه بما يتعلق بخاتمهم عليه السلام .

(٢) أنه قال في السورة السالفة : « وأنَّهُ كَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدُعُوهُ »
 وقال في هذه : « قُم اللَّيْلَ إلا قليلاً » .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَنَا عُهَا الْمَزَّمِّلُ (١) فَم اللَّيْلَ إِلاَّ فَلِيلاً (٧) نِصْفَهُ أَوِ انْفُصْ مِنْهُ فَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْ آَنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِ عَلَيْكَ فَوْلاً فَقِيلاً (٥) إِنَّا نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِى أَشَدُ وَطْأَ وَأَقُومُ قِيلاً (٢) إِنَّ اللَّهَ فِى النَّهَارِ سَبْمًا طَوِيلاً (٧) وَاذْ كُرِ الشَمَ رَبَّكَ وَتَبَتَّلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَّذْرِبِ لِا إِنَّ إِلاَّ هُوَ فَاتَّيِّذُهُ وَرَكِلاً (٩).

شرح المفردات

الزمل: أصله المتزمل؛ من قولهم تزمل بثيابه إذا تلفف بها ، ورتل القرآن: أى اقرآه على تؤدة وتمهل مع تبيين حروفه ، يقال ثفر رتل (بسكون التاء وكسرها): إذا كان مفلجا لاتتصل أسنانه بعضها بيمض ، سنلتي عليك ؛ أى سنوحى إليك ، قولا تقيلا: الراد به القرآن لما فيه مر التكاليف الشاقة على المكلفين عامة وعلى الرسول خاصة ، لأنه يتحدلها بنفسه و يبلغها إلى أمته ، ناشئة الليل : هى النفس التي تنشأ من مضجها العبادة : أى تنهض وترنفع ؛ من قولهم نشأت السحابة إذا ارتفعت قوله تعالى : « ليواطأة ؛ وموافقة من قولهم واطأت فلانا على كذا إذا وافقته عليه ومنه قوله تعالى : « ليواطأة ؛ وموافقة من قولهم واطأت فلانا على كذا إذا وافقته عليه ومنه قوله تعالى : « ليواطأو عدد أهم الله وهدو الأسوات ، سبحا طويلا : أى تقلبا وتصرفا في مهام أمورك ، واشتغالا بشواخلك ، فلا تستطيم أن تتفرغ للعبادة ، فعليكها في الليل ، وأمورك ، واستغالا بسير السريع في الماء ، واذكر اسم ربك : أى ودم على ذكره ليلا ونهارا ، وتبتل إليه تبتيلا : أى انقطع عن كل شي إلى أمر الله وطاعته ، واتخذه وكيلا : أى وفوض كل أمر إليه .

المعنى الجملي

قال ابن عباس: أول ما جاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم خافه وظن أن به مستا من الجن ، فبينا هو كذلك مستا من الجن ، فبينا هو كذلك إذ جاءه جبريل وناداه. ﴿ يأيها للزمل. قم الليل إلاقليلا. نصفه أوانقص منه قليلا. أو زد عليه » ثم أمره بترتيل القرآن وقراءته بتؤدة وتأن » ثم أخبره بأنه سيلتي عليه قرآنا فيه التكاليف الشاقة على المكلفين ، وأن النهوض للمبادة بالليل شديد الوطأة ولكنه أقوم لقراءة القرآن لحضور القلب ، أما قراءته في النهار فتكون مم اشتفال

النفوس بأحوال الدنيا ، ثم أمره بذكر ربه والانقطاع إليه بالعبادة ، وتفويض أموره كلها إليه .

الإيضاح

(يأيها للزمل . قم الليل إلا قليلا) أى يأيها النبى المنزمل بثيابه ، المتهيُّ العصلاة ، دم عليها الليل كله إلا قليلا .

ثم فسر هذا القليل بقوله :

(نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه) أى إلا قليلا وهو النصف أو انقص من النصف أو انقص النائين . من النصف أو زد على النصف والثائين . وقصارى ذلك — أنه أمر أن يقوم نصف الليل أو يزيد عليه قليلا أو ينقص منه قليلا ، ولا حرج عليه في واحد من الثلاثة .

و بعد أن أمره بقيام الليل للصلاة أمره بترتيل القرآن فقال :

(ورتل القرآن ترتيلا) أى اقرأه على تمهل ، فإنه أعون على فهمه وتدبره ، وكذلك كان صلوات الله عليه، قالت عائشة رضى الله عنها : كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها ، وجاء فى الحديث : « زيّنوا القرآن بأصواتكم ، ولقد أوتى هذا مزمارا مرت مزامير آل داود ، يمنى أبا موسى الأشعرى ، فقال أو موسى : لوكنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبَّرته لك تحييرا » .

وأخرج السكرى فى كتابه للواعظ عن على كرم الله وجهه «أن رسول الله صلى الله على الله عنه مثل عن هذه الآية فقال : يينه تبيينا ولا تنثره نثر الدَّقَل : (أردأ التر) ولا تهذّه : (لاتسرع به) هذّ الشعر ، قفوا عند مجانبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة » .

وعن عبد الله بن مُغْفِل قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجّم في قراءته » أخرجه الشيخان . وعن جابر قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والمعجمى فقال : اقرءوا وكل خصس ، وسيجى. أقوام يقيمونه كما يقام القيدُ ح : (السهم) يتمجاونه ولا يتأجلونه ، لا بجاوز تراقيهم » رواه أبو داود .

قال فى فتح البيان : والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتمويج الوجه والفم وألحان الفناء كما يمتاده قر"اء هذا الزمان من أهل مصر وغيرها فى مكة المسكرمة وغيرها ، بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون والحق الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة ، وليس هذا بأول قارورة كسرت فى الإسلام اه .

والحكمة فى الترتيل: التمكن من التأمل فى حقائق الآيات ودقائقها ، فعند الوصول إلى أو كالتيب وحقائقها ، فعند الوصول إلى أو كالتيب والمحتله ، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخلوف و يستنير القلب بنور الله لـ و بعكس هذا فإن الإسراع فى القراءة يدل على عدم الوقوف على المعانى ، والنفس تبتهج بذكر الأمور الروحية ، فى القراءة يدل على عدم الوقوف على المعانى ، والنفس تبتهج بذكر الأمور الروحية ، ومن سر بشى أحب ذكره ؛ كما أن من أحب شيئا لا يحب أن يمر عليه مسرعا .

ثم أتى بجملة معترضة بين الأمر بالقيام وتعليله الآتى ليبين سهولة ماكلَّه من القيام فنال :

(إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) أى إنا سننزل عليك القرآن وفيه الأمور الشاقة عليك وعلى أتباعك من أوامر ونواه ، فلا تبال بهذه المشقة والمرّن عليها لما بعدها .

وقال الحسن بن الفضل : تقيلا أى لايحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد ، وقال ابن زيد : هو والله تقيل مبارك ، كما ثقل فى الدنيا يثقل فى الميزان يوم القيامة .

وقد يكون المراد - إنه تقيل في الوحى فقد جاء في حديث البخاري ومسلم : « إن الوحى كان بأتيه صلى الله عليه وسلم أحيانا في مثل صلصلة الجرس، وهذا أشده عليه ، فَيَنْدِم عنه (يفارقه) وقد وعي ما قال . وأحيانًا يتمثل له الملك رجلا فيكلمه فَيَمي مايقول ، وكان ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، و إن جبينه ليتفصد عرقا » مجرى عرقه كما مجرى الدم من الفاصد .

أم علل الأمر بقيام الليل فقال:

(إن ناشئة الليل هم أشد وطأ وأقوم قيلا) أى لأن قيام الليل أشد مواطأة وموافقة بين النلب واللسان ، وأجم للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها ، وهو أفرخ اللقلب من النهار ، لأمه وقت انتشار الناس ولفط الأصوات والبحث عن أمور الماش ، ومن ثم قال :

(إن لك في النهار سبحا طويلا) أى إن لك في النهار تقلّبا وتصرفا في مهامّ أمورك واشتغالا بشواغلك ، فلا تستطيع أن تتفرغ فيه للعبادة ، فعليك بالتهجد ، فإن مناجاة الرب يعوزُهما الفراغ والشخل عن العمل .

ثم أمر رسوله بمداومة الذكر والإخلاص له فقال:

(واذكر اسم ر بك وتبتل إليه تبتيلا) أى ودم على ذكره ليلا ونهاراً بالتسبيح والتهليل والتمحيد والصلاة وقراءة الفرآن ، وانقطع إليه بالسبادة ، وجرد إليه نفسك وأعرض عما سواه .

ونحو الآية قوله: « فَإِذَا فَرَغْتَ فَانَصَبْ » أَى فإذا فرغت من شئونك ، فانصب في طاعته وعبادته ، لتكون فارغ القلب ، خاليا مر الهواجس والوساوس الدنمو بة .

ثم بين السبب في الأمر بالذكر والتبتل فقال:

(رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فأتخذه وكيلا) أى هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب ، لا إله إلا هو ، فعليك أن تتوكل عليه في جميع أمورك .

وَنُمُو الْآيَةُ قُولُه : ﴿ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكُلُ عَلَيْهِ » . وقوله : ﴿ إِيَّاكُ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَمِينُ » . وجاء في كلامهم : من رضي بالله وكيلا ، وجد إلى كل خير سبيلا .

وقد ذكروا أن مقام التوكل فوق مقام التبتل ، لما فيه من الدلالة على غاية الحب له تعالى وأنشدوا :

> هوائ له فرْضُ تعطَّنَ أُوجِفًا ومنهلُه عذبُ تكدر أو صفًا وكلتُ إلى المشوق أمرى كلَّهُ فإن شاء أحياني و إن شاء أتلفا

شرح المفردات

الهجر الجيل: ما لاعتاب ممه ، والنممة (بفتح النون) التنمم (و بكسر النون) الإنمام ، ميَّهم : أى اتركهم برفق وتأنَّ ولا تهم بشأنهم ، والأنكال: واحدها نكل (بكسر النون وفتحها) وهو النيد الثقيلُ ، قالت الخلساء :

دعاك فقطمت أنكاله وقدكن قبلك لا تقطع

والجحيم: النار الشديدة الإبقاد، ذا غصة: أى لايستساغ في الحلق فلا يدخل ولايخرج، ترجف: أي تضطرب وتنزلزل، كثيبا: أي رملا مجتمعا، من قولم :كثب الشىء إذا جمعه ، مهيلا : أى رِخواً ليّنا إذا وطئته القدم زل من تحتها ، والوبيل : الثقيل الردى. العقبى ، من قولهم : كلاً و بيل : أى وخيم لا يستمرأ لئنله ، والشيب : واحدهم أشيب ، منفطر : أى منشق .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر معاملة العباد نبارئهم وخالقهم من العدم — أروف ذلك معاملة بعضهم بعضا ، فبيّن أن ذلك يكون بأحد أمرين :

- (١) مخالطة فصبر جميل على الإيذاء والإيحاش .
- (۲) هجر جميل بالحجانبة بالقلب والهوى ، والمخالصة في الأفسال مع المداراة والإغضاء وترك الكافأة .

ثم أسر رسوله أن يترك أس المشركين إليه ، فهو الكفيل بمجازاتهم ، ثم ذكر أنه سيمذبهم بالأنكال والنار المستمرة ، والطمام ذى الفصة في يوم القيامة حين تكون الجبال كثيبا حميلا .

و بعد أن خو فهم عذاب يوم القيامة خوفهم أهوال الدنيا ، وأنه سيكون لهم فيها مثل ما كان للأمم المكذبة قبلهم كقوم فرعون حين عصوا موسى فأخذهم أخذ عز ير مقتدر ، ثم عاد إلى تخويفهم بالآخرة مرة أخرى ، وأبان لهم أن أهوالها بلنت جدا تشيب من هوله الولدان ، وأن السهاء تتشقق منه .

الإيضاح

(واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) أى واصبر على مايقول فيك وفى ربك سفهاء قومك للكذبون لك ، واهجرهم هجرا جميلا بأن تداريهم وتجانبهم وتغفى عن زلاتهم ولاتماتهم .

وَعُو الآية قُولُهُ : ﴿ وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ نَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ۖ فَأَعْرِضُ عَنْهُمْ

حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ » وقوله : ٥ فَأَعْرِضْ عَثَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ ۖ بُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْياً » ، وقوله : ٥ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيفاً » .

ثم تهدّ دهم وتوعّدهم ، وهو العظيم الذي لايقوم لغضبه شي فقال :

(وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا) أى ودعنى والمكذبين للترفين أصحاب الأموال ، فإنى أكفيك أمرهم وأجازيهم بما همله أهل، وتمهل عليهم قليلا حتى ببلغ الكتاب أجله ، وسيذوقون المذاب الذى أعددته لهم .

وَنُحُو الْآَبَةِ قُولُهُ: « نُمَتِّمُهُمْ قَلْمِيلاً ثُمٌّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى مَذَابِ غَلِيظٍ » .

والخلاصة — خلّ بيني و بينهم ، فسأجاز يهم بما يستحقون .

روى أنها نزلت فى صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين ؛ وقالت عائشة رضى الله عنها : لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر .

ثم ذكر من ألوان العذاب التي أعدها لهم أمورا أربعة :

(١) (إن لدينا أفكالاً) أى إن لدينا لمؤلاء الكذبين بآياننا قيودا ثقيلة توضع في أرجلهم كما يُقعل بالحجرمين في الدنيا إذلالاً لهم . قال الشهى : أرَّرُون أن الله جمل الأفكال في أرجل أهل النار خشية أن يهر بوا ؟ لاوالله ، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم .

- (٢) (وجحيماً) أى نارا مستعرة تشوى الوجوه .
- (٣) (وطماما ذا غممة) أى طماما لايستساغ ، فلا هو نازل فى الحلق ، ولا هو خارج منه ، كالزقوم والضريم كما قال تعالى : « لَبُسَ لَهُمْ طَمَّامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ ، لاَيُسُمِنُ وَلاَ يُغْنِى مِنْ جُوعٍ ٍ » وقال : « إِنَّ شَجَرَةً الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ٍ » .
- (ع) (وعذابا ألميا) أى وألوانا أخرى من المذاب المؤلم الموجع الذى لايسلم
 كنهه إلا علام الغيوب.

والخلاصة — إن لدينا في الآخرة مايضاد تنميهم فيالدنيا، وهو النكال والجحيم والطعام الذي يَنصُّونَ به والعذاب الألير .

وعن الحسن أنه أمسى صائمًا فأتيى بطمام فعرضت له هذه الآية فقال: ارفعه ، ووُضع عنده الليلة الثانية فعرضت له نقال: ارفعه ، وكذلك الليلة الثالثة ، فأُخبِرَ ثابت البنّانى ويزيد الضبى ويحيى البكاً ، مجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شَرْبة من سَويق .

و بمدأن وصف العذاب ذكر زمانه فقال:

(يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أى ذلك المذاب فى يوم تضطرب فيـه الأرض، وتزلزل الجبال وتتفرق أجزاؤها ، وتصير كالعهن المغفوش ، وكالكثيب المهيل بصـد أن كانت حجارة صماء ، ثم ينسفها ربى نسفا ، فلا يبقى منها شئ .

و بعد أن خوف المسكذبين أولى النصة بأهوال القيامة خوَّفهم بأهوال الدنيا ومالاقته الأمم المكذبة من قبلهم تقال :

(إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ، فسمى فرعون الرسول فأخذناه أخذا و بيلا) أى إنا أرسلنا إليكم رسولا يشهد عليكم بإجابة من أجاب منكم دعوتى ، وامتناع من الاجابة يوم تلقوننى فى القيامة ، كاأرسلنا إلى فرعون رسولا يدعوه إلى الحق ، فعصى فرعون الرسول الذى أرسلناه إليه فأخذناه أخذا شديدا فأهلكناه ومن معه بالفرق ، فاحذروا أن تكذبوا هذا الرسول ، فيصيبكم مثل ما أصابه .

وقصارى ذلك -- كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه فأخذناه أخذا وبيلا ، أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم، فاحذروا أن تعصوه فيصيبكم مثل ما أصابه .

و بمد أن هددهم بعذاب الدنيا أعاد الكرَّة بتخويفهم بعذاب الآخرة فقال : (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجمل الولدان شيبا، السها-منفطر به كان وعدم مفعولا) أى كيف يحصل لكم أمان من يوم يحصل فيه هذا الفزع العظيم الذى تشيب من هوله الولدان ، وتنشقق السهاء وتفطر بسبب شدائده وأهواله إن كفرتم ، والعرب تضرب المثل فى الشدة فتقول : هذا يوم تشيب من هوله الولدان ، وهذا يوم يشيب نواصى الأطفال ، ذاك أن الهموم والأحزان إذا تفاقت على الإنسان أسرع فيسه الشعف ؟ قال المتفى :

والمم يغترم الجسيم تحافة ويُشِيب ناصية الصبي ويُهرِمُ

فجلوا الشيب كناية عن الشدة والمحنة ، فاحذروا هذا اليوم فإنه كأثن لا محالة كما وعد الله .

والخلاصة — كأنه قيل : هبُوا أنكم لاتؤاخَذون فى الدنيا إخذة فرعوت وأضرابه ، فكيف تقون أنسكم أهوال القيامة وماأعد لكم من الأنكال إن دمتم على ما أتيم عليه من الكفر .

إِنَّ مَذِهِ تَذْ كِرَةُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبَّهِ سَبِيلاً (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَمْلُمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُمُنَى اللَّذِينَ مَمَكَ وَاللَّهُ وَصَالِفِهَ قُمِنَ اللَّذِينَ مَمَكَ وَاللَّهُ مِقَدَّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، عَلَمَ أَنْ لَنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، فَاقْرَبُوا وَاللَّهُ مِينَّكُونُ مِنْكُمْ مَنْكُمْ مَرْضَى ، وَآخَرُونَ مِنْ نَصْرِ بُونَ فِي اللَّهِ ، وَآخَرُونَ مُنْكُمْ مَرْضَى ، وَآخَرُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَآخَرُونَ مُنْكَامَ وَ وَأَقْرِضُوا الله ، فَاقْرَمُوا الله ، فَاقْرَمُوا الله مَوْ خَيْرٍ تَجِدُو مُعَنَدَ اللهِ هُورَ الله مَوْرَدُ حَيْمٌ أَخِرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ، وَاسْتَمْفِرُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠) .

شرح المفردات

تذكرة : أى موعظة ، سبيلا : أى طريقا توصله إلى الجفة ، أدنى . أى أقل ، والله يقد اللهيل والنهار . أى يم مقادير ساعاتهما ، أن لن تحصوه . أى لا يمكنكم الإحصاء وضبط الساعات ، فتاب عليكم . أى بالترخيص فى ذلك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم ، فاقرءوا ماتيسر من القرءان . أى فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل ، يضر بون فى الأرض . أى يسافرون للتجارة ، وأقرضوا الله . أى أنفقوا فى سبل الخيرات .

المعنى الجملي

بعد أن بدأ السورة بشرح أحوال السعداء و بيَّن معاملتهم للمولى ثم معاملتهم للخلق ، ثم هدد الأشتياء بأنواع من العذاب فى الآخرة ، ثم توعدهم بعذاب الدنيا، و بعد دُد وصف شدة يوم القيامة — ختم السورة بتذكيرات مشتملة على أنواع الهدابة والإرشاد ؛ فن شاء أن يسلك سبيل ربه بالطاعة والبعد عن المصية فليغمل ، ثم أخبره بما يقوم به هو والمؤمنون للسادة من ساعات الليل: ثاثيه أو نصفه أو ثلثه، ثم خفف ذلك عنهم للأعذار التي تحيط بهم من مرض أو سفر للتجارة ونحوها أوجهاد للمدو ، فليصلوا قدر ما يستطيمون ، وليؤ توا زكاة أموالهم ، وليستغفروا الله في جميع أحوالهم ، في النشور الرحم .

الإيضاح

(إن هذه تذكرة) أى إن ماتقــدم من الآيات التى ذكر فيها يوم القيامة وأهوالها ، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر — عبرة لمن اعتبر وادّ كر .

(فن شاء اتخذ إلى ر به سبيلا) أي فن شاء اتعظ بها ، واتخذ سبيلا إلى ربه

فَآمَن به وعمل بطاعته وأخبت إليه ، وذلك هو النهج القويم ، والطريق الموصل إلى مرضاته .

ثم رخص لأمته في ترك قيام الليل كله المشقة التي تلحقهم إذا هم فعــــلوا ذلك فقال :

(إن ربك يعلم أفك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين ممك) أى إن ربك لسليم بأنك تقوم أقل من ثلثى الليل وأكثر من النصف ، وتقوم النصف ، وتقوم الثلث أنت وطائفة من صحبك للؤمنين حين فرض عليكم قيام الليل .

(والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فناب عليكم) أى ولا يعلم مقادير الليل والنهاو إلا الله ، وأما أنتم فلن تستطيعوا ضبط الأوقات ولا إحصاء الساعات. فناب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ، وعفا عنكم ورفع هذه المشقة .

قال مقاتل وغيره : لما نزلت « قُمُ ِ اللَّيْلِ َ إِلاَّ فَلِيلاً» شق ذلك عليهم ، وكان الرجل لايدرى متى نصف الليل من ثلثه ، فيقوم حتى يُصبح مخافة أن يخطئ ، فاتضخت أقدامهم ، وامتقُيت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم فقال تعالى « عَلمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْمَكُمْ » .

والخلاصة — الله يعلم أنكم لن تحصوا ساعات الليل إحصا. تامًّا ؛ فإذا زدتم على المفروض ثقل ذلك عليكم وكلفتم ماليس بفرض، و إن نقستم شق هذا عليكم، فعاب عليكم ورجع بكم من تثقيل إلى تخفيف، ومن عسر إلى يسر ، وطلب إليكم أن تصافح المتيسر بالليل كما أشار إلى ذلك بقوله :

(فاقر وا ماتيسر من القرآن) أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل . قال الحسن . هو ماية رأ في صلاة المقرب والمشاء . وقال السدّى. ماتيسرمنه هومائة آية . وفي بعض الآثار. من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجة القرآن ، وعن قيس بن حازم قال:

«صليتُ خلف ابن عباس فقرأ فىأول ركمة بالحمد فله رب العللين وأول آيةمن البقرة ثم ركع ، فلما انصرفنا أقبل علينا فقال : إن الله يقول : « فَاقْرُّ عُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » أخرجه الدار قطنى والديهتى فى سننه .

ثم ذكر أعذارا أخرى تسوّغ هذا التخفيف فقال :

(علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضر بون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم سبيحانه أنه سيكون مر ... هذه الأمة ذوو أعذار لا يستطيعون معها القيام بالليل كرض وضر"ب فى الأرض ابتفاء الرزق من فضل الله ، وغزو فى سبيل الله ؛ فهؤلاء إذا لم يناموا فى الليل تتوالى عليهم أسباب المشقة و يظهر عليهم آثار اتجهد ، وفى هذا إيحاء إلى أنه لا فرق بين الجهاد فى قتال العدو والجهاد فى التجارة لنفع المسامين .

قال ابن مسمود: أيُّما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن الإسلام صابراً محتسبا ، فباعه بسمر يومه ، كان عند الله من الشهسدا، ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ بَبُتْتُمُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَآخَرُونَ كُفَا يَالُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ » .

وَأَخْرِجِ البِيهِتِي فِي شَعْبِ الإِيمَانَ هَنْ عَمْرَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَامَنَ حَالَى يَاتَنِنَى عليه الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحب إلى من أن يأتينى ، وأنا بين شُمْبَقَى جبل الله ، وتلا: « وَآخَرُ وَنَ كَيْشُرِ بُونَ فِي الْأَرْ ضِ بَبُتَمُونَ مِنْ فَصْلِ الله ، وتلا: « وَآخَرُ وَنَ كَيْشُرِ بُونَ فِي الْأَرْ ضِ بَبُتَمُونَ مِنْ فَصْلِ الله ،

ولما ذكر سبحانه ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب القيام عن هذه الأمة — ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص نقال :

(فاقر وا ماتيسر منه) أي من القرآن ، والمراد صلَّوا كما تقدم .

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى وصلُّوا الصلاة

المفروضة وقوسموها فلا تكون قلو بكم غافلة ، ولا أنعالكم خارجة عما رسمه الدين ، وآتوا الزكاة الواجة عما رسمه الدين المؤراد وآتوا الزكاة الواجة عليكم ، وأقرضوا الله قرضا حسنا بالإنفاق في سبل الخير للأفراد والجناعات مما هو نافع لها في رقيعًا المدنى والاجتماعي ، وسيبقي لكم جزاء ذلك عند ربكم .

وَنَعُو الآية قوله . « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَـنَا فَيُضَاعِفَهُ لَهَ أَضْمَافًا كَشَيْرَةً » .

ثم حبّب في المدقة وفعل الخيرات فقال .

(وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجراً) أى وما تقدموا لأنفسكم فى دار الدنيا من صدقة أونفقة تنفقونها فى سبيل الله ، أو فعل طاعة من صلاة أوسيام أوحج أوغير ذلك ، تجدوا توابه عند الله يوم القيامة خيراً بما أبقيتم فى دار الدنيا، وأعظم منه عائدة لكم .

(واستغفروا الله) أى وسلوا الله غفران ذنو بكم يصفح لكم عنها ويسترها يوم الحساب والجزاء .

(إن الله غفور رحيم) أى إن الله ستّار على أهل الذنوب والتقصير ، ذو رحمة فلا يعاقبهم عليها بعد تو بتهم منها .

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا مافرط منا من الزلات ، بحرمة سيد خليقته ، وسند أهل صفوته . وصل" ر بنا على محمد وشيعته .

ما جاء في هذه السورة من أوامر وأحكام

أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأشياء :

- (١) أن يقوم من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثيه .
 - (٢) أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمثُّل .
- (٣) أن يذكر ربه ليلا ونهاراً بالتحميد والتسبيح والصلاة ، وأن بجرد نفسه
 عما سواه .
 - (٤) أن يتخذه وكيلا يكل إليه أموره متى فعل مايجب عليه نحوها.
- (٥) أن يصبر على مايقولون فيه : من أنه ساحر أو شاعر ، وفى ربه من أن له
 صاحبة وولدا ، وأن يهجرهم هجرا جميلا بمجانبتهم ومداراتهم ، وأن
 يكل أمرهم إلى ربهم فهو الذى يكافئهم ، وسيرى عاقبة أمرهم وأمره .
- (٦) أن يخفف القيام للمسلاة بالليل بعد أن شق ذلك عليهم لأعذار كثيرة والا كيفاء بما تيسر من صلاة الليل ، فني الصلاة للفروضة غُنية للأمة مع إيتاء الزكاة ودوام الاستهنفار .

ســـورة المدثر

هى مكية ، نزلت بعد سورة المزمل ، وعدد آياتها ستّ وخمسون .

وصلتها بما قبلها :

(١) أنها متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) أن صدر كلبيهما نازل فى قصة واحدة .

(٣) أن السابقة بدثت بالأمر بقيام الليل ، وهو تكميل لنفسه صلى الله عليه وسلم
 بمبادة خاصة ، وهذه بدثت بالإنذار لديره ، وهو تكميل لسواه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَأْيُهَا الْمُدَّرُّرُ(١) قَمْ فَأَنْذِرْ(٧) وَرَبَّكَ فَكَبَّرْ (٣) وَمِيابَكَ فَطَهَّرْ (٤) وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

شرح المفردات

المدّر: أصله المتدّر، وهو الذي يتدّر بثيابه ، أي يتغطى بها لينام أو ليستدفى ، والدّنار : اسم لما يتدثر به ، أنذر : أي حذّر قومك عذاب الله إن لم يؤمنوا ، كبّر: أي عظم ، فطهر : أي طهر نفسك مما تذم به من الأفعال ، وهذّبها عما يستهجن من الأحوال ، والرجز : المذاب كما قال : « لَثَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ » أي اهجر المآتم المؤدية إلى المذاب ، ولا تمنن تستكثر : أي ولا تمنن بعملك على ربك تطلب

كثرته ، نقر : أى نفخ ، الناقور : أى الصور ، عسير . أى شديد ، غير يسير . أى غير سهل .

المعنى الجملي

روى جابر بن عبد الله أنه عليه الصلاة والسلام قال: هكنت على جبل حراء فنوديت يامحمد إنك رسول الله، فنظرت عن يمينى وعن يسارى ، فلم أر شيئا فنظرت فوق فرأيت الملك قاعدا على عرش بين الساء والأرض ، فخنت ورجست إلى خديمية فقلت : دترونى دترونى ، وصبوا على ما، باردًا ، فنزلت (يأيها المدثر قم فأنذر _ إلى قوله والرجز فامجر) » وقد أمر الله رسوله بالإنذار وتطهير نفسه من دنى ، الأخلاق والما تم والصبر على أذى المشركين ، فإنهم سيلقون جزاءهم يوم ينفخ فى الصور ، وهو يوم شديد الأهوال على الكافرين ليس بالهين عليهم .

الإيضاح

(يأيها المدثر. تم فأنذر) أى أيها الذى تدثر بثيابه رُعبًا وفَرَقًا من رؤية الملك عند نزول الوحى أول مرة : شمّر عن ساعد الجد وأنذر أهل مكة عذاب يوم عظيم ، وادعهم إلى معرفة الحق لينجوا من هول ذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضمة عما أرضمت .

والداعى إلى ر به الـكبير المتمالى لايتم له ذلك إلا إذا كان متخلقا مجميل الخلال وحميد الصفات، ومن ثم قال :

(وربك فكبّر) أى عظّم ربك ومالكَ أمورك بعبادته والرغبة إليه دون غيره من الآلمة والأنداد .

ونحو الآية قوله: « أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ ۚ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ » .

(وثيابك فطهر) سئل ابن عباس عن ذلك نقال : لاتلبسها على معصية

ولا عن غُدْرَة ، ثم قال : أما سمنت قول غَيْلان بن مَسْلمة النَّفي : فإنى بحمد الله لاثوبَ فاجر لبستُ ولا من غُدْرة أنقتَعُمُ

والعرب تقول عن الرجل إذا فكث العهد ولم يف به : إنه لدنس الثياب ، و إذا وفي ولم يشدُر ، إنه لطاهم الثوب ، قال السمو ،ل من عاديا المهودي .

و يرى جم من الأُمَّة أن للراد بطهارة الثياب: غسلها بالمــاء إن كانت نجسة ، وروى هذا عن كثير من الصحابة والتابعين ، و إليه ذهب الشافعي فأوجب غسل النجاسة من ثياب للصلي .

وقد استبان للمشتفلين بأصول التشريع وعلماء الاجتماع من الأوربيين أن أكثر الناس قَلْدا في أجبامهم وتيابهم أكثرهم ذنوباً، وأطهرهم أبدانا وثيابا أبدكم من الدنوب، ومن ثم أمروا للسجونين بكثرة الاستجام ونظافة الثياب، فسنت أخلاتهم، وخرجوا من السجون، وهم أقرب إلى الأخلاق الفاضلة منهم إلى الرفائل. وقال الأستاذ (بتنام) في كتابه أصول الشرائع: إن كثرة الطهارة في دين الإسلام مما تدعو معتقيه إلى رق الأخلاق والقضيلة إذا قاموا باتباع أوامره خيرقيام.

ومن هذا تعلم السر في قوله : ﴿ وَثِيَابِكَ فَعَلَمُ ﴾ .

(والرجز فاهِر) أى اهجر المعاصى والآنام الموصلة إلى المذاب فى الدنيا والآخرة فإن النفس متى طهرت منها كانت مستمدة للإفاضة على غيرها ، وأقبلت بإصفاء وشوق إلى سماع مايقول الداهى . وقد جرت المادة أن الداعي تصادفه عقبتان :

(١) الغرور والفخر والعظمة ، فيقول أنا مُسْد للنعم إليكم، ومفيض للخير عليكم.

(٢) الأعداء، وهؤلاء يؤذونه و يتربصون به الدوائر، ويتتبعونه في كل مكان ويقالَّبون عليه ليل نهار ، وذلك من أكبر العوامل المثبطة للدُّعاة التي تجملهم يكرّون راجعين ويقولون : مالنا ولقوم لايسمعون قولنا ، ولنبتعد عن الناس ، فإنهم لايعرفون قدر النعم ، ولا يشكرون المنصين ، ومن ثم قال تمالى :

(ولا تمنن تستكثر) أى ولا تمنن على أصحابك بما علَّمتهم و بلفتهم من الوحى مستكثرا ذلك عليهم . وقد يكون للمنى : لاتضف ، من قولهم : حيل منين أى ضميف ، ومنه السير : أى أضعفه ، فالمراد لاتضف أن تستكثر من الطاعات التى أمرت بها قبل هذه الآية .

وقد يكون المرادكما قال ابن كيسان : لاتستكثر عملا فتراه من نفسك ، إنمــا عملك منَّه من الله عليك ، إذ حمل لك سبيلا إلى عبادته .

(ولر بك فاصبر) على طاعته وعبادته ، وقال مقاتل ومجاهد: اصبر على الأذى والتكذيب .

والخلاصة — لاتجزع من أذى مَن خالفك :

ولما أتم إرشاد رسوله أردفه بوعيد الأشقياء فقال :

(فإذا نقر فى الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير) أى اصبر على أذاهم ؛ فإن بين أيديهم يوما عسيرا يذوقون فيه عاقبة كفرهم وأذاهم حين ينفخ فى الصور ، ويومئذ تعال الجزاء الحسن والنميم للقيم .

ثم أكدهذا بقوله :

(على الكافرين غير يسير) أى يومهم عسير لايُسْر فيه ولا فيا بعده ، على خلاف ماجرت به العادة من أن كل عسر بعده يسر ، وعسره عليهم أنهم يناقشون

الحساب، ويُعلَّون كتبهم بشائلهم وتسودٌ وجوههم ، وتتكلم جوارحهم ، فيقضحون على رءوس الأشهاد .

وأما المؤمنون فإنه عليهم يسير لايناقشون فيه حسابا ، و يمشون بيض الوجوه . أخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال : لما نزلت «فإذا نقر في الناقور» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيف أنم وصاحب القرن قد التتم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونم الوكيل ، على الله توكنا » .

ذَرْ فِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَمَلْتُ لَهُ مَالاً مُمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ مَّهِيدًا (١١) مُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَانِهَا عَيْدًا (١٦) سَأَرْ هَقُهُ صَمُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَمَّرَ وَفَدَّرَ (١٨) فَقُتُلِ كَيْفَ قَدَّرَ (١٧) إِنَّهُ فَكَمَّرَ وَفَدَّرَ (١٨) فَقُتُلِ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) مُمَّ مَظَرَ (٢٧) مُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٧) مُمَّ أَذْبَرَ وَاسْنَسَكْبَرَ (٣٧) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) وَبَعَلَى إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٧) وَلَا لَيْقَوْلُ الْبَشَرِ (٢٧) مَا مُعْقَرَ (٢٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٧٧) لَوْ اللَّهُ وَلَا تَذَرُ (٨٤) وَلَا تَذَرُ (٨٤) مَا مَقَرُ (٧٧) .

شرح المفردات

ذرنی ومن خلقت وحیدا: أی دغی و إیاه ، فإنی أكنیكه ، ممدودا: أی كثیرا ، شهودا : أی حضورا معه مكه تتم مشاهدتهم ، ومهدت له تمهیدا: أی بسطت له الریاسة والجاه العریض ، سأرهقه : أی سأكلفه ، صمودا : أی عقبة شاقهٔ لاتطاق ، فقتل كيف قدر : أى لمنه الله كيف وصل بقوة خياله وسرعة خاطر. إلى رميه الغرض الذى كانت تنتحيه قريش ، عبس : أى قطب ما بين عينيه ، بسر : أى كلح ونجهه ؛ كما قال توبة بن الحيكر.

وقد رابني منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتي وبُسورُها لوّاحة ، من لوّحته الشمس: إذا سودت ظاهره وأطرافه ، قال : تقول ما لاحك يا مسافر كابنة عمّى لاحنى الهواجس والشه : واحدها شهة ، وهي ظاهر الجلد:

المعنى الجملي

لهم فضل طعام ؟ ثم أنى مجلس قومه مع أبى جهل فقال لهم: تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه قط كالوا: اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كاهن ، فهل رأيتموه قط كمكمن ؟ قالوا: اللهم لا ، قال : تزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه ينعلق بشعر قط ؟ قالوا: اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كذاب ، فهل جر بتم عليه شيئا من الكذب ؟ قالوا: اللهم لا (وكان رسول الله يسمى الأمين قبل النبوة لصدقه) ثم قالوا: (فما هو ؟ قال :) ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ووقده ومواليه، فهو ساحر وما يقوله سحر يأثره عن مسئيلة وأهل بابل، فارتج النادى فرحا، وتقرقوا مسحبين بقوله ، متمجين منه ؛ فنزلت هذه الآيات » .

وقد كان الوليد يسمى الوحيد ، لأنه وحيد فى قومه ، فماله كثير فيه الزرع والفَّرْع والتجارة ، وكان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونَعَمْ ، وعبيد وجوار ، وله عشرة أبناء يشهدون الحجافل والمجامع ، أسلم منهم ثلاثة : خالد وهشام و عمارة ، وقد بسط الله له الزق وطال نحره مع الجاه العريض والرياسة فى قومه ، وكان يسمى ريحانة قريش .

الإيضاح

(ذرفى ومن خلقت وحيدا) أى خلّ بينى و بين من أخرجته من بطن أمه وحيدا لامال له ولا ولد ، ثم بسطت له الرزق والجاء المريض ، فكفر بأنمم أله عليه .

وقال مقاتل . خل بيني و بينه فأنا أنفرد بهَلَـكَتِه .

وفي هذا وعيد شديد على تَمرُّده وعظيم عناده واستكباره لما أوتيه من بسطة المال والجاه ، وكان يقول : أنا الوحيد بن الوحيد ، ليس لى في العرب نظير ، ولا لأبي يظير ، وقد تهكم الله به و بلقبه ، وصرفه عن الغرض الذي كانوا يقصدونه من مدحه والثناء عليه إلى ذمه وعيبه ، فجمله وحيدا في الشر والخبث . و وجلت له مالاً ممدودا) أى أعطيته مالاكثيرا ، فكان له زرع وضرع وتجارة كثيرة ، قال مقاتل : كان له بستان لاينقطم ثمره شتاء ولاصيفا .

وقال ابن عباس : كان له مال ممدود بين مكة والطائف مر الايل والخيل والغنم والبسانين السكئيرة التي لانقطم ثمارها صيفا ولا شتاء .

(و بنين شهودا) أى و بنين حصورا معه بمكة لا يفارقونها ؛ لكسب عيش ، ولا ابتغاء رزق ، إذ كالوا في غنى عن الضرب في الأرض ، بما لهم من واسع الثراء ، فكان مستأنيا بهم ، طيب القلب بشهودهم .

(وسهدت له تمهيدا) التمهيد عند العرب : التوطئة ، ومنه مهد الصبي ، والمراد وسعت له الأرزاق ، و بسطت له الجاه ، فكان من الحق عليه أن يشكر الله على ما أنهم عليه ، ولسكنه كان لمر به كنّودا ، فأعرض عن الداعى واستكبر ، وقابل الهمة بالكفران ، والجود بالجحود والمصيان .

ثم عجّب من حاله وطلبه الزيادة على ما هو فيه فقال :

(ثم يطمع أن أزيد) أي ثم هو بعد ذلك برجو أن يزيد ماله وولده .

وفى هذا استنكار لشديد حرصه وتكالبه على جمع حطام الدنياكما هو شأن الإنسان ، فقد جاء فى الحديث « لوكان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى لهما ثالثا » وجاء فى الخبر « منهومان لايشبعان : طالب علم وطالب مال » .

وروى عن الحسن أنه كان يقول : إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لى . ثم أياسه تعالى وقطع رجاء فقال .

(كلا) أى لا أفسل ولا أزيد . قال مقاتل . ما زال الوليد بعد نزول الآية في نقص من ماله وولده حتى هلك .

ثم علل هذا بقوله :

إله كان لا إننا عنيدا) أي إنه كان معاندا لآيات النعم ، وهي آيات القرآن

وفى الآية إيماء إلى أن كفره كفر عناد ، فهو يعرفالحق بقلبه ، وينكره بلسانه، وهذا أفيح أنواع الكفر .

نم بيَّن ما يفعله به يوم القيامة فقال :

(سأرهمه صَمُودا) أى سأ كانمه عقبة شاقة الصعود ، والمراد أنه سيلتي المذاب الشديد الذي لايطاق ، وقد جعل الله ما يسوق إليه من للصايب وأنواع المشاق شهيها بمن يُكلَّف صعود الجبال الوعرة الشاقة .

قال قتادة : سيكلف عذابا لاراحة فيه .

ئىم حكى كيفية عناده فقال :

(إنه فحكّر وقدّر) أى إنه فحكر وزوّر فى نفسه كلاما فى الطمن فى الفرآن ، وما يختلق نيسه من المقال ، وقدره تقديرا ، أصاب به ما فى نفوس قريش ، وما به وافق غرضهم .

والخلاصة — إنه فكر وتروّي ماذا يقول فيه ، و بماذا يصفه به ، حين سئل عن ذاك ؟

ثم هجّب من تقديره و إصابته الححز فقال :

(فقتل كيف قدّ) هذا أسلوب يراد به التمجيب والثناء على المحدّث عنه تقول العرب : فلان قاتله الله ما أشجعه ! وأخزاه الله ما أشمره ! يريدون أنه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بأن يُحدد ويدعو عليه حاسد، بذلك ، وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى : « قَاتَلَهُمُ اللهُ اللهُ عَلَى يُوفَسَكُونَ » .

وقصارى ذلك — إن هذا تعجيب من قوة خاطره، و إصابته الغرض الذى كانت ترمى إليه قريش من الطمن الشديد فى العرآن ، فغولُه جاء وَفْق ماكانوا يريدون، وطِبْق ماكانوا يتمنون من القدح فيه، وفيمن جاء به . ثم كرر هذا الدعاء للتأكيد والمبالغة فقال:

(ثم قتل كيف قدر) أى لُمِن وعدَّب على أى حال قدر ما قدر من الكلام

كما يقال فى الكلام : لأضر بنه كيف صنع : أى على أى حال كانت منه .

(ثم نظر) أى ثم نظر فى أمر القرآن مرة بعد أخرى ، لعله بجول بمخاطره ما يحبون ، ويصل إلى ما يرجون .

(ثم عبس) أى ثم قطَّب وجهه حين ضاقت به الحييل ولم يدر ما يقول .

ثم أكد ما تبه فقال:

(و بسر) أى كلح واسود وجهه ، قال سعد بن عُبادة : لما أسلمتُ راغمتنى أمى ، فكانت تلقانى مرة بالبِشْر ، ومرة بالبُشْر .

وفى هذا إيماء إلى أنه كان مصدَّقا بقلبه صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان ينكره عنادا ، فإنه لوكان يمتقد صدق ما يقول لفرح باستنباط ما استنبط ، و إدراك ما أدرك ، وما غلم ت المموسة على وجهه .

(ثم أدبر واستكبر) أى ثم صرف وجهه عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد له والإقرار به

ثم ذكر ما استنبطه من التَّرُّهات والأباطيل .

(فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر)أى فقال ماهذا القرآن إلا سحر ينقله محمد عن غيره ممن كان قبله من السحرة كمسيلة وأهل بابل و يحكيه عنهم .

تم أكد ما ساف بقوله :

(أن هذا إلا قول البشر) أى إنه ملتقط من كلام غيره ، وليس من كلام الله كا يدّعى ، ولوصح ما قال لأمكن غيره أن يقول مثله أو يمارضه بأحسن منه ، فنى المرب ذوو فصاحة وذراية لسان ، وفيهم الخطباء والقاويل الذين لايجارون ولايجارون ، ولم يعلم أن أحدا من أهل الزكانة وللمرفة سوالت له نفسه أن يعارضه ، بل التبحثوا إلى السيف والشئان ، دون المعارضة بالحجة والبرهان ، وقد روّوا في هذا بل

الباب مضحكات أغلبها لايصح ، لأنهم وهم المقاويل ذوو اللسن وقوة المارضة لاينبغى أن ينسب إلى أحدهم شل هذا الهذَر ؛ كقول مر نسب إليه أنه عارض سورة الفيل فقال : النيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب طويل ، ومِشْفَر وتيل الح .

> ثم ذكر ما يلقاه من الجزاء على سوء صنيعه ، وفظيم عمله فقال : (سأصليه سقر) أى سأدخله جهنم وأغره فيها من جميع جهاته .

ثم بالغ في وصف النار وتعظيم شأنها فقال :

(وما أدراك ما سقر؟) تقول العرب: ما أدراك ما كذا: إذا أرادوا المبالغة والتهويل فى الأسر . أى وأى شىء أعلمك ما سقر ؟ لأنها قد بلنت فى الوصف حدا لا يمكن معرفه ، ولا يتوصل إلى إدراك حقيقته .

ثم بيَّن وصفها بقوله .

(لا تبقى ولا تذر) أى لا تبقى لهم لحا ولا تذر عظما ، فإذا أعيد أهلها خلقا جديدا فلا تذرهم ، بل تعيد إحراقهم كرة أخرى ، وهكذا دَوَالنَّكَ كا جاء فى الآية الأخرى . «كُلُّماً نَصْحِبَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْقَامُ جُلُودًا غَيْرَهَالِيَدُوقُوا الْمُذَابَ» .

(لوّاحة للبشر) أى تلفح الجلد لفحة تدعه أشد سوادا من الليل ، قال ابن عباس : تلوّح الجلد فتحرقه وتفيّر لونه .

(عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة م خزنتها .

عن البَرَاء «أن رهما من اليهود سألوا بعض أسحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم ، فقال : الله وسوله أعلم ، فجاء جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتثذ عليها تسعة عشر » رواه البيهتي وابن أبي حاتم وابن مردويه .

وَمَا جَمَلْنَا أَصَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَمَلْنَا عِدَّتُهُمْ الاَّ فِيْنَةَ لِلَّذِينَ ۖ مَنْوا، لِيَسْنَيْقِنَ الْذِينَ أُوتُوا الْكِتِكِ، وَيَزْدَادَ اللَّذِينُ آتَمْنُوا

إِعَانًا ، وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْوَامِنُونَ ، وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قَلُومِهِم مَرَضُ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً ، كَذَلِك يُضِلُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَهَمَ يَشَاءُ ، وَمَا يَشْهَمُ مُجُنُودَ رَبَّكَ إِلاَّ هُوَ ، يُضِلُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَشْهَمُ مُجُنُودَ رَبَّكَ إِلاَّ هُو ، يُضِلُ اللهُ مَنْ يَشَاءً ، وَمَا يَشْهَمُ مُجُنُودَ رَبَّكَ إِلاَّ هُو ، وَمَا يَشْهَمُ وَمِهُ فِي مَنْ يَشَاءً ، وَمَا يَشْهَمُ وَهُ وَمَا يَشْهَمُ وَهُ اللَّهُ إِلَّا هُو ، وَمَا يَشْهَمُ وَهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ وَاللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَلًا وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ وَلَا أَشْفَى وَاللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُواللَّهُ الللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

شرح المفردات

فتنة . أى سبب ضلال ، أوتوا الكتاب . هم اليهود والنصارى ، مرض . أى نفاق ، مثلا : أى حديثا ، ومنه قوله تعالى . « مَثَلُ الجُنْتُر اللّي وُعِدَ الْنَقُونَ » أى حديثها والخبر عنها ، جنود ربك : أى هم خلقه من الملائكة وغيره ، ذكرى : أى تذكرة وموعظة للناس ، كلا : أى حقا ، أدبر : أى وتى ، أسفر : أى أضاء ، الكبّر : أى البلايا والدواهى ، واحدها كبرى ، أن يتقدم : أى إلى الخير ، يتأخر : أى شيخلف عنه .

المعنى الجملي

روى ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس «أن أبا جهل لما سمع قوله تعالى : « عليها تسعة عشر » قال لقريش : تُسكِلَقْتُكُمُ أسهاتُكُم ، أسمع أن ابن أبى كبشة ، (يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم) : يخبركم أن خزنة النار تسمة عشر ، وأتم الله أهم « الشحمان » أفيمحز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ، فقال له أبو الأشد ابن كَلَدَة الجُمَعَى ـ وكان شديد البطش ـ أيهولَنَكَم النسمة عشر، أنا أدفع بمَنكِمي الأَيْسِ البطقة ـ يقول ذلك مستهزئا » الأَيْن عشرة ، و بمنكبي الأَيْسِر النسمة ، ثم تمرون إلى الجنة ـ يقول ذلك مستهزئا » وفي رواية أن الحرث بن كَلَدَة قال : أنا أكفيكم سبمة عشر ، واكفوني أثم اثنين ، فنزل قوله : « وما جملنا أصحاب النار إلا ملائكة » أي لم يجملهم رجالا فيتماطون مثالبتهم .

الإيضاح

(وما جملنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى وما جملنا المدبّرين لأمر النار القائمين بعذاب من فيها إلا ملائكة ، فمن يطيق الملائكة ومن يشابهم ؟

وهؤلاء: هم النقباء والمدبرون لأمرها.

و إنماكانوا ملائكة لأنهم أقوى الخلق وأشدهم بأسا وأقومهم بمتى الله والنصب له سبحانه ، وليكونوا من غير جنس المدّ بينحتى لايرقوا لهم و يرحموهم .

ثم ذكر الحكمة ف اختيار هذا القدد القليل فقال :

(وما جعلنا عدتهم إلا فتنــة للذين كفروا) أى وما جعلنا عددهم هذا المدد إلا محنة وضلالة للكافرين ، حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم ، ويكثر غضب الله عليهم .

وفتنتُهم به أنهم استقلوه واستهزءوا به واستبعدوه وقالوا : كيف يتولى هذا المدد القليل تعذيب الثقلين .

(ليستيةن الذين أوتوا الكتاب) أى إنه سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ، ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليسه وسنم لموافقة ما فىالقرآن لكتبهم، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم . و يزداد الذين آمنوا إيماناً) أى وليزداد إيمان المؤمنين حين يرون تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أن المددكما قال :

ثم أكد الاستيقان وزيادة الإعان فقال:

(ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أى ولايشك أهل التوراة والإنجيل والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى حقيقة ذلك العدد .

ولا ارتباب فى الحقيقة من المؤمنين ، واكنه تعريض بفيرهم ممن فى قلبه شك من المنافقين ·

(وليقول الذين فى قاوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهـذا مثلا) أى وليقول الذين فى قلوبهم شك فى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، والقاطمون بكذبه: ما الذى أراد الله بهذا المدد القليل المستغرب استغراب المثل ؟

ثم بين أن الاختلاف في الدين سنة من سأن الله تعالى فقال :

(كذلك يضل الله مرف يشاء ويهدى من بشاء) أى كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين عن عدة خزنة جهم : أى شئ أراد الله بهذا الخبر حتى يخوقنا بمدتهم ؟ _ يضل الله من خلقه من يشاء ، فيخذله عن إصابة الحق ، ويهدى من يشاء منهم ، فيوفقه لإصابة الصواب .

والخلاصة — إن مثل هذا الإضلال يضل من يشاء إضلاله لسوء استعداده ، وتدسيته نفسه ، وتوجيهها إلى سيئ الأعمال ، واجتراح السيئات حين مشاهدة الآيات الناطقة بالهدى ــ ويهدى من يشاء لتوجيه اختياره إلى الحسن من الأعمال ، وتركيته نفسه كما لاح له سبيل الهدى .

(وما يعلم جنود ر بك إلا هو) أى وما يعلم عدد خلقه ، ومقدار جموعه التى من جملتها لللائكة على ماهم عليه إلا الله عز وجل . وهذا ردَّ على استهزائهم بكون لهلخزنة تسعة عشر ، جهلا منهم وجه الحكة فى ذلك .

قال مقاتل : هو جواب لقول أبى جهل : أما لرب محمد أعوان إلا تسمة عشر . وخلاصة ذلك -- إن خزنة النار و إن كانوا تسمة عشر فلهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لايسله إلا الله سيحانه .

- (وما هي إلا ذكرى للبشر) أي وما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر .
 - (كلا) أي كلا لاسبيل لكم إلى إنكارها لتظاهر الأدلة عليها .

(والقمر ، والليل إذ أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها للرحدى السكبر ، نديرا البشر) أى أفسم بالقمر الوضاح ، والليل إذا ولى وذهب ، والصبح إذا أشرق ــ إن جهتم للرحدى البلايا السكبار والدواهى العظام لإنذار البشر .

ثم بين أصاب النذارة فقال :

· (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى لمن شاء أن يقبل النذارة أو يتولى عنها ويردّها .

ونحو الآية قوله : «وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَلْسَتَقْدِمِينَ مِنْسَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْسَتَأْخِرِ مِنَ». وخلاصة ما سلف— هأتم أولاء قد علم سقر وعذابها وملائكتها ، فمن تقدم إلى الخير أطلقناه ، ومن تأخر عنه سلكناه فيها .

قال ابن عباس: هذا تهديد و إعلام بأن من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمعمد صلى الله عليه وسلم جوزى بثواب لاينقطع أبدا، ومن تأخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لاينقطع أبدا.

وقال الحسن : هذا وعيد وتهديد وإن أخرج مخرج الخبر كقوله : ﴿ لَمَنْ شَاء فَلَيُواْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْمَتِكُفُوْ ﴾ . كُلُّ أَفْسِ عِلَى كَسَبَتْ رَحِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتِ

يَسَاءُ لُونَ (٤٠) عَنِ الْمُعْرِمِينَ (١٤) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ا (٢٤) قَالُوا

لَمْ اللهُ مِنَ الْمُسَلَّيْنَ (٣٤) وَلَمْ اللهُ تُعْلِيمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا يَخُوضُ

مَعَ الْخُائِشِينَ (٥٥) وَكُنَّا تُكَذَّبُ بِيوَهِ الدَّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٧٤)

مَعَ الْخُائِشِينَ (٥٥) وَكُنَّا تُكذَّبُ بِيوَهِ الدَّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٧٤)

مَا اللهُ مُونُ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٥) فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ (١٥) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ الْمِنْ مِنْ مَسْهُمْ أَنْ يُولِقَي صُفْفًا مُنْشَرَةً (٧٥) كَلاَّ بَلْ الْإَيْنَافُونَ الْلاَخِرَةَ (٧٥)

كَاللَّ إِنَّهُ تَذْ كُرَةً (٤٥) فَنْ شَاء ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْ كُرُثُو (٥٥) وَمَا يَذْ كُرُثُو (٧٥) يَشَاء اللهُ هُو أَهْلُ التَّقُوى وَأَهْلُ المَنْفَرَةِ (٢٥) .

شرح المفردات .

رهينة : أى سرخهنة بسلها مأخوذة به إما خلّصها و إما أو بقها ، أسحاب الممين :
هم من أعطوا كتبهم بأيمانهم ، ما سلسكم :أى ما أدخلم؟ تقول سلكت الخيط
فى ثقب الإبرة : أى أدخلته فيه ، نخوض مع الخائضين : أى نخالط أهل الباطل فى
باطلهم فكلا غوى غاو غوينا ممه ، اليقين : هوللوت كا فى قوله : « وَاعْبُدُر بَّكَ حَتَّى
يأتيكَ الْيَقِينُ » قاله أبن عباس ، مستنفرة : أى نافرة ، وقسورة : الرماة للعميد
واحدهم قسور قاله سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد ، منشّرة : أى منشورة مبسوطة :
تقرأ وتنشر .

الإيضاح

(كل نفس بحــاكسبت رهينة) أىكل نفس مرتهنة بكسبها عند الله غير مفــكوكة عنه ،كافرة كانت أو مؤمنة ، عاصية أو طائمة .

(إلا أصحاب العيين) فإنهم فكوا رقابهم محسن أعمالهم ،كما يتخلَّص الراهن رهنه بأداء الحق الذي وجب عليه .

نم بين مآل أصحاب الممين فقال :

(فى جنات يتساءلون عن الحجرمين ماسلككم فى سقر؟) أى هم فى غرفات الجنات يسألون المجرمين وهم فى الدركات فائلين لهم : ما الذى أدخلكم فى سقر؟ فأجابوهم بأن هذا العذابكان لأمور أربية :

- (١) (قالوا لم نكسن المصلين) أى لم نكن فى الدنيا من المؤمنين الذين يصلون لله ،
 الأنا لم نكن نستة بفرضيتها .
- (٣) (ولم نك نطعم السكين) أى ولم نكن من المحسنين إلى خلقه الفقراء
 بفضل أموالنا ، المتصدقين عليهم عاتجود به نفوسنا .
- (٣) (وكنا نخوض مع الخائضين) أى وكنا لانبالى بالخوض فى الباطل مع من يخوض فيه . قال ابن زيد : نخوض مع الخائضين فى أمر محد صلى الله عليه وسلم منقول إنه كاذب ساحر بجنون ، وفى أمر القرآن فنقول إنه سحر وشعر وكِهانة ؛ إلى نحو أولئك من الأباطيل .
 - (٤) (وكنا نكذب بيوم الدين) أى وكنا نكذب بيوم الجزاء والحساب .
- (حتى أتانا اليقين) أي حتى علمنا صحة ذلك عيانا بالرجوع إلى الله في الدار الآخرة.
- (فَمَا تَنفِعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِينُ) أَى فِهُم بِمَدُ اتَصَافِهُم بِهِذُهُ الصَّفَاتُ لاتَنفُعُهُم شَفَاعَةُ شَافَعُ ، لأَن لِمُم النارِ خَالِدِينَ فِهَا أَبْدًا .

(فا لهم عن التذكرة معرضين؟)أى فأى شئ حصل لأهل مكة حتى أعرضوا عن الفرآن الذى هو مشتبل على التدذكرة الكبرى ، وللوعظة المظمى ، قال مقاتل: إعراضهم عنه من وجهين:

- (١) جعودهم و إنكارهم له .
 - (٢) ترك العمل بما فيه

(كأنهم مُحُرُّ مستفرة فرَّت من قَسُورة) أى كأن هؤلاء المشركين فى فرارهم من محد صلى الله عليمه وسلم مُحُرُّ وحشية هار بة مر رماة يرمونها ويتعقبونها لصيدها وافتراسها .

وفى هذا إيماء إلى أنهم مع موجبات الإقبال إلى الداعى والاتفاظ بما جاء به يعرضون عنه بغير سبب ظاهر ، فأى شئ وحل لهم حتى أعرضوا عنه ؟

وفى تشبيههم فى إعراضهم عن الترآن واستاع ما فيه من المواعظ، وشرادهم عنه بحمُرُ وحشية جدَّت فى نفارها بما أفزعها _ تهجين لحالهم، وشهادة عليهم بالبَلَة ، فلا ترى مثل نفار ُحُمر الوحش، و إطرادها فى المدَّو إذا هى خاف من شى

ثم بين أنهم بلنوا فى العناد حدا لايتقبله عقل ، ولا يستسيفه ذو نفس حساسة فتال :

(بل يريدكل اسرى منهم أن يؤتى صفا منشرة)أى هم قد بانوا فى السناد حد الانجدى معهم فيه التذكرة ، فكل واحد منهم يريد أن ينزل عليه كتاب مفتوح من السياءكما أنزل على نبيه ، وجاء نحو هذا فى قوله تعالى حكاية عنهم : « لَنْ نُولُمِنَ لَكَا بُلُ نُولُمُونَ مَنْ اللهِ حَكَاية عنهم : « لَنْ نُولُمِنَ لَكَا بُكَا بُكَا اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْنًا كَتَابًا فَقَرْوهُ » .

روى أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا : يا عمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السهاء ، عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونُومَرَ فيه باتباعك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : إن المشركين كانوا يقولون إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار .

(كلا) زجر لهم وتوبيخ على اقتراحهم لتلك الصحف المنشرة ، أى فهم لايُوتَوْنَها .

ثم بين سبحانه سبب هذا التمنت والاقتراح فقال :

(بل لايخافون الآخرة) أى إنما دستاهم وطبع على قلوبهم وأعمى أبصارهم أنهم كانوا لايصدتمون بالآخرة ، ولا يخافون أهوالها ؛ ومن ثم أعرضوا عن التأمل فى تلك المحزات الكثيرة ، وقدكانتكافية للم جِدِّ الكفاية فى الدلالة على صدق دعوى محد صلى الله عليه وسلم للنبوة ، فطلب الزيادة يكون من التمنت الذى لامسوّغ له .

ثم وبخهم على إعراضهم عن التذكرة نقال :

(كلا إنه تذكرة) أى ليس الأمركما يقول المشركون فى هذا القرآن من أنه سحر يؤثر ، بل هو تذكرة من الله لخلقه ذكرهم به ، فليس لأحد أن يعتذر بأنه لم يجد مذكّرا ولا معر"فا .

ثم ذكر ما هوكالنتيجة لما سلف فقال:

(فمن شاء ذكره) أى فمن شاء من عباده أن يذكره ولا ينساه و يجعله نصب عينيه فعل ، فإن " نفع ذلك راجع إليه ، و به سعادته فى الدار بن .

ثم ردّ سبحانه الشيئة إلى نفسه فقال:

(ومايذ كرون إلا أن يشاء الله) أى ومايذ كرون هذا القرآن ولايتمطون بمثانه ويعملون بمثانه ويعملون بمثانه الله أن يقدا الله أن يذكروه ، فلا يستطيع أحد أن يفسل شيئا إلا أن يمطيه الله القدرة على فعله ، إذ لايقع في ملكه سبحانه إلا ما يشاء كما قال سبحانه : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

ثم ذكر ما هوكالعلة لما سلف فقال :

(هو أهل التقوى وأهل المنفرة) أى فاقله هو الحقيق بأن يتقيه عباده ، ويخافوا عقابه ، فيؤمنوا به ويطيموه ، وهو القَمِينُ بأن ينفر لهم ما ساف من كفرهم إذا آمنوا به وأطاهوه .

عن أنس رضى الله عنه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال: قال ربح : أنا أهل أن أتَّقَى ، فلا يُجِمَّل معى إله " ، فن اتقانى فلم يجمل معى إلها فأنا أهل أن أغفر له » أخرجه أحمد والدارمي والترمذي وحسنه والنسألي وابن ماجة في خلق كثير غيرهم .

والحد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيدنا محد وآله أجمين .

سورة القيامة

هى مكية، وعدد آيها أر بعون ، نزلت بعد سورة القارعة .

ووجه اتصالها بمـا قبلها ، أنه ذكر فى السورة السابقــة قوله : «كلاً بَلْ لاَ يَخَافُونَ الْآخِرَةَ » وكان عدم خوفهم منها لانكارهم للبث ، وذكر هنا الدليل عليه بأنم وجه ، فوصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ، ثم ماقبل ذلك من خروج الروح من البدن ، ثم ماقبل ذلك من ميدا الخلق .

بِسُمُ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

لاَ أَفْسِمُ بِيوْمِ القِيَامَةِ (١) وَلاَ أَ فَسِمِ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نُسُوِّى بَنَانَهُ (٤) اللَّهِ الْإِنْسَانُ أَنْ نُسُوِّى بَنَانَهُ (٤) اللَّهِ مُر اللَّهُ (٤) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسوِّى بَنَانَهُ (٤) اللَّهُ مُر اللَّهُ اللَّهُ (١) يَقُولُ بَرِقَ البَّمَسُ وَالْقَمَرُ (٩) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَمُجِمِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذِ أَنْ المَفَرُّ (١٠) كَلَّ لاَوْزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذِ الْمُسْتَقَرُ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذِ عَلَى الْمُسْتَقَرُ (١٠) اللَّهُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذِ عِا فَدَّمَ وَأَخَرَ (١٣) عَلِي الْإِنْسَانُ عَلَى مَاذِيرَهُ (١٥) .

شرح المفردات

(لاأقسم) تزيد العرب كلة (لا) فى القسّم كما قال امرؤ القيس : لا وأبيك ابنســــــــة العاسرى ً لايدّعى القومُ أنى أفر ً ويرى قوم أن (لا) نافية ردٌّ لكلام كان قد تقدم وجواب لهم ، وذلك هو للمروف فى كلام الناس فى محاوراتهم ؛ فإذا قال أحدهم : لا والله لا فعلت كذا -قصد بقوله (لا) رد الكلام السابق ، و بقوله والله ابتداء يمين ، فهم لما أنكروا البحث قيل لهم : ليس الأسر على هاذكرتم ؛ ثم أفسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة : إن البعث حق لاشك فيه .

و يرى جمع من الفسرين أنها للنني على معنى أنى لاأعظمه بإقسامى به حق إهظامه ، فإنه حقيق بأكثر من هذا وهو يستأهل فوق ذلك .

قال مجاهد: النفس اللوامة هى التى تلوم نفسها على مافات ، وتندم على الشر لم فعلته ؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه ؟ فعى لم تزل لائمة و إن اجتهدت فى الطاعات (بلى) كملة بجاب بها إذا كان الكلام منفيا ، فالمراد بها هنا نسم نجمعها بعد تفرقها ، والبنان واحده بنانة وهى الأصابع . قال النابئة :

بمخضَّب رخص كا نبانه عَمَّ يكاد من اللطافة يُمقَد ليفجر أمامه : أى ليدوم على فجوره فى الحاضر والمستقبل لا ينزع عنه ، برق تحير فزعًا من قولهم : برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدُهش بصره، قال ذوالرمة : ولوّ أنَّ لقمان الحسكم تعرّضت لعبنيه مى سافراً كاد يبْرَق

وخسف القمر : ذهب ضوءه ، والمفر : الفرار ، والوزر : الملجأ ؛ وأصله الجبل المنيع ، ومنه قوله :

لمَمْرُكُ ما للفتى من وَزَرْ من للوت يدركه والكِكَبَرْ ينبأ : أى يخـبر، بصيرة : أى حجة شاهدة على ماصدر منه ، والماذير : ما يعتذر به .

المعنى الجملي

أقسم تمالى بعظمة القيامة ، وبالنفس الطموحة إلى الرقّ ، الجانحة إلى العلوّ ، الله العلوّ ، التي لاتصل إلى مرتبة إلا طلبت مافوقها ، ولا إلى حال إلا أحبت ما تلاها - إن (١٠)

هناك حالا أخرى للنفس تنال فيها رغائبها ، في عالم أكل من هذا العالم ، عالم السعادة الروحية للمطيعين ، وعالم الشقاء للجاحدين الماندين .

وهذا القسم وأمثاله لم يطرقآذان العرب من قبل ، فهم كانوا يقسمون بالأب والقمر والكمبة ونحوذلك .

روى أن عدِيْ بن أبي ربيمة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم النيامة متى يكون وماحاله وأمره فأخيره به ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أوسن بك ، أو يجمع الله هذه العظام ؟ فنزلت هذه الآيات ، ولهذا كان النبي صلى الله وهليه سلم يقول : « اللهم اكفني شرجارى السوء » .

الإيضاح

(لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة) أقسم سبحانه بيوم القيامة وعظيم أهواله ، وبالنفس التواقة للمعالى التى تندم على الشر لم فملَتُه ، وعلى الخير لم تستكثر منه ، فهى لم تزل لائمة و إن اجتهدت فى الطاعة _ لتبمّن ولتحاسبن على ماتضاون .

وقال الفرّاء: ليس من نفس بَرّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم فسمها ، إن كانت عملت خيرا قالت هلاً ازددتِ ، و إن كانت عملت سوءا قالت ليتني لم أفمل ، وعلى هذا فهو مدح للنفس ، والنسم بها سائغ حسن اه .

وقسمُه سبحانه بيوم القيامة لتنظيمه وتفخيم شأنه ، ولله أن يقسم بمما شاء من خلقه . قال سميد بن مجبير : سألت ابن عباس عن قوله ﴿ لاَ أَفْسِهُمُ مِبِيَّوْمُ اِلْقِيامَةِ ﴾ قال : يقسم ربك بمما شاه من خلقه .

(أكسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوًى بنانه) أى أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد نفرقها ؟ بلى نحن قادرون على ذلك وأعظم منه ، فنحن قادرون على أن نسوى بنانه وأطراف يديه ورجليه ، ونجملهما شيئًا واحدا كحف البمير وحافر الحار ، قلايستطيع أن يسمل بها شيئا بما يسمله بأصابعه المنزقة ذات المفاصل والأنامل ، من فنون الأعمال التي تحتاج إلى القبض والبسط ، والتألى في عمل ما يراد من الشئون كالغزل والنسج والفرب على الأوتار والعيندان ، إلى نحو أولئك .

والخلاصة — إنا لقادرون على جمع المظام وتأليفها و إعادتها إلى مثل التركيب الأول بمد تفرقها وصيرورتها عظاما ورفاتا فى بطون البحار ، وفسيح القفار ، وحيثا كانت ، وعلى أن نسومى أطراف يديه ورجليه ونجعلهما شيئا واحدا فيكون كالجل والحار ونحوها ، فيا كل كما تأكل ، ويشرب كما تشرب ، وفى ذلك خسران كبير له ، وتشو به خلقه ، و إفساد لوظيفته التى أعد لما فى الحياة .

(بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) أى لايجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه ، لكنه يريد أن يمضى قَدُما فى الماصى لايثنيه عنها شئ ، ولا يتوب منها ، بل يسوّف بالتو بة فيقول : أصمل ثم أثوب بعد ذلك .

والخلاصة -- إنه انتقل من إنكار الحسبان ، إلى الإخبار عن حال الإنسان ، الحاسب ، ليكون ذلك أشد فى لومه وتو بيخه كأ نه قبل : دع تعنيفه على ذلك ، الحاسب ، ليكون ذلك أشد فى لومه وتو بيخه كأ نه قبل : دع تعنيفه على ذلك ، فإنه قد بلغ من أمره أنه يريد أن يداوم على فجوره فيا يستأنف من الزمان ولا يتخلى عنه .

ثم علل إرادته دوام الفجور بقوله :

(يَسْأَلُ أَيَانَ بِهِم القيامة؟) أى يسأَلُ سؤال متعنت مستبعد، متى يكون هذا اليوم؟ ومن أنكر البث أشد الإنكار، ارتكب أعظم الآثام، وخبّ فيها ووضع غير عاني، بماقبة مايصنم، ولامقدَّر نتائج ما يكتسب.

ونحو الآية قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْرَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ ﴾ ، وقوله : ﴿ هَبْهَاتَ هَبْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ . إِنْ هِنَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا كَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا نَحْنُ بَمِنْمُو ثَيْنَ ﴾ . وقصارى ماسلف أنهم أنكروا البعث لوجهين :

- (۱) شبهة تمترض الخاطر:كفولهم إن أجزاء الجسم إذا تفرقت واختلطت بالتراب، وسارت فى مشارق الأرض ومفارجها ، كيم يمكن تمييزها و إعادتها على النحو الذي كانت عليه أولا ، ولهؤلاء جاء الردّ بقوله : ﴿ أَيْحُسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمُعَ عِظْلَمَهُ . كَلّى قَاوِرِينَ فَلَى أَنْ نُسَوَّى بَنَائَهُ ﴾ .
- (٢) حبّ الاسترسال في الذات ، والاستكثار من الشهوات ، فلا يود أن يقرّ بحشر ولا بعث حتى لا نتنفص عليه للماته ، ولمثل هؤلاء قال : « بَلْ مُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَغْجُرُ أَمَامَهُ » .

وقد ذكر سبحانه من علامات يوم القيامة أمورا ثلاثة فقال :

(١) (فإذا برق البصر) أى إذا تحير البصر ودهش فلم يطرف من شدة الهول
 ومر عظم ما يشاهد ، قال الفر"اء : تقول المرب للإنسان التحير المبهوت : قد
 برق ، وأنشد :

مَّنَفْسَكَ فَانْمَ وَلا تَنْفَى وَدَارِ الْكُلُومِ وَلا تَبْرَقِ أَى لانفزع من كثرة الكلوم والجروح التي أصابتك . ونحو الآية قوله : « لاَ بَرْ تُذَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ » .

- (٣) (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه ، كما نمقله من حاله فى الدنيا ، إلا أن
 الحسوف فى الدنيا إلى انجلاء ، وفى الآخرة لاسهد ضهءه .
- (٣) (وجمع الشمس والقمر) أى أدرك كل واحد منهما صاحبه وطلما من المغرب أسودين مكورين مظلمين على ماروى عن ابن مسمود، وقدكان هذا مستحيلا فى الدنيا كما جاء فى قوله سبحانه : «لا الشَّمْسُ يَمْنَتِنِي لَمَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ الْقَيْلُ سَا بَيْ النَّهَا ر» .

(يقول الإنسان يومئذ أين الفر ؟) أى يقول الإنسان حينئذ لدهشته وحيرته : أين الفر" من جهنر ؟ وهل من ملجأ منها ؟ فأجيبوا حينئذ :

(كلا لاوزر) أى كلا لاشئ "يُمتعم " به من أمر الله ، فلا حصن ولا جبل ولا سلاح يقيكم شيئًا من أمره ، قال الشدى :كانوا إذا فزعوا فى الدنيا تحصــنوا بالجبال ، فقال الله لهم : لاوزر يمصمكم منى .

ونحو الآية قوله : ﴿ مَالَكُمُ مِنْ مُلْجَا بِوَ مَيْذِ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ .

ثم كشف عن حقيقة الحال و بيَّنها بقوله :

(إلى ربك يومثذ المستقر) أى إلى ربك مرجمك فى جنة أونار ، وأمم ذلك مغوّض إلى مشيئته ، فن شاء أدخله الجنة ، ومن شاء أدخله النار .

ونحو الآية قوله : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبُّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ .

ثم ذكر أن مآله رهن بما عمل فقال:

(ينبأ الإنسان بومئذ بمــا قَدَّم وأخر) أى يخبر الإنسان حين العرض والحساب ووزن الأعمال — بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صفيرها وكمبيرها كل قال : « وَوَجَدُوا مَاعَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا » .

قال التشيرى : وهذا الإنباء يكون يوم التيامة عند وزن الأصال ؛ ومن أبى هر يرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبع يُحيِّرَى أجرها قسيد بعد موته وهو فى قبره ، من علم هلما ، أوأجرى نهرا ، أوخر بئرا ، أوغرس ظلا ، أو بغى مسجدا ، أوورق مصحفا ، أو ترك وليًا يستخر له بعد موته » .

ثم بيِّن أن أعظم شاهد على المرء نفسه ، فهي نمم الشاهد عليه فقال :

(بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألتى مماذيره) بل الإنسان حجة بيئة على نفسه ، فلا محتاج إلى أن ينبثه غيره ، لأن نفسه شاهدة على ماضل ، فسمه و بصره و يداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه ، وسيحاسب عليه صما أتى بالماذير وجادل عنها كما قال : « اقرأً كِتَابَكَ كَنَى بِنَفْسِكَ الْبَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » .
وقال الدراء فى الآية : بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ، وأنشد :
كأن على ذى المقل عيناً بصيرة بمجلسه أومنظر هو ناظرة
يحاذر حتى بحسب الناس كلَّهم مناطحة فوضائون

لَأَنْحُرَّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَنْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جُمْهُ وَثُرُّءَانَهُ (١٧) فَإِذَا فَرَأْنَاهُ فَاتَّسِم ثُوْآ نَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلِ تُحَيِّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (١١) وُجُوهُ يَوْمَثِذِ نَاضِرَةٌ (٢٧) إِلَى رَبُّا نَاظِرَةٌ (٣٣) وَوُجُوهُ يَوْمَئِذِ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُ أَنْ مُفْمَلَ بِهَا فَاتَرَةٌ (٢٥) .

شرح المفردات

لتمحل به : أى لتأخذه على عجل خافة أن يتفلت منك ، وقرءانه : أى قراءته أى إثباتها في لسانك ، قرأناه : أى قرأه جبريل عليك ، فاتبع قرءانه : أى فاستمع قراءته ، وكردها حتى يوستغ في نفسك ، بيانه : أى تفسير مافيه من الحلال والحرام وبيان ما أشكل من معانيه ، والعاجلة : دار الدنيا ، فاضرة : أى متهللة بيشرا بما ترى من النميم ، فاظرة : أى تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب ، باسرة : أى شديدة الدوس كالحة متغيرة مسودة ، تظن : أى تستيةن ، فاقرة : أى داهية عظيمة تكسر فقار الظهر .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أن المنكر للقيامة والبعث معرض عن آيات الله ، منكر لعظيم قدرته ، وأنه سائر في غُلوائه ، غير مكترث بما يصدر منه — أردقه بذكر حال من يثابر على تملّم آيات الله وحفظها وتلقنها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها ، رجاء قبوله إياها ، ليظهر بذلك تباين حال الفريقين : من يرغب فى تحصيل آيات الله ، ومن يرغب عنها « و بضدها تقيين الأشياء» ثم عاد إلى ذكر السبب فى إنكار البعث وهو حب بنى آدم للماجلة ، وتركهم المآخرة ، ثم ذكر ما يكون فى ذلك اليوم من استبشار المؤمنين و بُسُور المشركين وملاقاتهم الشدائد والأهوال ، وظنهم أن ستتراكم عليهم الدواهى التى تكسر فقار ظهورهم .

الإيضاح

علّم الله رسوله كيف يتلتى الوحى من الملك ، إذ كان يسابقه فى قراءته فأمهره أن يستم إليه إذا جاء وقد كفل له : (١) أن يحفظه له . (٣) أن بيسره لأدائه على الوجه الذى ألقاء إليه . (٣) أن يبينه و يفسره له .

وقد أشار إلى الأول بقوله :

(لاتحراك به لسانك لتصجل به إن علينا جمه وقرءانه) أى لاتحرك أيها الرسول السكر يم بالقرءان لسانك وشفتيك ، لتأخذه على عجلة محافة أن يتفلّت منك ، فإن علينا أن نجمه لك حتى تثبته فى قلبك . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يحرك به لسانه وشفتيه ، فيشتد عليه و يُعرف ذلك فى تحريكه شفتيه حتى نزلت الآية ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أناه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما أمره الله .

عن ابن جُبير عن ابن عباس قال : ﴿ كَانَ النَّبِي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ بِمَا لِجُ مِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى وَسَلَّمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى وَسِلَّمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

وأشار إلى الثاني بقوله :

(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَبِعَ قُرِهَانَهُ) أَى فَإِذَا تَلَى عَلَيْكَ فَاعِمَلُ عَا فَيْهُ مِن شرائع وأحكام. وقد يكون المراد — فإذا تلاه عليك الملّك فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك.

وأشار إلى الثالث بقوله :

(ثم إن علينا بيانه) أى ثم إنا بعد حفظه وتلاوته ، نبيّنه لك ونلهبك معناه على ماأردنا وشرحنا .

ثم أعاد القول في توبيخ المشركين على إنكارهم للبعث فقال:

(كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أى ليس الأمر كا تقولون أيها المشركون: من أنكم لاتبعثون بعد ممانكم ، ولا تجازون بأعمالكم ، ولكن الذى دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم للدنيا العاجلة، و إيثاركم شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها، فأثم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآجلة .

قال قتادة — اختار أكثر الناس الماجلة إلا من رحم الله وعصم .

والخلاصة — إنكم يابني آدم خلقتم من مجل وطبستم عليه ، نتمجلون في كل شيء ، ومن ثم تمجلون العاجلة ، وتذرون الآخرة .

ثم بيَّن ما يكون من أحوال المؤمنين وأحوال السكافرين فقال:

 (١) (وجوه يومئذ ناضرة) أى فوجوه المؤمنين المخلصين حين تقوم القيامة مضيئة مشرقة ، تشاهد عليها نضرة النمي .

(إلى ربها ناظرة) أى تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب ، قال جمهور أهل العلم: المراد بذلك ماتواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يرم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر .

قال ابن كثير : وهذا مجمد الله تجم عليه من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ،كما هو متغق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام اه . روى البخارى فى صحيحه ﴿ إنكم سترون ربكم عيانا ﴾ وروى الشيخان عن أبي سعيد وأبي هر يرة و أن ناساً قالو : بارسول الله هل نرى ر بنا يوم القيامة و قال : هل تضار ون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا لا ، قال : فإنكم ترون ربكم كذلك ﴾ .

وروى ابن جرير عن مجاهد أنه قال: إن النظر هنا انتظار مالهم عند الله من التواب ، قال الأزهرى: قد أخطأ مجاهد؛ لأنه لايقال نظر إلى كذا بمنى انتظر، أن قول القائل: نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين، فإذا أرادوا الانتظارةالوانظرته، وأشعار العرب وكالمتهم في هذا كثيرة جدا اه

(۲) (ووجوه يومئذ باسرة . تظر أن يفعل بها فاقرة) أى ووجوه الفجار
 تكون يوم القيامة عابسة كالحة مستيقنة أنها ستصاب بداهية عظيمة تقصم فقار
 نظهرها وتهلكها .

ومحو الآبة قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَنَسُودُ وُجُوهٌ) وقوله : ﴿ وُجُوهُ بَوْمَنْذِ مُسْفِرَةٌ ۚ . ضَاحَكَةُ مُسْتَبْشِرَةٌ ۚ . وَوُجُوهٌ يَوْمَنْذِ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۚ . تَرْهَقُهَا قَـاتَرَةٌ ۚ . أُولَئِكَ هُمُ الْسُكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ .

كُلَّا إِذَا بَلْفَتِ التَّرَاقِ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقِ ؟ (٢٧) وَطْنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٦) إِلَى رَّبِّكَ يَوْمَثِلِهِ الْسَاقُ (٣٠) الْفِرَاقُ (٢٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَلَّقَ وَلَا صَلَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَلَّهُ مِنْ مَلِّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَمَّ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى (٣٥) أَمَّ وَثَوَلَى (٣٥) أَمَّ وَثَوَلَى (٣٥) أَمَّ مَنْ وَثَوَلَى (٣٤) أَمَّ مُنْ وَلَى لَكَ فَأُولَى (٣٥) أَمَّ مِنْ مَنِي مُنْ مَنِي مُنْ مَنِي مُنْ (٣٧) أَمْ مِنْ مَنِي مُنْ مَنِي مُنْ مَنِي مُنْ مَنِي مُنْ مَنِي مُنْ مُنِي (٣٧)

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَانَ فَسَـــوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الرَّوْجَانِ الدَّكَرَ وَالْأُنْنَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَادِرِ عَلَى أَنْ يُحْنِيَ المَوْنَى (٤٠) .

شرح المفردات

التراقى: المظام المسكنفة ثنرة النحر عن يمين وشمال، واحدها ترقوة ، من راق: أى من يرقيه و بنجيه مما هو فيه على نحو مايستشفى به الملسوع والمريض من الكلام الذي يُمد لذلك ؛ والراد هل من طبيب يشفى بالقول أو بالفسل ، الفراق : أى من الدنيا حبيبته ، النمّت الساق بالساق : أى التوت عليها حين هلم الموت وقلقه ؛ والمراد أنه اشتد عليه الخطب ، المساق : المرجم والمآب ، فلا صدّق ولا صلى : أى فلا آمن بقله ولا عمل ببدنه ، بتمعلى : أى يتبختر افتخارا ، أولى لك : أى و يل لك ، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره ، فأولى : أى فهو أولى بك من غيرك ، فلدت الأولى على الدعاء عليه بأن يكون أقرب إليه من غيره ، سدّى : أى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب ، من غيره ، سدّى : أى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب ، نطفة : أى ماه قليلا وجمعا نطاف و نطف ، يمنى : أى يراق و يصب فى الرح ، علقة : أى ماه قليلا وجمعا نطاف و نطف ، يمنى : أى يراق و يصب فى الرح ،

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أحوال ميم القيامة وما يُرى فيها من عظيم الأهوال ، ووصف سعادة السعداء ، وشقاوة الأشقياء بيِّن أن الدنيا لها نهاية ونفاد ثم تكون مرارة الموت وآلامه ، وأن الكافر قد أضاع الفرصة فى الدنيا ، فلا هو سدَّق بأوامر دينه ، ولا هو أدَّى فرائضه .

ثم أقام الدليل على سحة البعث من وجهين :

(١) أنه لابد من الجزاء على صالح الأعمال وسينها، وثواب كل عامل بما يستحق،
 و إلا تساوى المطيع والعامى، وذلك لا يليق بالحسكيم العادل جل وعلا

(٢) أنه كما قدر طى الخلق الأول وأوجد الإنسان من مني مني مني على ، فأهون عليه أن يعيده خلقاً آخر ١.

الإيضاح

(كلا) ردع وزجر: أى ازدجروا وتنبهوا إلى مايين أيديكم من الموت، فأقلموا عن إيثار الدنيا على الآخرة ، فستنقطم الصلة بينكم و بينها وتنتقلون إلى الدار الآخرة التى ستكونون فيها مخلّدين أبدا .

ثم وصف الحال التي تفارق فيها الروح الجسد فقال :

(إذا بلنت التراق) أى إذا بلنت الروح أعالىَ الصدر ، وأشرفت النفس على الموت ، قال دُر يُد بن الصَّهَة :

ورُبَّ عظيمة دافعتُ عنها وقد بلفت نفوسهمُ التراق والعرب تحذف من الكلام مايدل عليه يقولون أرسلت: بريدون أرسلت السياء المطر، ولا تكاد تسميهم يقولون: أرسلت السياء، قال حاتم يخاطب زوجه: أماويئُ مايغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت بوما وضاق بها الصدر ونحو الآية قوله: « فَاتُولاً إِذَا بَلَفَتِ الْمُلْقُومَ. وَأَنْمُ حِينَتُذِ تَنظُرُ رَنَ ٤٠. (وقيل مَن راق؟) أى وقال أهله: من برقيه ليشفيه نما نزل به ؟ قال تعادة: المحسوا له الأطباء فلم يفنوا عنه من قضاء الله شيئا، وقال أبوقلابة: ومنه قول الشاعر: هل للفتى من بنات للوت من واقى أم هل له من حام للوت من راقى (وظن أنه الفراق) أى وأيتن المحتضر أن مانزل به نذبر القراق من الدنيا والمال والأهل والولد، وسمى هذا اليتين ظنًا؛ لأن الره مادامت روحه متعلقة ببدئه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه العاجلة كما قال: (كلا بل تحبون العاجلة) فلا يحصل له يقين للوت، بل الظن الغالب مع رجاه الحياة .

(والتفتّ الساق بالساق) أى النوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما ، قال قتادة : أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب برجله على الأخرى ، وقال ابن عباس : المراد التفتّ شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة واختلطتا ، فالدن ً بلاء ببلاء ، والعرب تقول لكل أمر اشتد ، شمّر عن ساقه ، وكشف عن ساقه ، قال الهابخة الجمّدى :

أخوالحرب إن عضَّت به الحرب عضمًا و إن شمَّرت عن ساقها الحرب شمَّرا (إلى ربك يومئذ المساق) أى إلى خالقك مِم القيامة المرجع والماَب ، والمراد إنك صائر إلى حنة أو نار .

وجواب إذا وتمام الجلة يقدر بنحو قولنا — انكشفت المرء حقيقة الأمر، ، أو وجدماعمله من خير أو شر حاضرا بين يديه .

ثم ذكر ما كان قد فرط منه في الدنيا فقال :

(فلا صدَّق ولا صلى. ولكن كذب وتولى) أى فا صدَّق بالله ووحدانيته ، بل انتخذ الشركاء والأنداء وجحد كتبه التي أنزلها على أنبيائه ، وما صلى وأدَّى فرائضه التي أوجبها عليه ، بل أعرض وتولى عن الطاعة .

(ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى ليته اقتصر على الأعراض والتولِّى عن الطاعة بل هو قد ذهب إلى أهله جذلان فرحا ، يمشى الخيلاء متبخترا .

والخلاصة -- إن هذا الـكافركان فى الدنيا مكذبا للحق بقلبه ، متوليا عن العمل بجوارحه، معجّبًا بما ضل ، فلا خير فيه لاباطنًا ولا ظاهرًا .

ثم هدده وتوعده فقال :

(أولى لك فأولى) أى و يل لك مرة بعد أخرى ، وأهلكك الله هلاكا أقوب لك من كل شر وهلاك . و بری قوم أن معنی أولی أجمل وأحری، فیكونالمراد ... النار أولی بك وأجمل نم كرر هذا الوعيد فقال :

(ثم أولى لك فأولى) أى يتكرر هــذا الدعاء عليك مرة بعد أخرى ، فأنت جدير بهذا .

روى قتادة «أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد أبى جهل فقال : أولى الك فأولى ثم أولى لك فأولى ، فقال عدو الله : أترعدنى يا عمد ، والله ماتستطيع لى أنت ^أ ولا ر بك شيئاً ، والله لأما أعز من مشى بين جبليها ، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال : لايمُبد الله بعد هذا اليوم ، فقتل إذ ذاك شرّ قِتْله » .

وعن سميد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قول الله تعالى : ﴿ أَوْلَى لَكَ مَأُوْلَى ﴾ أشىء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه أم أمره الله تعالى به ؟ قال بل قاله من قبّل نفسه ، ثمم أنزله الله تعالى » .

ثم أقام الدايل على البعث من وجهين :

(۱) (أيحسب الإنسان أن يترك سدّى) أى لايترك الإنسان فى الدنيا مهلا لايؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قدره مهملا لايحاسب ، بل هو مأمور منهى محشور المي مربع المي المعلق لايساوى الصالح المزكّى نفسه بصالح الأعمال ، والطالح المدسّى نفسه باجتراح السيئات والآثام كا قال : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتَيَةٌ أَ كَاذَ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُنُّ نَفْسٍ مِمَا نَسْمَى ﴾ وقال : ﴿ أَمْ تَجْمَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَحِسُلُوا السَّالَحِاتِ كُنُّ نَفْسٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْمُلُ النَّيْنَ كَانُمْجًارٍ ﴾ .

و إذًا فلا بد من دار للثواب والمقاب والبمث والقيامة .

(٣) (ألم يك نطقة من منى كينى. ثم كان علقة فخلق فسوكى. فجمل منه الزوجين الذكر والأثنى ؟) أى أما كان هذا المسكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته و إيجاده بعد فنائه — نطقة في صلب أبيه ، ثم كان علقة ثم سواه بشرا ناطقا سميما يصيرا ، ثم جعل منه أولادا ذكورا و إنانا بإذنه وتقديره ؟. (اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) أى أليس الذى أنشأ هذا الخلق السوى من هذه النطقة المذرة بقادر على أن بعيده كما بدأه ؟ فذلك أهون من البده في قياس العقل كما قال: « وَهُو َ الَّذِي يَبَدُأُ الْخَانَ ثُمَّ يُمِيدُهُ وَهُو َ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » . وقد جاه من طرق عدة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال : سبحانك اللهم و وَبَى وأخرج أحمد وأبو دارد وابن مردويه والحاكم وصحه عن أبي هر برة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ منكم : « وَالدَّنِ وَالزَّيْتُون ، وانتهى إلى آخرها : أليس الله يأحكم الحاكم يكا كِينَ » فليقل : الى وأنا على ذلكم من الشاهدين ، ومن قرأ : « لا أقْسِمُ يبوّهم القياكمة فانتهى إلى : أليس في ذلكم من المراهدت فبلغ « فَيأى في يشوم يأتيكمة فانتهى إلى : أليس في يشوم يشوم أليسكم الماسلات فبلغ « فَيأى خَدِيمُ بِشَدَهُ يُوْمِينُونَ » فليقل آمنا بالله » .

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين .

سورة الانسان

هي مدنية ، وآياتها إحدى وثلاثون ، نزلت بعد سورة الرحن .

وصلتها بما قبلها، أنه ذكر فى السابقة الأهوال التى يلقاها الفجار يوم القيامة ، وذكر فى هذه مايلقاه الأبرار من النميم للقيم فى تلك الدار .

بِسُم ِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم ِ

هَلْ أَنَّى عَلَى الْإِنْسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْ كُورًا (١)

إِنَّا حَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطُفَّةِ أَمْشَاجِ بَبْتَالِيهِ فَجَمَلْنَاهُ صَمِمًا بَصِيرًا (٧) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِينَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) .

شرح المفردات

هل : أى قد ، حينٌ : أى طائفة محدودة من الزمان ، والدهر : الزمان غير المحدود ، أمشاح : أى أخلاط واحدها مشج (بفتحتين) ومشيح ، نبتليه : أى نختيره ، السبيل : الطريق ، أى بنصب الدلائل و إنزال الآيات .

المعنى الجملي

أخبر سبحانه أنه قد جاء على الإنسان حين من الزمان لم يكن شيئاً يُذكر ويُمرف، ثم ذكر أن أبناء آدم كانوا نطفاً فى الأصلاب، ثم عِلقا، ثم مُضناً فى الأرحام، ثم أوضح لهم السبيل، وبيّن لهم طريقى الخير والشر، فنهم الشاكر ومنهم الكفور.

الإيضاح

(هل أتى على الإنسان حين من الدهم لم يكن شيئًا مذكورًا) أى قد أتى على هذا النوع نوع الإنسان زمن لم يكن موجودا حتى يعرف ويذكر . قال الفراء وثعلب : المراد أنه كان جسدا مصوّرا ترابا وطيناً لايذكر ولا يعرف ولايدرى ما اسمه ولاما يراد به ، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا .

وفى الآية مايشير إلى ماقاله علماء طبقات الأرض (الجياوجيا) من أن الإنسان لم يوجد على الأرض إلا بعد خلقها بأحقاب طوال ، فقد كانت الأرض أو لا ملتهبة بعد أن انفصلت من الشمس ، ثم أخذت قشرتها تبرد بالتدريج ، وأمكن أن ينبت فيها النبات ، ثم بعض الطيور ، ثم بعض الحيوان الداجن ، ثم الإنسان ؛ وقد بين ذلك عند تفسير قوله تمالى « هُوَ الّذِي خَلَقَ السَّمَوَ ات وَالْأَرْضَ فِي سِيِّةٌ أَيَّامٍ » وذكر اهناك أن الأيام هى الأطوار التي من عليها خلق السموات والأرض إلى آخر ماقائك هناك أن الأيام هى الأطوار التي من عليها خلق السموات والأرض إلى آخر

ثم أتبع ذلك بذكر العناصر الداخلة في تكوين الإنسان فقال:

(إنا خلفنا الإيسان من نطقة أمشاج نبتليه) أى إنا خلقنا الإنسان من نطقة اختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة ، مر يدين ابتلاء واختياره بالتكليف فيما بعدُ إذا شبّ و بلغ الحُلُمُ . قال الحسن : تختبر شكره فى السراء ، وصبره فى الضراء .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الأمشاج الحمرة فىالبياض والمبياض فى الحمرة . وهذا قول يختاره كثير من أهل اللهة ، قال الهذلى يصف سهماً :

كَانْ الريش والنُوقَيْن منه خلاف النَّسْل سِيطَ به مَشِيجُ

وقال تعادة : هي أطوار الخلق ، طورًا نطقة ، وطورا علقة ، وطورا وطورا عظاما ، ثم تكسى المخلام لحاكا قال في سورة المؤمنين : ﴿ وَلَقَدُ خَلَقَنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةً مِنْ طِينِ ﴾ الآية .

ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء والامتحان ، وهو السمع والبصر فقال : (فجملناه سميما بصيرا) أى جملناه كذلك ليتمكن من استماع الآيات ومشاهدة الدلائل والتمقل والتفكر . وهذه من عالم أشرف من عالم المادة التي هي في أسفل درجات النقص ، والكمال إنما نزل إليه من عالم أرقى منها وهو العالم الروحي الإلهي .

فهو إما أن يرجع إلى حب للمادة والاستكانة لهمـذه المشاهدات ، و إما أن يتفكر و مجدّ بالم والعمل ، ليصل إلى عالم الكمال والجال ، وهــذا ماعناه سبعانه بقوله : « نَدْتَكَمِه خَهِلَنْهُ مُ تَحِيمًا بَسَيرًا » .

والخلاصة — نحن نمامله مماملة المختبر له ، أيميل إلى أصله الأرضى ، فيكون حيوانا نباتيا معدنيا شهوانيا ، أم يكرن إلهيًّا معتبرا بالسمع والبصر والفكر ، وهى من هوالم أرق من عالم المادة التي تكوّن منها .

ثم ذكر أنه بعد أن ركّبه وأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى. وسبيل الضلال فقال:

(إنا هديناه السبيل) أي فأعطيناه السمع والبصر والقؤاد ، ونصبنا له الدلائل في الأنفس والآداق ، لتكون مسرحا لعكره ، ومثنا لعله .

ثم بين أن الناس انقسموا في ذلك فريقين فقال :

(إما شاكرا و إما كفورا) أى فبمض اهتدى وعرف حق النعمة فشكر ، و يعض أعرض فكفر .

و إجمال ذلك - إنا هديناه السبيل ليتميز شكره من كفره ، وطاعته من معصيته .

ونحو الآية قوله : « لِينِبْلُوَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ غَلَاً» وقوله : « وَلَنَبْلُو نَسْكُمُ حَتَّى نَمْلُمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمُ وَالصَّا رِمِنَ وَنَبْلُو أُخْبَارَكُمُ » .

وروى مسلم عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل الناس يقدو فبائه "نفسه فمويقها أومعتقها » . إِنَّا أَعْتَدُنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلِ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (؛) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُ بَهَا عِبَادُ اللهِ يَشْرَبُ مِهَا عِبَادُ اللهِ يُحْرُونَمَ نَوْمًا اللهِ يَعْرَبُ بَهَا عِبَادُ اللهِ يُحْرُونَهَا تَفْجِيرًا (٢) يُوفُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيْطُومُونَ الطَّمَامَ عَلَى حُبَّهُ مِسْكِينًا وَيَنِهَا وَأَسِيرًا (٨) مُشْتَطِيرًا (٧) وَيْطُومُونَ الطَّمَامَ عَلَى حُبَّهُ مِسْكِينًا وَيَنِهَا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّا يَعْمُ لُوبُهِ لِمُنْرَبِعُ مِنْكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا (٩) إِنَّا يَعْمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ نَعْمُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطْرِيرًا (١٠) فَوَنَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ النِّيومِ وَلِنَّاهُمْ إِنَّا مَنْ مَنْ وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَسَبَرُوا جَنَّةً وَلاَ مُسَامِرًا (١٢) .

شرح المفردات

أعتدنا : أى هيأنا وأعددنا ، والأغلال : واحدها غلّ (بالضم) وهو القيد ، والسمير : النار الموقدة ، والأبرار ؛ واحدهم برّ . قال في الصحاح : جم البر الأبرار ، وجم البار الأبرار ، وجم البار البررة ، والأبرار هم أهل الطاعة والإخلاص والصدق . وقال قتادة : هم الذين يؤدون حق الله و يوفون بالنذر ، وقيل هم الصادقون في إيمانهم ، المطيمون لربهم ، الذين سمت همتهم عن المحقرات ، فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة ، والكأس : هي الأباء الذي فيه الشراب ، وقد يطلق الكأس على الخر نفسها وهو للراح كا قال أونواس :

وَنُاس شربتُ على لذة وأخرى تداويت منها بها وقال عرو بن كلئوم :

صينت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

والمزاج : مایمزج به کالحزام لما بحزم به ، أی یکون شوبها وخلطها بماء الکافورکما قال :

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاتها عسل وماه وجعلت كالكافور لما فيه من البياض وطيب الرائحة والبرودة ، بها : أى منها ، يفجرونها : أى مجرونها إلى منازلهم وقصورهم حيث شاءوا ، يوفون بالندر : أى يفجرونها الموجبوه على أنفسهم من الطاعات ، شره : أى شدائده ، مستطيرا : أى فأشياً منتشراً فى الأقطار من قولهم : استطار الحريق والفجر إذا انتشر ، عبوسا : أى تمبس فيه الوجوه ، قطر يرا : أى شديد المبوس ، تقول المرب يوم قمار ير

بنى عمنا هل تذكرون بلاء تا عليكم إذا كان يوما قماطُر وفاهم: أى دفع عنهم ، لقّاهم: أى أعطاهم ، نضرة : أى حسناً و بها، ، وسرورا أى حبوراً . قال الحسن ومجاهد : نضرة فى وجوههم ، وسرورا فى قلوبهم .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أنه هدى الإنسان لطويق الخير وطويق الشرقى قوله :

إنّا هدّينًا هُ النّجدَيْنِ » ثم أردفه بيان أن الناس انقسموا فى ذلك فريقين : فريق
وققه الله واهندى وشكر ، وفريق أضله الله وكفر ؛ أعقب ذلك بما أعده لكل
منهما يوم القيامة ، فأعد للأولين جنات ونميا ، فهم يشر بون الخر (وهى ألذ شراب
لديهم) ممزوجة بماء عذب زلال ، طيب الرائحة ، تأتيهم إلى غرفهم متى شاءوا
وكيف أرادوا ، ويابسون الحرير ويجلسون على الأرائك لا رون فيها حرًّا ولاقرًّا ،
ثم ذكر ما أعدوه فى الدنيا اليهم هذا الثواب العظيم، فبين أنهم يطممون الطمام الفتراء
المبائسين واليتاى والأسارى ، ويؤدون ماوجب عليهم لربهم ، ويخافون عذاب
يوم القيامة .

وأعد للاّ خرين سلاسل وقيودا ونارا تشوى الوجوه والأجسام .

الإيضاح

(إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) أى إنا هيأنا لمن كفروا بنعمتنا وخالفوا أمرنا _ سلاسل بها يقادون إلى الجميم ، وأغلالا بهـا تشد أيديهم إلى أعناقهم كما 'يَفْسل المجمرين فى الدنيا، ونارا بها يحرقون .

ونحو الآية قوله : « إذِ الأُغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْتَحَبُّونَ . فِي الْمُلِيمِرِ تُمَّ فِي النَّارِ يُسْتَجَرُونَ ﴾

وبعد أن ذكر ما أعده للكافرين بين ما أعده للشاكرين من شراب شهي " ولباس بهي قفال :

(إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) أى إن الذين بروا بطاعتهم ربهم فأدَّوا فرائضه واجتنبوا معاصيه ... يشربون من خركان مزاج ما فيها من الشراب كالكافور طيب رائحة و بياضا .

وهذا المراج من عين يشرب منها عباد الله المتقون وهم فى غرف الجنات ، يسوقونها إليهم سوقاً سهلا إلى حيث يريدون ، وينتفعون بهاكما يشاءون ، ويتبعهم ماؤها إلىكل مكان يجبون وصوله إليه .

قال مجاهد : يقودونها حيث شاءوا ، وتتبهم حيث مالوا .

ثم ذكر ما لأجله استحقوا الكرامة فقال:

 (١) (يونون بالنذر) أى يونون بما أوجبوه على أنفسهم ، ومن أوفى بما أوجبه على نفسه فهو على الوفاء بما أوجبه الله عليه أولى .

وقصارى ذلك — إنهم يؤدونه ما أوجبه الله عليهم بأصل الشرع ، و بما أوجبوه على أنفسهم بالنذر .

- (٣) (و يخافون يوما كان شره مستطيرا) أى و يتركون الحرمات التي نهاهم
 رجهم عنها خيفة سوء الحساب يوم المعاد ، حين يستطير المذاب و يفشو بين الناس
 إلا من رحم الله .
- (٣) (ويطممون الطمام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا) أى ويطممون الطمام وهم فى محبة له وشغف به المسكين الماجز عن الأكتساب ، واليتي : الذى مات كسبه ، والأسير: للأخوذ من قومه ، المملوكة رقبته ، الذى لا يملك لنفسه قوة. ولا حيلة .

والمراد من إطعام الطمام الإحسان إلى المحتاجين ومواساتهم بأى وجه كان ، و إنما خص الطعام لسكونه أشرف أنواع الإحسان ، لاجرم أن عبر به عن جميع وجوه المنافع .

ونحو الآية قوله : ﴿ فَلَا افْتَحَمَّ الْمُقَبَّةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا المَقَبَّةُ . فَكُّ رَثَبَةٍ . أَوْ إِلْهَامُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْفَيَةٍ . يَنِهَا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِلْسِكِينَا ذَا مُثْرَبَةٍ » .

وقد وضّى رسول الله صلى الله عليــه وسلم بالإحسان إلى الأرقّاء حتى كان آخر ما أوصى به أن جعل يقول : ﴿ الصلاةَ وما ملكت أيمانكم ﴾ .

و بعــد أن ذكر أن الأبرار يحسنون إلى هؤلاء المحتاجين ــ بيَّن أن لهم فى ذلك غرضين :

(١) رضا الله عنهم ، و إلى ذلك أشار بقوله :

(إنما نطمكم لوجه الله) فلا نمن عليكم ولا تتوقع منكم مكافأة ولا غيرها مما ينقص الأجر، وقد كانت عائشة رضى الله عنها تبعث الصدقة إلى أهل بيت من البيوت ثم تسأل للبموث ، فإن ذكر دعاء دعت بمثله ليبق ثواب الصدقة لها خالصا عند الله .

ثم أكدهذا ووشحه بقوله :

(لانر يد منكم جزاء ولا شكورا) أى لانطلب منكم مجازلة تكافئوننا بها ،

ولا أن تشكرونا لدى الناس ؛ قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ماغالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأتنى عليهم به ، ليرْغب فى ذلك راغب .

(۲) خوف يوم القيامة ، و إلى ذلك أشار بقوله :

(إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى إنا نفعل ذلك ليرحمنا ربنا ويتلقانا بلطفه فى ذلك اليوم العبوس القمطرير .

و بعد أن حكى عنهم أنهم أنوا بالطاعة لنرضين : طلب رضا الله ، والخوف من يوم القيامة _ بيَّن أنه أعطام الغرضين فأشار إلى النانى بقوله :

(فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى فدفع الله عنهم ماكانوا فى الدنيا بمحذرون من شر ذلك اليوم العبوس بماكانوا يعملون بما يرضى ربهم عنهم .

وأشار إلى الأول بقوله:

(ولتَّاهم نضرة وسرورا) أى وأعطاهم نضرة فى وجوههم وسرورا فى قلوبهم ونحو الآية قوله : « وُجُوهُ يَوْمَئْذِ مُسْفِرَةٌ . ضَاحَكَةٌ مُسْتَبْشَرَةٌ » .

وقد جرت المادة أن القلب إذا سرّ استنار الوجه، قال كعب بن مائك: وكان رسول الله صلى الله عليــه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها : دخل على وسول الله صلى الله عليه وسلم مسرووا تبرق أسار بر وجهه ــ الحديث .

(وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) أى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدى إليه من الجوع والفرشى بستانا فيه مأكول هنى ، وحريرا منه ملبس بهى، ونحو الآبة قوله : « قراباًسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » .

مُتَّكِثِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَاثِكِ لاَيَرَونَ فِيها تَمْسًا وَلاَ زَمْبَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهُما وَذُلِّتَ فُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطاَفُ عَلَيْهِمْ بِآنِيةً مِنْ فِضَةً وَأَكُوابِ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَةً فَدَرُوهَا تَقْدِيرًا (١٥) وَيُشْقَوْنَ فِيهَ كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْمَيلاً (١٧) عَنْدُ وَيَعْمَونَ فِيها كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْمَيلاً (١٧) عَنْدُ وَيَعْمُونُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانُ خُلَدُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ حَسِيْةً مُمْ أُولُوا مَشُورًا (١٩) وَيَعْمُونُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ نَمَياً وَمُلْكًا كَايِرًا (٢٠) عَالِيهُمْ ثِيابُ سُندُس خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقُ، وَخُلُوا أَسَاوِر مِن فِضَةً وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء فَيَانَ سَعَيْكُمْ مَشَكُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء

شرح المفزدات

الأراتك: واحدتها أريكة ، وهو السرير فى المحبّلة (الناموسية) والزمهرير: البرد الشديد، دانية : أى قريبة ، خلالها : أى خلال أشجارها ، وذلّت: أى سخرت تمارها وسهل أخذها وتناولها ، والقطوف : النمار، واحدها قطف (بكسر الناف) وآنية : واحدها إناه ، وهو ما يوضع فيسه الشراب ، والأكواب : واحدها والناف كوب، وهو كوز لاعروة له، والقوارير: واحدتها قارورة، وهى إناه رقيق من الزجاج، قد روها تقديرا : أى قدرها السقاة على قدر رئ شاربها ، كأسا : أى خرا ، والزجير : نبت فى أرض حمّان وهو عروق تسرى فى الأرض وليس بشجر ، ومنه ما يأتى من بلاد الزنج والصين وهو الأجود، قاله أبو صنيفة الدينوري ، وكانت العرب تحبه فى الشراب ، قال الأعشى .

كَأَن القَرَنْفُلُ والزنجَبيـــلَ بانا نبيها وأَرْباً مَشُورا

والسلسيل: الشراب اللذيد، تقول العرب: هذا شراب سلسل وسلسال وسلسيل: أى طيب الطم لذيذه، وتسلسل الماه في الحلق: جرى، مخلدون: أي داعُون على البهاء والحسن لابهرمون ولا يتغيرون ، نَمَّ : أى هناك ، والسندس : مارق من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه ، والأساور : واحدهاسوار .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر طعام أهل الجنة ولباسهم _ أردفه وصف مساكنهم ، ثم وصف شرابهم وأرانيه وشتاته ، ثم أعاد الكلام صرة أخرى بذكر ما تفضل به عايهم من فاخر اللباس والحلى ، ثم ألمم إلى أن هذا كان جزاء لهم على ما عملوا ، وما زكوا به أغسهم من جميل الخصال ، وبديع الخلال ·

الإيضاح

(متكنين فيها على الأراثك لايرين فيها شمسا ولازمهر يرا)أى متكثين فى الجنة على السرر فى الحجال ، ليس لديهم حرّ مزعج ولا برد مؤلم ، بل جوّ واحد ممتدل دائم سرمدى ، فهم لايبفون عنها حوّلا .

والخلاصة -- إنهم لايرون في الجنة حر الشمس ، ولا برد الزمهرير ، ومنه قول الأعشى :

> منتمة طَفْلة كالمهَا لم ترشمسا ولا زمهر برا وفي الحديث: «هواء الجنة سَجْسَج لاحَرَّ ولا قُرُّ » .

(ودانية عليهم ظلالها) أى إن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار ، مظلة عليهم زيادة في نعيمهم .

(وذلك قطوفها تذليلا) أى سخرت للقائم والتاعد وللتكئ ، قال مجاهد : إن قام ارتفت منه بَقدَر ، وإن قعد تدلّت له حتى ينالها ، وكذلك إذا اضطجع ، لابرة البد عنها بُعدُّ ولا شوك . وعن البَرَاء بن عازب قال : إن أهل الجنة بأكلون من ثمار الجنة قياما وقمودا ومضطحين وعلى أى حال شاءوا .

و بعد أن وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم ـ وصف شرابهم وأوانيه فقال :
(و يطاف عليهم بآنية من فضة وأ كواب كانت قوار يرا . قوار ير من فضة
قدروها تقديرا) أى يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب والأكواب من الفضة .
وقد تكوّنت وهي جامعة لصفاء الزجاجة وشفيفها ، و بياض الفضة ولينها ،
وقد قدّرها لهم السقاة الذين يطوفون عليهم للسقيا على قدر كفايتهم وريّهم ، وذلك
ألد لهم وأخف عليهم ، فهي ليست بالملاى التي تفيض ، ولا بالناقصة التي تفيض .
واخلاصة — إن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج ، فيرى ما في باطنها من ظاهرها .

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال : «ليس فى الجنة شى ٌ إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبه إلا قوار بر من فضة» . ولا منافاة بين كون الأوانى من الفضة ، و بين كونها من الذهب كما ذكر فى قوله : ٥ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بصِحَاف مِنْ ذَمَب » الأنهم تارة يُسقون بهذه ، وتارة يسقون بتلك .

و بعد أن وصف أواني مشروبهم وصف الشروب نفسه فقال:

(ويسقون فيها كأساكان مزاجها زنجبيلا) أى ويسقى الأبرار فى الجنة خمر ممزوجة بالزنجبيل ، وقدكانوا بممبون ذلك ويستطيبونه ، كما قال السيّب بن عَلَس يصف رُصاب امرأة :

وكأن طعم الزنجبيل به إذ ذقته وسُلافة الخر (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى ويُسقون من عين فى الجنة غاية فى السلاسة وسهولة الانحدار فى الحلق ، قال ابن الأعرابى : لم أسمع السلسبيل إلا فى القرآن ، وكأن المين إنما سميت بذلك لسلاستها وسهولة مساغها اه ، ومنه قول حسان بن ثابت: يسقُونَ مَنْ ورد التَّريصَ عليهم كأسا يُصَقَّق بالرحيق السلسل وقال مقاتل : هو عين يتسلمل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاءوا اه

وهذا كله ما هو إلا أسماء لمـا هو شبيه بما فى الدنيا ، وهناك ما لاعين رأت ، ولا أذن سمت ، فالمانى غير ما نعهد ، والألفاظ لحجرد ثخيل شئ " مما تراه كما قال ابن عباس .

ثم ذكر أوصاف السقاة الذين يسقونهم ذلك الشراب فقال :

(و يطوف عليهم ولدان مخلّدون) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة يأتون على ماهم عليه : من الشباب والطراوة والنضارة ، لايهرمون ولا يتغيرون ولا تضمف أجسامهم عن الخدمة .

(إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى إذا رأيت هؤلاء الولدان خلتهم لحسن ألوانهم ، ونضارة وجوههم وانتشارهم في قضاء حواثم سادتهم _ كأنهم اللؤلؤ المنثور « واللؤلؤ المنثور أجل في النظر من اللؤلؤ المنظوم » ولأنهم إذا كانوا كذلك كانوا سماعاً في الخدمة .

وعن الأمون أنه قال لبلة زُفّت إليسه بُورَانُ بنت الحسن بن سهل ، وهو على بساط منسوج من الذهب ، وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ ، ونظر إليه فاستحسن ذلك النظر : لله در ً أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث قال :

كَأَنَّ صُنْرَى وَكَبْرَى من قواقِیهِا حصباءُ دُرِّ على أَرض منالذہب ولما ذكر ندمِ أهل الجنة بما تقدم ذكر أن هنـك أمورا أعلى وأعظم من ذلك فقال :

(و إذا رأيت ثمَّ رأيت نعيا ومُلكاً كبيرا) أى و إذا نظرت فى الجنة وأيت سيا عظيا ومُلكاً كبيرا لايحيط به الوصف .

وقد اختلفوا في المراد من هذا اللُّك السكبير ، فقيل إن أدناهم منزلة من ينظر

ملكه فى مسيرة ألف عام برى أقصاه كما برى أدناه ، وقيل هو استئذان الملائكة عليهم ، فلا يدخلون إلا بإذنهم ، وقيل هو المُلك الدائم الذى لازوال له .

ولم يجىء فى الأخبار الصحيحة ما يفسر هذا لللك الكبير، فأولى بنا أن نؤمن به ونترك تفصيله إلى علام النيوب .

و بعد أن وصف شرابهم وآنيته وما هم قيه من النعيم ، وصف ملابسهم فقال :
(عاليّهم ثياب سندس خضر و إستبرق) أى إن لباس أهل الجنة في الجنة الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيح الديباج لقمصان والثلاثل وتحوها بما يلى أبدانهم ، و إستبرق : وهو غليظ الديباج لامِمُه بما يلى الظاهر كما هو للمهود في لباس الدنيا . و بعدئذ ذكر حليّهم فقال :

(وحلّوا أساور من فضة) أى وقد حلوا أساور من فضة، وجاء هنا «مِنْ فِضّة» وفي سورة فاطر « وَ يُحلّون فِيها مِنْ أَسّاوِرَ مِنْ ذَهَب » لأنهم قد مجمعون بينهما، أو بلسون الذهب تارة والقضة أخرى .

وقال سميد بن المـيّب : لا أحد من أهــل الجنة إلا وفي يده ثلانة أسورة ؛ واحدة من ذهب ، وأخرى من فضة ، وثالثة من لؤلؤ .

والتحلَّى مما يختلف باختلاف العادات والطبائم ، ونشأة الآخرة غيرهذه النشأة ، ومن المشاهَد فى الدنيا أن بعض الملوك يتحلَّرن بأعضادهم وعلى تيجانهم وعلى صدورهم بهمض أفراع الحلى ، ولايرون فىذلك بأساً لمكان الإلف والعادة ؛ فلايعد أن يكون من طباع أهل الجنة فى الجنة حبَّ التجلى دائمًا .

ثم ذكر أنهم يسقون شرابا آخر يفوق النوعين السابقين، وهما مايمزج بالكافور وما يمزج بالزنجييل فقال :

(وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى وسقاهم ربهم غير ماسلف شراباً يطهِّر شار به من الميل إلى اللذات الحسية ، والركون إلى ماسوى الحق ، فيتجرد لمطالعة جماله ، والتلذذ بلقائه ، وهذا منتهى درجات الصديقين . قال أبو ُقلابة : يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان فى آخر ذلك أثوا بالشراب الطهور ، فيشر بون فتطهر بذلك بعلونهم ، ويفيض عرقى مر جاودهم مثل رجح المسك .

ولم يذكر الكتاب مايبين 'نوع ذلك الشراب ، فلندع أمره إلى الله ونؤمن به كما أخير به في كتابه .

و بعد أن شرح أحوال السعداء ومايلة ونه من وافرالنسيم الذي يتجلى في مشربهم وملبسهم ومسكنهم ؛ بيّن أن هذا جزاء لهم على ماقدموا من صالح الأعمال ، وماز كوًا به أنفسهم من صفات الكال فقال :

(إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى ويقال لمؤلاء الأبرار حيند: إن هذا الذى أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثوابا على ما كنتم تعملون من الصالحات، وكان حملكم فيها مشكورا، حَيدكم عليه ربكم ورضيه لكم، فأثابكم بما أن بكم به من السكرامة.

والنرض من ذكر هـ ذا التول لهم زيادة سرورهم ، فإنه إذا قيل العماقب : هذا بعملك الردىء ازداد غمه وألم قلبه ، وإذا قيل الهثاب : هذا بطاعتك وعملك الحسن ، ازداد سروره وكان تهنئة له :

ونحو الآية قوله : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِينًا بِمَا أَسْفَتُمْ فِي الْآيَامِ الطَّالِيَةِ ﴾ وقوله : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْسَكُمُ الجَنَّةُ أُورِثُتُمُومًا بِمَا كُنْتُمْ تَمْمُلُونَ ﴾ .

إِنَّا نَحْنُ نَوْلْنَا عَلَيْكَ الثَّمُوْآلَ تَنْزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ يُلْحَكُم رَبَّكَ وَبَكَ وَالْمَ وَبَكَ وَلاَ تُطيع مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْ كُرِ اسْمَ رَبَّكَ مُبكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْتُهِدْ لَهُ وَسَبَّعْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنْ هَوْ لاء يُحِبُّونَ الْمَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءِهُمْ يَوْمًا تَقِيلاً (٢٦) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَشْرَهُمْ وَلَذَا أَشْرَهُمْ وَلَذَا أَشْرَهُمْ وَلَذَا أَشْرَهُمْ وَلَذَا أَشْرَهُمْ وَلَذَا أَنْ يَشَاءِ اللّهُ إِنَّ فَهُو تَشَاءِ وَلَا أَنْ يَشَاءِ اللّهُ إِنَّ فَهُو كَانَ عَلَياً حَكِيماً وَهُ) يَدْخِلُ مَنْ يَشَاء فِي رَجْمَتِهِ وَالظَّا لِمِينَ أَعَدًّ لَهُمْ عَذَا بًا أَلِيمًا أَلِينَ أَعَدًّ لَهُمْ عَذَا بًا أَلِيمًا أَلِينَ أَعَدً

شرح المفردات

ر "لنا عليك الترآن تنزيلا: أى أنزلتاه عليك مفرقا منجا ، حكم ربك : هو أخير نصرك على الكمار إلى حين ، والآثم : هو القاجر الحجاهم بالمامى ، والكفور: هو المشرك الجدهم بكفره ، بكرة وأصيلا : أى أول النهار وآخره ، والراد بذلك جميع الأوقات ، أسجد : أى صل ، سبحه : أى تهجد ، وراه هم : أى أمامهم ، شدد المشرهم : أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق ، بدّلنا أمشاهم : أى أهلكناهم و بدلنا أمشاهم في شدة الحلق .

المعنى الجملي

بمد أن ذكر سبحانه أحوال الآخرة و يّن عذاب الكفار على مبيل الاختصار وثواب المطيمين على سبيل الاستقصاء ، إرشادا لنا إلى أن جانب الرحمة مقدم على . جانب المقاب -- أردف ذلك ذكر أحوال الدنيا ، وقدتم أحوال الطيمين ، وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته على أحوال المتردين والمشركين :

وقبل الخوض فيا يتطق بالرسول من الأمر والنهى أمره بالصبر على مايناله من أذى تومه إرالة لوحشته ، وتقو ية لنلبه ، حتى يتم فراغ قلبه ، ويشتغل بطاعة ر به ، وهو على أثم ما يكون سرورا ونشاطا .

الإيضاح

(إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى إنا أنزلنا عليك القرآن مفرقا منجما فى مدى ثلاث وعشرين سنة ؛ ليكون أسهــل لحفظه وتفهّمه ودراسته ، ولتكون الأحكام آتية وَفَى الحوادث التى تجدّ فى الكون ، فتكون تثبيتاً لإيمان المؤمنين ، وزيادة فى تقوى المتقين .

وقد يكون المنى: نرانا عليك ولم تأت به من عندك كا يدعيه المشركون، و براد من ذلك تثبيت قلب رسوله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره، وأن الذي أنزل عليه وحى لا كيانة ولاسحر، و بذا تزول الوحشة من قول الكفار: إنه كيانة أو سحر. (فاصبر لحكم ربك) أى فاصبر لحا ابتلاك به ربك وامتحنك به من تأخير سرك على المشركين، ومقاساة الشدائد في تبليغ رسالته ووحيه الذي أنزله عليك ، وإن لذلك عاقبة حيدة، وغاله أثراء كما فؤادك .

(ولانطع منهم آنما أوكمورا) أى ولا تطع كلا من مرتكب الإثم والمتجاوز الحد في الكفر ، فإذا قال لك الآثم كتبة بن ربيمة : اترك الصلاة وأنا أزوجك ابنتى وأسوقها إليك بلامهر ، أوقال لك الكفور الوليد بن المنيرة : أنا أعطيك من المال حتى ترضى إذا رجمت عن هذا الأمر ، فلا تطع واحدا منهما ولا من غيرها ، فقد أعددا الله النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة .

وقصارى ذلك - لاتتبع أحدا من الآئين إذا دعاك إلى الإثم ، ولا من الكافر بن إذا دعاك إلى الكفر،وهذا مايفهم من قولك : لا تطع الطالم - من أن المغى - لانتبعه في الطلم إذا دعاك إليه .

ونهيه صلى الله عليه وسلم عن طاعة الآئم والكفور وهو لايطيع واحدا منهما ، إشارة إلى أن الناس محتاجون إلى مواصلة الإرشاد ، لما ركب في طباعهم من الشهوة الداعية إلى اجتراح السيئات ، وأن أحداً لو استغنى عن توفيق الله و إرشاده لمكان أحق الناس بذلك هو الرسول المعصوم ؛ ومن نم وجب على كل مسلم أن يرغب إلى الله ويتضرع إليه فى أن يصونه عن اتباع الشهوات ، ويعصمه عن ارتكاب المحرمات ، لينجو من الآفات ، ويسلم من الزلات ، لياقى ربه أبيض الصحائف من السيئات .

(واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى ودم على ذكره فى جميع الأوقات مقليك ولسانك .

(ومن الليل فاسجد له) أي وصل بعض الليل كصلاة المغرب والمشاء .

(وسبحه ليلاطويلا) أى وتهجدله طائفة من الليل ، وبحو هذا ماجا. في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّهْلِ فَتَهَجَّدْ مِهِ نَافِلَةٌ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْمُنَكَ رَبَّكَ مَمَّامًا تَحُمُودًا ﴾ وقوله : ﴿ يَأْيُهُمَا للزَّمَّلُ. تَهُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً . نِصْفَهُ أُواِنْفُسُ مِنْهُ قَلِيلاً . أُوزِدْ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الفَرْءَانَ تَرْشِيلاً ﴾

ثم قال منكراً على السكفار وأشباههم حب الدنيا والإقبال عليها ، وترك الآخرة وراءهم ظهريًا .

(إن هؤلاء محبون الماجلة و يدرون وراءهم يوما ثقيلا) أى إن هؤلاء المشركين بالله يحبون الدنيا وتعجبهم زيتنها ، وينهمكون فى لذاتها الفانية ، ويدَّعُون خاف ظهررهم العمل لليوم الآخر ومالهم فيه النجاة من أهواله وشدائده .

والخلاصة ــــ لا تطع الكافرين واشتغل بالعبادة ، لأن هؤلاء تركوا الآخرة للدنيا، فاترك أنت الدنيا وأهلها للآخرة .

ثم نعى عليهم تركهم للمبادة ، وغلتهم عن طاعة بارثهم وموجدهم من المدم فقال :

(نحن خلقناهم وشددنا أشرَّهم) أى كيف يغنابون عنا ونحن الذين خلقناهم ، وأحكمنا ربط مفاصلهم بالعروق والأعصاب ، أفبعدهذا نتركهم سدّى ؟.

ثم توعّدهم وهدّدهم فقال :

(و إذا شئنا بدّ لنا أمنالهم تبديلا) أى و إذا شنّنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجملناهم بدلاً منهم .

ونحو الآية توله: « إنْ يَشَأْ يُذَهِبْكُمْ أَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا» وقوله: « إِنْ يشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِحَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَاذَلِكَ عَلَى اللهِ يَوْرِنِرٍ» وقوله « عَلَى أَنْ نَبَدُّرَ أَمْنَاكُمُ » .

وقد جرت سنة الله بأن يزيل مالا يصلح للرق من خلته ، فهو يهلك هؤلا. وجدل أشلم فيجملهم مكانهم ، كما هى قاعدة بقاء الصلاح والأصلح ، وإهلاك ما لا يصلح للبقاء .

و بعد أن ذكر أحوال السمداء والأشقياء أوشد إلى أن في هذا الذكر تذكرة وموعظة للخلق، وفوائد جمة لمن ألتي سمه ، وأحضر قلبه ، وكانت نفسه مقبلة على ما ألتي إليه سممه ، فقال :

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى إن هذه السورة بما فيها من ترتيب بديع ، ونسق هجيب ، ووعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، تذكرة للتأملين ، وتبصرة للستبصرين ، فمن شاء الخير لفسه فى الدنيا والآخرة ، فليتقرب إلى ربه بالطاعة ، ويتبع ما أمره به ، وينته عما نهاه عنه ، ليحظى بثوابه ، ويبتعد عن عقابه .

(وماتشا، ون إلا أن يشاء الله) أى وماتشا، ون اتخاذ السبيل الموصلة إلى النجاة ولا تقدرون على تجميلها إلا إذا وفقكم الله لا كتسابها، وأعدكم لنياها، إذ لادخل لمشيئة السبد إلا في الكسب ، و إنما التأثير والحلق لمشيئة الله عز وجل ، فشيئة العبد وحدما لا تأتى بخير، ولا تدفع شرا ، و إن كان يثاب على المشيئة الصالحة ، ويؤجر على قصد الحيركا في حديث : « إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل أمرى ما نوى » .

(إن الله كان عليها حكيها) أى إن الله عليم بمن يستحق الهداية فييسّرها له ، ويقيّض له أسبابها ، ومن هو أهل المَوابة ، فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامنة .

(يدخل من يشاء في رحمته) فيهديه و يوفقه للطاعة بحسب استمداده .

(والظالمين أحدٌ لهم عذابا أليمًا) أى واقدين ظلموا أنسمهم فمانوا على شركهم ، أعدٌ لهم فى الآخرة عذابا مؤلما موجما ، هو عذاب جينم و بئس للصير .

نسأل الله أن يجملنا من الأبرار ، والقربين الأخيار ، و يجل سعينا مشكورا لديه.

ماتضمنته السورة من المقاصد

اشتملت هذه السورة الكرعة على أربعة مقاصد:

- (١) خلق الإنسان .
- (٢) جزاء الشاكرين والجاحدين .
 - (٣) وصف الجنة والنار .
- (٤) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وذكر الله والتهجد بالليل .

سيمورة المرسلات

هى مكية إلا آية : ﴿ وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْ كَنُوا لاَيَرْ كَنُونَ ﴾ فدنية . وعدد آمها خسون ، نزلت بعد سورة الْهيَزْة .

ومناسبتها لما قبلها -- أنه هنا أقسم على تحقيق مانضمنته السورة قبلها من وعيد الفجار، ووعد للؤمنين الأبرار .

بِسْمِ اللهِ الرُّحْنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَسَلاَتِ عُرْفًا (١) فَالْمَاصِفَاتِ عَصْفًا (٧) وَالنَّاشِرَاتِ الْمُرْرِاتِ الْمُرْرِاتِ الْمُرَارِ) وَالنَّاشِرَاتِ الْمُرَارِ (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا(٢) أَنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَمُ اللَّهِ اللَّهُ وَمُ اللَّهِ اللَّهُ وَمُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُوالِلَّالِي اللَّهُ اللْمُعُلِي الْمُعَالِمُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْفِي الْمُنْ

شرح المفردات

المرسلات: هم الملائكة الذين أرسلهم الله لإيصال التعمة إلى قوم، والنقمة إلى الخرين ، عُرفا : أى المسروف والإحسان ، والعاصفات : أى المبعدات المباطل كا تهمد العواصف التراب والتبن والهباء ، والناشرات : أى الناشرات لأجنحتهن عند نزولهن إلى الأرض ، فالفارقات فرقا : أى فالفارقات بين الحق والباطل ، فالملقيات فركاً : أى فالم والحكمة إلى الأنبياء، عذراً أو نذراً : أى للإعذار والإنذار،

من قولهم : عذره إذا أزال الإساءة ، وأنذر إذا خوّف ، طمست : أى محقت وذهب ورها ، فُرِ جت : أى فتحت وشقت ، نُسفت : أى اقتلت من أما كنها بسرعة من قولهم : انتسفت الشيء إذا اختطفته ، أقتت : أى عين لها الوقت الذي تحضر فيه للشهادة على أيمها ، أجَّلت : أى أخرت وأمهلت ، الفصل : أى الفصل بين الخلائق بأعملهم : إما إلى الجنة ، و إما إلى النار ، ويل : أى عذاب وخزى .

المعنى الجملي

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ، منهم المرسلون إلى الأنبياء بالإحسان والممروف ليبلغوه للناس ، ومنهم الذين يصفون ماسوى الحق ويبعدونه كا تبعد المواصف التراب وغيره ، ومنهم الذين ينشرون آثار رحته في النفوس الحية ، ومنهم الماتين يغرقون بين الحق والباطل ، ومنهم الملقون العلم والحكمة للإعذار والإنذار من الله — إن يوم القيامة لاريب فيه ، وحين تمحق أنوار النجوم ، وتشفق الساء، وتنسف الجبال ، ويبين المرسل الوقت الذي يشهدون فيه على أنمهم ، ويفصل بين الخلائق إنان المرض والحساب يكون الخزى والمذاب السكافرين المكذبين .

الإيضاح

(والمرسلات عرفا) أى أقسم بملائكتى الذين أرسلتهم بالإحسان والمعروف ، ليبلغوه أنبيائى ورسلى ه

(فالماصفات عصفا) أى فالملائكة المبيدين للباطل بسرعة كما تسصف الرجح النزاب والهياء .

(والناشرات نشرا) أى والملائكة الذين ينشرون آثارهم فى الأم والنفوس الحية . (فالفارقات فرقا) أى فالملائكة النازلين بأمر الله للفرق بين الحق والباطل ، والهدى والذي ّ .

(فالملقيات ذكراً. عذراً أو نذراً) أى فالملائكة الملقيات إلى الوسل وخياً فيه إعذار إلى الخلق ، و إنذار لهم بعقاب الله إن هم خالفوا أمره .

(إن ماتوعدن لواقع) أى أقسم بهذه الأنسام إن مارُعدتم به من قيام الساعة لـكائن لامحالة

(فإذا النجوم طمست) أى فإذا ذهب ضوء النجوم ، ونحو الآية قوله : ﴿ وَ إِذَا النَّجُومُ انْسَكَدَرَتْ ﴾ .

(وإذا السماء فُرجت) أى وإذا السماء انفطرت ونشقت ، وهذا كقوله : * وَفُتُوحَتِ السَّمَاء فَكَانتُ أَبْوَابًا » وقوله : «إذَا السَّمَاه انْشَقَّتْ » وقوله: * وَيَوْمَ، ثَقَقُّقُ السَّمَاء بِالنَّمَام » .

(و إذا الجبال نسفت) أى و إذا الجبال فرقتها الرياح ، فلم ببق لها عين ولا أثر، وهذا كقوله : ﴿ وَيَشْأَلُونَكَ عَن الجْبَالِ فَقَلُ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَشْفًا » .

(و إذا الرسل أُقَتَّت) أى و إذا جمل للرسل وقت للفصل والقضاء بينهم و بين الأم ، وهذا كقوله : « يَوْمَ بَجْمَعُمُ اللهُ الرُّسُلَ »

(لأى "يوم أجَّلت؟) أى و يقال حينئذ : لأى يوم أخِّرت الأمور المتعلقة بالرسل من تعذيب الكفار و إهانتهم ، وتنعيم المؤمنين ورعايتهم ، وظهور ما كانت الرسل تذكره من أمور الآخرة وأحوالها ، وفظاعة أهوالها .

والمراد بهذا تهويل أمر هذا اليوم وتعظيم شأمه ؛ كأمه قيل : أي يوم هذا الذي أَجُّل اجتماع الرسل إليه ؟ إنه ليوم عظيم .

نم بين ذلك اليوم فقال:

(ليوم الفصل) أى ليوم يفصل الله فيه بين الخلائق ، وهو اليوم الذى أجَّل اجتماع الرسل له .

(وما أدراك مايوم الفصل ؟) أى وما أعلمك بيوم الفصل وشدته وعظيم أهواله؟

ثم صرح بالمراد وأبان من سيقع عليهم النكال والوبال حينئذ فقال :

(ویل بومئذ للمکذبین) أی عذاب وخزی لمن کذب بالله ورسله وکتبه و بکل ماورد علی السنة أنبیائه و أخبروا به .

أَلَمْ نُهُكِ الْأُولِينَ (١٦) مُمَّ تُنْيِمُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٧) كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) أَلَمْ نَحْلُقُ كُمْ مِنْ مَلِهُ مَا لُمُنْ فَعَلَمُ اللّهُ مِنْ (١٩) أَلَمْ نَحْلُومُ (٢٧) مَا فَجَمَلْنَاهُ فِي فَرَارِ شَكِينِ (١١) إِلَى قَدَرِ مَفْلُومِ (٢٧) فَقَدَرْنَا فَيْمِ الْقَادِرُونَ (٢٧) وَ يُلُ يَوْمَتُلِذِ لِلْلُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْمَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا (٢٥) أَحْبَاء وَأَمُواتَنَا (٢٦) وَجَمَلْنَا فِيها رَوَامِي شَا خِنَاتٍ وَأَمْواتَنَا (٢٦) وَ يَتَمَلِدُ لِلْلُكَذِّبِينَ (٢٤) .

شرح المفردات

من ماه مين : أى من نطقة قذرة حقيرة ، فى قرار مكين : أى فى الرحم ، إلى قدر معلوم : أى إلى مقدار معيَّن من الوقت عند الله ، نقدرنا : أى على خلقه وتصويره كيف شئنا ، والكفات : ما يكفت ، أى يضم و يجمع ، من كفت الشىء: إذا ضمه وجمعه ، وأنشد سيبويه :

كرام حين تنكفت الأفاعى إلى أجحارهن ّ من الصقيع روامى : أى جبالا ثوابت ، شامخات : أى مرتفعات ، فراتا : أى عذبا .

المعنى الجملي

بعد أن حذر الكافرين وخوتهم بأن يوم الفصل كأثن لا محالة ، وأقسم لهم بملائكته القريين ورسله الطاهرين بأنه يوم سيكون، وأن فيه من الأهوال مالايدرك كنه إلا علام النيوب -- أردف ذلك بتخويفهم بأنه أهلك الكفار قبلهم بكفرم فإذا سلكتم سبيلهم فستكون عاقبتكم كماقبتهم ، وستمذبون في الدنيا والآخرة ، ثم أعقبه بتخويفهم بنكران إحسانه إليهم ، فإنه قد خلقهم من ماه مهين في قرار مكين إلى زمن معلوم ، ثم أنشأهم خلقا آخر ، وجعل لهم السع والأبصار والأفئدة ، ليشكروا نعم الله عليهم الأرض وجعلها تضمهم أحياه وأمواتا ، ثم ذكرهم بنعمه في الآفاق ؛ إذ خلق لهم الأرض وجعلها تضمهم أحياه وأمواتا ، وجل فيها الجيال لئلا تميد بهم وجعل فيها الأنهار والعيون ، ليشر بوا منها ماه عذبا ولاً أو الله أنه فويل لمن كفر بهذه المنعم العقام .

الإيضاح

(ألم نهلك الأولين؟) أى ألم نهلك من كذب الرسل قبلسكم، ونعذبهم فى الدنيا بشتى أنواع العذاب ، خارة بالنرق كا حدث لقوم نوح ، وأخرى بالزلزال كما كان لقوم لوط إلى أشباه ذلك من المثلاث التى حلت بالأم قبلسكم ، جزاء لهم على قبيح أعمالهم وسيئ أضالهم ، و إن سنننا فى المسكذبين الاتبديل فيها ولا تغيير ، فاحذروا أن محل بكم مثل ماحل بهم ، وتندموا ، ولات ساعة مندم .

(ثم نقبعهم الآخرين) أى ثم نحن نصل بأمثالهم من الآخرين ، ونسلك بهم سبيلهم لأنهم فعلوا مثل أفعالهم .

وفي هذا من شديد الوعيد لأهل مكة ما لا يخني .

تم ذكر الحكمة في إلحاقهم بهم فتال:

(كذلك نفعل بالمجرمين) أى إن سنتنا في جميع المجرمين واحدة ، فكما أهلكنا المتقدمين لإجرامهم وتكذيبهم — نفعل بالتأخرين الذين حذوا حذوهم ، واستنوا سنتهم ، فسنننا تجرى على وتيرة واحدة .

(و يل يومئذ للمكذيين) أى هؤلاء و إن عذبوا فى الدنيا بأنواع من العذاب ، فالطامة المكبرى مُمَدَّة لهم يوم القيامة ، والتكرير التوكيد شائع فى كلام العرب كما تقدم فى سورة الرحمن .

وقال الفرطبي : كور الويل في هذه السورة عندكل آية لمن كذب بشيء ، لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فجل لكل مكذب بشيء عذابا سوى عذابه بتكذيب شيء آخر اه

ثم ذكّرهم بجزيل نمه عليهم فى خلقهم وايجادهم مما يستدعى جزيل شكرانهم فقال :

(ألم نخلقكم من ماء مهين . فجملناه في قرار مكين . إلى قدر سعلوم . فقدرنا فضم التقادرون ؟) أى ألا نسترفون بأنسكم خلقتم من نطقة مذرة منتنة وضمت في الأرحام إلى حين الولادة ، ونحن قد قدرنا ذلك فدم للقدرون ، إذ خلفنا كم في أحسن الصور والهيئات - أفلا يستحق ذلك الخالق منكم الشكران لا المكفران والاعتراف بوحدانيته و إرساله للرسل والإقرار بالبعث ؟ لكنكم كفرتم أنفته ، وتكلتم عن الاعتراف بوحدانيته ، وعبدتم الأصنام والأوثان ، وأنكرتم يوم الفصل والجزاء ، فسترون في هذا اليوم عاقبة ما اجترحتم .

(و یل یومئذ للکذبین) أی خزی وعذاب لمن کذب بهذه للنن العوالی . و بعد أن ذكّرهم بالنعم التی أنعم بها علیهم فی الأنفس — ذكرهم بما أنعم علیهم فی الآفاق ، وأرشد إلی أمور ثلاثة : (1) (ألم نجمل الأرض كفاتا. أحياء وأمواتا؟) أى ألم نجمل الأرض مهاداً
 لكم، فتكفتكم وجمعكم فيها أحياء على ظهرها، وأموانا فى بطنها، فالأحياء يسكنون فى منازلهم، والأموات يدفنون فى قبورهم.

خرج الشمبي فى جنازة فنظر إلى الجبّان فقال : هذه كفات الأموات ، ثم نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء .

وكانوا يسمون بقيم الفَرْقد (مقبرة المدينة) كفتة لأنه مقبرة تضم الموتى .

 (۲) (وجملنا فیها رواسی شامخات) أی وجملنا جبالا ثوابت عالیات علی ظهرها ، اثلا تمید بکم .

وهذه الجبال متصلة بالطبقة الصوّانية التي هي أبعد طبقات الأرض عن سطحها وقلك الطبقة تضم في جوفها كرة النار المشتعلة التي في باطنها ، وظاهرها هذه القشرة التي نحن علمها .

(٣) (وأسقيناكم ماء فراتا) أى وأسقيناكم ماء عذبا فراتا تشر بون منه ، إما آتياً من السحاب الذى حفظته الجيال بارتفاعها ، و إما من العيون النابعات منه و بمدها الثلج الذى يذوب شيئا فشيئا فوق ظهر الأرض متنزلا إلى بطنها ، متجها إلى عيونها الجارية .

(ويل يومثذ للكذبين) أي عذاب عظيم في الآخرة لمن كفر بهذه النعم .

انْطَلَقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ ثُـكَذَّبُونَ (٢٩) انْطَلَقُوا إِلَى ظِلَّ ذِى اللَّاثِ شُمَّتِ (٣٠) لاَظَلِيلِ وَلاَ يُشْنِى مِنَ اللَّمَتِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرِ كَالْقَصْرِ (٣٧) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ شُفْرٌ (٣٣) وَ يُلٌ بَوْمَثَلِدِ لِلْمُكَذَّبِينَ(٣٤) هَذَا يَوْمُ لاَينْطِقُونَ (٣٥) وَلاَ يُؤْذَنُ لَمُمْ فَيَشْذَذِرُونَ (٣٣) وَ يُلُ يَوْمَثِلِدٍ

اِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفُصْلِ جَمَنْنَا كُمُّ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ اَكُمْ كَيْدُ فَكِيدُونِ (٣٩) وَ يُلْ يَوْمَثِذِ الْمُكَدِّبِينَ (٤٠) .

شرح المفردات

لاظليل: أى لايقى من حر الشمس ، والشرر: مايتطاير من النار ، كالقمر: أى كالدار الكبيرة الشيدة ، جالة : واحدها جل ، فكيدون : أى فاحتالوا على ؟ مقال : كدت فلانا إذا احتلت عليه .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أن المكذبين بالله وأنبيائه واليوم الآخر العذاب في يوم الفصل والجزاء — بين هنا نوع ذلك العذاب بما يحار فيه أولو الألباب ، ويخر من هوله كل تُحبت أو اب ، فأخبر بأخبم يؤمرون بالانطلاق إلى ما كانوا يكذبون به في الدنيا ، إلى ظل دخان جهم المتشعب لكثرته وتفرقه إلى ثلاث شعب عظيمة ، وهو لا يظلم ولا يمنع عنهم حر اللهب المتكون من نار ترمى بشرر ، كا أنه القصر المشيد علوا وارتفاعا ، وكا أنه الجال الصفر انبساطا ونفرةا عن غير أعداد محصورة ، وحركة غير معينة .

ولا شك أن هذا تشبيه على ما تعهده العرب إذا وصفت الأشياء بالعظم ، ألا تراهم يشهون الناقة العظيمة بالقصركما قال :

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فَدَن لأقفى حاجة المتاوّم

ثم أخبر بأن الويل للمكذبين بهذا اليوم ، يوم لاينطقون من شدة الدهشة والحيرة ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار فيمتذرون ، يوم يجمع الله الأولين والآخر بن فى صعيد واحد ، و يقال لهم على سبيل التأنيب والتقريع : إن كنتم تستطيعون أن تدفعوا عن أنفسكم شيئا من العذاب فهلتوا .

الإيضاح

(انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أى يقول لهم خزنة جهنم حينئذ : اذهبوا إلى ما كنتم تكذبون به من المذاب فى الدنيا .

ثم بين هذا المذاب ووصفه بجملة صفات:

- (۱) (انطلقوا إلى ظلّ ذى ثلاث شمب) أى انطلقوا إلى ظل دخان جهنم المتشعب إلى ثلاث شمب: شعبة عن يمينهم ، وشعبة عن شمالهم ، وشعبة مر فوقهم ؛ والمراد أنه محيط بهم من كل جانب كما جاء فى الآبة الأخرى : «أحاط بهمْ سُرَادقُهاً » .
 - (٣) (الاظليل) أي ليس بمظل علا يقي من حر ذلك اليوم .

وفى هذا تهكم بهم ، ونغى لأن يكون فيه راحة لهم ، و إيذان بأن ظلهم غير ظل المؤمنين .

 (٣) (ولايغنى من اللهب)أى ولايدفع من حر النار شيئا ، لأنه فى جهم فلا يظلهم من حرها ، ولا يسترهم من لهيها كما قال فى سورة الواتية : « في سمو م وَحَجِم ، وَظِلْرٌ مِنْ يَحْمُوم ، لا بَارِدٍ وَلا كَرْ يَم يَم .

تم وصف النار التي تحدث هذا الفلل من الدخان فقال :

(إنها ترمى بشرر كالقصر. كا نه جالة صفر) أمى إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق فى جهات كثيرة كا نه القصر عظها وارتفاعا ، وكا نه الجال الصفر لونا وكثرة وتتابعا وسرعة حركة .

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليومالذي لايجدون فيه لدفعالمذاب عنهم محيصا .

ثم وصف اليوم الذي فيه المذاب نقال :

(هذا يوم لاينطقون . ولا يؤذن لهم فيمتذرون) أى هذا يوم لا يتكلمون من الحيرة والدهشة ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار ، لأنه ليس لديهم عــــذر صحيح ، ولا جواب مستقيم .

وقد يكون المراد -- إنهم لاينطقون بما يفيد فكأ نهم لاينطقون ، وتقول العرب لمن ذكر ما لايفيد : ماقلتَ شيئا

(و يل يومئذ للمكذبين) بما دعتهم إليه الرسل ، فأنذرتهم عاقبته .

(هذا يوم الفصل) أى هذا يوم بمصل فيه بين الخلائق ، ويتميز فيه الحق من الهاطل ، فيؤتى كل عامل جزاء عمله من تواب وعقاب ، ويفصل بين العباد بعضهم مع مدض ، فيقتص من الظالم للمظلوم ، وترد له حقوقه .

ثم بين كيف يكون الفصل فقال: ٦

(جمعناكم والأولين) أى جمعنا بينكم وبين من تقدمكم من الأم فى صعيد واحد ليمكن الفصل بينكم، فيقفى بهذا على هذا ، ولولا ذلك ما أمكن إذ لايقفى على غائب .

(فإن كان لسكم كيد فكيدون) أى فإن كان لسكم حيلة فى دفع المذاب علكم فاحتالوا ، لتخلصوا أنفسكم من العذاب .

وفى هـــــــذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا ، وإظهار اسجرهم وقصورهم حيثنذ .

(و يل يومئذ للمكذبين) بالبعث لأنه قد ظهر لهم عجزهم و بطلان ما كانوا عليه في الدنيا .

إِنَّ النَّقْيِنَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونِ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤١) كُلُوا وَاشْرَبُوا مَنِيثًا مِمَا كُنْتُمْ ۚ تَسْتُلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُصْيِنِينَ (٤٤) وَيْلُ يَوْمَئِذِ لِلْمُكَذَّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَمَمَّتُوا فَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِيُونَ (٢٠) وَ يْلُ يَوْمَئِذِ لِلْمُكَذَّبِينَ (٧٧) وَإِذَا فِيلَ لَمُمُ أَوْ كَثُوا لاَيَرَ كَثُونَ (٤٨) وَ يْلُ يَوْمَئِذِ لِلْمُكَذَّبِينَ (٤٩) فَبِأَى ّحَدِيث بَنْدَهُ مُؤْمِنُونَ ؟ (٠٠) .

شرح المفردات

ظلال: واحدها ظل، وهو أعم من الغ ' ؛ فإنه يقال ظل الليل وظل الجنة ، ولحكل موضع لم تصل إليه الشمس ، ولا يقال في لا أذالت عنه الشمس ، ويعبر بالظل أيضا عن الرفاهية ، وعن العزة ، وعيون: أى أنهار، اركموا : أى صلوا، حديث : أى كلام .

المعنى الجملي

بعد أن بيَّن سبحانه مابحل بالكفار من الخزى والنكال يوم القيامة — أعقبه بذكر ما يكون للمؤمنين من السمادة والكرامة حينئذ، فهم يكونون فى ترف ونعيم و يأكلون فواكه بما يشتهون ، و يقال لهم :كلوا واشر بوا هنيئا بما قدمتم فى الأيام الخالية ، وهذا جزاءكل محسن لعمله .

ثم خاطب المُـكذبين مهدِّدا لهم فقال : ﴿ كُلُوا ۚ وَتَمَتَّمُوا قَلِيلاً ﴾ ولا نصيب لـكم في الآخرة ، لأنكم كافرون .

ثم ذكر أن الكفار إذا أمروا بطاعة الله والخشوع له أبوا وأصروا على ماهم عليه من الاستكبار فويل لهم مما يسلون ، و إذا لم يؤمنوا بالقرآن والنبي الذي جامبه مع تظاهر الأدلة على صدقه ، فبأى كلام بعده يصدقون ؟

الإيضاح

(إن التتين في ظلال وعيون) أى إن التقين في ظلال ظليلة ، وكن كنين ، وعيون وأنهار، أى في ظلال الأشجار وظلال القصور ، فلا يصيبهم أذى حرّ ولاقر"، بخلاف السكافرين فإنهم في ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولا بغنى من اللهب كما تقدم .

ونحو الآية قوله فى سورة بس : « هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَل عَلَى الْأَرَالِكِ مُشَّكِئُونَ » .

(وفوا كه نما يشتهون) أى ولديهم فواكه يأكلون منها كملا اشتهت نغوسهم لايخافون ضرها ولا عاقبة مكروهها .

(كلوا واشر بوا هنيثاً بما كنتم تصاون) أى ويقال لهم : كلوا أيها الأبرار من هذه الفواكه ، واشر بوا من هذه الميون كما شثتم أكلا هنيثا خالص اللذة ، لايشو به ستم ولا يكدره تنفيص ، وهو دائم لكم لايزول ولا يورثكم أذى فيأ بدائكم جزاء بما عملتم في الدنيا من طاعة الله ، واجتهدتم فيا يقر بكم من رضوانه .

(إنّا كذلك نجرى المحسنين) أى إناكا جزينا هؤلاء للتمين بما وصفنا من المجزاء على طاعتهم إيّانا فى الدنيا — نجرى أهل الإحسان لطاعتهم وعبادتهم لنا ، فلا نضيع له أجرا ، كما قال : « إنّا لا تُضيعُ أُجْرَ مَنْ أَحْسَنَ تَصَلّا » .

(و يل مِومئذ للمكذبين) أى و يل للذين يكذبون ما أخبرالله به من تكريم هؤلاء المقين بما أكرمهم به مِوم القيامة .

ثم خاطب المكذبين مهدداً لهم فقال:

(كلوا وتمتموا قليلا إنكم مجرمون) أىكلوا بثية آجالكم، وتمتموا بثية أعماركم

وهى قليلة للدى ، وسنسآنٌ بكم سنة مَن قبلسكم من مجرى الأمم الخالية التي مُتعت إلى حين ، ثم انتقمنا منهم بكفرهم وتكذيبهم لرسلنا .

(ويل يومئذ للمكذبين) الذين عرضوا أغسهم للمذاب الدأثم بالتمتع القليل ، وكذبوا بما أخبرهم الله أنه فاعل بهم .

(و إذا قيل لهم اركموا لا يركمون) أى و إذا قيل لهؤلاء المكذبين اعبدوا الله وأطيموه واخشوا يوما تتقلب فيه الناوب والأبصار ، استكبروا وأصروا على عنادهم . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ثقيفًا بالصلاة ، فقالوا لا تحبوا (لا تركم) فانها سُبّة علينا ، فقال عليه السلام « لاخير في دن ليس فيه ركوع ولا سجود » .

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال : إنما يقال هـــذاً فى الآخرة حين بدُعوْن إلى السجود فلا يستطيمون ، من جرّاء أنهم لم يكونوا يسجدون فى الدنيا . (ويل يومئذ للمكذبين) بأوامر الله ونواهيه .

و بعد أن بالغ فى زجر الكفار بما تقدم ذكره ، وحث على الانقياد للدين الحق ختم السورة بالتمجيب من هؤلاء المشركين الذين لم يسمعوا نصيحة الداعى ، ولم يقبموا عظاته ، وما فيه رشدهم وصلاحهم فى آخرتهم ودنياهم فقال :

(فبأى حديث بعده يؤمنون؟) أى إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل على تجلّيها ووضوحها ، فبأى كلام بعد هذا يصدقون ؟

فالغرآن الحكريم جامع لأخبار الدارين ، مبين لأحوال النشأتين على بمط بديم تؤيده الحجج القاطعة ، وتدعمه البراهين الناطقة .

وقصارى ذلك — إن القرآن قد اشتمل على البيان الشافى والحق الواضح ، فما بالهم لايبادرون إلى الايمان به قبل القوت وحلول الموت ، وعدم الانتفاع بمسى ولعل وليت .

والحمد فله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله أجمين .

ما اشتملت عليه السورة الكريمة من المقاصد

حوت هذه السورة المقاصد الآتية :

- (١) الإخبار بأن يوم الفصل آت لاشك فيه ، وقد أكد ذلك بالقسم بملائكته الكرام .
 - (٧) وعيد الكافرين بأنه سيستن بهم سنة الأولين من المكذبين .
 - (٣) توبيخ المكذبين على نكران نع الله عليهم فى الأنفس والآفاق .
 - (٤) وصف عذاب الكافرين بما تشيب من هوله الولدان .
- (ه) وصف نسيم المتقين وما يلقونه من الكرامة فى جنات النسيم ، ويتخلل ذلك وصف خلق الإنسان والأرض والجبال ، وبيان عظمة الخالق وكال قدرته .
 - وصل ربنا على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم .

وكان الفراغ من مسودّة هذا الجزء بمدينة حلوان من أر باص القاهمة قاعدة الديار المصرية فى الثانى من ذى القمدة من السنة الخامسة والستين بعد الثالمائة والألف من الهجرة النبوية المباركة، فلله الحدوالمنة .

(11)

فوست سو

أهم المباحث العامة التي في هذا الجزء

البحث تمحيد الله نفسه وبيان أنه خالق الحلق والتصرف في الملك . نظام الجاذبية البديم بين أجرام الأرضين والسموات. الكواك زينة الساء الدنيا وسب لتكو "ن الأرزاق.

سؤال الزبانية للمشركين بقولهم: ألم يأتكم رسل ينذرونكم ؟ .

تهديد الشركين بأنه عليم عما يصدر منهم في السر" والعلن .

وصف النار عا تشيب من هوله الوادان .

تنبيه العباد على نعمه المتظاهرة عليهم.

٨

١.

11

14

10

في الحديث ﴿ إِنَّ اللَّهِ يَحْبُ العبد المؤمن المحترف ﴾ .	
تخويف الشركين بحاول العذاب بهمكا حل بمن قبلهم	17
ضرب المثل المبين لحالى الشرك والموحد .	14
الإنسان كنود لنعمة ربه .	77
أمره صلى الله عليه وسلم أن يقول للكافرين : هلاكى أو رحمتى لانجيركم من	44
عذاب الله ،	
خلاصة ماحوته هذه السورة .	70
الإ قسام بالقلم وما يسطر به من الكتب .	YY
ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما ولا امرأة .	44
تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى التشدد مع قومه الشركين.	۳٠
الكذب أس المعايب .	41
وعيد الكذاب النمام .	44
في أَى أرضُ كانت ألجنة التي ذكرت في الكتاب السكريم ؟ .	40
جزاء أصحاب الجنة على حرماتهم للفقراء .	**
كيف يسوسي بين المطيع والعاصي ؟ . ·	٤١
سدٌ طرق الحجاج على المُشركين .	73
تخويف للشركين بما في قدرته تعالى من القهر .	٤٤
ذكر الشبه الني ربمـا تكون مانعة لهم من قبول الحق .	٤٦

٨٤ ماماء من الأحادث في الإصابة بالمن .

المد

٨٤ ماتضمنته هذه السورة من موضوعات .

م بيان أن يوم القيامة حق لاشك فيه .

١٥ تفصيل مأتزل بكل أمة من العداب.

٣٥ الشهور أن الناس كلهم من سلائل نوح ودريته .

٤٥ تفاصيل أحوال يوم القيامة .

ع ماأعده الله لمن أعطى كتابه يمينه .

۱۹۵ مازمداه من أولى كتابه بشهاله وجزاؤهم .

ه مايتمناه من أولى كتابه شهاله وجزاؤهم.
 ۱۰ العرب تكن بالسعة والسبعين والسبعيانة عن الكثرة.

٩٠ العرب تكن بالسبعة والسبعين والسبه
 ٩١ تعظيم القرآن والرسول المنزل عليه

٧٢ محد صلى الله عليه وسلم لايستطيع أن بفتعل القرآن .

٩٢ - حد صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يعتمل الفرال
 ٩٤ - ماتضمنته هذه السورة الكرعة .

٦٦ كان الشركون غولون: ماهذا العذاب الذي غو"فنا به عجد ؟ .

٧٧ مقام القدس الإلمي سيد الدي عن مقام العباد .

بيانُ أن يوم القيامة آت بأهواله لاشك فيه .

٨٨ أمني الكافر الفداء بالعزيز أديه من مال وولد .

٧٠ المؤهلات التي توصل المرَّء إلى المراتب العلي .

٧٧ أثر عن السلف أنهم كانوا كثيرى الوجل والحوف من يوم القيامة .

٧٤ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدع المشركين وشأنهم حتى يأتى اليوم الموعود.

خرج الكافرون من الأجداث سراً عيسابق بعضم بعضا .
 خلاصة ماحوته هذه السورة الكريمة .

٧٨ إنذار توح لقومه وتخويفهم محاول المذاب بهم .

۷۹ تفصيل ماأنذرهم به .

٨٠ صلة الرحم تزيد في العمر .

٨١ - شكوى توخ لربه أنه أنذر قومه فعموه .

٨٣ وعد نوح لقومه بسعادة الدنيا والدين إذا آمنوا .

٨٥ توجيه أنظارهم إلى بدء خلقهم .

٨٦ تعداد النعم التي أنعم بها على الإنسان .

٨٧ الأصنام الني كانت تعبدها العرب.

٨٩ جزاء قوم نوح بالغرق على عصياتهم .

۹۱ مقاصد هذه السورة .

المقعة ال

به تسمية السور بأسماء تدعو إلى النظر والاعتبار .

ع ٩ ماجاء عن الجن من السمعيات الني لادليل عليها من العقل .

٩٦ الصاحبة تتخذ للحاجة إليها.

مقال الجن حين بعث عد صلى الله عليه وسلم .

١٠١ الحُصب والسعة في الرزق لا توجد إلا إذا وجدتُ الطمأ نينة والعدل ويزول الظلم.

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول الناس لاعلم له بميام الساعة .

١٠٩ الآية : فلا يظهر على غيبه أحداً ، تدل على إجال الكهانة والتنجم والسحر.

١٠٧ الرسول المرتضى يعلم بعض النيوب بالوحى . ٨٠٨ ماتضمنته هذه السورة .

١١٠ أول ماجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم خافه وظن أن به مسامن الجن.

١١١ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقيام الليل وبترتيل القرآن .

١١٢ كيفية عبيم الوحي .

١١٣ أمره صلى ألَّه عليه وسلم بمداومة الله كر والإخلاص في العبادة .

١١٥ حسن معاملة الناس .

١١٦ ألوان المذاب انى أعدت للكذبين .

١١٩ التخفيف من قيام الليل للأعدار التي تحيط بهم .

١٣١ مايقمل بعد الترخيص .

١٢٣ ماجاء في هذه السورة من أوامر وأحكام.

١٢٥ خوف النبي صلى الله عليه وسلم من اللك عند بدء الوحى .

١٣٦ ماقاله علماء الاجتماع في حكمة النظافة في البدن والثوب .

١٢٧ مايصادف الداعي للخير من العقبات .

١٢٩ ماقاله الوليد بن للفيرة حين صمع القرآن من النبي على الله عليه وسلم .

. ١٣٠ تهديد الوليد بن الفيرة .

١٣٢ ذكر ماسيفعل به يوم القيامة .

١٣٣ مااستنبطه الوليد من النرَّ هات والأباطيل .

١٣٥ ماقاله أبو جهل حين سمع قوله تعالى عليها تسعة عشمر

١٢٧ مايط جنود ربك إلا هو .

١٣٨ قال أبو جهل : أما نرب محمد أعوان إلا تسعة عشر ؟ .

١٤١ أسباب إعراض الشركين عن القرآن .

١٤٣ ماكان يقولهالنبي سلى الله عليه وسلم عند قراءته لآية: هوأهل التقوى وأهل للنفرة.

غيعة الم

١٤٦ ماقاله عدى بن ربيعة لما أخبر بيوم القيامة .

قال الفر"اء : مامن نفس بر"ة ولا فاجرة إلا تاوم نفسها .

دليل القدرة على جمع المظام وتأليفها وإعادتها إلى الوضع الأول .

١٤٨ علامات يوم القيامة . ١٤٩ يخبر المرء يوم القيامة بجميع ماعمل .

١٥١ تعليم الله رسوله كيف يتلقى الوحى .

١٥٢ تواترت الأحاديث الصحيحة برؤية المولى يوم القيامة .

١٥٤ الدليل على صحة البعث .

١٥٥ العرب تحذف من الكلام مايدل عليه .

١٥٧ ماقاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي جهل .

١٥٨ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إذا قرأ: أليس ذلك بقادر: سبحانك اللهم و بلى

١٣١ ماقاله علماء طبقات الأرض في وجود الإنسان على ظهر البسيطة .

الناس فريقان شاكر وكفور . ١٦١ الهداية لطريقي الحير والشر .

۱۹۳ ماأعده الله للشاكرين من شراب شهى ولباس بهى .

١٦٥ ومي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء .

١٦٦ القلب إدا سر استنار الوجه . ١٦٩ وصف شراب التقين وأوانيهم .

١٧٠ ماقاله المأمون ليلة زفافه ببوران بنت الحسن بن سهل .

١٧١ التحلي يختلف باختلاف العادات والطبائع .

١٧٧ مايلقاه السعداء من الكرامة كان جزاء لهم على أعمالهم .

١٧٤ أمر الرسول صلى آله عليه وسلم بالصبر على أذى قومه .

نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتباع الآثمين والكافرين .

١٧٩ جرت سنة الله بيقاء الأسلح وإهلاك ماعداء .

تخويف البكفار عِما حصل لمن قبلهم من البكفار المكذبين للرسل.

١٧٧ ماتضمنته السورة من القاصد .

١٧٩ أقسم الله سبحانه بطوائف من لللائكة إن ماوعدتم به حق .

١٨٣ تذكير الإنسان بالنعم التي تترى عليه .

١٨٦ وصف العذاب الذي بكون للكذبين بوم القيامة .

١٨٩ وصف ما يُكُون المؤمنين من السعادة والكراءة في هذا اليوم .

١٩٠ ماقاله النبي صلى الله عليه وسلّم لتقيف حين أمرهم بالسلاة .

الفرآن الكريم اشتمل على ألبيان الشافي والحق الواضح .

١٩١ مااشتمات عليه السورة الكريمة من القاصد .

تفشيخي المراغزي

مَا ُليث صاحب الفضيلة الأمستاذ السكبير

أحيمت طفى لمراغى أستنا ذالشربعة الإسلامية وللغرالعربية بحلية دارالف ومسابقا

الجزرالثلاثون

اراجييا والزات العَزلي بيّروت

الجزء الثلاثون

ســـورة النأ

هى مكية ، وعدد آيها أر بعون ، نزلت بمدسورة المعارج .

ومناسبتها لما قبلها من وجوه :

 (١) اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أن الكافر من كذبوا به .

(٣) أن في هذه وما قبلها تأنيبا وتقريعا للمكذبين، فهناك قال: ﴿ أَلَمْ عَمْلُمْتُكُمْ مَنْ
 مِنْ مَاه مَهِين » وهذا قال : ﴿ أَلَمْ ۚ مَجْمَلُ الْأَرْضَ عِهَادًا » .

 (٣) أَن في كل منهما وصف الجنة والنار وما ينهم به المتقون ، ويعذَّب به المكذون .

(٤) أن فى هذه تفصيل ما أجل فى تلك عن يوم الفصل ، فهناك قال : ﴿ لِأَيُّ يَوْمَ إِنَّجَلَتْ . لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَ اللَّهَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ » . وهنا قال : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا » إلى آخر السورة .

بسيمالله لرحموا لزحيم

عَمَّ بَنْسَاءُلُونَ (١) عَنِ النَّبَا الْمَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَمْ الْمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْ الْمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْسُلِ الْأَرْضَ مِهادًا (١) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَفْنَا كُوْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَمَلْنَا فَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٨) وَجَمَلْنَا النَّهارَ مَمَاشًا (١١) وَبَلَيْنَا فَوْفَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَمَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِن المُصرِاتِ مَا يَجَعَّاجًا (١٤) لِنُحْرِجَ بِهِجَا وَبَاتًا (١٥) وَجَمَانًا (٢١) .

شرح المفردات

عم": أى عن أى شىء ، يتساء لون : أى يسأل بعضهم بعضا ، والنيا : الخير الذى يُمنى به و يهتم بشأنه ؛ والمراد به خبر البعث من القبور والعرض على مالك يوم الدين ، كلا : كلة تفيد ردّ ما تقدم من الكلام ونفيه ، والمهاد : (بكسر الميم) والمهد في نحو قوله : « الذي جَمَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا » : المكان المهد المذلل ، والأوتاد : واحدها وتد ؛ وهومايد في والأرض ير بط إليه الحبل الذي تشد به الخيمة ، والأزواج : ويطلق على الذكر والأرش ، والسبات : (بضم الدين) قطع الحركة لتحصيل الراحة ، واللباس : ما يلبسه الإنسان ليستر به جسمه ويغطيه ، معاشا : أى وقتا لتحصيل أسباب المعاش والحياة ، سبعا شدادا : أى سبع سموات قوية محكة الافطور فيها ولا تصدّ ، والسراج : ما يضيء وينير ، والوهاج : المتلألئ ، والمراد به الشمس ، والمصرات : السحائب والنيوم إذا أعصرت : أى حان وقت أن تعصر به الشمس ، والمصرات : السحائب والنيوم إذا أعصرت : أى حان وقت أن تعصر

الماء فيسقط منها ، والتجاج : كثير الانصباب عظيم السيلان؛ والمراد به المطر، والنج : رفع سيلان دم الهدى ، وفي الحديث « أحب الهمل إلى الله الديج والديج : رفع الصوت بالتلبية ، والنج : إراقة دم الهدى ، والحب : مايقتات به الإنسان كالحفطة والشمير ، والنبات : ماتقتات به الدواب من التين والحشيش ، والجنات : واحدها تعقد ، وهي الحديقة والبستان فيه الشجر أوالنخل ، والجنات الأنفاف الأغصان، لتقاربها وطول أفنانها ، ولا واحد لها كالأوزاع والأخياف ، وقيل واحدها لف ركسر اللام وفتحها) وقال أبو عبيدة : واحدها لفيف كشريف وأشراف .

المعنى الجملي

كان اشركون كلا اجتمعوا في ناد من أنديتهم أخذوا يتحدثون في شأن الوسول وفيا جاء به ويسأل بعضهم بعضا ، ويسألون غيرهم فيقولون : أساحر هو أم شاهر أم كاهن أم اعتراه بعض آلهتنا بسوء ؟ ، ويتحدثون في شأن القرآن : أسحر هو أم شمر أم كهانة ؟ ويقول كل واحد ماشاء له هواه ، والرسول سائر قُدُما في تبليغ رسالته ، وأمامه مصباحه للنير الذي يفي الناس سبيل الرشاد ، وهو كتابه السكريم كا كانوا يتحدثون في شأن البث ، ويأخذ الجدل بينهم كل مأخذ ؛ فنهم من ينكرونه البتة ، ويزعون أنهم إذا مانوا انتهى أمرهم ، وما هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يها إلا الدهر ؛ ومنهم من كانوا يزعون أنهم إنما تبعث أرواحهم لا أجسامهم بعد أن تأكلها الأرض ، وتعبث بها يد البلى .

ور بما لتى أحدهم بمض من آمن بالنبى صلى الله عليه وسـلم فيسائله عن ذلك استهزاء وسخرية .

وفى هؤلاء وأشباههم نزلت هذه السورة ردًّا عليهم وتكذيبا لهم، و إقامة المحجة؛ على أن الله قادر على أن يبشهم بعد موتهم و إن صاروا ترابا ، أو أكتهم السباع، أو احتوتهم البحار فكانوا طعاما للسياك ، أو أحرقتهم النيران فطاروا مع الريح .

وقد ذكر لهم من مظاهم قدرته أمورا نسمة يشاهدونها بأعينهم لايخفى عليهم شهء منها :

- (١) انبساط الأرض وتمهيدها لتصلح لسير الناس والأنعام .
 - (٢) سموق الجبال صاءدة فى الجو ً .
 - (٣) تنوع الآدميين إلى ذكور وإناث .
- (٤) جمل النوم راحة للإنسان من عناء الأعمال التي يزاولها عامة نهاره .
 - (٥) جعل الليل ساترا للخلق .
 - (٦) جعل النهار وقتا لشئون الحياة والماش .
 - (٧) ارتفاع السموات فوقنا مع إحكام الوضع ودقة الصنع .
 - (A) وجود الشمس المنيرة المتوهجة .
 - (٩) نزول المطروما ينشأ عنه من النبات .

فكل ذلك داع لهم أن يعترفوا أن من قدر على كل هذا فلا تعجزه إعادتهم إلى النشأة الآخرة .

الإيضاح

(هم يتساءلون ؟) أى عن أى شيء يتساءل المشركون من أهل مكه وغيرهم ؟

روى عن ابن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيها بينها ، فمنهم المصدق ومنهم المكذب به ، فنزلت : عرّ يتساءلون .

ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله :

(عن النبإ العظيم . الذي هم فيه مختلفون) أى عن الحبر العظيم الشأن الذي المختلفوا في أحره ، فمن قائل إنه مستحيل كما حكى الله عنهم بقوله : « إنْ هِيَ إلا

حَيَانَنَا اللَّهُ نِيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا » ومن شاكِّر فيه بقوله : « مَانَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنَّا وَمَا تَحْنُ بُسُنَيْفِينِ َ » .

و إيراد الكلام بصورة السؤال والجواب أقرب إلى التفهيم والإيضاح ، وتثبيت الجواب فى نفس السائل كما جاء فى قوله : ﴿ لِمَنِ اللَّنْكُ النَّيْوَمُ ؟ ثِيْرِ الْوَاحِدِ النَّهَّالِ ٣. ثم أخذ سبحانه برد عليهم متوعدا لهم نقال :

(كلا سيملمون) أى ليس الأمركا يزعم هؤلاء المشركون الذين يذكرون البعث بد كرون البعث بمد للوت ، ثم توعدهم بأنهم سيملمون إذا ماعاينوا بأنفسهم حقيقة ما كانوا ينكرون ، وتنقطع عنهم الريبة ، حين يُسأل كل عامل مما عمل ، ويفصل بين الخلائق .

وقصاری ذلك _ فلیزدجروا مما هم فیه ، فإنهم سیملمون عما قلیل حقیقة الحال ، إذا حلّ بهم العذاب والنكال ، وأن مایتساءلون عنه ، و یضحكون منه حق لاشك فیه ولا ریب .

ثم أكد هذا الوعيد بقوله :

(ثم كلا سيملمون) وفي تكرير الزجر مع الوعيد إيماء إلى غاية التهديد .

ثم شرع يبين عظيم قدرته وآيات رحمته التي غفل عنها هؤلاء النكرون ، مع أنها بين أعينهم في كل حين فقال :

(١) (ألم نجمل الأرض مهاداً)أى كيف تتكرون أو تشكون فى البعث، وقد عاينتم ما يدل عليه من قدرة تامة ، وعم محيط ، وحكمة باهرة تقتضى ألا يكون ماخلق من الخلق عبثا، فمن ينعم بهذه النعم لابهملها سدى .

انظروا إلى الأرض التي جعلت ممهدة موطأة للناس والدواب ، يقيمون عليها و يفترشونها و ينتفعون بخيراتها الظاهرة والباطنة .

- (٢) (والجبال أوتادا) أى وجسلنا الجبال لها كالأوتاد كى لا تميل بأهلها ،
 وتضطرب بسكانها ، ولولاها لكانت دائمة الاضطراب لما فى جوفها من المواد الدائمة الجَيْشَان ، فلا تتم الحكمة فى كونها مهادا لهم .
- (٣) (وخلقنا كم أزواجا) أى وجعلنا كم أصنافا ذكورا و إناثا ، ليتم الائتناس
 والتماون على سعادة الميشة ، وحفظ النسل وتكيله بالتربية والتعليم .

ونحو الآية قوله : « وَمِنْ آ يَانِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُ ۚ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَمَلَ بَهْنَـكُمْ مَوَرَّةً وَرَّجُهَ ۗ » .

- (٤) (وجملنا نُومكم سبانا) أى وجملنا نومكم فى الليل قَطْما المتناعب التى تَكابدونها فى النها المتناعب التى تكابدونها فى النهار ، مسيًا فى تحصيل أمور الماش؛ فالمشاهد أن فى نوم بضع ساعات فى الليل راحة للقوى من تعبها ، ونشاطا لها من كسلها ، وإعادة لما فقد منها ، ولولا ذلك لنفدت القوى ، وانقطع للرء عن العمل فى شئون الحياة المختلفة .
- (ه) (وجملنا الليل لباسا) أى وجملنا الليل بظلامه سائرا للأجسام ومغطياً لما كاللباس الذي يفطى الجسم ويستره . ووجه المنة في ذلك أن ظلمته تستر الإنسان عن الميون إذا أواد هر با من عدو، أو إخفاء لما لايحب أن يطلع عليه غيره، ولله در التنه، :

وكم لظلام الليل عندك من يد تُحَيِّر أنَّ المانَويَّة تكذب (١)

- (٦) (وجعلنا النهار معاشا) أى وجعلناه وقتا لتحصيل أسباب المعاش ، ألن الناس يتقلبون فيه في حوائجهم ومكاسبهم .
- (٧) (و بنينا فوقكم سبعا شدادا) أى سبع سموات قوية الأشر ، محكمة النسج والوضم ، لايؤثر فيها كر النداة ولاس العشى ، ليس بها تصدّ ع ولا فطور .
- (A) (وجملنا سراجا وهاجا) أى وأنشأنا الشمس سراجا متلألثا بالنا الشاية
 ف الضوء والحرارة .

⁽١) المانوية : طائفة تعتقد أن الحير من النهار والصر من البل .

وقد جعل الله في هذا الكوكب سر الحياة ؛ فالحرارة والضوء يطردان الأمراض و يُنششان كل حى ، ولا أدل على هذا بما نشاهد من فتك الأمراض بمن يكون بمتأى عن ضوئها وحرارتها ، والجرائم لاتتوالد إلاحيث محتجب عنهما السكان ، و يبتعدان عن المكان .

(٩) (وأنزلنا من المصرات ماء ثجاجا) أى وأنزلنا من السحائب والنميوم
 التي تنحلب بالمطر ماء كثير السيلان، عظيم الانصباب.

ثم بين عظيم نفع الماء وجليل فائدته فقال:

(لنخرج به حبا ونبانا . وجنات ألفاظ) أى لنبدل بوساطته جدب الأرض خصبا ، فنخرج من الأرض حبًا يقتات به الناس كالحنطة والشمير ، ونبانا تقتات به الدواب ، وحدائق ذات أغصان ملتغة .

وقد جمع الله في هذه الآية جميع أنواع ماتنبته الأرض، فإن مايخرج منها إما أن يكون ذاساق أولا ؛ والأول إذا اجتمع بعضه إلى بعض وكثر حتى التف فهو الحديقة ؛ والثانى إما أن يكون له أكام فيها حب، و إما أن يكون بغير ذلك وهو النبات، وقدّم الحب لأنه غذاء أشرف أنواع الحيوان وهو الإنسان، وأعقبه بذكر اللبات، لأنه غذاء بقية أنواع الحيوان، وأخر الحداثق لأن الفاكهة بما يستفى عنها الكثير من الناس.

وقال الفرَّاء : الجنة مافيه النخيل ، والفردوس مافيه الكرم .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُثْفَتِ فِي الصُّورِ فَتَأْنُونَ الْمُورِ فَتَأْنُونَ أَفُواجًا (١٨) وَصُيِّرَتِ الْجِبَالُ أَفُواجًا (١٨) وَصُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ مِرْصَادًا (١١) لِلطَّاغِينَ مَا بَّا(٢٢) لَا لَكُنْ مَنْ مَا مَّا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَا بَّا (٢٧) لِالطَّاغِينَ مَا بَّا (٢٧) لِاللَّهِينَ مَا بَا (٢٤) لِلاَّ مَمِياً لَا يَعْنِي فِيها أَخْفًا بَا (٢٤) لِلاَّ مَمِياً

وَغَسَّاقًا (٢٠) جَزَاء وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لاَيَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءً أَحْسَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَرِيدَكُمُ إِلاَّ عَذَابًا (٢٨) .

شرح المفردات

يوم الفصل: هو يوم القيامة ، وسمى بذلك لأن الله يفصل فيه بمحكه بين الخلائق ، ميقاتا : أى حدًّا نتتهى عنده الدنيا ، والصور فى الأصل: البوق الذي ينفخ فيه فيحدث صوتا ، وقد جرت عادة الناس إذا سمعوه أن يُهرعوا إليه و يجتمعوا عند النافخ ، والأفواج : واحدها فوج وهو الجاعة ، وفتحت الساء : أى انشقت وتصدحت ، وسيرت الجبال : أى زالت من أما كنها وتفتت صخورها ، سرابا : أى كالسراب ، فهى بعد تفتها ترى كأنها جبال وليست بجبال ، بل غبارا متراكا كا، للرصاد : موضع يرتقب فيه خزنتُها الستحقين لها ، الطاغين : أى الذين طفوا في غالقة ربهم وممارضة أوامره ، والآب : الرجع ، الابثين : أى مقيمين ، أحقابا ، واحدها حُتُب ، وواحد الحقب حِقْبَة : وهى مدة مبهمة من الزمان . قال متشم ابن نُويرة :

وكنا كندمانى جَذِيمة حِقْبة من الدهم حتى قيل لن نصدعا
فلما تفرّقنا كأنى ومالكا لطول اجتاع لم نبت ليلة مما
والبرد: برد الهواء، وقد يراد به النوم، ومن أمثالهم «منعالبردُ البردَ» أى أصابه
من شدة البرد مامنعه النوم، ولا شرابا : أى شرابا يسكن عطشهم و يزيل الحرقة
عن بواطنهم، والحيم : للماء الحار المُفلَى ، غساقا : أى قيحا وصديدا وعرقا دائم
السيلان من أجساده، وفاقا : أى وفق أعالهم السيئة، لا يرجون : أى لا يتوقون،

حسالا : أى محاسبة على أعمالهم ، أوثواب حساب ، كذَّابا : أى تكذيبا ، وقرى ً بالتخفيف بمنى كذبا ، وعليه قول الأعشى :

> فصدَّفْتُهَا وكذَ بُتُهَا والمرء ينفعه كِذَابه * كتاها : أي إحصاء بالكتابة .

المعنى الجملي

بعد أن نبه عباده إلى هذه الظواهم الباهرة ، ولفت أنظارهم إلى آياته القاهرة ، أخذ يبين ما اختلفوا فيه ونازعوا في إمكان حصوله وهو يوم الفصل ، ويذكر لهم بعض ما يكون فيه تخويفا لهم من الاستمرار على التكذيب بعد ما وضعت الأدلة واستبان الحق ، ثم أبان لهم أن هذا يوم شأنه عظيم ، وأمر الكائنات فيه على غير ماتهدون ، ثم ذكر منزلة المكذيين الذين جحدوا آيات الله واتخذوها هزوا ، وأن جهم مرجعهم الذي ينتهون إليه ، وأنهم سيقيمون فيها أحقابا طوالا لا مجدون شيئا الشراب إلا الماء الحار والصديد الذي يسيل من أجسادهم ، جزاء سي أعمالهم ، الشراب إلا الماء الحار والصديد الذي يسيل من أجسادهم ، جزاء سي أعمالهم ، إذ هم كانوا لا ينتظرون يوم الحساب ، ومن ثم افترفوا السيئات ، وارتكبوا مختلف المماصي ، وكذبوا الدلائل التي أقامها الله على صدق رسوله أشد التكذيب ، وقد أحصى الله كل شيء في كتاب عله ، ظم ينب عنه شيء صدر منهم ، وسيوفيهم أحصى الله كل شيء في كتاب عله ، ظم ينب عنه شيء صدر منهم ، وسيوفيهم جزاء ماصنموا ، وستكون له كلة الفصل ، فيقول لهم : « دُوقُوا فَأَنْ تَزِيدَ كُمْ الله عَذَانًا » .

الإيضاح

(إن يوم الفصل كان ميقاتا) أى إن يوم القيامة وقت وميعاد للأولين والآخرين يثابون فيه أو يعاقبون ، ويتمايزون فيه ويكونون مراتب ودرجات بحسب أعمالهم كما قال : « وَامْتَازُ وَا الْمُيوْمَ أَنَّهُمَا الْمُجْرِمُونَ » . وقد جعله الله حدا تنتهی عنده الدنیا ، وتجتمع فیه الخلائق ، لیری کل امری* ماقدمت بداه ، فیجازی المحسن بإحسانه ، و یعاقب المسیء بإسادته .

ثم بين هذا اليوم وزاد في تفخيمه وتهويله فقال :

(يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) أى يوم ينفخ فى الصور فتحيون وتبعثون من قبوركم وتأتون إلى الموقف من غير تلبث ، و إمام كل أمة رسولها كما قال سبحانه « يُومَ مَذُكُو كُلَّ أَنَاس بِإِمَامِهِمْ » .

(وفتحت السهاء فَكَانت أَبُوابا) أى وانشقت السهاء وتصدعت ، وقد جاء نحمو هذا فى آيات كثيرة كقوله : « إذا السَّما دانشقَتْ» ، وقوله : « إذَا السَّما َ دانْمَطَرَّتْ» وقوله : « وَ يَوْمُ مَشْقَقُ السَّماءَ بالنَّمَامِ » .

ذاك أنه يحصل اضطراب فى نظام الكواكب ، فيذهب التماسك بينها ، ولا يكون فيا يسمى سماء إلا مسالك وأبواب ، لايلتقى فيها شيء بشى. ، وذلك هو خراب العالم العلوى ، كا يخرب الكون السفلى .

(وسيرت الجبال فكانت سرابا) أى إن الجبال لاتكون فى ذلك اليوم على ثبانها المعروف ، بل يذهب ما كان لها من قرار وتعود كأنها سراب يرى من بعد ، فإذا قر بت منه لم تجد شيئا ، لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها .

والخلاصة — إنه سبحانه ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة ، فذكر أول أحوالها وهو الاندكاك بقوله : « رَحُولَتِ الأَرْضُ وَاخِبْالُ فَدَ كُنَّا وَ كُةَ رَاحِدَةً » ثَم ذكر أنها تصير كالعين المنفوش كا قال : « رَسَكُونُ الجِبْالُ كَالْمِينِ المَنفُوشِ » ثم ذكر أنها تصير هباه كا قال: «رَ بُسَّتِ الجِبْالُ بُسَّا. فَكَانَتْ هَبَاء مُنبَقًا » ثم ذكر أنها تنسف وتحملها الرياح كا جاء في قوله : « وَرَرَى الجِبْالَ تَحْسَبُهَا جَاءِ في قوله : « وَرَرَى الجِبْالَ تَحْسَبُهَا جَاء في قوله : « وَرَرَى الجِبْالَ تَحْسَبُهَا في هذه الآية .

و بعد أن عدّد وجوه إحسانه، ودلائل قدرته على إرساله رسوله، وذكر أن يوم الفصل بين الرسول وممانديه سيكون يوم القيامة، و بيَّن أهوال هذا اليوم، وامتياز شئونه وأحواله عن شئون أيام الدنيا وأحوالها — ذكر وعيد المكذبين و بيان مايلاقونه فقال:

(إن جهنم كانت مرصادا) أى إن دار المذاب وهي جهنم مكان يرتقب فيـــه · خزنتُها من يستحقها بسوء أعماله ، وخبث عقيدته وفعاله .

وروى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن أنه قال : لايدخل أحد الجنة حتى مجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا، و إلا احتبَس.

(الطاغين مآبا) أى إنها مرجع للذين طنوا وتكبروا ولم يستمعوا إلى الداعى الذي جاءهم بالهدى ونور الحق .

و بعد أن ذكر أن جهنم مستقرهم بيِّن مدة ذلك نقال :

(لابثين فيها أحقابا) أى إنهم سيمكثون فيها دهوراً متلاحقة يتبع بعضها بعضا فكلما انقضى زمن تجدد لهم زمن آخركما قال : « يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُمُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَاكُمُ مُخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُشِيْرٌ » .

تم بين أحوالم فيها فقال :

(لايذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلا حميا وغساقا) أى لا يذوقون فى جهنم بردا يبرد حر السمير عنهم إلا الفساق ، ولا شرابا برويهم من شدة العطس إلا الحميم ، فهم لا يذوقون مع شدة الحرما يكون فيه راحة من ربح باردة ، أوظل يمنع من نار ، ولا يجدون شرابا فيسكن عطشهم ، ويزيل الحرقة من بواطنهم ، ولكن يجدون المحاء الحار المُفكى ، وما يسيل من جاودهم من الصديد والقيح والعرق ، وسائر الرحوبات المستقذرة .

والخلاصة — إنهم لايذوقون فيها شرابا إلا الحيم البالغ الناية في السخونة ، أو الصديد المنتن ، ولا برداً إلا الماء الحار الغلَى . (جزاء وفاقا) أى إنه تعالى ينزل بهم شديد عقابه من جَراء أنهم أنوا بفظيع المعاصى ، فيكون المقاب وَفْق الدنب ومقداره كما قال : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةُ سَمَّنَةُ مِثْلُومًا ﴾ .

قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار. وقال الحسن وعكرمة :كانت أعمالهم سيئة فآناهم الله ما يسوءهم. و بعد أن بين على طريق الإجمال أن هذا الجزاء الذي أعد لهم كان وَفْقَ جُرُمهم — فصل أنواع جرائهم فذكر أنها نوعان فقال:

(١) (إنهم كانوا لايرجون حساباً) أى إنهم فعلوا من التبائح ما فعلوا ، واجترحوا من السيئات ماشاءت لهم أهواؤهم ، لأنهم ما كانوا ينتظرون يوم الحساب ولا يتوقعونه .

ورغبة المرء فى فعل الخيرات ، وترك المحظورات ، إنمــا تكون غالبا لاعتقاده أنه ينتفع بذلك فىالآخرة ، فمن كان منكرا لها لايقدم على شيء بما يحسن عمله ، ولايحبجم عن أصريما يقبح .

 (وكذبوا باياتنا كذابا) أى وكذبوا بجميع البراهين الدالة على التوحيد والنبوة وللماد و بجميم ماجاء في القرآن .

والخلاصة — إنهم أقدموا على جميع المنكرات ، ولم يرعووا عن فعل السيئات وأنكروا يقلوبهم الحق واتبعوا الباطل .

و بعد أن بين فساد أحوالهم العملية والاعتقادية – أرشد إلى أنها فى مقدارها وكيفيتها معلومة له تعالى لايغيب عنه شئ منها فقال :

(وكل شئ أحصيناه كتابا) أى إنا علمنا جميع ماعملوا علما ثابتا لايمتريه تفيير ولا تحريف، فلا يمكنهم أن يجحدوا شيئا مما كانوا يصنعون فى الحياة الدنيا حين يرون ما أعد لهم من أنواع العقوبات ، لأنا قد أحصينا مافعلوه إحصاء لايزول منه شئ ولا يغيب ، و إن غاب عن أذهانهم ونسوه كما قال : « أحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ » و إنمـا قيل (كتابا) دون أن يقال (إحصاء) لأن الـكتابة هى النهاية فى قوة العلم بالشئ ، فإن من يريد أن يحصى كلام متكلم حتى لاينيب منه شئ عمد إلى كتابته ، فكأنه تعالى يقول: «وكل شئ أحصيناه إحصاء يساوى فى ثباته وضبطه ما يكتب » .

و بمدأن بين قبائح أفعالهم لـكفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات — رثب عليه هذا الجزاء فقال :

(فَدُوقُوا فَلَنَ نَزِيدَكُمْ إِلَا عَذَابًا ﴾ أَى فَدُوقُوا ما أَتَّمَ فِيه مَن العَذَابِ الأَلْمِ ، فَلَنَ نَزِيدُكُمْ إِلَا عَذَابًا مِن جَنسه كَمَا قَالَ : ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكَلِيهِ أَزْوَاجٌ ﴾ .

روى قتادة عن عبد الله بن عمروأنه قال : لم ينزل على أهل النارآية أشد من هذه الآية ﴿ فَذُوقُوا مَلَنْ نَرْ يَدَ كُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ .

ذاك أن فيها تقر بما وتو بيخا لهم في يوم الفصل ، وغضبا من أرحم الراحمين ، وتيئيسا لهم من النفران .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَاثِقَ وَأَغْنَابًا (٣٣) وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا (٣٣) وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا (٣٣) وَكَأَسًا دِهَافًا (٣٤) جَزَاء مِنْ وَكِأَسًا دِهَافًا (٣٤) جَزَاء مِنْ وَبُهَا لَفُوّا وَلاَ كَذِّابًا (٣٥) جَزَاء مِنْ رَبِّكَ عَظَاء حِسَابًا (٣٦) .

شرح المفردات

مفازا: أى فوزا بالنعيم والثواب ، حدائق: أى بسانين فيها أنواع التمر والشجر وأعنابا: واحدها عنب ، وكواعب: واحدها كاعب ، وهى التى تهد ثدياها وتكعبا، والأتراب: واحدهن ترب ، وهى التى سنها من سن صاحبتها ، والكائس : إناء من بلور للشراب ، دهاقا: أى ممتلئة ؛ يقال أدهق الحوض: أى ملأه . قال خِداش ابن زهير :

أنانا عاص يبغى قرانا فأترعنا له كأسا دهاقا

واللغو: الباطل من الكلام ، والكذّاب: التكذيب ، عطاه: أى تفضلا منه وإحسانا ، حسابا : أى كافيا لهم ، تقول أعطانى فلان حتى أحسبنى : أى حتى كفانى بمطائه . قال :

> فاما حالت به ضمّنی فأولی جمیلا وأعطی حسابا أی أعطی ما کنی .

المعنى الجملي

بعد أن بين حال المكذبين ، أردفه مايفوز به المقون من الجنات التي وصفها ووصف مافيها ، وذكر أنها عطاء من الله تعالى ، وفي هذا استنهاض لموالى الهمم ، بدعوتهم إلى المثابرة على أعمال الخير ، وازديادهم من القربات والطاعات ، كما أن فيها إيلاما لأنفس الضالين المكذبين .

الإيضاح

(إن المتقبن مفازاً) أى إن لمن انقى محارم الله وخاف عقابه فوزاً بالكرامة والثواب العظيم ، فى جنات النمير .

ثم فسر هٰذا الفوز وفصله فقال :

(حدائق وأعنابا) أى بساتين من النخيل والأعناب ومختلف الأشجار ، لهـــا أسوار محيطة بها ، وفيها الأعناب اللذيذة الطمم ، ممــا تشتهيها النفوس ، وتقرّ به الميون .

وقد أفردت بالذكر وهى مما يكون فى الحدائق عناية بأمرها كما جاء فى قوله : « مَنْ كَانَ عَدُوًا يَثْهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ » .

ثم وصف مافى الحدائق والجنات فقال :

(وكواعب أترابا) أى وحوراً كواعب لم تندل ثُديُّهن ، وهن أبكار عُرُب أثراب .

والتمتع بالنساء على هذه الشاكلة بما يتمثله للر. فى الدنيا على نحو من اللذة ، و إن كنا لانهم كنهه فى الآخرة ، وعلينا أن نؤمن به ، وأنه تمتع يفوق ماهو مثله من لذات هذه الحياة ، وأنه بشاكل أحوال العالم الأخروى .

(وكأسا دهاةا) أي وكأساً من الخر مترعة ملاً ي متتابعة على شار بيها .

(لايسمون فيها لنوا ولا كِذَّابا) أى لايجرى بينهم حين يشربون — لنو الكلام ولا يكذب بعضهم بعضا ، كا يجرى بين الشَّرْب فى الدنيا ، لأنهم إذا شربوا لم تفتر أعصابهم ، ولم تتغير عقولهم كما قال تعالى : « لاَيُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُرْوُونَ » ، واللغو والتكذيب نما تألم له أنفس الصادقين الخلصين .

ولمــا ذكر أنواع النميم بيَّن أن هـــذا جزاء لهم على ماعملوا ، وتفضلٌ منه سبحانه فقال :

(جزاء من ر بك عطاء حساباً) أى جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله و إحسانه عطاء كافياً وافياً .

رَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْتُهُمَا الرَّ عَنِ لاَ يُمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّالاَ يَسَكَلُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحَمُنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحُقُّ فَنْ شَاءاتَّخَذَ إِلَى رَبَّهِ مَا اللهُ وَهُ اللهُ وَهُ اللهُ وَهُ اللهُ وَمَا اللهُ مَا اللهُ عَذَابًا وَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ اللَّهُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَهُولُ اللهُ وَمَا لَدُوهُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَهُولُ اللهُ وَمَا لَكُوهُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَهُولُ اللهُ وَاللهُ مَا لَوْهُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَهُولُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَيَهُولُ اللهُ وَاللهُ وَيَعْمُ لَا لَهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَل

شرح المفردات

الخطاب: المخاطبة والمكالمة ، الروح: جبريل عليه الصلاة والسلام ، والمآب: المرجم ، والإنذار : الإخبار بالمكروه قبل وقوعه ، والمرء : الإنسان ذكراً كان أوأنتى ، ماقدمت يداه : أى ماصنعه فى حياته الأولى .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أن يوم القيامة موعد للفصل بين الحلائق ، وتنتهى به أيام الدنيا ، وأن دار العذاب معدة للكافرين ، وأن الفوز بالنسم للمتقين ؛ أعقب ذلك بأن هذا يوم يقوم فيه جبريل والملائكة صفًا صفا لايتكلمون إلا إذا أذن لهم ربهم وقالوا قولا سحيحا .

ثم أتبعه بأن هذا اليوم حق لاريب فيه ، وأن الناس فيه فريقان : فريق بعيد من الله ومرجمه إلى النار ، وفريق مآبه القرب من الله ومنازل الكرامة ؛ فن كانت له مشيئة صادقة ، فليتخذ مآباً إلى ربه ، وليصل عملا صالحا يقرّ به منسه ، ويحلّم محل كرامته .

ثم عاد إلى تهديد الماندين وتحذيرهم من عاقبة عنادهم ، وأنهم سيملمون غدا ماقدمته أيديهم و يرونه حاضرا لديهم ، وحينئذ يندمون، ولات ساعة مندم ، و يبلغ من أمرهم أن يقولوا : ليتنا كنا ترايا لم نصب حظا من الحياة .

الإيضاح

(رب السموات والأرض وما بينهما الرّحمِنِ لايملكون منه خطابا) أى إنه سبحانه الممالك لشئونهما ، المدبر لأمورها ، ولايملك أحد من أهلهما مخاطبته تمالى بالشفاعة إلا بإذنه .

ثم أكد هذا وقرره بقوله :

(يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) أى إن الملائكة على جلالة أقدارهم ، ورفيع درجاتهم لايستطيمون أن يتكلموا في هذا اليوم ، إجلالاً لربهم ، ووقوفا عند أقدارهم ، إلا إذا أذن لهم ربهم ، وقالوا قولا صدقا وصوابا .

وفى الآية دلالة على أنهم مع قربهم من ربهم لايستطيع أحد منهم أن يشفع لأحد أو يطلب منحة إلا بمدأن يأذن له ربه ، ولا يأذن إلا لمن علم أنه سيجاب ، لأنه يقول الصواب ، وإنما يكون الكلام ضربا من التكريم لمن يأذن له ويختص به ، ولا أثر له فيا أراده البتة .

والملائكة تحلوقات غيّبها الله عنا ، ولم يجمل لنا قدرة على رؤيتها ، فسلينا أن نؤمن بها و إن لم نرها ، ونصدّق بما جاء في كتابه مر أوصافها غير باحثين عن حقيقتها .

و بعد أن ذكر أحوال المكافين فى درجات الثواب والمقاب ، و بيَّن عظمة يوم القيامة -- أردف ذلك بيان أن هذا اليوم حق لاريب فيه فقال :

(ذلك اليوم الحق) أى ذلك اليوم متحقق لاريب فيه ولا مغر منه ، وأنه يوم تبلى فيه السرائر ، وتنكشف فيه الضائر، أما أيام الدنيا فأحوال الخلق فيها مكتوبة ، وضائرهم غير معلومة .

(فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى فمن شاء عمل صالحًا يقر به من ربه ، ويدنيه من كرامته وثوابه ، ويباعد بينه وبين عقابه .

ثم زاد في تخويف الكفار و إنذارهم فقال:

(إِنَا أَنْدُونَا كُمْ عَذَابًا قَرْيَبًا ﴾ أَمَدُ إِنَا نَصَدَرُكُمْ عَذَابٌ يُومُ القَيَّامَةُ وهُو قَرْبِ ، لأَنْ كُلُ مَاهُو آتَ قَرْيَبُ كَمَا قَالَ : ﴿ كُأَنَّهُمْ بَوْمَ يَرَّوْنَهَا لَمْ بَلَبُنُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ مُخَاهًا ﴾ . و إنهم ليجدون مقدماته إذا فارقت الروح البدن ، فإنه يتكشف لهم ماكان ينتظرهم ، ولا يزالون منه في ألم إلى أن يلاقوا ربهم .

(يوم ينظر للره ماقدمت يداه) أى هذا المذاب القريب يوم ينظر للره ماصنمه ف حياته الأولى من الأعمال ، فإن كان قد آمن بر به وعمل عمل الأبرار فطو بى له وحسن مآب ، و إن كان قد كذب به و برسوله فله الويل وأليم المذاب .

ونحوالآية قوله تعالى : « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَهْسٍ مَا عَبِلْتُ مِنْ غَيْرٍ مُحْفَمَرًا ، وَمَا عَبِلْتُ مِنْ سُوهِ نَوَدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا » .

(ويقول السكافر ياليتني كنت ترابا) أى ويقول السكافر من شدة ما يلتى ومن هول مايكن من المسكلفين ، بلكنت حدرا أو ترابا لابجرى عليه تكليف حقى لايعاقب هذا المقاس .

وفى الآية إيماء إلى ما يكون عليه المؤمنون من الاستبشار والسرور بما رأوه . وصلى الله على صيدنا محمد وآله وصيه وسلم .

ما اشتملت عليه هذه السورة

. اشتملت هذه السورة الكريمة على للوضوعات الآتية :

- (١) سؤال المشركين عن البعث ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام .
 - (٢) تهديد المشركين على إنكارهم إياه .
 - (٣) إقامة الأدلة على إمكان حصوله .
 - (٤) أحداث بوم القيامة .
 - (٥) مايلاقيه المكذبون من المذاب
 - (٦) فوز المتقين بجنات النسيم .
 - (v) إن هذا اليوم حق لاريب فيه .
- (A) إنذار السكافرين بالمذاب الألم وتمديم في ذلك اليوم أن لوكانوا تراما .

سورة النازعات

هى مكية ، وآبها ست وأر بعون ، نزلت بعد سورة النبأ .

ورجه اتصالها بما قبلها أنه هناك أنذر بالمذاب يرم القيامة _ وهنا أقسم على أن البعث حق لاريب فيه .

بِسْم ِ اللهِ السَّنَعَنِ السَّحِيم ِ

وَالنَّاز مَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدِّبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُف الرَّاجِفَةُ (٦)

تَنْبُمُهُما الرَّادِفَةُ (٧) تُعُوبُ يَوْمَنْذِ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِمَةٌ (٩)

يَقُولُونَ: أَثِنًا لَمُرْدُودُونَ فِي الحُافِرَةِ (١٠) أَثِذَا كُنَّا عِظَامًا نَحِرَةً (١١) قالوا نلِكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا

هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) •

شرح المفردات

والنازعات : أى الكواكب الجاريات على نظام مدين في سيرها كالشمس والقر ، يقال نزعت الخيل: إذا جرت ، غرقا : أى يحدَّة مسرعة في جريها ، لتقطع مسافة فلسكها حتى تصل إلى أقصى المرب ، والناشطات نشطا : أى الخارجات من برج إلى برج ، من قولهم : نشط النور إذا خرج ، والسابحات سبحا : أى السائرات في أفلاكها سيرا هادنا لا اضطراب فيه ولا اختلال ، وقد جعل مرورها في جوائها كالسبح في للا، كاجا ، في قوله : « وَكُلنَّ في فَلكَ يَسْبَحُونَ » والسابقات سبقا :

أى السرعات عن غيرها في سبحها ، فتم دورتها حول ما تدور عليه في مدة أسرع مما يتم غيرها كالقدوفإنه يتم دورته في شهرقرى ، والأرض تتم دورتها في سنة شمسية ، ومكذا غيرها من السيارات السريعة ، ومنها ما لايتم دورته إلا في سنين ، فالمدبرات أسرا : أي فالكواكب التي تدبر بعض الأمور الكونية في عالمنا الأرضى بظهور بعض آثارها ، فسبق القمر علنا حساب شهوره ، وله الأثر العظيم في السحاب وللطر وفي البحر من المد والجزر ، ولضيائه حين امتلائه فوائد في تصريف منافع الناس والحيوان ، وسبق الشمس في أبراجها علنا حساب الشهور ، وسبقها إلى تتميم دورتها السنوية علنا حساب السنين ، وخالف بين فصول السنة ، واختلاف الفصول من أسباب حياة النبات والحيوان ، وقد نسب إليها التدبير ، الأنها أسباب ما نستفيده منها ، وللدبر الحكيم : هو الله تمالى جل شأنه .

وترجف: أى تضطرب وتبحرك ، والراجفة: الأرض بمن عليها ، والرادفة : السماء وما فيها تردفها وتنبعها ، فإنها تنشق وتنثر كواكبها ، الواجفة: أى الشديدة الاضطراب ، خاشمة : أى ذليلة ، الحافرة : الحياة الأولى ، أى الحياة بعد الموت وقد ظنوها حياتهم الأولى ، يقال رجم فى حافرته : أى فى طريقه التى جاء فيها ، والنخرة : البالية الجوفاء التى تمر فيها الرياح ، والكرة : الرجمة ، من الكرة ، وهو الراد الرجوع ، والخاسرة : هى التى يخسر أسحابها ولا يربحون ، والزجرة : السيحة ، والمراد بها النفخة الثانية يبعث بها الأموات ، والساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، لأن السراب يجرى فيها ، وسميت بذلك لأن شدة الخوف التى تمترى من عليها نطير النوم من أعينهم فلا يذوقون نوما ، فهى ساهرة : أى ساهر من عليها .

المعنى الجملي

بدأ سبحانه هذه السورة بالحلف بأصناف من مخلوقاته _ إن ماجا. به رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر البحث وعرض الحلائق على ربهم ، لينال كل عامل جزاء عمله ـ حق لاربب فيه فى يوم تمثلم فيه الأهوال ، وتضطرب القلوب ، وتختم الأبسار ، ويسجب المبموثون من عودتهم إلى حياتهم الأولى بعد أن كانوا عظاما نخرة تمر فيها الرياح ، ويتبحققون أن صفقتهم كانت خاسرة ، إذ أنهم أنكروا فى الدنيا ممادهم ، ويجابُون على تمجهم بألا يحسبوا أن الإحياء صمب على الله ، فا الأمر عنده إلا صبحة واحدة ، فإذا الناس جميعا ظاهرون فى أرض المماد .

لو تدمرنا أس القَسَم بيمض المخلوقات فى الكتاب الكريم لوجدناه يرجع إلى أحد أمرين :

- (١) أن تكون هذه المخلوقات قد عظمت في أعين بعض الناس ، وتوى سلطانها في نفوسهم ، حتى عبدوها واتخذوها آلمة من دون الله كالشمس والقمر في نحو قوله : « وَالشّمْسِ وَضُحّاهاً . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهاً » وقد ذكر سبحانه بجانب ذلك بعض صفاتها الدالة على أنها مخلوقة له كتفيرها من حال إلى حال ، وما يطرأ عليها من الأفول والزوال ، عما لايكون من شأن الآلمة المستحقة للعبادة .
- (۲) أن تكون بما احتقره الناس لنفلتهم عن فائدته ، وذهولهم عن موضع العبرة فيه ، ولو أنهم تدبروا فيا هوعليه من جليل الصنمة ، وبديم الحكمة لاهتدوا إلى معرفة خالقه ، ونستوه بما هو أهل له من صفات الجلال والكمال .

فَأَقْسَمُ سَبَحَانَهُ عَلَى التُوحِيدُ فِي قُولُهُ : ﴿ وَالسَّافَاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالنَّالِيَاتِ ذِكْرًا . إِنَّ إِلَمُلَكُمْ ۖ لَوَاحِدٌ ﴾ .

وأقسم على أن الرسول حق بقوله : « وَالْقُرْآنِ الشُّكِيمِ. إِنَّكَ لَمَنَ الدُّسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

وأقسم إن القرآن حق في قوله : ﴿ فَلاَ أَقْسِمُ ۚ بِهَوَا قِعَ ِ النَّجُومِ . وَإِنَّهُ ۖ لَقَسَمُ ۗ فَوْ تَقْلُنُونَ غَظِيرٌ . إِنَّهُ ۖ لَقَرْآنَ ۖ كَرِيمٌ ۗ ﴾ . وحلف إن الجزاء حق ، و إن الناس سيبعثون إلى ربهم ، و إن كلا منهم سيلاقى جزاء عمله كما قال : « وَالدَّارِ يَاتِ ذَرْوً" . فَاتَخْامِلَاتِ وِقْرًا . فَاَتَجْارِ يَاتِ يُمْرًا . فَا لْمُصَاَّتِ أَمْرًا . إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَمَادِقْ . وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِهْ » .

الإيضاح

(والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أسرا) افتتح سبحانه هذه السورة بالقسم بالكواكب والنجوم والشموس والأقمار ، إظهارا لعظم شأنها ، و إنقان نظامها ، وغزارة فوائدها ، وأنها مسخرة لبارئها ، خاضعة لأمره _ لتبعثنُ بعد الموت ، ويدل على هذا ما حكاه عنهم بعد ، من قولهم : «أيْذَا كُنَّا عِظاً مَكْرَةً ؟ » أى أنبحث إذا صرنا كذلك ؟ .

(يوم ترجف الراجفة) أى حين تتحرك الأرض وتضطرب الجيال ، فيسمع لها صوت شديد .

ونحو الآية قوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ .

(تتبعها الرادفة) أى تتلوها السهاء بمـا فيها من كواكب ، إذ تنشق وتنثر كواكبها إثر اضطراب الأرض وَمَيْدانها .

عن أبى بن كسب قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال : أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت يما فيه » أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم .

وعن أبى هريرة قال : ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تُرجف الأرض رجفًا ونزلزل بأهلها ، وهى التى يقول الله فيهما _ يَوْمَ تَرْ جُفُ الرَّاجِيَةُ . تَتُبَعُهُمُّا الرَّادَةُ ﴾ .

(قلوب يومثذ واجفة) أي قلوب يومثذ مضطربة قلقة خائفة ، وللراد بها

قلوب الكفار ، ذاك أنهم بعد أن عاينوا ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكره لهم ويشاهدونه فى دنياهم ولم يؤمنوا به ، تضطرب نفوسهم ، مخافة أن يحل بهم ما أنذروا به ،كا هى حال من تهدده بعقو بة إن لم يُقُلِع عن جرائره _ يهلم قلبه إن شاهد بوادر التنفيذ .

(أبصارها خاشعة) أي أبصار أسحابها خاشعة تظهر فيها الذلة والخوف.

وقد حكى الله عنهم أقوالا ثلاثة استبمدوا بها أمر البعث ، واستهزءوا فيها بالرسول والمؤمنين :

(١) (يقولون أثنا لمردودون في الحافرة ؟) أي يقول هؤلاء للكذبون بالبعث
 من مشركي قريش إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد للوت : أثنا لمردودون إلى
 حالنا الأولى قبل المات ، فراجعون أحياء كما كنا قبل مماتنا ؟

وتقول العرب لكل من كان في أمر ثم خرج منه ثم عاد إليه : قد رجع إلى حافرته : أي إلى أمره الذي كان فيه أوّ لا .

(٢) (أثذاكنا عظاما نخرة؟) أى أنرد إلى الحياة بعد أن نصير عظاما بالية
 لولمست لتفقت ؟

(٣) و (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) أى إن صح ما قلم من البعث يوم القيامة بعد أن نصير عظاما نخرة ، فنحن إذا خاسرون ، لأنا كذبنا به ولم نأخذ السُدّة له ، فياو يلنا في هذا اليوم ! .

وهذا منهم استهزاء وتهكم ، اعتقادا منهم أن ذلك لن يكون .

وقد ردّ الله عليهم مقالتهم بقوله :

(فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهمة) أى لاتستبعدوا ذلك وتظنوه عسيرا شاقًا علينا ، فإنما هى صبيحة واحدة ، وهى النفخة الثانية التى يبعث الله بهما الموتى فإذا الداس كلهم على سطح الأرض أحياء . ونحو الآية قوله : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَوْلَاءَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِسدَةً مَا لَمَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ ،

وخلاصة هذا - لاتحسبوا أن هذه الرجنة عسيرة شاقة علينا ، ف إعادتكم التى ظننتموها صعبة إلا أن نأمر ملككا من ملائكتنا أن يصيح صيحة واحدة ، فإذا أنتم جميعا لدينا محضرون ، لايتخلف منكم أحد ، ولا يستطيع التخلف إن أراد .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِى الْمُدَّسِ طُوَّى (١٦) أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَنَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبُّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأْرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٧٠) فَكَذَّب وَعَمَى (١٧) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْمَى (٧٧) خَشَرَ فَنَادَى (٧٣) فَقَالَ أَنَارَ بُكُمُ الْأَعْلَى (٤٤) فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرةِ وَالْأُولَى (٥٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لِيعْرَةً إِلَىٰ يَحْشَى (٧٧) .

شرح المفردات

المقدس: أى المبارك الطهر، والوادى المقدس: هو واد بأسفل جبل طور سينا من برّية الشام، طوى: واد بين أَيْـلَة ومصر، طنى: أى تجاوز الحد فتكبر على الله وكفر به، هل لك إلى كذا: أى هل ترغب فيه، وتركى: أى تتركى وتتطهر من السيوب، وأهديك: أى أدلك، فتخشى: أى فتخاف، والآية السكبرى: أى السلامة الدالة على صدقه في دعواء النبوة، وهي انقلاب المصاحبة، أدبر: أى توك

موسى، يسمى : أى فى مكايدته ، فحشر : أى فجمع السحرة الذين فى بلاده ، والنكال : المذاب ، والآخرة : يوم القيامة ، والأولى : الدنيا .

المعنى الجملي

بعد أن حكى عن كفار مكة إصرارهم على إنكار البعث وتناديهم في المتو والطفيان ، واستهزاءهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك يشق عليه ، ويصمب على نفسه _ ذكر له قصص موسى مع فرعون طاغية مصر ، و بين له أنه قد بلغ في الجبروت حدًّا لم ببلغه قومك ، فقد ادعى الألوهية وألَّب قومه على موسى ، وكان موسى مع هذا كله يحتمل للشاق المظام في دعوته إلى الإيمان _ليكون ذلك تسلية لرسوله عما يلاقيه من قومه من شديد الدناد وعظيم الإعراض ، يرشد إلى ذلك قوله : « فاضير كما صَبَرَ أُولُو الْمَرَّم مِن الرُّسُل » .

وفى ذلك عبرة أخرى لقومه _ وهى أن فرعون مع أنه كان أقوى منهم شكيمة وأشد شوكة وأعظم سلطانا ، لما تمرد على موسى وعصا أص ر به أخذه الله نكال الآخرة والأولى ، ولم يعجزه أن بهلكه و يجمله لمن خلفه آية ، فأتم أيها القوم مهما عظمت حالكم وقوى سلطانكم لم تبلغوا مبلغ فرعون ، فأخذكم أهون على الله منه .

وفى هذا تهديد لهم و إنذار بأنهم إن لم يؤمنوا بالله ورسوله ، فسيصيبهم مشل ما أصاب فرعون وقومه كما قال في آية أخرى : « فَإِنْ أَغَرْضُوا فَقُلُ أَنْذَرْ تُكُمُّ صَاعِقَةً مِثْلً صَاعِقةً مِثْلً الرَّسُلُ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلرُّسُلُ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا لَمْ نَشْلُهُ وَلَا اللهِ عَلَيْهِمْ أَلْمُ لَلْ مَلْكِيكَةً فَإِنَّا مِمَا أَرْسِلُمْ وَلَا اللهِ عَلَى اللهِ مَنْ اللهِ مِنْ اللهِ مَنْ اللهِ مِنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِل

الإيضاح

(هل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى) أى ألم ببلغك حديث موسى مع فرعون وقومه ، وقد أمره الله بالتلطف فى القول ، واللين فى الدعوة إلى الحق ، إقامة للحجة ، والوصول من أقرب محجة ، كا جاء فى سورة طه " « فَقُولًا لله فَعُولًا لله وَوَلًا للهُ قُولًا " .

فاتبِسم نهجه، واسلك سبيله ، يكن ذلك أقرب للفوز ببنيتك، و بلوغ مطلبك كا فاز موسى وانتصر .

وكان ذلك حين ناداه ر به بالوادى المطهر المبارك من طور سيناه من برَّ ية الشام بعد مضى وقت من الليل .

ثم فصل هذه الناجاة بقوله :

(اذهب إلى فرعون إنه طنى) أى اذهب له وعظه ، فإنه تجاوز الحد وتكبر على الله وكفر به ، وتجبّر على بنى إسرائيل ، واستميدهم حتى بلغ من أمره أن ذبح أبناهم واستحيا نساهم .

ثُم طلب إلى موسى أن ُيلين له القول ليكون ذلك أنجع في الدعوة فقال :

(فقل هل لك إلى أن تركى . وأهديك إلى ربك فتخشى) أى فقل له : هل برغب أن تطهر نفسك من الآثام التى انفست فيها ، ونعمل بما أدلك عليه من طرق الخير ، وتبعد عما أنت فيه من اجتراح السيئات ، وتخشى عاقبة مخالفة أمر ربك ، حتى تأمّن من عقابه ، إذا أدبت ما ألزمك به من فرائضه ، واجتنبت ما نهاك عنه من معاصيه .

ثم ذكر أنه لم يخضع للدليل والبرهان، ولم يقنع بما أدلى إليه موسى منحجة ، فاضطر إلى أن يظهر له دليلا يراه و يشاهده فقال :

(فأراه الآية الكبرى) أى فلما لم يقنع بالدليل القولى أظهر له آية ودليلا يراه بعينه ، وهو انقلاب السماحية ، ومع ذلك كذب الداعى ، وعصى سلطان البرهان ، وأظهر تمرده عليه ، كما أشار إلى ذلك بقوله : (فكذب وعصى. ثم أدبر يسمى) أى فكذب موسى ثم ولئ معرضا عما دعاه إليه من طاعة ربه وخشيته ، وطفق يخبّ فى المعاصى ويضع ، غير متدبر فى عاقبة أمره ، ولا مفكر فى غده .

(فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى) أى فجمع السحرة الذين هم تحت إمُوَّته وسلطانه كما جاء فى قوله : ﴿ وَابَمَتْ فِى الْمَدَّانِ حَاشِرِينَ ، بَأْنُوكَ بَكُلَّ سَحَّارٍ وسلطانه كما جاء فى قول : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَغْلَى ﴾ فلا سلطان يعلو سلطانى ، ولم يزل فى عتوَّه حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر (بحر القُلْزُم) عند خروجهم من مصر فأغرق فيه هو وجنوده ، وإلى ذلك أشار سبحانه بقوله :

(فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أى فنكل الله به ولم يكن ذلك الكال مقصورا على ماعذب به فى الدنيا من النرق فى البحر ، بل عذبه فى الآخرة أيضا فى جهنر و بئس القرار .

(إن فى ذلك لمبرة لمن بخشى) أى إن فيا ذكر لموعظة لمن له عقل يتدبر به فى عواقب الأمور ومصابرها ، فينظر فى حوادث الماضين ، ويقيس بهما أحوال الحاضرين ليتنظ بها .

ءَأَ نَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا (٧٧) رَفَّحَ مَمْكُهَا فَسَوَّاهَا (٧٨) وَأَعْ صَمْكُهَا فَسُوَّاهَا (٣٨) وَأَغْطُش لَيْلُهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٣٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءِهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبْالَ أَرْسَاهَا (٣٣) مَنَامًا لَكُمْ وَلِمُ نُعْلِيكُمْ (٣٣) .

شرح المفردات

أشد خلقا : أى أصعب إنشاء ، والبناء : ضم الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض مع ربطها بما يمسكها حتى يكون عنها بِنية واحدة ، والسمك : قامة كل شيء، فسواها : أى جمل كل جزء موضوع فى موضه ، أغطش ليلها : أى أظلمه ، ضحاها : أى نورها وضياء شمسها ، دحاها : أى مهدها وجملها قابلة للسكنى، قال زيد بن عمرو ابن نُفَيل :

المعنى الجملي

بعد أن قص على المشركين قصص موسى عليه السلام مع مُرعون وأوماً بهذا القصص إلى أنهم لايُعجزون الذى أخذ فرعون ونكل به وجمله عبرة الباقين ، وسلى به رسوله حتى لايحزن التكذيب قومه له ، وعلم إيمانهم بما جاءهم به ، أخذ يخاطب منكرى البعث ، وينبهم إلى أنه لاينبنى لهم أن يجحدوه ، فإن بشهم هين إذا أضيف إلى خلق السعوات التى تدل بحسن نظامها وجلالها ، على حكمة مبدعها وعظم قدرته ، وواسع حكمته ، وإلى خلق الأرض التى دحاها بمدها وجعلها معدة السكنى ، قدمته وسائل المعيشة للإنسان والحيوان ، فأخرج منها الماء الذى به حياة كل شى وأنت فيها الناء الذى به حياة كل شى وأنت فيها النابات الذى به حياة كل شى وأنت فيها النابات الذى به رقوام الإنسان والحيوان .

المعنى الجملي

(مأتم أشدخلقا أم السهاء؟) أى أأتم أيها الناس وقد خلقتم من ماه مهين ضمافا عاجزين لاتملكون لأنفسكم نفعا ولاضرا ، ولا مونا ولاحياة — أصعب إبداعا و إنشاء أم هذه السهاء التي ترون خلقها ، وبديع تركيبها وعظمة شأنها ؟ .

إنكم لاتنازعون فى أنها أشد منكم خلقا ، ومع ذلك لم نمجز عن إبداعها ، فكيف نظنون أنا نسجز عن إعادتكم بعد موتكم ، برشد إلى ذلك قوله : ﴿ نَطْلُقُ السَّتَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ » وقوله : ﴿ أُوَلِيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّتَوَاتِ وَالْأَرْضَ عِبَادِرِ هَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلُهُمْ ؟ » .

وفي هذا من التقريع والتو بيخ مالا يخني .

و بعد أن أشار إلى عظم خلق السموات إجمالا شرع يبين ذلك تفصيلا فقال :

(بناها . رفع سمكها فسواها) أى ضم أجزاءها المتفرقة ور بطها بما بمسكها حتى حصل عن جميعها بنية واحدة ، فقد أبدع فى خلق الكواكب وجعل كل كوكب منها على نسبة من الآخر، وجعل لكل منها مايمسكه فى مداره حتى كان من مجموعها مايشيه البناء وهو مانسميه بالسياء .

وقد جعلها ذاهبة فى العلوّ صُعُدا ، وعدَّلها فوضع كل جزء منها فى موضعه الذى يستحقه و يحسن أن يكون فيه .

(وأغطش ليلها وأخرج نحماها) أى وجعل ليلها مظلما بمفيب كوا كبها ، وأمجرز نهارها ، وعبر عن النهار بالضحى ، لأنه أشرف أوناته وأطبيها ، وفيه من انتماش الأرواح ماليس في سائرها .

وتماقب الليل والنهار واختلاف الفصول التابع لحركة بعض السيارات بهجي، الأرض للسكني ومن ثم قال :

(والأرض بعد ذلك دحاها) أى ومهد الأرض بعد ذلك و بسطها للسكنى 4 ومير الناس والأندام عليها ، وقد كانت محلوقة غير مدحوة قبل ذلك ، فلا تخالف هذه الآية ما جا، في سورة السجدة من قوله : ﴿ أَنِسَّكُمْ لَتَكُمْرُ وَنَ بِاللَّهِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْسُلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْمَتَالَمِينَ . وَجَمَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيها وَقَدَّر فِيها أَوْرَاتُها فِي أَرْبَهَةِ أَيَّارِ سَرَاء السَّائِلِينَ . مُحَالًا فَوَاتُها فِي أَرْبَهَةِ أَيَّامٍ سَرَاء السَّائِلِينَ . مُحَالًا المَّنَوَى إِلَى السَّاء وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَمَا وَ لِلأَرْضِ اثْنِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا المُنْعَا طَائِمينَ . وَ

فإن هذه الآية تدل على أن خلق السموات كان بعد خلق الأرض ، والآية التى نحن بصددها تشير إلى أن الله تعالى دحا الأرض ومهدها لسكنى النــاس بعد أن خلق السياء .

فالآيتان ترشدان إلى أن الله تمالى خلق الأرض أوّلا ثم خلق السموات بعد ذلك ، ثم عاد إلى الأرض فهدها ودحاها ، فآية السجدة حكاية للخلق الأول ومبدئه وهذه الآية حكاية للإصلاح الذي كان بعد الخلق .

ثم فسر التمهيد بما لابد منه في تأتى سكناها من أمر المآكل والمشارب و إمكان الفرار علمها فقال :

(أخرج منها ماهها ومرعاها) أى فَجَّرَ منها العيون والينابيع والأنهار ، وأنبت فيها النبات سواء أكان قوتا لبنى آدم كالحب والثمر ، أم قوتا للأنمام والماشية كالنشب والحشيش .

(والجيال أرساها) أى وثبّت الجيال فى أماكنها وجملها كالأوتاد ، لئلا تميد بأهلها وتضطرب بهم .

نم بين الحكمة في ذلك فقال :

(متاعاً لكم ولأنمامكم) أى إنما جعلنا ذلك كله ، ليتمتع به الناس والأنمام من الإبل والغنم والبقر .

ونحو الآية قوله : ٥ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنِ السَّاءَ مَاهُ لَــَكُمُّ مِنْـهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تَسِيمُونَ ٩ .

أفلا يكون خالقكم وواهبكم مابه تحيّيون ، ورافع السياء فوقكم ، وممهد الأرض تحتكم ــ فادرًا على بشكم؟ وهل يليق به أن يترككم سدى بمدأن دبر أمركم هذا الندبير الحمكم ، ووقر لسكم هذا الخير الكثير؟ فَإِذَا جَاءِتِ الطَّامَّةُ الْـكُبْرَى (٢٤) يَوْمَ يَتَذَكِّرُ الْإِنْسَــانُ مَاسَتَى (٣٥) وَبُرُّزَتِ اَلْجَدِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيْاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَدِيمَ هِيَ الْمُأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْمُوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجُنَّةُ هِيَ الْمُأْوَى (٤١) .

شرح المفردات

الطامة السكبرى: أى الداهية المظمى التى تطمّ على الدواهى أى تغلب وتعلو، وهى النفخة الثانية التي يكون معها البعث قاله ابن عباس ، و بُرِّزت الجحيم : أى كانت فى مكان بارز يراها كل من له عينان ، طنى : أى تكبر وتجاوز الحد، آثر : أى قدّم وفضل ، المأوى : المستقر ، مقام ربه : أى جلاله وعظمته ، ونهى النفس عن الموى: أى زجرها وكفها عن هواها المردى ها بميلها إلى الشهوات .

المعنى الجملي

بعد أن يِسِّ أنه تمالى قادر على نشر الأموات كما قدر على خلق الأكوان ، بين صدق ما أوحى به إلى نبيه من أن ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب المالمين ، كأن لابد منه ، فإذا جاءت طامته الكبرى التى تفوق كل طامة حين تعرض الأعمال على العاملين ، فيتذكر كل امرى ماعمل ، ويظهر الله الجميم وهى دار الدخاب للميان فيراها كل ذى بصر ، فى ذلك اليوم يوزع الجزاء على العاملين ؛ فأمل من جاوز الحدود التى حدها الله فى شرائمه ، وفضل لنائذ الدنيا على ثواب الآخرة فدار الدناب مستقره ومأواه ؛ وأما من خاف مقامه بين يدى ربه فى ذلك اليوم ،

وزجر نفسه عرــــ هواها ، فلم تجر وراء شهواتها فالجنة منزله ومأواه ، جزاء ماقدمت بداه .

الإيضاح

(فإذا جاءت الطامة الكبرى) أى فإذا حل ذلك اليوم الذى تشيب من هوله الولدان ، وتشاهد فيه النار ، فينسى المرء كل هول دونها -- فصل الله بين الحلائق ، فأدخل الطائمين الأبرار الجنة ، وأدخل المتمردين المصاة النار .

وقد وصف هذا اليوم بوصفين :

(۱) (يرم يتذكر الإنسان ماسمى) أى حين يرى الإنسان أعماله مدوَّنة ف كتابه وكان قد نسيها فتعاوده الذكرى ، كاقال سبحانه : «أَحْصَامُ اللّٰهُ وَنَسُومُ».

 (۲) (و برزت الجحیم لمن یری) أی وأظهرت النار حتی براها كل ذی عینین سواء منهم المؤمر والسكافر ، سوی أنها تكون مقرًا السكافر ین ، وینجی الله المؤمنین .

والخلاصة — إذا جاء ذلك اليوم فصل الله بين الخلائق كما فصله بعدُ بقوله : (فأما من طفى وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى) أى فأما من تكبر وتجاوز الحد وآثر لذات الحيــاة الدنيا ، وشهواتها على ثواب الآخرة ، فالنار مثواه ومستقره .

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى) أى وأما من حذر وقوفه بين يدى ربه يوم القيامة ، وأدرك مقدار عظمته وقهره ، وغلبة جبروته وسطوته ، وجنب نفسه الوقوع فى محارمه ، فالجنة مثواء وقراره

وقد ذكر سبحاته من أوصاف السعداء شيئين يصادان أوصاف الأشقياء :

(١) فقوله : ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ يقابل قوله : ﴿ طَفَى ﴾ وقوله : ﴿ وَنَهَى النَّفْسُ عَنِ الْمُوكى ﴾ يضاد قوله : ﴿ وَآخَرَ الْحَيْاةَ الدُّنْيَا ﴾ وقد مدح الحسكماء

مخالفة الهموى فقالوا : إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه . وقيل لايسلم من الهموى إلا الأنبياء و بعض الصدّيقين . وقيل:

غالف هواها واعصها إن من يطع هوى نفسي تنزع به كل منزع ومن يطم النفس اللجوجة تُرَّدِه وَرَثُم به في مصرع أيَّ مصرع

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٧) فِيمَ أَنْتَ مِنِهُ ذِكْرَاهَا (٤٤) إِلَى رَبَّكَ مُثْنَهَاهَا (٤٤) إِنَّا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٥٠) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُوْمَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ شُحَاهَا (٤٦).

شرح المفردات

الساعة: هي ساعة يبعث الله الخلائق من قبورهم، وهي يوم القيامة ، أيان : أى متى، مرساها: أى إرساؤها، و إقامتها: أى حصولها، فم أنت من ذكراها: أى فى أى شى، أنت من أن تذكر لهم وقت حصولها، وتبين لهم الزمان المين لوقوعها، إلى ر بك منتهاها: أى إن منتهى علم حصولها عند ر بك لم يؤته أحدا من خلقه، واللبث: الإقامة، والعشية: طرف النهار من آخره، والضحى: طرفه من أوله.

المعنى الجملي

كان المشركون بسألون الرسول عنادا واستهزاء عن الساعة ، ويطلبون إليه أن يسجل بها كا يرشد إلى ذلك قوله : « يَسْتَمْجِلُ مِهَا اللَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ مِها » وربما سألوه عن تحديد وقتها ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يردد في نفسه مايقولون ، ويتمنى لو أمكن أن يجيب عما يسألون ، كما هو شأن الحريص على الهداية ، الحجد في الإقناع - فنها الله عن تمنى ما لا يرجى ، وأبان له أنه لاحاجة لك إلى ذلك ،

فإن علمها عند ربك ، وإنما شأمك أن تنذر من يخافها فتنبهه من غفلته ، حتى يستمد لما يلناه حيننذ ؟ أما هؤلاء الماندون فدعهم فى غوايتهم ، ولا تشغل نفسك بالجواب عما يسألون ، فإذا جاء هذا اليوم خيّل إليهم أنهم لم يلبثوا من يوم خلقوا إلى يوم البحث إلا طرفا من نهار أوله أو آخره ، ولم يلبثوا نهارا كاملا لمفاجأتها لهم على غير استعداد لوقوعها .

الإيضاح

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها؟) أى يسألك أيها الرسول هؤلاء للكذبون بالبعث عن الساعة التي تبعث فيها الموتى من قبورهم ، متى تيامها وظهورها ؟

(فيم أنت من ذكراها؟) أى ماهذه الذكرى الدائمة لها ، وما هذا الاهتمام الذي جملك لانألو جهدا في السؤال عنها؟.

روى عن عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويُسأل عنها حتى نزلت هذه الآية » .

وتلخيص للمنى — لاتشغل نفسك بهذا الأمر ، ولا تكلفها عناه البحث عنه ، واستكناه أسراره ، ومعرفة ماحجه الله عن خلقه من شأنه .

(إلى ربك منتهاها) أى إلى ربك ينتهى علم الساعة ، فلا يعلم وقت قيامها غيره ، ولم يعطه للّك مكرم ، ولا لنبى مرسل .

(إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما أنت رسول مبعوث للإنذار والتخويف، وتحذير الناس من المعلمى والتبائح ، ولم تكلف علم وقنها؛ فدع علم مالم تكلف به ، واعمل ما أمرت به من إنذار من أمرت بإنذاره .

ونحوالآية قوله: ﴿ إِنَّمَاعِلْهَا عِنْدَ رَبِّى لاَ يُجَلِّمَ لِوَّ قُومَا إِلاَّهُوَ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ اللهَّ عِنْدَهُ عَلِمُ السَّاعَةِ ﴾ ثم قرر مادل عليه الإندار من سرعة مجيء المنذر به ، فقال: (كأنهم يوم يرونها لم يليثوا إلا عشية أو ضحاها) أى إن هذا اليوم الذى لجوا فى إنكاره سيقع البتة ، ويرونه بأعينهم ، فإذا عاينوه حسبوا أنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار ثم انقضت .

والخلاصة — إنهم ظنوا أنهم لم يلبثوا إلا عشية يوم أو خمى تلك الدشية ، وتقول العرب : آتيك العشية أوغداتها ، وآنيك النداة أو عشيتها ؛ والراد أنهم يستقصرون مدة لبثهم، ويزعمون أنهم لم يلبثوا إلا قدر آخر نهار أو أوله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

موضوعات السورة الكريمة :

- (١) إثبات البث.
- (٢) مقالة المشركين في إنكاره والردّ عليهم.
- (٣) قصص موسى مع فرعون، وفيه تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم.
 - (٤) إقامة البرهان على إثبات البعث .
 - (٥) أهوال يوم القيامة .
- (٦) الناس في هذا اليوم فريقان : سعداه وأشقياء بحسب أعمالهم في الدنيا .
 - (٧) سؤال المشركين عن الساعة وميقاتها .
 - (A) نهى الرسول عن البحث عنها واشتفاله بأمرها
 - (٩) ذهول الشركين من شدة الهول عن مقدار مالبثوا في الدنيا .

سورة عبس

هى مكية ، وآياتها ثنتان وأر بعون ، نزلت بعد سورة النجم . ومناسبتها لمـا قبلها — أنه ذكر هناك أنه منذر من يخشاها — وذكر هنا من ينفمه الإنذار .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَ تَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّهُ يَرَّ كَنَّ (٣) فَمَسَدَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّهُ يَرَّ كَنَّ (٣) أَدْ يَذَّ كَرُ فَتَنْفَمَهُ الذَّ كُرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَنْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٢) وَمَّوَ يَخْشَى (٩) وَمُو يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ مَنْهُ تَلَهِى (١٠) .

شرح المفردات

عبس: أى قطب وجهه من ضيق الصدر، وتولى: أى أعرض ، أن جاه الأعمى: أى لأجل أن جاه هذا الأعمى؟ الأعمى: أى لأجل أن جاه هذا الأعمى؟ يزكى: أى يتطهر بما يلقن من الشرائع، يذّكر: أى يتسظ، استفى: أى بماله وقوته من سماع القرآن ، تصدى: أى تتصدى وتتمرض بالاقبال عليه ، يسعى: أى يسرع ، يخشى: أى يخاف من الفواية ، تلهى: أى تتلهى وتتنافل.

المعنى الجملي

نزلت هذه السورة فى ابن أمكتوم عمرو بن قيس ابن خال خديجة، وكانأعمى وهو من للهاجر بن الأولين . استخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة يصلى بالنامس مرارا ، وكان يؤذن بعد بلال . وكان م حديثه أن أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ومعه صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، والمباس بن عبد المطلب ، وأسية بن خلف ، والوليد بن المنيرة، يدعوهم للاسلام ، ويذّ كُرهم بأيام الله ، ويحذرهم بطشه وجبروته ، ويعدهم أحسن المثوبة إن أسلموا ، وهو شديد الحرص على أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ؛ لأنه يعلم أن سيسلم بإسلامهم خلق كثير ، إذ بيدهم مقادة العرب .

فقال ابن أم مكتوم : يارسول الله أقرننى وعلمنى بما علمك الله ، وكررذلك وهو لايملم تشاغله بالتوم ، فكره الرسول قطمه لكلامه ، وظهرت فى وجهه الكراهة ، فعبس وأعرض عنه .

وقدعانب الله نبيَّه بأن ضف ذلك الأعمى وفقره لا ينبغى أن يكون باعثاً على كراهة كلامه والإعراض عنه، لأن ذلك يورث انكسار قلوب الفقراء، وهومطالب بتأليف قلوبهم كا قال : « وَلاَ تَطْرُ وِ الذِّينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدَاةِ وَالْمَشِيُّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وفال : « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدَاةِ وَالْمَشِيُّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلاَ تَمْدُ عَنْهُمُ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا ، وَلاَ تَطْبِحُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ مَنْ ذِكْرِنَا وَانْبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُهُا » .

ولأنه كان ذَكَ الفؤاد إذا سمم الحكمة وعاها ، فيتطهر بها من أوضار الآثام ، وتصفو بها نفسه ، أو يذكّر بها و يتمط فتنفعه المغلة في مستأنف أيامه .

أما أولئك الأغنياء فأكثرهم جَحَدةٌ أغبياء ، فلا ينبغى التصدى لهم ، طمعًا فى إنبالهم على الإسلام ، ليتبعهم غيرهم .

وقوت الإنسان إنما هي في ذكاء لبّه ، وحياة قلبه ، وإذعانه للعش متى لاحت له أماراته ؛ أما المال والنشب ، والحشم والأعوان فعي عوار يّمبي ، وترتجل ، وتقرّ حينا ثم تنتقل . والخلاصة - إنه سبحانه عاتب نبيه وأمره بأن يُقبِّل هلى ذى المقل الذكى، ونهاه أن ينصرف عنه إلى ذى الجاه القوى، فان الأول حَى بطبعه ، والثانى غائب عن حسَّه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآيات ككريم ابن أم مكتوم ويقبل عليه ويتفقده ، ويقول له إذا رآه : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى ، ويسأله هل لمك حاحة ؟

الإيضاح

(عبس وتولى. أن جاءه الأعمى) أى تطب الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه وأعرض، لأن جاءه الأعمى وقطع كلامه .

وفى التعبير عنه بالأعمى إشمار بعذره فى الإندام على قطم كلامه صلى الله عليه وسلم حين تشاغله بالقوم ، وقد يكون ذلك لذكر العلة التى اقتضت الإعراض عنه ، والتعبيس فى وجهه ؛ فكا نه قيل : إنه بسبب عماه كان يستحق مزيد الرفق والرأفة ، فكمن بليق بك أن تخصه بالنلفلة ؟

وهذا كما تقول لرجل جاءه فقير فانتهره وآذاه : أنثؤذى هذا المسكين الذى يستحق منك الشفقة ومزيد الحنان والعطف ؟

(ومايدر يك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكوى؟) أى وأى شئ يعلمك حال هذا الأعمى؟ لعله يتطهر بما يسمعه منك ، و يتلقاه عنك ، فترول عنه أوضار الآثام ، أو يتعظ فتنفعه ذكراك وموعظتك .

والخلاصة - إنك لاتدرى ماهو مترقب منه من تزلئ ۗ أُوتذكر ، ولو دَرَبْتَ لما كان الذي كان .

وفى هذا إيماء إلى أن من تصدى لَمَزَ كَيْتِهم وتَذَكَيْرِهم من المشركين لايرجى منهم النّزكي ولا النذكر . ثم ذكر أن أمره مع الحاضرين مجلسه انحصر في شيئين :

 (١) (أما من استفنى. فأنت له تصدى) أى أما من استفنى بماله وقوّته عن الإيمان ، وعما عندك من المعارف التي يشتمل عليها الكتاب المنزّل عليك ، فأنت تقبل عليه ، حرصا على إسلامه ، ومزيد الرغبة فى إيمانه .

(وماعليك ألا يزكى ؟) أى وأىّ عيب عليك فى بقائه كذلك ، وألا يتطهر من وسخ الجمالة ؟ فما أنت إلا رسول مبلغ عن الله ، وقد أديت مايجب عليك ، فمــا بالك يشتد بك الحرص على إسلامه .

وتصارى ذلك -- لايبلنن ّ بك الحرص على إسلامهم ، والاشتغال بدعوتهم ، أن تعرض عن الذين سبقت لهم منا الحسني .

(٣) (وأما من جاءك يسمى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى) أى وأما من جاءك
 مسرها فى طلب الهداية والغرب من ربه ، وهو يخشاه و يحذر الوقوع فى النواية ،
 فأت تتلهى عنه ، وتتفاقل عن إجابته إلى مطلبه .

كَلَّا إِنَّهَا تَذْ كِرَةً (١١) فَنَ شَاء ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُفَّهِ مُكَرَّمَةٍ (١٢) فِي صُفْعٍ مُكَنَّمَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ مُكَرَّمَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَدَةٍ (١٥) بَرَدَةٍ (١٦)

شرح المفردات

كلا : كلة يقصد بها زجر الخاطب عن الأسر الذي يمانب عليه ، لشلا يماوده ، وهنا هو النصدى للمستنفى والناهى عن المستهدى ، تذكرة : أى موعظة ، ذكره : أى انعظ به ، في محف مكرمة : أى مودّعة في محف شريفة ، مرفوعة : أى عالية القدر ، مطهرة : أى من النقص لاتشو بها الضلالات ، سفرة : واحدهم سافر ؛ من سفر بين القوم إذا نصب نفسه وسيطا ليصلح من أمورهم مافسد .

قال شاعرهم :

فما أدع السفارة بين قومى ولا أمشى بنشّ إن مشيت وللراد هنا لللائكة والأنبياء ، لأنهم وسائط بين الله وخلقه فى البيان عما يريد ، كرام : واحدهم كريم ، بررة : واحدهم بارّ ، والمراد أنهم كرام على الله ، أطهار لايقارفون ذنبا .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه حادث ابن أم مكتوم وعَنْبَه على رسوله فيا كان منهمه ، أردف ذلك ببيان أن الهداية التى يسوقها الله إلى البشر على ألسنة رسله ، ليست من الأمور النى يحتال لتقريرها فى النفوس وتثبيتها فى القلوب ، و إنما هى تذكرة يقصد بها تنبيه الفافل إلى ماجبل الخلق عليه من معرفة توحيده ؛ فهن أعرض عن ذلك فإنه معاند يقاوم مايدعره إليه حسه ، وتنازعه إليه نفسه .

ف عليك إلا أن تبلغ ماعرفت عن ربك ، لتذكر به الناس ، وتنبه الفاقل ، أما أن تحابى القوى المماند، ظنا منك أن مداجاته ترده عن عناده ، فذلك ليس من شأنك ، وفذ كرَّ إِنْ نَفَصَتِ الذَّكَرِّي» .

وهذه الهداية أودعها سبحانه فى الصحف الإلهية الشريفة القدر ، المطهرة من النقائص والميوب ، وأنزلها على الناس بوساطة ملائكته الكرام البررة .

الإيضاح

(كلا إنها تذكرة) أى ما الأمركا تفعل أبها الرسول ، بأن تعبس فى وجه من جادك يسعى وهو يخشى ، وتقبل على من استغنى ، بل الهداية المودعة فى الكتب الإلهية وأجائما القرآن ، تذكير ووعظ وتنبيه لمن غفل عن آيات ربه .

وقد وصف سبحانه تلك التـذكرة بأوصاف تدل على مالهـا من عظم الشأن فقال : (١) (فمن شاء ذكره) أى إن هذه النذكرة بينة ظاهرة ، فلو أن إنسانا أراد
 أن يتدبرها ، ويتنهم معناها ، ويتعظ بها ، ويعمل بموجها — لقسدر على ذلك
 واستطاعه ، ولا يمنعه عن الاهتداء بها إلا عدم المشيئة عنادا واستكبارا .

 (٣) (في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدى سفرة . كرام بررة) أى وقد أودعت هذه التذكرة في الكتب الإلهية ذات الشرف والرفسة ، المطهرة من النقائص ولاتشوبها شوائب الضلالات ، تنزل بوساطة الملائكة على الأنبياء ، وهم يبلغونها للناس .

وكل من الملك والنبي سفير ، وكل منهما رسول ، والملائكة كرام على الله كا قال : « بَلْ عِبَادْ مُكَرِّمُونَ » وأبرار أطهار لايقارفون ذنبا ، ولا يجترحون إنما ، كما قال سبحانه : « لا يَعْصُونَ اللهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَهْتَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ » .

قَتُلِ الْانْسَانُ مَا أَكُفْرَهُ (١٧) مِنْ أَى شَيْء خَلَقَهُ ؟ (١٨) مِنْ ثَطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبيلَ يَسَّرَهُ (٧٠) ثُمَّ أَمَالَتُهُ فَأَ ثَبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاء أَنْشَرَهُ (٢٧) كَلَا كَا يَقْضَ مَا أَمَرَهُ (٧٧)

شرح المفردات

قدره : أى أنشأه فى أطوار وأحوال مختلفة ، طورا بعد طور ، وحالا بعد حال ، والسبيل : الطريق ، يسره : أى سهل له ساوك سبل الخير والشر ، فأقبره : أى جعل له قبرا يُوارَى فيه ، أنشره : أى بعثه بعد للوت ، كلا : زجر له عن ترفعه وتكبره .

المعنى الجملي

بمدأن بين حال الترآن وذكر أنه كتاب الذكرى والموعظة ، وأن فى استطاعة كل أحد أن ينتفع بمظاته لو أراد _ أردف هذا بيبان أنه لايسوخ للإنسان صحا كثر ماله ، ونبه شأنه ، أن يتكبر و يتماظم و يعطى نفسه ما تهواه ، ولا يفكر في منتهاه ، ولا فيكر في منتهاه ، ولا فيب الصور ، إفي أطوار مختلفة ، وأشكال متمددة ، ثم لا يلبث إلا قليلا على ظهر البسيطة حتى يعود إلى التراب كما كان ، و يوضع في لحده ، إلى أمد قدره الله في علمه ، ثم يبعثه من قبره ، و يحاسبه على ما عمل في الدار الأولى ، ويستوفي جزاه ان خيرا و إن شرا ، لكنه ما أكبره بنعمة ربه ، وما أبعده عن اتباع أوامره ، واجتناب تواهيه ! .

الإيضاح

(قتل الإنسان) هذا دعاء عليه بأشنع الدعوات على ما هو المعروف فى اسانهم ، يقولون إذا تسجيوا من إنسان : قاتله الله ما أحسنه ، وأخزاه الله ما أظلمه ! والمراد بيان قبح حاله وأنه بلغ حدا من العتق والكبر لايستحق ممه أن يبقى حيا .

(ما أكفره) أى ما أشدكفرانه للنعم التى يتقلب فيها ، وأكثر ذهوله عن مُشديها ، وعمن نحره بها من حين إيجاده ، إلى ساعة معاده !.

ثم شرع يفصل ما أجله ، و يبين ما أفاض عليه من النمم فى مراتب ثلاث ، للبدأ والوسط والمنتهى ، وأشار إلى الأولى بقوله :

(من أىّ شىءٌ خلقه؟) أى من شى ً حقير ، فلا ينيخى له التجبر ولا التكبر وقد أجاب عن هذا الاستفهام بقوله :

(من نطفة خلقه فقدره) أى خلقه من ماء مهين ، وقدره أطوارا وأحوالا ، طورا بعد طور وحالا بعد حال ، وأتم خلقه بأعضاء تلائم حاجاته مدة بقائه ، وأودع فيه من القوى ما يمكنه من استمال تلك الأعضاء وتصريفها في خلقت لأجله ، وحصل كل ذلك بمقدار محدود بحسب ما يقتضيه كمال نوعه . وقد أثر عن بعضهم : كيف يتكبر الإنسان ، وأوله نطقة مَذِرة ، وآخره جيفة قَذُرة ، وهو فيا بين الوقتين شمال عَذِرة .

وروى عن على "كرم الله وجهه قوله : كيف يفخر الإنسان وقد خرج من موضع البول مرتين .

وأشار إلى المرتبة الوسطى بقوله :

(ثم السبيل يسره) أى ثم جعله متمكنا من سلوك سبيلي الخير والشر ، فا ناه قدرة العمل ، ووهبه العقل الذي يميز به بين الأعمال ، وعرّفه عاقبة كل عمل ونتيجته كا قال : « وَهَدَيْنَاكُ النَّبْدَيْنُ » و بعث إليه الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب المشتملة على الحبكم والمواعظ والدعوة إلى أنواع البر ، والتحذير من الشر ، والحاوية لما فيه سعادة البشر في معاشيهم ومعادهم .

وأشار إلى المرتبة الأخيرة بقوله :

(ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) أى ثم قبض روحه ولم يتركه مطروحا على الأرض جَزَرا السباع ، بل تفضل عليه وجمل فى غريرة نوعه أن يوارى ميته تكرِمةً له ، ثم إذا شاء بعثه بسـد موته للحساب والجزاء فى الوقت الذى قدره فى علمه .

وفى قوله : « إذا شاء » إشعار بأن وقت الساعة لايمله إلا هو ، فهو الذى استأثر ببلمه ، وهو التادر على تقديمه وتأخيره ، وهو القاهم فوق عباده وذر السلطان عليم في إحيائهم و إمانتهم ، و بعثهم وحشرهم ، وحسابهم على ما قلموا من عمل ، خيرا كان أو شرا .

ثم أكدكفراته بالنعم فقال :

(كلا لما يقض ما أمره) أى حقا إن حال الإنسان لتدعو إلى العجب، فإنه بعد أن رأى فى نفسه مما عددناه من عظيم الآيات ، وشاهد من جلائل الآثار ، ما يحرك الأنظار ، ويسير بها إلى صواب الآراء ، وصحيح الأفكار _ لم يقض ما أمره به من التأمل في دلائل قدرته ، والتدبر في معالم هذا الكون المنبثة بوحدانية خاتمه ، الناطقة بأن لها موجدا يستحق أن يقصده وحده دون سواه ، ويتوجه إليه بالمبادة والامتثال إلى ما يأمره به .

والخلاصة — إن الإنسان قد بلغ فى جعده آيات خالقه مبلغا لاينتهى منه المعجب ، إذ قد رأى فى نفسه وفى السموات والأرض وسائر ما يحيط به من الموالم ، الآيات الناطقة بوحدانية الخالق ، الدالة على عظيم قدرته ، ثم هو لايزال مستمرا فى نكران نسته عليه ، فإذا ذُكر لايتذكر ، و إذا أرشد إلى الهدى لم يسلك سبيله الأقوم ، ولا يزال برتكب ما نهى عنه ، ويترك ما أمر به .

قَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَمَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءِ صَبَّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًا (٢٦) قَأْنِبْتَنَا فِيها حَبًّا (٢٧) وَعِنْبَا وَتَصْبَّا (٢٨) وَزَيْتُونَا وَنَحْلًا (٢٩) وَحَدَاثِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَا كَمِنَةً وَأَبَّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْمَاكِمُ (٣١) .

شرح المفردات

القضب: الرطبة وهى ما يؤكل من النبات غضا طريا ؟ وسمى قضبا لأنه يقضب أى يقطم مرة بعد أخرى ، غلبا : واحدها غلباء أى ضخمة عظيمة ، والأب : المرعى لأنه يؤكب : أى يُؤتم وينتجع ، متاعا لسكم ولأنمامكم : أى أنبتناه لسكم لتتمتموا به وتنضعوا وتنضع أنمامكم .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر الدلائل على قدرته تنالى وهى كامنة فى نفسه ، براها فى يومه بمد أمسه ـــ أردفها ذكر الآيات المنبئة فى الآفاق الناطقة ببديم صنمه ، وباهم حكته .

الإيضاح

(فلينظر الإنسان إلى طعامه) أى فليتدبر الإنسان شأن نفسه ، وليفكر فى أمر طعامه وتدبيره وتهيئته حتى يكون غذاء صالحا تقوم به بِنْيَتُهُ ، ويجد فى تناوله المذة تدفعه إليه ، ليحفظ بذلك قوّته مدى الحياة التى قدرت له .

وقد فصل ذلك بقوله :

(أنا صبينا الماء صبا) أى أنزلناه مر_ للزن إنزالا بعد أن بقى حينا فى جو السهاء مم ثقله .

(ثم شققنا الأرض شقا) أى ثم شققنا الأرض شقا مشاهدا مرئيا لمن نظر إليها بعد أن كانت متهاسكة الأجزاء .

وقد اقتضت حكمته ذلك ، ليدخل الهواء والضياء في جوفها ، ويهيثانها لتغذية النبات .

ثم ذكر سبحانه ثمانية أنواع من النبات:

- (١) (فأنبتنا فيها حيا) كالحنطة والشعير والارْز وهو الأصل في الغذاء .
 - (٢) (وعنبا) وهو من وجه غذاه ، وفاكهة من وجه آخر .
- (٣) (وقضبا) وهو كما قال ابن عباس والضحاك ومقاتل واختاره القراء وأبو عبيدة والأسمحي ــ الرطبة : هي ما يؤكل من النبات غمًّا طريا .
 - (٤،٥) (وزيتونا ونخلا) وقد تقدم بيان منافعهما ، وسيأتى أيضا .

 () وحداثق غلبا) أى و بسانين ذات أشجار ضخمة مثمرة ذات حوائط تحيط بها ، وعظم الحداثق إما بالتفاف أشجارها وكثرتها ، و إما بعظم كل شجرة وغلظها وكبرها .

وف ذكرها بهذا الوصف إبماء إلى أن النعبة فى الأشجار بجبلتها ، وليست فى تمرها خاصة ، فن خُشُها يتخذ أرقى أنواع الأثاث وأدوات العمل وآلاته لختلف الحرف والصناعات ، وكذا الوقود لتدبير الطعام والخبذ على ضروب شتى ، وتستعمل فى صهر الحديد وأنواع المعادن المختلفة .

(٧) (وقاكمة) يتمتع بلنتها الإنسان خاصة كالتين والتفاح والخوخ وغيرها.

(٨) (وأيا) أى مرعى للحيوان خاصة .

ثُم ذَكُر الحُكة في خلق هذه الأشياء فقال:

(متاعا لكم ولأنمامكم) أى أنبتنا ذلك ، لتتمتعوا به وتنتفعوا به أتتم وأنعامكم ، منه ما ينتفع به الإنسان ، ومنه ما يأكله الحيوان .

فَإِذَا جَاءِتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْةِ مِنْ أَخِيهِ (٣٣) وَأُمَّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَيَنِيهِ (٣٦) لِكُلُّ الْمُرِئُ مِنْهُمْ يَوْمَنْدِ شَأْنُ يُمْنِيهِ (٣٧) وُجُوهُ يَوْمَنْدِ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْنَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذِ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَوْهَقُهَا فَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤١).

شرح المفردات

الصخ : الضرب بالحديد على الحديد ، وبالعصا الشُّلبة على شي مصمت ، فيسمم إذ ذاك صوت شديد؛ والراد هنا بالصاخة هو الراد بالقارعة في سورتها ، وهى الطامة الكبرى ، ويكون نذيرها ذلك الصوت الهائل الذي يحدث من تخريب الكون ووقع بعض أجرامه على بعض ، ومن "ممّ سميت صاخة وقارحة ، شأن : أى شفل ، يفنيه : أى يصرفه و يصده عن مساعدة ذوى قرابته ، قال شاعرهم : سيفنيك حرب بني مالك عن الفحش والجهل في الحفيل مسفرة : أى مضيئة مشرقة يقال: أسفرالصبح إذا أضاد ، مستبشرة : أى فرحة يما نالت ، والفترة : ما يصيب الإنسان من النبار ، ترفقها : أى نفشاها ، والفترة : سودكالدخان ، والفجرة : واحدهم فاجر، وهو الخارج عن حدود الله المنتهك لحرماته .

المعنى الجملي

بعد أن عدد سبحانه آلاء على عباده ، وذكرهم بإحسانه إليهم في هذه الحياة ، وبين أنه لاينبني للماقل بعد كل ما رأى أن يتمرد عن طاعة صاحب هذه التمم الجسام _ أعقب هذا بتفصيل بعض أحوال يوم القيامة وأهوالها التي توجب الفرع والخوف منه ، ليدعوه ذلك إلى التأمل فيا مضى من الدلائل التي ترشد إلى وحدانيته وقدرته ، وسحة البعث وأخبار يوم القيامة التي جاءت على ألسنة رسله ، ويترود بسالم الأعمال التي تكون نبراسا يضىء أمامه في ظلمات هذا اليوم .

وذكر أن الناس سينئذ فريقان: فريق ضاحك مستبشر، فَرَحْ مَ الحجب يلتى حبيبه ، وهو من كان يعتقد الحق ويصل للحق ، وفريق تعلو وجهه الغتمة ، وترهقه النَّتَرَة ، وهو الذي تمرد على الله ورسوله ، وأعرض عن قبول ما جاءه من لحق، و لم يعمل بما أمر به من صالح الأعمال .

الإيضاح

(فإذا جاءت الصاخة) أى فإذا جاء يوم القيامة حين يحدث ذلك الصوت الهائل الذى يصنح الأسماع ويصكها بشدته — فمما أعظم أسف الكافرين ، وما أشد لمدمهم . ثم فصل بعض أهوال هذا اليوم فقال :

(بوم بقر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته و بنيه . لكل امرئ منهم ومئذ شأن يننيه) أى يوم بشفل كل امرئ ما يصيبه من الأهوال ، فيفر ممن يتوهم أنه يتماق به ، ويطلب مموتته ، على ما هو فيه ، فيتوارى من أخيه ، بل من أمه وأبيه ، بل من زوجه التي هي ألصق الناس به ، وقد كان في الدنيا يبذل النفس والنفيس في الدفاع عنها ، بل من بنيه وهم فراندات كيده ، وقد كان في الحياة الأولى يقديهم بماله وروحه ، وهم رجانة الدنيا ونور الحياة أمام عينه .

ونحو الآية قوله : ﴿ يَوْمَ لَا يُفْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا ﴾ .

و إنماً كان الأسركذلك ، لأن لكل امرئ منهم من الرهّب ، وما يُرْهِب من الهول ، وما يخشى من مناقشة الحساب ــ شأنا يفنيه ، ويصدّه عن ذوى قرابته ، فليس لديه فضل فسكر ولاقوة يُحدّ بها فيره .

وقد يكون المني — يغنيه ذلك الهم الذي ركبه بسبب نفسه ، وشغله حتى ملأ صدره ، فلم يبق فيه متسم لهم آخر .

و بعد أن ذكر الأهوال التي تعرض للناس في ذلك البوم ، وأنها لاتسعف أحدا بمواساة أحد ولا الالنفات إليه مهما يكن عطفه عليه واتصاله به _ أردفه بيان أن الماس في ذلك اليوم سعداء وأشتياء ، وأشار إلى الأولين بقوله :

(وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة) أى وجوه يومئذ متهلة ضاحكة فرحة بمما تجد من برد اليقين بأنها ستونّى ما وُعدت به جزاء إيمانها وما قدمت من عمل صالح ، وبشكرها لنمم ربها وآلائه ، وإيثارها ما أمرها به على ما تهواه .

وأشار إلى الآخرين بقوله :

(ووجوه يومئذ علمها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة) أى ووجوه يعلوها غبار الذل وسواد الفم والحزن ، وهى وجوه الكفار الذين لم يؤمنوا بالله ، وبما جاه به أنبياؤه ، وخرجوا عن حدود شرائعه ؛ واجترحوا السيئات ، وافترفوا المعاصي .

وقصارى ما سلف --- إن الناس إذ ذاك فريقان :

- (۱) فريق كان فى دنياه يطلب الحتى وينظر فى الحجة ، ويسل ما استقام عليه الدليل ، لا يثنيه عن الأخذ به قلة الآخذين ، ولا قوة الماندين ، وهؤلاء سيطمئنون إلى ما أدركوا ، ويفرحون بما نالوا ، وتظهر على أسار ير وجوههم علامات البشر والسرور .
- (٣) فريق احتقر هقله ، وأهمل النظر فى نعم الله عليه ، وارتضى الجهل ، وانصرف عن الاستدلال إلى اقتفاء آثار الآباء والأجداد ، وظل يخبُّ ويضع في أهوأله الباطلة ، وعقائده الزائفة _ وهؤلاء سيجدون كل شي على غير ماكانوا يعرفون ، فتظهر عليهم آثار الخيبة والفشل ، وتعاو وجوههم الثبرة ، وترهقها الفترة ، لأنهم كأوا في حياتهم الدنيا كفرة فجرة .

اللهم احشرنا يوم القيامة ووجوهنا مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وصلّ ربنا على نبيك وآله وصحبته .

ماجاء في هذه السورة الكريمة من مقاصد

- (۱) عتاب الرسول صلى الله عليه على ما حدث منه مع ابن أم مكتوم الأعمى .
 - (٢) أن القرآن ذَكرى وموعظة لمن عقل وتدبّر .
- (٣) إنامة الأدلة على وحدانية الله بخلق الإنسان والنظر في طعامه وشرابه .
 - (٤) أهوال بوم القيامة .
- (٥) الناس في هذا اليوم فريقان: سعداء وأشقياء، وذكر حال كل منهما حينثذ .

سورة التكوير

: هي مكية ، وآيها تسع وعشرون ، نزلت بعد سورة المسد .

ومناسبتها لما قبلها - أن كلتيهما تشرح أحوال يوم القيامة وأهوالها. أخرج الإمام أحمد والتردذى والحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ: (إذَا الشَّمْسُ كُورَّتَ . وَ ـ إذَا السَّامَ انْشَقَّتُ)».

بِسْمِ الله الرُّحِيمِ

إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتُ (١) وَإِذَا النَّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجُبَالُ اللَّهُ وَشُكَدَرَتْ (٣) وَإِذَا الْجُبَالُ اللَّهُ وَشُكَدَرَتْ (٥) وَإِذَا اللَّهُ وَشُكَمْ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْتُ (٥) وَإِذَا اللَّهُ وَوَدَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَوَدَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَإِذَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَإِذَا اللَّهُ وَوَدَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللْمُعُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

شرح المفردات

تكوير الشمس: لقها كتكوير البهامة ؛ والمراد منه اختفاؤها عن الأعين وذهاب ضوئها ، وانكدار النجوم : امتثارها وتساقطها حتى تذهب ويمحى ضوؤها ، وتسيير الجبال يكون حين الرجفة التى تزلزل الأرض ، فتقطّع أوصالها ، وتفصل منها أجبالها ، وتقذفها في الفضاء ، والعشار : واحدها عشراء (بضم العين وفتح الشين) وهى الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر ، وهى أكرم مال لدى الحاطبين وقت التنزيل ، قال الأعشى فى المدح :

هو الواهب المائة المصطفا ته إما مخاضا وإما عشارا

وتعطيلها : إهمالها وذهابها حيث تشاء ، لعظم الهول وشدة الكرب ، حشرت : أى ماتت وهلكت ، وتسجير البحار : تفجير الزلزال مابيلها حق تختلط وتعود بحرا واحدا ، زُوَّجت : أى قرنت الأرواح بأجسادها ، المودودة : هي التي دفت وهي صغيرة ، وقد كان ذلك عادة فاشية فيهم في الجاهلية ، وكان ذوو الشرف منهم عنمون من هذا حتى افتخر مذلك الفرزدق فقال :

يريد جدَّه صَمْصَمة ، وكان يشتريهن من آبائهن، فجاء الإسلام وقد أحيا سبعين مودة ، والمراد بالصحف صحف الأعمال التي تنشر على العباد حين يقنون للحساب، كشطت : أى كشفت وأزيلت عما فوقها كما يكشط جلد الذبيحة عنها ، سعرت : أى أوقدت إيقادا شديدا ، أزلفت: أى أدنيت من أهلها وقر بت منهم، ما أحضرت: أى أوقد ما أحدً للها من خير أو شر .

المعنى الجملي

بدأ سبحانه هذه السورة المسكرية بذكر يوم القيامة ، وما يكون فيه من حوادث عظام ، ليفتح مأنه ، و بين أنه حين تقع هذه الأحداث تمل كل نفس ماقدمت من عل خير أو شر ، ووجدت ذلك أمامها مائلا ، ورأت ما أعد لها من جزاء وتمنت إن كانت من أهل المغير أن لو كانت زادت منه ، و إن كانت من أهل الشر أن لو لم تكن ضلته ، واستبان لها أن الوعيد الهنى جاء على ألسنة الرسل كان وعيدا صادقا ، لاتهو بل فيه ولا تضليل .

الإيضاح

(إذا الشمس كورت) أى إذا كورت الشمس وامحى ضوؤها وسقطت حين خراب العالم الذى يعيش فيه الحيّ في حياته الدنيا ، ولا يبقى في عالمه الآخر الذى ينقلب إليه شيء من هذه الأجرام .

(و إذا النجوم انكدرت) أى و إذا النجوم تناثرت وذهب لألاؤها كما جا. في قوله : « وَ إِذَا الْسَكُوا كِبُ انْتَثَرَتْ » .

(و إذا الجبال سيرت) أى و إذا الجبال قلمت عن الأرض وسيرت فى الهوا. حين زلزلة الأرض، فتقطع أوصالها وتقذف فى الفضاء، وتمر على الرءوس مرّ السحاب ونحو الآية قوله: « وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَسَكَانَتُ سَرَابًا » وقوله: « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَثَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً » .

(و إذا العشار عطلت) أى و إذا النوق العشار وهى أكرم الأموال لديهم ، وأعزها عندهم — أهملت ولم يُعن بشأنها لاشتداد الخطب ، وقداحة الهول .

وهذا على وجه المثل ، لأن يوم التيامة لانكون فيه ناقة عشراء ، ولـكن مثّل هول يوم التيامة بحال لوكان للرجل ناقة عُشَراء لمطلها واشتغل بنفسه قاله القرطبي.

(وإذا الوحوش حشرت) أى مانت وهلكت ، تقول العرب إذا أضرّت السنة بالناس وأصابتهم بالقحط والجدب، حشرتهم السنة : أى أهلكتهم، وهلاكها يكون من هول ذلك الحادث العظيم .

(و إذا البحار سجرت) أى "فجر الزلزال مابينها حتى اختلطت وعادت بحراً واحداً ، وهذا على نحو ما جاء فى قوله : « وَ إِذَا الْبِنَحَارُ فُجَّرَتْ » .

وقد يكون المراد من تسجيرها إضرامها نارا ، فإن ماق باطن الأرض من النار يظهر بنشقفها وتمزّق طبقاتها العليا ، وحينئذ يصير الماء بخارا ، ولا يبقى إلا النار . وقد أثبت البحث العلمي غليان البراكين ، وهي جبال النار التي في باطن الأرض، وتشهد لذلك الزلازل الشديدة التي تشق الأرض والجبال في بعض الأطراف كما حدث في مستينا بإيطاليا سنة ١٩٠٩م ، وحدث في اليابان بعد ذلك .

وجاء في بعض الأخبار ﴿ إِنْ البَّحْرُ غَطَاءُ جَهْمُ ﴾ .

و بمد أن عدد ما يحدث من مقدمات الفناء و بطلان الحياة في الأرض وامتناع للمشة فيها .. أخذ يذكر ما يكون بعد ذلك من البعث والنشور فقال :

(و إذا النفوس زوّجت) أى و إذا زوجت الأرواح بأبدانها حين النشأة الآخرة، قاله عكرمة والضحاك والشعبي .

وفى هذا إيماء إلى أن النفوس كانت باقية من حين للوت إلى حين المعاد ، فبعد أن كانت منفردة عن البدن تعود إليه .

(و إذا للو وودة سئلت. بأى ذنب قتلت ؟) أى و إذا سئلت للو وودة بين يدى وائدها عن السبب الذى لأجله قتلت ، ليكون جوابها أشد وقعا على الوائد ، فإنها ستجيب أنها قتلت بلا ذنب جنته .

وقد افتن العرب في الوأد ، فنهم من كان إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها ولا يقتلها ، أمسكها مهانة إلى أن تقدر على الرعى ، ثم البسها جبة من صوف أو شعر وأرسلها في البادية ترعى إبله ، وإن أراد أن يقتلها تركها حتى إذا كانت سداسية قال لأمها : طبيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحمائها ، وقد حفر لها بئرا في الصحراء حتى إذا بلنها قال لها انظرى فيها ، ثم يدفعها من خلفها ويهيل علها التراب حتى تسوى البئر بالأرض ، ومنهم من كان يفعل ما هو أنكى وأقسى من ذلك .

فيا لله ، ما أعظم هـــذه القسوة بقتل البريئات يغير جُرم سوى خوف الفتر أو المار ، وكيف استبدلت الرحمة بالفظائلة ، والرأفة بالفلظة ، بعد أن خالط الإسلام قلوبهم ، ومحا وصمحة هذا الخزى عنهم . (وإذا الصحف نشرت) أى وإذا صحف الأعمال ظهرت للعاملين فى موقف الحساب حتى لايرتابوا فيها ، ولا يثبنى أن نبحث عن تلك الصحف ، لنعلم أهى على مثال الأوراق التى نكتب فيها فى الدنيا ، أم تشبه الألواح أو نحوذلك مما جرى استماله فى السكنابة ، فإن ذلك مما لايصل إليه علمنا ، ولم يجى نص قاطع عن المحسوم صلى الله عليه وسلم يفسر ذلك .

(و إذا الساء كشطت) فلم يبق غطاء ولا سماء ، ولم يوجد مايطلق عليه اسم الأعلى والأسفل .

(وإذا الجديم سترت) أى وإذا جهنم التى يعاقب فيها أهل الكفر والطنيان أوقدت إيقاداً شديداً ، فيكون ألم من يدخل فيها من أشد الآلام التى تحدث عن مسّ النيران للأجسام الحية ، وقد جاء فى سورة البقرة : « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » .

(وإذا الجنة أزلفت) أى وإذا الجنة أدنيت من أهلها : أى أعدت لنزولهم . ونحو الآية قوله تعالى : « وَأَزْ لِفَتَ الجَنَّةُ لِلْمُتَقِّينَ غَيْرَ بَمِيدٍ » .

(علت نفس ما أحضرت) أى إذا حصل كل ماتقدم من الأحداث السائة ، تعلم كل نفس ما كان من عملها متقبلا وما كان منه مردودا عليها ، فكثير من الناس كأنوا في الحياة الدنيا مغرورين بما تريئه لهم الشياطين ، وسيجدون أعمالهم يوم القيامة غير مقبولة ولا مرضى عنها ، بل هي مبعدة من الله مستحقة لنضبه ؛ فالذين يماون أعمالهم رئاء الناس ليس لهم من عملهم إلا الجهد والمشقة ، ولا تكون متقبلة عند ربهم ، فعلينا أن ننظر إلى الأعمال بمنظار الشرع ، وترتها بميزانه الصحيح .

والله لايتقبل من الأعمال إلا ماصدر عن قلب ملى. بالإيمـان ، عامر بحبه والرغبة في رضاه ، والحرص على أداء واحباته التي فرضها عليه .

شرح المفردات

الحنس: واحدها خانس، وهو المنقبض المستخفى ؛ يقال خنس فلان بين القوم إذا انقبض واختفى ، والكنس: واحدها كانس أوكانسة من قولهم: كنس الطبي إذا دخل كناسه وهو ببته الذى يتخذه من أغصان الشجر ؛ والمراد بالخنس الجوار الكنس : جميم الكواكب ، وخنوسها : غيبو بتها عن البصر نهاداً ، وكنوسها : ظهورها البصر ليلا ، فعى تظهر في أفلاكها ، كا تظهر الظباء في كنسها، وعسس : أي أدبر ، وتنفس : أسفر وظهر نوره ، قال علقمة بن قراط :

حتى إذا الصبح لها تنفُّسا وانجاب عنها ليلها وعسما

والرسول: هو جبريل عليه السلام ، وكريم : أى عزيز على الله ، ذى قوة : أى فى حفظه ، مكين: أى ذى مكانة وجاه عند ربه يعطيه ماسأله؛ يقال مَكُن فلان لمدى فلان إذا كانت له عنده خُطوة ومنزلة "، ثَمَّ" (بفتح الثاء) أى هناك ، أمين : أى على وحيه ورسالاته ، صاحبكم : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، بالأفق المبين : أى بالأفق الواضح ، وضنين : أى بخيل ، رجيم : أى مرجوم مطرود من رحمة الله ، فأب تذهبون : أى أى مسلك تسلكون وقد قامت عليكم الحجة ، أن يستقيم : أى على الطريق الواضح .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر من أحوال يوم التيامة وأهوالها ماذكر ، و بين أن الناس حينقذ يفقون على حقائق أعمالهم في النشأة الأولى ، و يستبين لهم ماهو مقبول مها وما هو مردود عليهم - أردف ذلك بيان أن ما يحدّثهم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن الذي أنزل عليه وهو آيات بينات من الهدى ، وأن مارميتموه به من المعايب كقولكم: إنه ساحر أو مجنون ، أوكذاب ، أو شاعر ماهو إلا محض افتراء ، وأن لجاجكم في عداوته وتأليكم عليه ماهو إلا عناد واستكبار ، وأنكم في قوارة ففوسكم عالمون حقيقة أمره ، ودخيلة دعوته

الإيضاح

(فلاأقسم) تقدم أن قلنا إن هذه عبارة العرب فى القسم تريد بها تأكيدالخبر كأنه فى ثبوته وظهوره لايحتاج إلى قسم ، وكاأنه يقول : أنا لاأقسم بكذا وكذا على إثبات ما أذكره ، ولا على وجوده فهو واضح جلى ليس فى حاجة إلى الحلف؛ وللراد به القسم المؤكد .

(بالخنّس. الجوار الكنس) أى بالكواكب جميعها ، وهى تخلس بالنهار فننيب عن العيون ، وتكنس بالليل : أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها ؛ وقد أقسم بها سبحانه ، لمــا فى حركانها وظهورها طوراً واختفائها طوراً آخر من الدلائل على قدرة مصرتفها ، وبديع صنعه ، وإحكام نظامه . و برى بعض العاء أن المراد بها الدراريّ الحسة وهي : عُطارد ، والزُّمَّرة ، والمرّخ ، والشّترى ، وزُحل ، لأنها تجرى مع الشمس ، ثم ترى راجعة حتى تُختنى فى ضوئها ؛ فرجوعها فى رأى الدين هو خنوسها ، واختفاؤها هو كنوسها .

(والليل إذا عسمس) أى والليل إذا أدبر وولى ، وفى إدباره زوال النُّمَّة التي تشمر الأحياء، بانسدال الظلمة وانجسارها .

(والصبح إذا تنفس) أى والصبح إذا أسفر وظهر نوره ، وفى ذلك بشرى للأنفس بحياة جديدة فى نهار جديد ، إذ تنطلق الإرادات ، لتحصيل الرغبات ، وسد الحاجات ، واستدراك مافات ، والاستعداد لمما هو آت .

ثم ذكر المحلوف عليه فقال :

(أنه لقول رسول) أى إن ما أخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم من أسر الساعة ليس بكهانة ولا اختلاق، بل هو قول نزل به جبريل وحياً من ربه، و إنحا كان قوله لأنه هو الذى حمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقد وصف هذا الوسول مخسة أوصاف :

- (١) (كريم) أى عزيز على ربه ، إذ أعطاه أنضل العطايا ، وهى الهمداية والإرشاد ، وأمره أن يوصلها إلى أنبياته ليبلغوها لعباده .
- (٧) (ذى قوة) فى الحفظ والبعد عن النسيان والخطأ ، وقد جاء فى آية أخرى :
 ﴿ عَلَّهُ شَد ردُ اللهُ كِن ﴾ .
 - (r) (عند ذي العرش مكين) أي ذي جام ومنزلة عند ربه يعطيه ماسأل .
- (٤) (مطاع ثمةً) أى هو مطاع عند الله في ملائكته المقر بين ، فهم يصدرون
 عن أمره ، و ترجمون إلى رأيه .
- (ه) (أمين) على وحى ربه ورسالاته ، قد عصمه من الخيانة فيا يأمره به ،
 وجنّبه الزلل فيا يقوم به من الأعمال .

و بعد أن وصف الرسول وصف المرسل إليه فقال :

(وماصاحبكم بمجنون) أى وليس محمد صلى الله عليه وسلم بالمجنون كما كانت ترميه قريش بذلك حين كانت تسمم منه غريب الأخبار عن اليوم الآخر بمما لم يكن معروفا لهم كما حكى عنهم فى قوله : «أَنَّى لَهُمُ الذَّكُمُ وَقَلْ جَاءهُمْ رَسُولُ مُعِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوا عَنْهُ وَقَالُوا مُمَلًّ بَجْنُونٌ » وقوله : «أَوَلَمَ بَنَقَكُمُ وَا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةً إِنْ هُو إِلاَّ نَذَيرٌ مُمِينٌ » وقوله : «قُلْ إِنَمَا أُعِظُكُمُ مِواحِدةٍ أَنْ تَقُومُوا فَلَهُ مَنْ وَقُوله : «قُلْ إِنَمَا أُعِظُكُمُ مِواحِدةٍ أَنْ تَقُومُوا فَلَهُ مَنْ وَقَلْهُ مَنْ عَنْهُ إِلاَّ نَذَيرٌ لَكُمْ مِنْ عِنَّةً إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذَيرٌ لَكُمْ اللهِ مَدَّالِهِ مَذَالِهِ شَدِيدٍ » .

وفى التعبير (بصاحبكم) استدلال عليهم، وإقامة للحجة على كذبهم في دعواهم. فإنه إذا كان صاحبهم، وكافوا قد خالطوه وعاشروه، وعرفوا عنه مالم يعرفه سواهم من استقامة، وصدق لهجة، وكال عقل، ووفور حلم، وتفوّق على جميع الأنداد والأتراب في صفات الخير — لم يكن ادّعاؤهم عليه مايناقض ذلك إلا باطلا من القول وزوراً.

(ولقد رآه بالأفق المبين) أى وإن عمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل بالأفق الأعلى ، وقد تمثل له جبريل في مثال يظهر ويُبصر، تتجلى لمينيه ، وأعلم أنه جبريل ضوفه .

وقد ذكرت هذه الرؤية فى سورة النجم فى قوله : «مَا كَذَبَ الْنُوَّادُ مَا رَأَى أَنْتُمَارُونَهُ كُلِّي مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ ۖ نَزْلَةٌ ۚ أَخْرَى عِنْدٌ سِذْرَةِ الْمُنْتَكَى » .

(وماهو على النيب بضنين) أى وليس مجد بالمتهم على القرآن وما فيسه من قصص وأنباء وأحكام ، بل هو ثقة أمين لايأتى به من عند نفسه ، ولايبدل منه حرفا بحرف ، ولا معنى بمنى ، إذ لم يعرف عنه الكذب فى ماضى حياته ، فهو غير متّهم فيا يحكيه عن رؤية جبريل ومماع الشرائع منه .

ثم ننى عنه فرية أخرى كانوا يتقوُّلونها عليه فقال :

(وما هو بقول شيطان رجيم) أى وما هذا الذى يتكلم به محمد بقول ألقاء

الشيطان على لسانه حين خالط عقــله كما تزعمون ، فإنه قد عرف بصحة المقل ، وبالأمانة على الفيب ، فلا يكون ما يحدّث به من خبر الآخرة والجنة والنار من قول الشياطين .

وقد حكى الله سبحانه عن الأمم جميعًا أنهـــم رموا أنبياءهم بالجنون فقال : ﴿ كَذَٰ لِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَلحِرٌ أَوْ تَجْنُونٌ» .

ثم ذكر أنهم قوم قد ضاوا طريق الندبر ، وجهارا سبيل الحكمة فقال : (فأين تذهبون) أى فأىّ سبيل تسلكونها وقد سُدّت عليكم السبل ، وأحاط بكم الحق من جميع جوانبكم ، و بطلت مفترياتكم ، فلم يبق لـكم سبيل تستطيعون

> الهرب منها . ثم بيّن حقيقة القرآن فقال :

(إن هو إلا ذكر للمالمين) أى وماهذا القرآن إلا عظة للخلق كافة يتذكرون بها ماغُرِز في طباعهم من حب الخير ، و إنحا أنساهم ذكره ماطراً عليهم بمقتضى الإلف والمادة من ملكات السوء التي تحدثها أمراض البيئة والمجتمع ، والقدوة السبئة .

ثم بين أنه لاينتفع بهذه النظم كل العالمين فقال :

(لمن شاء منكم أنّ يستقيم) أى إنه ذكر يتذكر به من وجَّه إرادته ، للاستقامة على جادَّة الحق والصواب ؛ أما من انحرف عن ذلك فلا يؤثر فيه هذا الذكر ولا تخرجه من غفلته .

والخلاصة — إن على مشيئة الكالف تتوقف الهداية ، وقد فرض عليه أن يوجه فكره نحو الحق ويطلبه ، ويجد في كسب الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ثم دنم توهم أن إرادة الإنسان مستذلة في فعل مايريد ، وله الاختيار التام فها

بعض ، وهو منقطع الملاقة في إرادته من سلطان ربه فقال :

(وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى إن إرادتكم الخير لا تحصل للديكم إلا بعد أن يخلقها الله فيكم بقدرته ، الموافقة لإيرادته ، فهو القدى بودع فيكم إرادة فعل الخير فتنصرف همكم إليه ، ولوشاء لسلبكم هذه الإرادة وجعلكم كالحيوانات لا إرادة لها .

وفى قوله : « رب العالمين » بيان لعلة هذا ، فإنه لما كان رب العالمين ، وهو الذى منحكم كل ما تمنعون به من القوى كالإرادة وغيرها ، وهو صاحب السلطان عليكم — كانت إرادتكم مستندة إلى إرادته ، وخاضمة لسلطانه ، فلو شاء أن يوجهها إلى غير ماوجهت ، فله الأمر وله الحكم وهو على تما وجهة قدم .

موضوعات هذه السورة الكريمة

- (١) أهوال يوم القيامة .
- (٢) الإنسام بالنجوم وبالليل وبالصبح إن القرآن منزل من عند الله بوساطة ملائكته .
 - (٣) إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
- (٤) بيان أن القرآن عظة وذكرى لمن أراد الهداية ، وتوجهت نفســـه إلى. فعل الخير .
 - (٥) مشيئة العبد تابعة لمشيئة الربّ سبحانه ، وليس لها استقلال بالعمل .

سورة الانفطار

هى مكية ، وآياتها تسع عشرة ، نزلت بعد سورة النازعات .

وهي كسابقتها مبدوءة بوصف أهوال يوم القيامة .

بِسُمِ اللهِ الرُّهُمٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءِ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكُوَ اكِبُ اْ تَثَرَتْ (٧) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجَّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ مُبْمَـــثِرَتْ (١) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَاقَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ (٥)

شرح المفردات

انفطرت: أى انشقت ، انتثرت: أى تساقطت متفرقة ، فجرَّت : أى فتحت وشققت جوانبها فزال ما بينها من الحواجز واختلط عذبها بملحها ، بُنثرت: أى قلب ترابها الذى حتى على موتاها ، وأزيل وأشرج من دفن فيها ، ما قدمت : أى من أعمال الخير، وما أخرت: أى منها بالكسل والتسويف .

المعنى الجملي

افتتح سبحانه هذه السورة بمثل ما افتتح به سابقتها من ذكر أمور تحدث حين خراب هذا المالم ، وتكون مقدمة ليوم العرض والحساب والجزاء ، وهو يوم القيامة ، منها أمران علويان ها : انقطار السهاء وانتئار الكواكب ، وأسران سفليان ها تفجير البحار و بمثرة الفبور ، ثم أبان أنه في ذلك اليوم تتجلى النفوس أعمالها على حقيقتها، فلا ترى خيرا في صورة شر ، ولا تتخيل شرا في مثال خير ، كا يقم في الدنيا لأغلب

النفوس ، فيمرف أهل الخير أنهم وإن نجوا مقصرون ، فيأسفون على ماتركوا ويستبشرون بما عملوا ، ويتمض أهل السوء بنان الندم ، ويوفنون بسوء النقلب ، ويتمنون أن لوكانوا ترابا .

الإيضاح

(إذا السهاء انفطرت) أى إذا انشتت السهاء وتثير نظامها ، فلم يبق نظام الكواكب على ما نرى ، عند خراب هذا العالم بأسره .

وجاء نحو الآية قوله : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّنُ السَّمَاءِ بِالْغَامِ ﴾ وقوله : ﴿ فَإِذَا انْسُقَّتِ السَّمَاء فَكَمَا نَتْ وَرْدَةً كَالسَّمَانِ ﴾ وقوله : ﴿ وَفُتِيحَتِ السَّمَاءُ ۖ فَكَا نَتْ أَبُوّا باً ﴾ .

و إذا الـكواكب انتثرت) أى سقطت وتفرقت ، وهذا يجىء تاليا لما قبله ، إذ متى انشقت السهاء وانتقض تركيبها ، واختل نظامها ــ انتثرت كواكبها .

(و إذا البحار فجرت) أى أزيل ما بينها من حواجز ، فاختلط عذبها بملحها ، وفاضت على سطح الأرض حينا من الدهركما قال : ﴿ وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتُ أَى أَى ملئت وفاض ماؤها ، لاضطراب الأرض وزلزالها الشديد ، ووقوع الخلل في جميع أجزائها .

والخلاصة -- إن هذا العالمَ تزول صفاته ، وتقبدل أحواله ، فتكون الأرض غير الأرض ، والسهاء غير السهاءكما فال : ﴿ يَوْمَ نُبُدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوْاتُ ﴾ .

(و إذا الفبور بنترت) أى أثيرت وقلب أسفلها أعلاها ، و باطنها ظاهرها ، نيخرج من فيها من الموتى أحياء . (علمت نفس ماأحضرت) أى علم كل أحد ما قدم لنفسه من عمل ولم يقصر فيه ، وعلم ما أخره وتكاسل عن أدائه .

وفي هذا ترغيب في الطاعة ، وزجر عن للسية .

يَأْيُهَا الْإِنْسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبَّكَ الْسَكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ ۖ ` فَعَذَلَكَ (٧) فِي أَى صُورَةٍ مَا شَاء رَكَّبَكَ (٨)

شرح المفردات

ما غرك : أى أى تم ش خدعك وجر أك على المصيان ؟ الكريم : أى العلى العظيم ، فسواك : أى جعل أعضاءك سوية سليمة معدد المافيها ، فعدلك : أى جعلك معتدلا متناسب الخلق ، في أى صورة ما شاء ركبك : أى ركبك في صورة هي من أعجب الصور وأحكها ، وكبة (ما) جاءت زائدة لتفخيم المني وتعظيمه ، وهي طريقة متيمة في كلامهم عند إرادة التهويل ، وسلوك سبيل التعظيم .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر في صدر السورة أنه في يوم القيامة يبدّل نظام هذا العالم ، و يسأل الخلائق عما قدمت أيديهم ، و يحاسبهم على ما اقترفوا من آنام ، و يقرّعهم على تكاسلهم في أداء ما أمروا به ، و يجزيهم أحسن الجزاء على ما قدموا من عمل صالح _أروف هذا بخطاب الإنسان واستفساره عما دعاه إلى مخالفة خالقه، وتماديه في فجوره وطفيانه ، واسترساله مع دواعى النفس الأمارة بالسوء ، مع أنه لو تدبر في هسه وفي خلقه لوجد بر بشكرانه ، ومداومته على

طاعته ، وهو الذى خلقه فسواه وجمله على أحسن صورة ، وكمله بالمقل والفهم والتدىر فى عواقب الأمور ومصايرها .

الإيضاح

(يأيها الإنسان ما غراك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك) أى أيها الإنسان العاقل الذي أوتى من قوة الفكر ، و بسطة الفدرة ما أوتى ، حتى صاد بذلك أفضل المخلوقات ــ أيَّ شيء خدعك وجراك على عصيان ربك الكريم الذك أنهم عليك بنعمة الوجود والمقل والتدبر ، ولا ترال أياديه تتوالى عليك ، ونعمه تترى لديك ؟ ألا تشكر من برأك وصورك فأحسن صورتك ، وجعلك معتدل النامة ، تام الخاتى ؟

ووصف نفسه بالمكريم دون القهار ، إيذانا بأن ذلك ثما لايصلح أن يكون مدارا لاغتراره ، وإغواء الشيطان له بنحوقوله : افعل ماشئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثل ذلك فى الآخرة ، بل هذا يصلح للمبالغة فى الإنبال على الإيمان والطاعة .

والخلاصة — كأنه قبل ما حملك على عصيان ربك الذى من صقاته الكرم . الزاجر لك عن عصياته ومخالفة أمره ؟

قال عمر بن الخطاب وقد تلا الآية: غرّه جهله وقرأً: «إِنَّهُ كَانَ ظَالُومًا حِهُولا». وقال قتادة : غرّه عدوه المسلَّط عليه .

ثم أجمل ما فصله أوَّلا بقوله :

(فى أَىّ صورة ما شاء ركبك) أى ركبك فى صورة هى من أبهى الصور وأجلها ، وأدلمًا على بقائك الأبدى فى نشأة أخرى بعد هذه النشأة ، فإن الكريم يوفى كل مرتبة من الوجود حقها ، فن خص بهذه للنزلة الرفيمة لاينبنى أن يعيش كما يسيش سأثر الحيوان ، و يموت كما يموت الوحش وصنار الذرّ ، و إيما الذي يليق بعقله وقوة نفسه أن تكون له حياة أبدية لاحد لها ، ولا فناء بعدها ، يوقى فيها كل ذى حق حقه ، وكل عامل جزاء عمله .

كَلَّا بَلْ ثُكَدَّ بُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ كَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِيِنَ (١١) يَمْدُونَ مَا تَفْمُلُونَ (١٣) إِنَّ الْأَبْرِارَ لَنِي نَفِيم (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَعِيمٍ (١٤) يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَاهُمْ عَنْها بِفِأْلِيِينَ (١١) وَمَا أَذْرَاكُ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) مُمَّ مَا أَذْرَاكُ مَا يَوْمُ الدَّينِ (١٨) يَوْمَ لاَ تَقْلِكُ نَفُسْ لَيْفَسْ شَيْئًا وَالْأَنْ يَوْمَيْذِ لِلهِ (١٩)

شرح المفردات

كلا : كلة تفيد ننى شىء قد تقدم وتحقيق غيره ، والدين : الجزاء ، حانظين أى يحصون أعمالكم خيراكانت أو شراء والأبرار: واحدهم بَرَّد ؟ وهو من يفعل البر (بكسر الباء) ويتقى الله فى كل أفعاله ، والفجار : واحدهم فاجر ؛ وهو التارك لما شرعه الله وحدًه لعباده ، يصاونها : أى يقاسون حرها ، يوم المدين : أى يوم الجزاء، ما أدراك : أى ما أعلك وعرفك .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أن من دلائل نعمه على الإنسان خلقه على أحسن صورة ، وأن ذلك يدل على أن له حياة أخرى غير هــذه الحياة ، فيها مجازى بمــا عمل من خير أو شر _ أعقب هــذا بيان أمه لاشي، بمنمه عن التصديق بهذا اليوم إلا المعناد والتكذيب؛ فالشمور النفسى يوحى به ، والدليل النقلى الذى أتى به الرسول يصدقه ، والله لم يترك عملا لمباده إلا أحصاه وحفظه ، ليونى كل عامل أجره ؛ فقـــد وكل السكرام الكانبين المطهر بن عن النرض والنسيان بكتابته وضبطه .

ثم ذكر أن الناس في هذا اليوم فريقان ، بررة مطيمون لربهم فيا به أمر وعنه نهى ، وهؤلاء يتقلبون في النعم ، وفجرة يتركون أواس الدين ، وأولئك يكونون في دار المذاب والحوان يقاسون حر النار ، وأنه في هذا اليوم لابجد المرء مايموال عليه سوى ماقدمت بداه ، فيجفوه الأولياء ، ويخذله الشفماء ، ويتبرأ منه الأنر باء ، فلاشفيع ولا نصير ، ولا وزير ولا مشير ، والحكم فه وحده ، وهو المهيمن على عباده ، وبيده تصريف أمورهم ، وهو الصادق في وعده ، المدل الحسكم في وعيده ؛ فلامهرب لماما عالم عالم أعداد له من الجزاء على عمله .

الإيضاح

(کلا بل تکذبون بالدین) أی ارتدعوا عن الافترار بکرمی لکم ، فانکم لاتستقیمون علی ماتوجبه نسمی علیکم ، و یدعوه إرشادی لکم ، بل تجترئون علی ماهو أعظم منه ، فتکذبون بیوم الجزاء والحساب علی القلیل والکثیر ، یوم تبعثون الفصل بینکم ، فتجازی کل نفس بما عملت ، وما قدمت وأخرت .

ثم حذرهم من تماديهم فى غيهم بييان أن أعالهم محصاة عليهم فنال : (و إن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون) أى إن أعمالكم محصاة عليكم ، فقد و كل بكم ملائكة حفظة ، كرام كاتبون ، يمحصون كل ما تعملون

من خير وشر .

وقد ذكر ذلك في غير موضع من الكتاب الكريم كنوله: ﴿ عَنِ الْيَيْسِ وَعَنِ الشَّالِ قَدِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِن ۚ قَوْلٍ إِلاَّ لَهَ يُهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وقوله: ﴿ وَهُوَ النَّامُ فَوْقَ عِادِهِ وَرُرْسُلُ عَلَيْكُمْ تَعْظَةً ﴾ . وليس علينا أن نبحث عن كنه هؤلاء الحفظة ، ولا أن نعرف من أى شىء خلقوا ، وما عليم ، وكيف بحفظون الأعمال ، وهل عندهم أوراق وأقلام ، أو هناك ألواح ترسم فيها الأعمال ، أو هم أرواح تتجلى فيها تلك الأعمال ، قنبق فيها بقاء المداد في القرطاس كل ذلك لم تكلف العلم ، و إنما نكلف الإيمان بصدق الخبر ، وتفويض الأمر في حقيقته إلى الله .

ثم ذكر نتيجة الحفظ والـكتابة من الثواب والعقاب ، وبين أن العاملين في ذلك اليوم فريقان ، وبين مآل كل منهما نقال :

(إن الأبرار لنى نسم . وإن النجار لنى جحيم . يصلونها يوم الدين) أى وإن أهل الثواب وهم الأبرار يكونون فى دار النميم ، وإن أهل المقاب وهم السجار يكونون فى دار الجحيم ، دار المذاب الأليم يقاسون أهوالها .

ثم بين أن هذا المذاب حتم لامنجاة لهم منه ولا مهرب نقال :

(وما هم عنها بغاثبين) أى إنهم لايغيبون عن الجحيم ، ولا ينفكون عن عذابها ، بل هم ملازمون لها .

ثم عاد إلى تفخير ذلك اليوم وتهويل أمره فقال:

(وما أدراك ما وم الدين) أى إن أمرك أيها الإنسان لمجيب ، فأنت لام عن هذا اليوم غير مبال به ، وقد كنت خليقا أن تتعرف حقيقة حاله ، لتأخذ لنفسك المؤيطة ، وتندبر أمرك ، ولا تركن إلى عفو ربك وكرمه وصفحه ، فإنك لاندرى ما قدّ ، لك .

ثم زاده توكيدا وتعظما فقال:

(ثم ماأدراك ما يوم الدين؟) أى ثم مجيب منك أن تنهاون بنبا هذا اليوم ، كأنك قد أدركت كنهه ، وعرفت وجه الخلاص ممما يلتاك فيه من الأهوال ، ونوعرفته حق معرفته للانت قناتك ، ورجمت إلى ربك تائبا ، وعدت إليه مستغفرا، طالبا الصفح عما قدمت يداك .

ثم بين حقيقة أمره فقال :

(يوم لاتملك نفس لنفس شيئا) أى يوم لانستطيع دفعا عنها ولا نعما لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده ، فكل امرى مشغول بما هو فيه ، كما قال : ﴿ وَاتَّمُوا بَوْمًا لاَتَّجُرْي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ وقال : ﴿ يَوْمَ يَفِرُ الرَّهُ مِنْ أَخِيهِ . وَأَمَّهِ وَأَبْهِ مِنْ أَخِيهِ . وَأَمَّهِ وَأَبْهِ مَنْ الْمَخْدِيةِ وَبَنِيهِ . لِسكلُ الْمُرِئْ مِنْهُمْ يَوْمَ يَلِيْ شَأْنٌ يُفْذِيهِ ﴾ .

ثم أكد ما سبق بقوله :

(والأمر يومئذ أنه) وحده ، فلا أحد يحمى أحدا ، ولا ينفى أحد عن أحد شيئا . وقد استأثر الله بالأمركله ، فبيده تصريفه ، و إليه للرجم والمآب ..

ر بنا وآننا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، إلى لاتخلف الميماد .

مافي هذه السورة من مقاصد

- (١) وصف بعض أهوال يوم القيامة .
- (٢) تقصير الإنسان في مقابلة الإحسان بالشكران .
- (٣) بيان أن أعمال الإنسان موكل بها كرام كاتبون
- (٤) بيان أن الناس في هذا اليوم: إما بررة منصون، و إما فجرة معذبون.

سورة المطففين

آیاتها ست وثلاثور ، نزلت بعد سورة السکنبوت ، وهی آخر سورة نزلت بمکة .

ومناسبتها لما قبلها . أنه قال هناك : « وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ ۚ كَاٰفِظْينَ » وذكر هنا ما يكتبه الحانظون : « كِتَابٌ مَرْ تُومٌ » كُيمِل في عليين أو في سجَّين .

بِسْم ِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم ِ

وَ ْيْلُ ۚ لِلْمُطَنَّقِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْنَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلاَيْقُلْنُ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَّبُ النَّالِمِينَ (١) .

شرح المفردات

ويل: أى هلاك عظيم، والتطفيف: البخس فى الكيل والوزن؛ وسمى بذلك لأن ما يبخس شىء حقير طفيف ، اكتالوا من الناس حقوقهم، يستوفون: أى يأخذونها وافية كاملة، كالوهم: أى كالوالهم، يخسرون: أى ينقصون الكيل والميزان، يقوم الناس لرب العالمين: أى يقف الماس للعرض على خاتهم، ويطول بهم الموقف إجلالاً لعظمة دبهم.

المعنى الجملي

فصل سبحانه فى هذه السورة ما أجمله فى سابقتها ، فذكر فيها نوعا من أنواع الفجور وهو النطقيف فى للكيال وللبزان ، ثم نوعا آخر وهو النكذيب بيوم الدين ثم أعقبه بذكر جزائهم على هذا التكذيب وتو بينضم عليه .

الإيضاح

(ويل للطففين) أى عذاب وخزى شديد يوم القيامة لمن يطفف فى المكيال واليزان .

وقد خص سبحانه الطففين مهذا الوعيد ، من قِبل أنه كان فاشيا منتشرا بمكة والمدينة ، فكما وا يطففون الكيال و يبخسونه ولا يوفون حق للشترى .

روى أنه كان بالمدينــة رجل يقال له أبو جهينة له كيلان أحدهما كبير والثانى صغير ، فكان إذا أراد أن يشترى من أصحاب الزروع والحبوب والثمار اشترى بالكيل الكبير ، وإذا باع للناس كال للمشترى بالكيل الصغير .

هذا الرجل وأشاله بمن امتلأت نفوسهم بالطمع، واستولى على نفوسهم الجشع ــ هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد ، وهم الذين توعّدهم النبي صلى الله عليه وسلم وتهددهم بقوله : « خس بخسس : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكوا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم النقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم للوت ، ولا متنوا الركاة إلا حُيس عنهم للطر» .

وقد بين سبحانه عمل المطعفين الذي استحقوا عليه هذا الوعيد بقوله :

(الذين إذا اكتالوا على الناس يستوقون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلا وافيا كاملا ، وإذا كان لأحد عندهم شيء وأرادوا أن يؤدره له أعطوه القصا غير واف . واقتصر النظم على الاكتبال حين الاستيفاه ، وذكر المكيل والميزان فيه حين الإخسار ، لأن النطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لايمباً به في الأغلب ، دون التطفيف في الوزن ، فإن أدى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير ، ولأن ما يوزن أكثر

قيمة فى كثير من الأحوال مما يكال ، فإذا أخبرت الآية بأنهم لايبقون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم ، علم أنهم لايبقون عليهم والكثير الذى لايتُسامح فيه إلا نادرا بالطريق الأولى .

وكما يكون التطفيف فى الكيل والميزان يكون فى أشياء أخرى ، فن استأجر عاملا ووقف أمامه براقبه و يطالبه بتجويد عمله ، ثم إذاكان هو عاملا أجبرا لم يراقب ربه فى العمل ولم يقم به على الوجه الذى ينبنى أن يقوم به _ يكون واقعا تحت طائق هذا الوعيد ، مستوجبا لأليم المذاب ، مهما يكن عمله ، جل أو حقر ؛ و إذاكان هذا الإنذار المطففين الراضين بالقليل من السحت ؛ فما ظنك بأولنك الذين يأكلون أموال الناس بلاكيل ولا وزن ، بل يسلبونهم ما بأيديهم ، ويغلبونهم على ثمار أعالهم ، فيحرمونهم التمتع بها ، اعتمادا على قوة الملك أو نفوذ السلطان أو باستمال الحيل الحيل الحيدة .

لاجرم أن هؤلاء لايحسبون إلا في حداد الجاحدين المنكرين ليوم الدبن، وإن زحموا بألسنتهم أنهم من المؤمنين الخيتين .

ثم هو ّل في شأن هذا العمل فقال :

(ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم) أى إن تطفيف السكيل واليزان واختلاس أموال الناس بهذه الوسيلة _ لايصدر إلا عن شخص لايظن أنه سيبعث يوم القيامة و يحاسب على عمله ، إذ لو ظن ذلك لما طفف الكيل ولا بخس الميزان .

والخلاصــة — إنه لا يجسر على فعل هذه القبأمح من كان يظن بوجود يوم يحاسب الله فيه عباده على أعمالهم ، فما بالك بمن يستيقن ذلك .

ثم وصف هذا اليوم فقال :

(يوم يقوم الناس لرب المالمين) أى هذا اليوم هو اليوم الذى يقف فيه الناس للمرض والحساب ، و يطول بهم للوقف إعظاما لجلاله تسالى . ولا يخفى ما فى الوصف برب العالمين من الدلالة على عظم الذنب وتفاقم الإثم فى النطفيف ، إذ أن الميزان هو قانون العدل الذى قاست به السموات والأرض .

وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائم فيقول : اتق الله تعال وأوف السكيل، فإن المطفقين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن ، حتى إن العرق ليلجمهم .

وعن عِكرمة أنه قال : أشهد أن كل كيال ووزان فى النار ، فقيل له : إن ابنك كيال ، فقال : أشهد إنه فى النار ، وكأنه أراد للبالغة وبيان أن الفالب فيهم التطفيف .

كَلَّا إِنَّ كِنَابَ الْهُجَّارِ لَنِي سِجِّينِ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَاسِجِّينُ (٩) كِنَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَثِلُ يَوْمَثْنِهِ لِلْمُكَذَّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذَّبُونَ يِهَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يَكذَّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُمُثَدِ أَثِيمٍ (١٣) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَانُنَا فَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّايِنَ (١٣) .

شرح المفردات

سجين: اسم للكتاب الذى دوّنت فيه أعمال الفجرة من الثقلين ، مرقوم: من رقم الكتاب إذا جمل له علامة ، والعلامة تسمى رقما ، معتد : أى متجاوز منهج الحق ، أثم : أى يكثر من ارتكاب الآنام : وهى للماسى ، أساطير الأولين : أى أخبار الأولين أخذها مجمد عن بعض السابقين .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أنه لايقيم على النطفيف إلا من ينكر ما أوعد الله به من العرض والحساب وعذاب الكفار والعصاة ـ أمرهم بالكف عما هم فيه ، وذكر أن الفجار قد أُعِد لهم كتاب أحصبت فيه جميع أعمالهم ليحاسبوا بها ، فويل للمكذيين بيوم الجزاء ، وما يكذب به إلا كل من تجاوز حدود الدين وانهك حرماته ، و إذا تليت عليهم آيات القرآن قالوا ما هي إلا أقاصيص الأولين نقلها محد عن السابقين ، وليست وحيا يوسى كما يدعى .

الإيضاح

(كلا) أى ازدجروا عما أنتم عليه من النطفيف والغفلة عن الحساب .

ثم علل هذا بقوله :

(إن كتاب النجار لني سجين) أى كنوا عما أتم عليه ، فإن الفجار سيحاسبون على أعمالم ، وقد أعد الله لهم كتابا أحمى فيه أعمالم يسمى (سجيناً) . (وما أدراك ما سجين ؟) أى ليس ذلك مما تعلمه أنت ولا قومك .

تم فسره له فقال :

(کتاب مرقوم) أی کتاب فد جعلت له علامه بها یعرف من رآه أنه لاخیر فیه .

وقصارى ما سلن -- إن للشر سجلا دونت فيمه أعمال الفجار وهو كتاب مسطور بين الكتابة ، وهذا السجل يشتمل عليه السجل السكبير المسمى بسجين ، كا نقول : إن كتاب حساب قرية كذا فى السجل الفلانى المشتمل على حسابها وحساب غيرها من القرى .

فلكل فاجر من الفجار صحيفة ، وهــذه الصحائف في السجل العظيم المسمى بنسجين .

(و يل يومئذ للكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين) أى شدة وعذاب لمن يكذب بيوم المجزاء ، سواء كان مجمحد أخباره أو بعدم للبالاة بما يكون فيه سن عقاب وعذاب .

وأعظم دليــل على عدم للبالاة هو الإصرار على الجرائم ، وللداومة على اقتراف السيئات .

ثم بين أوصاف من يكذب بهذا اليوم فقال:

(وما يكذب به إلاكل معتد أنم) أى وما يكذب بهذا اليوم إلا من اعتدى على الحق ، وعمى عن الإنصاف ، واعتاد ارتكاب الجرأم ، إذ يصعب عليه الإذعان بأخبار الآخرة ، لأبه يأبى النظر في أدلتها ، وتدبر البينات المرشدة إلى صدقها ، إلى أنه يملل نفسه بالإنكار ، ويهون عليها الأمر بالتنافل ، أو التعلق بالأمانى من نصرة الأوليا ، أو توسط الشفعاء .

أما من كان ميالا إلى العدل ، واقفا عند ما حدّ الله لعباده فى شرائعه وسننه فى نظأم الكون ، فأبسر شىء عليه التصديق باليوم الآخر ، وهو أعون له على ما تميل إليه نفسه .

(إذا تتلى عليه آياننا قال أساطير الأولين) أى وإذا قرئ عليه القرآن أنكر كونه منزلا من عند الله ، وزعم أنه أخبـار الأولين، أخذها محمد من غيره من السابقين .

ونحو الآية قوله: « وَقَالَ الَّذِينَ كَنَرُوا إِنْ لَهُذَا إِلاَّ إِفْكُ انْمَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ فَوْمَ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءا طُلْمًا وَزُورًا. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُوَّلِينَ آلَمُفَتَهَمَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُسُكُرةً وَأُصِيلًا. قُلُ أَنْرَلَهُ الَّذِي يَسْلَمُ السَّرَّ فِي السَّمُوْاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِمًا ﴾ .

وقد یکون المنی – إنها أباطیل أانیت علی آبائهم الأولین فسکذبوها ولم تَجَزُّ علیهم ، فلسنا أول من یکذب بها حتی تزعمون أن تکذیبنا بها یستبر مجلة منا ، هانا إنما ناستینا فی تکذیبنا بها بآباننا الأولین الذین سبقونا . كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَثِذِ لَمُحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنهُمْ لَمَتَالُوا الْجُحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَال لهٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ ثُـكَذِّبُونَ (١٧) .

شرح المفردات

ران على قلبه : أى غطى عليه ، قال الزجاج : الرين كالصدا يفشى النلب كالفيم الرقيق . وقال أبو عبيدة : ران على قلوبهم غلب عليها ، قال الفراه : كثرت منهم المعاصى والذنوب ، فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها ، لمحجو بون : أى لمطرودون عن أبواب الكرامة ، لصالوا الجحيم : أى لمداخلو النار وملازموها .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر أنهم قالوا : إن القرآن أساطير الأولين وليس وحيا من عند الله ... أردف ذلك بيان أن الذى جرأم على ذلك هى أفعالهم القبيحة التى مرنوا عليها ، فُمُثِّت عليهم وجوه الآراء حتى صاروا لا يميزون بين الأسطورة والحجة الدامفة .

ثم ردَّ عليهم فرية كاوا يقولونها ، وبكثرون من تردادها ــ وهي ، إن كان ما يحدّث به محمد حميحا فنحن سنكون في منزلة الكرامة عند ربنا ، فأبأن لهم أنهم كاذبون ، فإنهم سيطردون من رحمته ولا يناون رضاه ، ثم يؤمر بهم إلى المار فيدخلونها و يصلون سميرها ، ويقال لهم هذا المذاب جزاء ما كنتم به تكذبون مما أوعدكم به الرسول .

الإيضاح

(كلا) زجر لكل معتد أثيم يقول الزور و يزعم أن القرآن أساطير الأولين .

ثم بين السبب الذي حملهم على ذلك فقال :

(بل ران على قلوبهم ما كاوا يكسبون) أى ليس الأمركما يقولون من أنه أساطير الأولين ، بل الذى جرأهم على ذلك هو أنمالهم التى در بوا عليها واعتادوها فصارت سببا لحصول الرين على قلوبهم ، فالتبست عليهم الأمور ولم يدركوا الفرق بين الكذب الفاضح ، والصدق الواضح ، والدليل اللائح .

و بعد أن بين منزلة الفجار والمكذبين بيوم الدين ــ دحض ماكانوا يقولون من أن لهم السكرامة وللمزلة الرفيمة يوم القيامة فقال :

(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجو بون) أى ارتدعوا عما تقولون من أنكم يوم القيامة تكونون مقر بين إلى الله ، فإنكم ستطردون من رحته ولا تنالون رضاه ، ولا تدركون ما زعتم من القرب والزاني عنده كما قال : «وَلاَ أَيكَلَّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُورُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ أَلْهِيَامَةً وَلاَ يُوَ كَمِيمً .

ثم ذكر ما يكون لهم فوق ذلك فقال:

(ثم إنهم لصالوالجلحم) أى و بعد أن يحجبوا فى عَرَصات القيامة عن الدنوّ من ربهم ، و إدراك أمانيهم التى كا وا يتمنونها _ يقذف بهم فى النار و يصلون سميرها و يقاسون حرها .

ثم أرشد إلى أنهم حينئذ يبكّتون و يو بخون فوق ما بهم من الآلام فقال :

(ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أى هذا الذي عوقبتم به _ هو جزاء
ماكنتم تكذبون به من أخبار الرسول الصادق، كزعمكم أنكم لن تبعثوا ، وأن القرآن
أساطير الأولين ، وأن محمدا ساحر أو كذاب ، إلى نحو ذلك من مقالانكم ؛ والآن قد تبين لكم حقيقة أمركم ، وعاينتم بأنفسكم أن ماكان يقوله نبيكم هو الحق الذي
لاشك فيه . وما أشد على الإنسان إذا أصابه مكروه أن يُذَكّر وهو يتألم، بأن وسائل نجاته من مصابه كانت في متناول بديه وقد أهملها وألتي بها وراءه ظيئريًا .

كَلَّا إِنَّ كِتِابِ الْأَبْرَارِ لَنِي عَلَيْنَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَاعِلْيُونَ (١٩) كَتَابُ مَرْ فُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْفَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَدِمِ (٢٧) عَلَى الْأَبْرَارِ لَنِي نَدِمِ (٢٧) عَلَى الْفَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٣) تَمْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّمِمِ (٤٧) بَمْنَقُونَ مِنْ رَحِيقِ خَنُومٍ (٥٧) خَتَامُهُ مِسْكُ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَنَافَسِ الْمُتَافِقُسِ وَمَنْ رَحِيقٍ خَنُومٍ (٥٥) خَتَامُهُ مِسْكُ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَنَافَسِ الْمُتَافِقُسِ (٢٧) عَيْنًا بَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرِّبُونَ (٢٨) عَيْنًا بَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرِّبُونَ (٢٨)

شرح المفردات

عليين : أى فى مكان عال وقد تقدم أن سجينا مكان فى نهاية السفل ، فهما مكانان أودع فيهما أعمال الناجين وأعمال الخاسرين ، وليس علينا أن نعرف ماها ؟ أمن أوراق أو أخشاب أو معادن أخرى ، والأراتك : هى الأسرة فى الحبال (والحبال واحدها حجلة وهى مثل القبة) وحجلة العروس بيت : أى خيمة ترين بالثياب والأسرة والستور ، ونضرة النعيم : بهجته ورونقه ، ورحيق : أى شراب خالص لاغش فيه ، مختوم : أى ختمت أوانيه وسدت ، ختامه مسك : أى ما يختم به رأس قارورته هو المسك ، أى ما يختم به رأس قارورته هو المسك مكان الطين ، وأصل التنافس : التشاجر على الشئ والتنازع فيسمه بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه ، والمراد فلبستيق المنسابقون وليجاهدوا النفوس، ليحقوا بالعاملين ، والزاج واليزج: الشيء الذي يمزج بغيره ، والزاج واليزج: الشيء الذي يمزج ، بغيره ، والزاج واليزج: الشيء الذي يمزج ، بغيره ، والزاج واليزج: الشيء الذي يمزج ،

إلى أسفل، وهو أشرف شراب فى الجنة ، ويكون صرفا للمتر بين ممزوجا لأسحاب البمين وسائر أهل الجنة ، والمتر بون : هم الأبرار الذين سلف ذكرهم .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه حال الفجار وحال المطففين ، و بين منزلتهم عند الله يوم النيامة _ أتبعه ذكر حال الأبرار الذين آمنوا بربهم وصد قوا وسولهم فيا جاء به عن خالقهم ، وعملوا الخير في الحياة الدنيا ، فذكر أن الله قد أحصى أعمالم في كتاب مرقوم اسمُهُ عليون يشهده المقربون من الملائكة .

و بعدئذ عدَّد ما ينالون من الجزاء على البر والإحسان .

وفى ذلك ترغيب فى الطاعة ، وحفر لعزائم المحسنين ، ليزدادوا إحسانا ، ويدّعوا الطرق المشتبهة الملتبسة ويقيموا على الطريق المستتبم .

الإيضاح

(كلا) أى ليس الأمركما توهمه أولئك الفجار من إنكار البعث ، ومن أن كتاب الله أساطير الأولين .

(إن كتاب الأبرار لني عليين) أى إن كتاب أعمال الأبرار مودع في أعلى الأمكنة ، محيث يشهده للقربون من الملائكة ، تشريفا لهم وتعظيا لشأمهم .

كما أن الغرض من وضع كتاب النجار فى أسفل سافلين _ إذلالهم وتحقير شأنهم ، وبيان أنه لايۋ به بهم ولا يُشنَى بأمرهم .

ثم عظم شأن عليين وفخم أمره فقال :

(وما أدراك ما عليون) أي وما أعلمك أي شي مو ؟ .

ثم فسره و بين المراد منه فقال :

(كتاب مرقوم . يشهده المقر بون) أى إن كتابهم فى هذا السجل السكبير الذى يشهده المتر بون من الملائكة ، فكما وكل سبحانه أمر اللوح المحفوظ إليهم، وكل إليهم حفظ كتاب الأبرار .

وقد يكون المراد — إنهم ينقلون ما فى تلك الصحائف إلى ذلك الكتاب الذى وكلوا محفظه ، و يصير علمهم شهادة لمؤلاء الأبرار .

و بعد أن بين منزلة كتاب الأبرار .. أخذ يفصل حال الأبرار فقال :

(إن الأبرار لغى نسيم) أى إن البررة المطيمين لربهم ، الذين يؤمنون بالبعث والحساب، و يصدقون بما جاء على لسان رسوله لـ لغى لذة ، وخفض عيش ، وراحة بال ، واطمئنان نفس .

مُم ذَكَرَ أُوصاف هذا النعيم وفخم شأنه فقال :

(على الأراثك ينظرون) أى على الأسرّة فى حجالها ينظرون إلى أنواع نسيمهم فى الجنة من الحور الدين والولدان وأنواع الأطممة والأشربة والمراكب الفارهة إلى نحو ذلك .

ثم بين أثر هذا النميم على أهل الجنة نقال:

(تعرف فى وجوههم نضرة النميم) أى إنك إذا نظرت إليهم أدركت أنهم أهر أمل نمية ، لما ترى فى وجوههم من الأمارات الدالة على ذلك ؛ فن ضحك ، إلى هدو ، بال ، إلى استبشار كما قال : « و جُوهٌ يَوْ تَشْدُ مُشْتُورَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُشْتَبُشِرَةٌ ».

(يسقون من رحيتى مختوم . ختامه مسك) أى يسقون خمرا لاغش فيها ، ولا يصيب شاربَها خَوْلٌ وَلا يُمْ أَنْ أَنْ فُونَ كَا قال تمالى : « لاَ فِيها غَوْلٌ وَلا مُمْ أَنْ فُونَ كُنْ وَلا يَعْلُمُ مُنْ أَنْ فُونَ كَا قال تمالى : « لاَ فِيها غَوْلٌ وَلاَ مُمْ

وقد ختمت أوانيها بختام من مسك بدل الطين ، تكريما وصونا لهاعن الابتذال على ما جرت به الدادة من ختم الإنسان على ما يكرَّم ويصان وهذا النوع من المحر غير النوع الآخر الذي يجرى فى الأنهـــار الذي أشار إليه سبحانه بقوله : « وَأَنْهَارٌ مِنْ َخُر لَنَّةً لِلشَّار بينَ » .

ثم رغب في العمل لذلك النعيم فقال:

(وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى وفى ذلك النصم فليتسابق المتسابقون ، وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة ربهم باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه .

وفى هذا إيماء إلى أن التنافس يجب أن يكون فى مثل ذلك النصم العظيم الدائم. لا فى النسم الذى يشو به الكدر وهو صريم الفتاء .

(ومزاجه من تسنم) أى ومزاج هذا الرسيق ينصب عليهم من الأعالى ، وقد سئل ابن عباس عن هذا فقال : هذا بما قال الله : « فَلَا تَعْلَمُ نَفَسُ مَا أُخْفِيَ لَهُمُّ مَنْ مَا أُخْفِيَ لَهُمُّ مَنْ تُوَرِّقُو أَعْمَى » .

ثم بين هذا النسفيم مقال:

(عيناً يشرب مها المقرّ يون) أى أمدح عيناً يشرب منها الأبرار الرحيق مزاجا إذا أرادوا ، وقد وصفهم الله بالمقرّ بين تكرّ بما لهم وزيادة في مدخهم .

وقد اعتاد أهل الدنيا إذا شربوا الخر أن يمزجوها بالماء ونحوه ، فبين لهم أنهم فى الآخرة يشربون رحيقا قد وصف بما يجمل النفوس تشوق إليه ، وأنهم يمزجونه عاء تجيئهم به الدين المالية القدر ، إذا شاءوا أن يمزجوه .

وقصارى ماسلف — أنه سبحانه وصف النميم الذى أعده للأبرار فى دار كرامته بما تقطلع إليه النفوس، و بمايشوقها إليه، ليكون حضا للذين يصاون الصالحات على الاستزادة من العمل والاستدامة عليه، وحثا لهم القصرين، واستنهاضا لعزائمهم أن يحرصوا على الترود منه ليكون لهم مثل ما لأولئك.

إلى مافيه من تحزين المصاة المسرّين على عصياتهم، و بارغ الناية في إيلامهم، فإن المدو يسوءه أن يرى عدوه في نسمة ، أو يسبع أن النممة تنتظره . إِن الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَمَا مَرُونَ (٣٠) وَإِذَا اللَّهَ لَمُوا إِلَى أَهْلِهِمُ الْقَلَبُوا فَكِهِينَ(٣١) مَرُوا بِهِمْ يَتَمَا أَرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ(٣٣) وَمَا أَرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ(٣٣) فَالْيَوْمَ اللَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكَمَالُونَ (٣٧) وَمَا أَرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ(٣٣) فَالْيَوْمَ اللَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكَمَارُ مَا كَانُوا يَضَحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٤) .

شرح المفردات

الممرز: الإشارة بالجفن والحاجب استهزاء وسخرية ، وقد يراد به العيب فيقال غير فلان فلانا إذا عابه وذكره بسوء ، ويقال فلان لامفعز فيه: أى ليس فيه مايماب به ، فكهين : أى معجبين بما هم فيه من الشرك والضلاة والعسيان ، حافظين : أى رقباء يتفقدونهم و بهيمنون على أعمالهم ، والتثويب والإثابة : الحجازاة ؟ يقال توريف وأثابه إذا جازاه كما قال :

سَأَجْزِيكِ أَو يَجَزِيكِ عنى مُثَوِّبُ وحسبُكِ أِن يُثْنَى عليكِ وَتَحْمَدَى

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه النعيم الذى هيأه لذين آمنوا به و برسوله ، وهماوا بما كلفهم به من أعمال البر ، وأرشد إلى ما أعده الفجار جزاء ما اجترحوا من السيئات _ أخذ يبين ما كان الكفار يقابلون به المؤمنين في الحياة الدنيا، وما سيقابل به المؤمنون الكفار بوم القيامة ، كِفاء ماصنعوا معهم في الحياة الأولى .

روى أن صناديد قر يش كأبى جهل والوليد بن للنيرة والعاص بن واثل السَّهمى وشيبة بن ربيمة وعتبة بن ربيمة وأمية بن خلف وأضرابهم ، كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويستهزئون بهم ويحرضون عليهم سفهاءهم وغلمانهم . وهم الذين قال الله فيهم : « إِنَّا كَغَيْنَاكُ الْمُسْتَهْزِيْنَ » .

وروى أن على" بن أبى طالب كرم الله وجهه جاء فى نفر من السلمين فرآه بمض هؤلاء الكفار فسخروا منه وممن معه وضحكوا منهم وتفامزوا بهم ، ثم رجموا إلى بقية شيمتهم من أهل الشرك فحدثوهم بما صنموا به و بأصحابه .

الإيضاح

(إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى إن المتدين الائمة الذين ضَرِيت نفوسهم على الشر ، وصحّت آذانهم عن سماع دعوة الحق — كانوا فى الدنيا يضحكون من الذين آمنوا .

ذاك أنه حين رحم الله العالم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كان كبار القوم وعرفاؤهم على رأى الدحماء من عبادة الأوثان والأصنام، وكانت دعوة الحق خافتة لايرتفع بها إلا صوته عليه السلام، ثم يهمس بها بعض من يلتي دعوته من الضعفاء، فيُسرِّ بها إلى من يرجو الخير فيه ولا يستطيع الجهر بها لمن يخافه.

ومن شأن القوى الممترّ بقوته وكثرة ماله وعزة نفره أن يضحك بمن يخالفه في المنزع ويدعوه إلى غير مايعرف ، كما كان ذلك شأن جاعة من قريش كأبى جهل وشيمته ، وأشالهُم كثيرون فى كل زمان وسكان، متى عمت البدع وخنى طريق الحق، وتحكمت الشهوات ، وذهب الناقص يستكل ما نقص منه بتنقيص السكامل ، و إذا صار الناس إلى هدفه الحال ، ضعف صوت الحق ، وازدرى السامعون منهم بالداعى إليه .

(و إذا مروا بهم يتغامزون) أى و إذا من للؤمنون بهم يعيبونهم و يذكرونهم بالسوء ، و يشيرون إليهم مستهزئين . (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أى وإذا رجعوا إلى ذوى قرابتهم و بنى جلدتهم وأشياعهم من أهل الشرك والضلالة — رجعوا معجبين بما فعلوا من العبي على أهل الايمان ورميهم بالشخف وقلة العقل، ويقولون : عبيا لهم، إذ يقولون لا تدعوا إلا إلماً واحداً ، ولا تتوجهوا بالطلب إلا إليه ، فأين الأولياء والشفعاء، فكم ضرّوا وكم نفعوا — إلى نحو ذلك عما يتندرون به و يعدونه فكاهة و يتلذذون بحكايته .

(و إذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى و إذا رأوا المؤمنين قالوا إن هؤلاء لضالون ، إذ نبذوا ماعليه السكافة ، وذهبوا يسيبون العقائد الموروثة والمناسك التى نقلها الخلف عن السلف ، كابرا عن كابر، وجيلا بعد جيل .

فرد سبحانه على هؤلاء الكفار فقال:

(وما أرساوا عليهم حافظين)أى إن الله لم يرسل الكفار رقباء هل المؤمنين ، ولم يؤتهم سلطة محاسبتهم على أفعالهم ، وتعريف باطلها من صحيحها ، فلا يسوخ لهم أن يصيبوا عليهم مايمتقدونه ضلالا بعقولهم الفاسدة ، وإنما كلفهم أن ينظروا شئون . أغمهم ، فيعدّلوا منها ما اعوج ، فإذا فعلوا ذلك قاموا بما يجب عليهم في هذه الحياة.

ثم شرع يذكر معاملة المؤمنين لهم يوم القيامة ، تسلية لهم على ماينالهم منهم من أذى وتقوية لقلوبهم ، وشدًا لعزائهم على التذرع بالصبر فقال :

(فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أى إنهم فى يوم الدين يضحك المؤمنون نحلك من وصل به يقينه إلى مشاهدة الحق فمر" به، و ينكشف لهم ما كانوا يرجون من إكرام الله لهم وخذلان أعدائهم، فضحكوا من أولئك المنرورين الجحدة الذين تجلت لهم علم عاقبة أعمالهم ، وظهر لهم سفه عقولهم وفساد أقوالهم .

على الأراثك ينظرون) إلى ماصنع الله بأعدائهم، وتنكيله بمن كانوا بفخرون عليهم ويهزمون بهم . ثم ذكر ماينظرون إليه ليستيقنوا من حصوله فقال:

(هل نُوَّب الكمار ما كانوا ينعلون) أي إنهم ينظرون ليتحققوا : هلجوزي الكفار بما كانوا يفعاون بهم في الدنيا.

وإنما سمى الجزاء على العمل أنوابا ، لأنه يُرجع إلى صاحبه نظير ماعمله من خير أو شر .

ولله الحد على إنعامه ، والشكر على إحسانه و إفضاله .

مقاصد هذه السورة

- (١) وعيد المطنفين :
- (٢) بيان أن محالف أعمال الفجار في أسفل سافلين .
- (٣) الإرشاد إلى أن محاثف أعمال الأوار في أعلى عليين.
- (٤) وصف نعيم الأبرار في مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم .
- استهزاء المجرمين بالمؤمنين في الدنيا وتفاعزهم بهم وحكمهم عليهم بالضلال
 - (٦) تضاحك الؤمنين منهم يوم القيامة .
- (٧) نظر المؤمنين إلى الحجرمين وهم يلقون جزاءهم وما أعدًّ لهم من النكال .

سيحورة الانشقاق

هى مكية ، وآياتها خس وعشرون ، نزلت بعد سورة الانمطار . ومناسبتها لمـا قبلها — أنه فى السابقة ذكر مقركتب الحفظة ، وفى هذه ذكر عرضها مرم القيامة .

يستمر الله الرشطن الرسجيمر

إِذَا السَّهَاءِ انشَقَتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبَّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَإِذَا اللَّرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَافِيهَا وَتَحَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ (٥) يَأَيُّها الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِح لِلَّ مَلَكَ كَدْحًا فَلاَقِيهِ (٢) فَأَمَّا مَنْ أُونِيَ كَيْتَابَهُ بِيمِينِهِ (٧) فَمَنوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٠) وَيَمْنَى سَعِيرًا (٢١) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١١) وَيَمْنَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ فَا أَمْنُ فَنَ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَوْنَ عَلَوْرًا (١٤) إِنَّهُ ظَنَّ

شرح المفردات

انشقت : أى تشققت بالنهام كما جاء فى قوله : ﴿ وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْفَسَامِ ﴾ وأذنت لربها : أى استمعت له كما قال :

صُمُّ إذا سموا خيرا ذُ كِرْتُ به وإن ذُكِرْتُ بشرِّ عندهم أَذِنُوا وحقَّت : أى وحق لهـا أن نمتثل ذلك أى يجدربها أن تكون كذلك، قال كُثير : فإن تكن العتبى فأهلا ومرحباً وحقّت لها العتبى لدينا وقلّت مدت: أى بسطت بزوال جبالها ونسفها حتى صارت قاعا صفصفا لاترى فيها عرجا ولا أمتا ، وألقت مافيها : أى ألقت مافى جوفها من الموتى والكنوز، وتخلت: أى خلت مما فيها فلم يببق فيها شيء ، كادح: أى جاهد بحد ". قال شاعرهم: ومضت بشاشة كل " عيش و بقيت أ كدح للحياة وأنصب فلاقيه : أى فلاق له عقب ذلك ، ينقلب: أى يرجم ، أهله: أى عشيرته المؤمنين ، وراه ظهره : أى يؤتاه بشاله من وراه ظهره ، والنبور: الهلاك أى ينادى ويقول : وانبوراه أقبل فهذا أوانك ، ويصلى : أى يقامى ، وسميراً : أى ناراً مستمرة ، مسروراً : أى فرحا ، مجور : أى يرجم قال لبيد:

وما المره إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذْ هو ساطعُ والمراد أنه لن يرجم إلى الله، بلي: أى بلي يحور ويرجم .

المعنى الجملي

بين سبحانه فى أوائل هذه السورة أهوال يوم القيامة ، فذكر أنه حين انشقاق السياء واختلال نظام العالم ، وانبساط الأرض بنسف مافيها من جبال ، وتخليها عما فى جوفها — يلاقى المرء ربه نيوفيه حسابه ، وينقسم الناس حينئذ فريقين :

- (۱) فريق الصالحين البررة ، وهؤلاء يحاسبون حسابا يسيرا و يرجمون مسرورين إلى أهلهم .
- (٣) فريق الكفرة والعصاة ، وهؤلاء يؤتون كتبهم وراء ظهورهم ، ثم يصلون حر النار لأنهم كانوا فرحين بما يتمتمون به من اللذات والجرى وراء الشهوات ، إذ كانوا يظنون أن لابث ولا حساب ، ولا ثواب ولا عقاب .

الإيضاح

(إذا السهاء انشقت) لفساد تركيبها واختلال نظامها ، حينا يريد الله خراب هذا العالم بحدث من الأحداث ، كأن يمركوك في سيره بالقرب من كوكب آخر، فيتجاذبان و يتصادمان ، فيضطرب نظام العالم العلوى بأسره ، و يحدث من ذلك غام يظهر في مواضع متفرقة من هذا الفضاء الواسع .

(وأذنت لربها) أى استممت وانقادت لتأثير قدرته ، ومَعلَت فعل الطواع الذى إذا أمر أنصت وأذعن وامتثل ما أمر به ، وفى الحديث : « ماأذن الله لشىء إذنه لئميّ يتفنى بالقرآن ».

(وحقت) أى وحق لها أن تمثل لأنها مخلوقة من مخلوقاته وهى فى تبضته ، فإن أراد تبديد نظامها فعل ولم يكن لها أن تعصى إرادته .

(و إذا الأرض مدت) أى و إذا اضطربت الأرض ودكت جبالها ، وتقطمت أوصالها ، وفقدت ما بينها من التماسك ، فليس لها هذا الاندماج المشاهد الآن بل تمدّ مدّ الأديم النكاظئ كا روى عن ابن عباس (والأديم : الجلد ، والمكاظئ : المداوغ في عكاظ) والمراد أنه لا انشقاق فيها ولا اعوجاج .

(وألقت مافيها) أى رمت مافى جوفها من الناس والمعادن ، وأخرجت كل ذلك إلى ظاهرها .

ونحو هذا قوله : ﴿ إِذَا زُلُزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَاكُما ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَاكُما ﴾ وقوله : ﴿ وَإِذَا الْقَبُورُ 'بَقِيْرَتْ ﴾ وقوله : ﴿ إِذَا بُنْثِرَ ما فِي الْقَبُورِ ﴾ .

(وتخلت) أى خلت من جميع مافى جوفها ، وربما قذفته الحركة العنيفة إلى مايبمد عن سطحها ، فيخلو منه باطن الأرض وظاهرها ، وهى فى ذلك خاضمة لأواس, ربها ، منقادة لمشيئته . (وأذنت لربها وحقت) أى واستسمت وأطاعت أوامره ، لأنها في قبضة القدرة الإلهية تصرُّفها في الفناء ، كما صرفتها في الابتداء .

وجواب إذا الذى صدّرت به السورة محذوف لإرادة النهويل على المخاطبين ، فكأمه قيل : إذا كان الأمم كذا وكذا مما تقدم ذكره -- ترون ماعملتم من خير أوشر ، فاكدحوا لذلك اليوم ، تفوزوا بالنميم .

وقصارى ذلك - وصف أحوال العالم يوم القيامة « يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبُّ الْعَالَمِينَ » وأنه يكون على غير حاله التي هو عليها في هذه الحياة ، فتبدل الأرض غير الأرض والسعوات غير السعوات ، ويبرز الناس للحساب على ماقدموا في حياتهم من عمل فيجاز بهم على الإحسان إحسانا ، وعلى الإساءة السوءى ، وعلينا أن نؤمن بذلك كله ، ونكل علم حقيقته ، ومعرفة كنهه إلى الله تعالى الذي لا يمجزه شيء في الأرض ولا في السياء .

(يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فلاقيه) أى أيها الإنسان ، إنك عامل في هذه الحياة ومجد في عملك ، ومبالغ في إدراك القامة إلى أن تنتهى حياتك، و إن كنت لاتشر مجدك ، أو تشر به وتلهو عنه ، وكل خُطوة في عملك فهى في الحقيقة خُطوة إلى أجلك ، وهناك لقاء الله ، ظلوت يكشف عن الروح غطاء النفلة و يجلو لها وجه الحق ، فتعرف من الله ما كانت تذكره ، ويوم البعث يرتفع الالتباس ، ويعرف كل عامل ماح اله عمله .

والناس حيثئذ صنفان :

(۱) (فأمامن أوتى كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حسابايسيرا. وينقلب إلى أهله مسروراً) أى فأما من عرض عليه سجل أعماله وتناوله بيمينه ، فإنه يحاسب أيسر الحساب ، إذ تعرض عليه أعماله فيمرّف بطاعته و بمماصيه ، ثم يثاب على ما كان منها طاعة ، ويتجاوز له عما كان منها معصية . وقد روى عن عائشة أنها قالت : سمست رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم حاسبني حسابايسيرا ، قلت وما الحساب اليسيرا قال: يُنظر في كتابه و يتجاوز عن سيئاته ، فأمامن توقش الحساب فقد هلك » .

ومن حوسب هذا الحساب اليسير رجع إلى أهله المؤمنين مسرورا مبتهجا قائلا: « هَاوْمُ الْوَرَّهُوا كَتَابِيهُ » .

(٣) (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبوراً. ويصلى سعيراً) أى وأما الذين أكثروا من ارتكاب الجوائم ، واجتراح الماصى ، فيؤتون كتبهم بشائلهم من وراء ظهورهم ، ومد اليسار إلى الكتاب دليل الكراهة ، وأظهر فى الدلاة على الكراهة والنفور أن يستدبره ويعرض عنه فيكون من وراء ظهره.

وقصارى ماسلف — إن من عرض عليه كتابه وقدم إليه ليأخذه ، فاندفع إليه بعزيمة صادقة ، لشعوره بأنه مستودع الصالحات ، وسجل البر والكرامات ، فشأنه

كذا وكذا .

ومن قُدّم إليه كتابه وعرض عليه عمله ، فخزيت نفسه وخارت عزيمته ، فمد اليه يساره أو أعرض عنه فولاه ظهره لشعوره بأنه ديوان السيئات ، وسجّين المخازى فأصره كيت وكيت .

يرشد إلى ذلك ماورد من التفصيل في سورة الحاقة « قَأَمًا مَنْ أُوتِيَ كِيَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقَوْلُ مَاوْمُ افْرَاءُوا كِتَابِيهُ " إِنَّى ظَنَمْتُ أَتَّى مُلَاقِ حِسَابِيهُ " فَهُوَ فِي عِيشَة رَاضِيَةٍ » ودعوة الناس إلى القراءة علامة الفرح والنشاط وقوة العزيمة . « وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِنَابَة بِشِيَالِهِ فَيقُولُ يَالَيْقِي لَمَ أُوتَ كِتَابِية ، وَلَمْ أَدْرِيهِ مَا اللهِ ". وَلَمْ أَدْرِيهُ اللهَ عَلَى مَالِيهٌ ". هَالْتَ عَلَى مَالِيهٌ ". هَالَتَ عَنَّى سُلْطَانِيهُ " وَلا شك أَن هذا قول الحَذول السكاره لما عرض عليه . والخلاصة — إن إيتاء الكتاب باليمين ، أو باليسار أو من وراء الظهر تصوير خال للطلع على أعاله فى ذلك اليوم ؛ فن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وتناول كتابه بيمينه ، ومنهم من إذا تكشفت له سوابق أعماله عبس و بسر وأعرض عنها وأدبر ، وتمنى لولم تكشف له ، وتناولها باليسار أو من وراء الظهر ، وحيثنذ يدعو واثبوراه ، أى ياهلاك أقبل فإنى لا أريد أن أبقى حيا ، علما منه بأن ذلك داع إلى طول المذاب ، وأنه سيدخل النار ويقاسى سعيرها .

ثم ذكر سبحانه سببين في استحقاقه للمذاب في الآخرة فقال:

(١) (إنه كان في أهله مسرورا) أى لأنه كان في حياته الدنيا فرحا بطرا لايفكر في أمور الآخرة ، ويقدم على الماصى ظنا منه أن لذاتها لاتوجب الحسرة ، ولا تورث التردى في نار الجحيم ، ومن ثم أبدله الله بهذا النميم الزائل عذابا لاينقطع،

(٧) (إنه ظن أن لن يجور) أى إنه ظن أن لن يرجع إلى ربه ، وأنه ان يبث الخلق لحسابهم على ماقدمو ا ، ولو علم أن الله سيبدل سروره ها ، وفرحه حزنا ونما _ لأقلع عما هوفيه ، ولنرك هذا السرور العاجل السريع الفناء ، وطلب من السرور مايبتى مابقيت الجنة التى لايفتى نعيمها ، ولا يزول سرور أهلها .

وفى الآية إيماء إلى أن المسخّرين لشهواتهم، الساعين وراء لذاتهم ليسوا بظانين فضلا عن أن يكولوا مستيقتين بأنهم يرجعون إلى ربهم ليحاسبهم ، بل الراجع عندهم أنهم لايحاسبون ، وأن الله مخلف وعده ، وهذا هوالذى ينسيهم ذكره عند كل جُرم يُحرِّمونه ، فهم وإن كالوا يزعمون الإيمان بالله و بوعده ووعيده ، فهم يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم .

ثم رد عليه ظنه الخاطئ فقال:

(بلى إن ربه كان به بصيرا) أى يلى ليحورَنَّ وليرجمنَّ إلى ربه ، وليمحاسبنه على عمله ، فيجزى على الحير خيرا وعلى الشر شرَّا ، فإن الذى يخلق الإنسان مستعدًّا لما لايتناهى من الحكمال، بما وهبه من العقل، لاينشئه هذه النشأة الرفيمة لتكون غابته غاية سائر الحيوان ، بل تقضى حكمته أن يجمل له حياة بعد هذه الحياة يشتر فيها أعماله ، ويواني فيها كماله .

فَلا أَ فَسِمُ بِالشَّقْقِ(١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَدَرِ إِذَا الَّسَقَ (١٨) لَكَرُّ كُنِّ طَبَقَ (١٤) فَا لَهُمُ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ لَكَرُّ لَكَنَّ لَكَنَّ لَكَنَّ لَوَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الثُّرُ آَنُ لاَيَسْجُدُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ اللَّيْنَ أَنْ لاَيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا يَعَلَمُوا وَعَمِلُوا السَّالِحَاتِ فَمُهُ أَجْرُدُ عَيْرٌ كُمْنُونَ (٢٢) .

شرح المفردات

الشفق: هو الحمرة التي تشاهد في الأفق الغربي بعد الغروب، وأصله رقة الشيء؛ يقال ثوب شفق: أي لايتماسك لرقته ، ومنه أشفق عليه : أي رق له قلبه قال : تهوى حياتى وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزَّال على اكثرَم وسق : أي ضم رجمع؛ يقال وسقه فاتسق واستوسق : أي جمعه فاجتمع ، وإبل مستوسقة : أي مجتمعة قال :

إن لنا قلائص حقائقا مستوسقات لم يجدّن سائقا وانسق : أى اجتمع نوره وصار بدرا ، لتركبن : أى لتلاقُن ، والطبق : الحال المطابقة لفيرها ، قال الأفرع بن حابس :

إنى امروٌ حليت الدهرَ أشطُره وساننى طبق منه إلى طبق والمراد لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بمده ، لا يسجدون : أى لا يخضعون ولا يستكينون ، يوعون : أى يجمون فى صدورهم من الإعراض والجحود والحسد والبغى ، والبشارة : الإخبار بما يسر ؛ واستعملت فى العذاب تهكما ، وممنون : أى مقطوع من قولهم منَّ فلان الحبل إذا قطعه .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أن الإنسان راجع إلى ربه فملاقيه ومحاسبه ، إما حسابا يسيرا إن كان قد عمل الصالحات ، أو حسابا عسيرا إن كان قد اجترح السيئات ، أقسم بكيات له فى الكائنات ، ظاهرات باهرات ، إن البعث كائن لا عالة ، و إن الناس يلقون شدائد الأهوال حتى يفرغوا من حسابهم ، فيصير كل أحد إلى ما أعد له من جنة أو نار .

ونحو الآية قوله : ﴿ بَلَى وَرَبَّى لَتُبَمَّنُ ثُمُّ التَّنَبُّوْنَ عِمَّا عَلَيْمُ ﴿ وَوَله : ﴿ يَوْمًا يَهْمَلُ الْوِلْمَانَ شِيبًا ﴾ فن عجيب أمرهم أنهم لا يؤمنون به ، وأعجب منه أنه إذا قوى عليهم القرآن لا يخضعون له ولا يستكينون ، لأن المناد صدهم عن الإيمان ، ومنعهم من الإذعان ، والله أعلم بما تكنه صدورهم ، وسيجازيهم بشديد المذاب ، أما الذين آمنوا وعلوا السالحات فلهم ثواب عند ربهم لا ينقطم .

الإيضاح

(فلا أقسم) تقدم أن قلنا : إن العرب اعتادت أن تأتى بمثل هذا القسم حين يكون القسم عليه أمراً ظاهراً لايحتاج إلى التوكيد ، فكأنه سبحانه يقول : لاأقسم بهذه الأشياء على إثبات ما أذكره لسكم لأن أمره ظاهر ، وثبوته غير محتاج إلى الحلف دليه .

و يرى بعض العلماء أنه إنما يستعمل حين يكون الحلف على أس جليل القدر ، عظيم الشأن لا يكنى القسم لإثباته ، فكأنه سبحانه يقول : لاأفسم بهذه الأشياء على إنبات ماأريد ، لأن إئباته أعظم وأجلّ من أن يقسم عليه بهذه الأمور الهينة ، والغرض على هذا الوجه تمظيم للقسم عليه وتفخيم شأنه .

(بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق) أى أقسم بهذه الأشياء التي إذا تدىر الإنسان أمرها ، استدل مجلالها وعظمة شانها على قدرة مبدعها .

(لتركبنَّ طبقاً عن طبق) أى لتلاقُنَّ أيها الناس أمورا بعد أمور وأحوالا بعد أحوال ، إلى أن تصيروا إلى ربح وهناك الخاود فى جنة أو نار .

و يدخل فى هذه الأحوال جميع الأطوار التى مرت به منذ أن كان نطعة فى بطن أمه إلى أن صار شخصا ، وما مر" به فى حياته الأولى من طفولة وشيخوخة ثم موته ثم حشره للحساب ، ثم مصيره إلى الجنة أو النار .

والخلاصة -- لتركبن حالا بعد حال والحال الثانية تطابق الأولى، أى لتكونن في حياة أخرى تماثل هذه الحياة التي أثم فيها وتطابقها من حيث الحس والإدراك، والألم واللذة ، و إن خالفت في بعض شفونها الحياة الأولى .

و بعد أن ذكر الأدلة الناطمة على صحة البعث والحساب أنكر عليهم استبعادهم له فقال :

(فالهم لايؤمنون؟) أى فأئ شيء حدث لهم حتى جعدوا قدرة الله وأنكروا سحة البعث ، وكل شيء أمامهم ينادى بياهر قدرته ، ويرشد إلى عظيم سلطانه ؟ وقصارى ذلك — إنه لاشبهة لهم يصح أن يستعسكوا بها على إنكار البعث والحساب .

(و إذا قرى عليهم القرآن لايسجدون) أى وماذا حدث لهم حتى صاروا إذا قرى عليهم الغرآن لايمكن البشر أن يصلوا إذا ألهم عليهم الغران لايمكن البشر أن يصلوا إليها فأمرهم عجب، فهم أهل اللسان وأرباب البلاغة والبراعة ، وذا يقتضى أن يعلموا إمجازه ، ومتى علموه استكانوا وخضعوا له ، وأدركوا محمة نبوة الرسول الذي جاء به ، ووجبت عليهم طاعته .

ثم بين السبب في عدم إيمانهم به وانقيادهم له فقال :

(بل الذين كفروا يكذبون) أى إن الدلائل الموجبة للإيمان جلية واضحة ، لكنهم قوم معاندون مصرّون على التكذيب ، إما لأنهم يحسدون الرسول صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله ، و إما لخوفهم من فوت المناصب الدينية ، والرياسات التقليدية ، وإما لأنهم بأبون أن يخالفوا ماوجدوا عليه آبادهم من عقائد زائفة ، وأضال مستهجنة .

(والله أعلم بما يوعون) أى والله سبحانه مطلع على مافى قلوبهم من أسباب الإصرار على الشرك ودواعى المناد والاستمرار على ماهم عليه .

(فبشرهم بعذاب أليم) جزاء إعراضهم على التكذيب والجحود ، و إصرارهم . على سئ العدل ، وفاسد الاعتقاد .

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى لـكن الذين آمنوا بالله ورسوله وخضموا للقرآن الـكريم وعملوا بما جاء فيه ، فأولئك لهم أجر لاينقطع مدده ، ولا ينقص منّه .

وفى هذا ترغيب فىالطاعة ، وزجر عن المصية، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الرسلين .

مقاصد السورة

نشتمل هذه السورة على مقصدين :

 أن الإنسان يلاق تتأمج أعماله يوم القيامة ، فيأخذ كتابه بيمينه أو من وراء ظهره .

(٢) أن الناس فى الدنيا يتنقلون فى أحوالهم طبقة بمد طبقة إما فى نسيم مقيم ،
 و إما فى عذاب أليم .

سورة البروج

هي مكية ، وآياتها ثنتان وعشرون ، نزلت بعد سورة الشمس.

ومناسبتها لما قبلها :

 (١) اشتمالها كالتي قبلها على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين ، مع التنويه بشأن الفرآن وفحامته .

(٧) أنه ذَكر فى السورة السابقة أنه عليم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المسكر والخداع و إيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والإلقاء فى حمارة القيظ ، وذكر هنا أن هذه شِنْشِتة مَن تقدمهم من الأمم ، فقد عذبوا للؤمنين بالناركا فعل أصحاب الأخدود .

وفي هذا عظة لقريش ، وتثبيت سي مذبون من المؤمنين .

بِسْمِ اللهِ الرَّهْنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّهَا وَاَتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ اللَّوْعُودِ (٢) وَشَاهِدِ وَمَشْهُو دِ (٣) وَشَاهِدِ وَمَشْهُو دِ (٣) وَتَلَامُ مُنُودٌ (٣) وَتَلَا أَضْمُ اللَّهِ عَلَىهَا فَهُودٌ (١) وَمَا نَقْمُو اللَّهُ عَلَىهُمُ اللَّأَنْ يُوْمِنُوا وَهُمْ عَلَى مَا يَفْمُلُونَ بِالْمُوْمِيْنِ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَنْ يُوْمِنُوا بِاللهِ الْمَرْيِزِ الْمُهُمْ إلاَّ أَنْ يُوْمِنُوا بِاللهِ الْمَرْيِزِ الْمُهُمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلُّ فَيْهُ شَهِيدٌ (٨) .

شرح المفردات

البروج : واحدها برج؛ ويطلق على الحصن والقصر العالى وعلى أحد بروج السهاء الاثنى عشر، وهي منازل السكواك والشمس والقمر؛ فيسير القمر في كل برج منها ومين ونلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم يستتر ليلتين ؛ وتسير الشمس فى كل برج منها شهرا ، ستة منها فى شمال خط الاستواء ، وستة فى جنو به ؛ فالتى فى شماله هى: الخمّل والتور والجورزاء والسّرَ طان والأسد والسُّنُبلة ، والتى فى جنو به هى لليزان والتقرب والقوس والجوري والمدّو والحدّو والحوت ؛ وتقعلم الثلاثة الأولى فى ثلائة أشهر ، وأما اليوم المشرون من شهر بونيه ، وهذه المدة هى فصل الربيع ، وتقعلم الثلاثة الأولى من الجنوبية فى ثلاثة أشهر أيضا ، أولما اليوم الثانى والمشرون من شهر بونيه ، وهذه المدة هى فصل المنين ؛ وتقعلم الثلاثة الأولى من الجنوبية فى ثلاثة أشهر أيضا ، أولما اليوم الثانى والمشرون من شهر سبتدبر ، وهذه المدة هى فصل الخريف ؛ وتقعلم الثلاثة الثانية من الجنوبية فى ثلاثة أشهر أيضا أولما اليوم الثانى والمشرون من شهر ديسمبر ، وهذه المدة هى فصل الشتاء ، واليوم الموهود : هو يوم القيامة ، لأن الله قد وحد به ، والشاهد والمشهود : جميع ما خلق الله تعالى فى هذا العالم ، فإن كل ما خلقه شاهد على جليل قدرته ، وعظم حكته .

وفي كل شي له آية تدل على أنه واحد

وهو مشهود أيضا لكل ذى عينين ، والأخدود : الشق فى الأرض يحفر مستطيلا ، وجمه أخاديد ، وأسحاب الأخدود: قوم كافرون ذوو بأس وقوة رأوا قوما من المؤمنين خاطهم إيمانهم فحملوهم على الكفر فأبوا فشقوا لهم شقا فى الأرض وحشوه بالنار وألقوهم فيه ، وكان هؤلاء الغلاظ الأكباد على جوانب الشق يشهدون الإحراق ، وما نقرا منهم : أى ما عابوا عليهم ، العزيز : أى الذى لاتُمنَّاب قوته ، الحيد : أى الذى يحمد على كل حال .

المعنى الجملي

أقسم سبحانه بمـا فيه غيب وشهود ، وهو السهاد ذات البروج ، فإن كواكبها مشهود نورها ، مرثى ضويرها ، ممروفة حركاتها في طلوعها وغروبها ، وكذلك البروج نشاهدها وفيها غيب لانعرفه بالحس ، وهو حقيقة الكواكب وما أودع الله فيها من القوى وما فيها من عوالم لانراها ولا ندرك حقيقتها .

وأقسم بما هو غيب صِرْفُ، وهو اليوم الموعود وما يكون فيه من حوادث البعث والحساب والمقاب والثواب .

وأقسم بما هو شهادة صرفة وهو الشاهد : أى ذو الحس ، والمشهود : وهو ما يقع عليه الحس .

أقسم سبحانه بكل ما سلف إن من قبلهم من المؤمنين الموحدين اجاوا بيطش أعدائهم بهم ، واشتدادهم في إيدائهم ، حتى خدوا لهم الأخاديد وملئوها بالنبران وقد نوه م به من المخدود برؤية ما يحل بهم ، وهم مع ذلك قد صبروا وانتقم الله من أعدائهم؛ وعمن أوقع بهم، وأخذهم بذنو بهم أخذ عز يز مقتدر ، ولنن صبرتم أيها المؤمنون على الأذى ليوفيتكم أجركم ، وليأخذن أعداءكم ولينز لن بهم ما لا قبل لهم به .

وَهَدَ حَكَى اللهُ هَذَا القصص ، ليكون تثبيتا لقارب المؤمنين ، ووعدا اسباده الصالحين ، وجعلا لمم على الصبر والمجاهدة في سبيله ، ووعيدا للكافرين وأنه سيعل بهم مثل ما حل بمن قبلهم : ﴿ سُنَّةَ اللهِ اللَّهِ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ _ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَعْوِيلًا ﴾ . اللهِ تَبَدِيلًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا ﴾ .

الإيضاح

(والسهاء ذات البروج) أى قسها بالسهاء ذات الكواكب العظيمة التي لم يُشتَطع لهما إحصاء ولا عدٌ ، منها ما لا يصل ضوؤه إلينا إلا في ألف ألف سنة وخسائة ألف ، مع أن الضوء يسير في الثانية الواحدة ثلثائة ألف كيلو ، ويصل في سبيره إلى القبر في قدر ثانية وثلث الثانية ، ولو جرى حول الكرة الأرضية لدار حولما فى الثانية الواحدة نحو ثمان سرات، ولو أطلق مِدْفع فإن قنبلته تجرى نحو سنة ونصف سنة حتى تقطع المسافة التى يقطعها الضوء فى ثانية واحدة .

فما أبعد الكواكب التي يصل ضوؤها إلينا بمد مليون سنة ونصف المليون ، و إلى أيّ حد هي عظيمة بالنسبة إلى شمسنا .

وقد أقسم الله بهذه الكواكب لما فيها من عجيب الصنعة ، وباهم الحكمة ، ولما فيها من مصالح ومنافع الناس في هذه الحياة تدل على أن لها صانعا حكيا مدبرا ، إلى أنه يحثنا على البحث عن هذه العوالم ، لنستدل بذلك على عظيم قدرته ، وجليل حكمته .

(واليوم الموعود) وهو يوم الفصل والجزاء الذى وعد الله به على ألسنة رسله ، وفيه يتفرد ربنا بالملك والحسكم .

(وشاهد ومشهود) أى و بجميع ما خلق الله فى هذا السكون بما يشهده الناس و يرونه رأى الدين ، فمنهم من يتدبر و يستفيد من النظر إليه ، ومنهم من لايستفيد من ذلك شيئا .

وقصارى ذلك -- إنه سبحانه أقسم بالموالم كلها ليلفت الناظرين إلى ما فيها من العظم والفخامة ، وليمتبروا بما حضر ، ويبذلوا جهدهم في درك حقيقة مااستتر. (قتل أصحاب الأخدود) أى أخذوا بذنوبهم ، ونزل بهم نكال الدنيا وهذاب الآخدة .

ومن حديث ذلك أنه قد وقع إلى نجران من أرض المين رجل بمن كانوا على دين عيسى بن مريم فدعا أهلها إلى دينه وكانوا على اليهودية ، وأعلمهم أن الله بعث عيسى بشريمة ناسخة لشريعتهم ، فاكمن به قوم منهم ، وبلغ ذلك ذا نُواس ملكهم وكان يتمسك باليهودية ، فسار إليهم بجنود من حِيْر، فلما أخذهم خيرًم ، بين اليهودية والإحراق بالنار ، وصفر لهم حَيْرة ثم أضرم فيها النار ، وصار يُولَّتى بالرجل منهم فيخيره ، فمن جزع من النار وخاف المذاب ورجع عن دينه ورضى اليهودبة تركه ، ومن استمسك بدينه ولم يبال بالمذاب الدنيوى لثقته بأن الله مجزيه أحسن الجزاء _ ألقاه فى النار وكان حولها يشرف على هلا كه .

ثم بيّن من هم أصحاب الأخدود فقال:

(النار ذات الوقود) أى إن أصحاب الأخدود هم أسحاب النار التي لها من الحطب الـكثير ما يشتد به لهيبها ، لاجرم يكون حريقها عظيا ، ولهيبها متطايرا

(إذ هم عليها تَسُود) أي قتلوا ولمنوا حين أحرقوا المؤمنين بالنار وهم قاعدون حولها

يشرفون عليهم وهم يمذُّون بها ، وبحرقون فيهاكما أشار إلى ذلك بقوله :

(وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أى إن أولئك الجبابرة الذين أمروا بإحراق المؤمنين كأنوا حضورا عند تعذيبهم ، يشاهدون ما يفعله بهم أتباعهم .

وفى هذا إيماء إلى قسوة قاوبهم ، وتمكن الكفر منهم ، إلى ما فيه من إشارة إلى قوة اصطيار المؤمنين وشدة جَلَدهم ، ورباطة جأشهم ، واستمساكهم بدينهم . وقد يكون المعنى — يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنه لم يقصر فى التنكيل

بالمؤمنين .

(وما نقموا ممهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الخبيد) أى إن هؤلاء الكفنر يماقبوا المؤمنين إلا على شي " لايجوز العقاب عليه ، بل ينبغي لكل أحد أن يكون عليه ، ويدعو غيره إلى التمسك به ، وهو الإيمان بالله تعالى العزيز الغالب الذي يخشى عقابه ، وتهاب صولته ، المنم الذي يرجى ثوابه ، وترتقب نماؤه .

ثم أكد استحقاقه للمزة والحد بقوله :

(الذى له ملك السموات والأرض) أى لأنه مالك الأس كله فيهما ، فلا مفر" لأولئك الظالمين من سلطانه ، وأن ما يلاقيه المؤمنون ليس إلا امتحانا وابتلاء مما يمحص الله به أهل طاعته ، ليبلوهم أيهم أحسن عملا . ثم و بخيم على ما صنعوا بالمؤمنين وأوعدهم بأنهم سيلاقون جزاء ما ضلوا فقال : (والله على كل شيء شهيد) فهو عليم بما يكون من خلقه ومجاز بهم عليه .

إِذَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمَّ يَثُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحْرِيقِ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ آمُنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمُّ جَنَّاتُ تَجُرْى مِنْ تَحْتُهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبَيرُ (١١).

شرح المفردات

فتنوا : أى ابتلوا وامتحنوا ، عذاب الحريق : هو عذاب جهنم ذكر تفسيرا وبيانا له ، الفوز الكبير : أى الذى تصغر الدنيا بأسرها عنده ، بمـا فيها من رغائب لاتفنى .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر قصة أسحاب الأخدود و بين ما فعلوه من الإبذاء والتنكيل بالمؤمنين وفيّل ذلك بما يدل على أنه لو شاء لمنع بعزته وجبروته أولئك الجبابرة عن هؤلاء المؤمنين ، وأنه إن أمهل هؤلاء الفجرة عن العقاب في الدنيا فهو لم يهملهم ، بل أجّل عقابهم ليوم تشخص فيه الأبصار – ذكر ما أعد للسكفار من العذاب الألم ، جزاء ما اجترحت أيديهم من السيئات التي منها إيذاء المؤمنين ، وما أعد للمؤمنين من جيل الثواب ، وعظيم الجزاء ،

الإيضاح

(إن الذين فتتوا المؤمنين وللؤمنات ثم لم يتو بوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أى إن الذين امتحنوا للؤمنين والمؤمنات بالتمذيب ، ليردوهم عن دينهم ، وثبتوا على كغرهم وعنادهم ولم يتوبوا حتى أخذهم الموت ــ أعدّ الله لهم عذابا فى جهنم بالحريق .

وقدكان الضالون مركل أمة يؤذون أهل الحق والدعاة إليه ، حرصا على ما ألفوا من الباطل ، وتشيعا لمـا وجدوا عليه أنفسهم وآباءهم الأقر بين ، على غير بصيرة ، ولا استشارة للمقل السليم ، ولا يزال هذا شأنهم إلى يوم الدين .

أنظر إلى أسحاب الأخدود تجدهم قد عرضوا المؤمنين على النار وأحرقوهم بها ، و إلى كفار قريش ترهم قد فتنوا المؤمنين بالكثير من الإيذاء ، فعذبوا آل ياسر بفنون من الداب ، وعذبوا بالالا بما لا يحصى من ضروب الأذى ، وفعلوا مثل هذا بكثير من أكابر المؤمنين ، حتى لقد آذوا الرسول الأكرم وألحقوا به كثيرا من المنت والأذى ، فرموه بالحجارة حتى أدموه ، بل فعلوا معه أكثر من هذا فخرجوا يخيلهم ورجلهم يقاتلونه وأصحابه ، ويتمنون لو يتمكنون منه ليقتلوه ، ولكن الله عليهم در « وَيَأْتِي اللهُ إلا أَنْ يُنِحَ فَرِدُهُ وَلُوْ كَرَهُ الْكَالَمُ اللهُ إلا أَنْ يُنِحَ وَرُدُهُ وَلُوْ كَرَهُ الْكَالُمُ وَرُونَ » .

وفى قوله : « ثم لم يتوجرا » إيماء إلى أنهم لو تابوا قبل موتهم غفر الله لهم ماقدّموا قبل النوبة من ذنب .

و بعد أن ذكر ما أعد لأعدائه من النكال والعذاب الأليم - أرشد إلى ما يكون لأوليائه من النسم المقيم ، ليكون ذلك أنكى للأعداء ، وأشد فى غيظهم ، وأبعث للأميى والحزن فى نفوسهم فقال :

(إن الذين آمنوا وعماوا الصالحات لهم جنات تجرى مر تعتبا الأنهار ذلك الفوز الكبير) أى إن الذين أقروا بوحدانية الله وعماوا صالح الأعمال التماوا بأوامره وكفوا عن تواهيه ابتفاه رضوانه _ لهم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار، وهذا هو الظفر الكبير لهم ، كفاء ماقدموا من إيمان وطاعة لربهم .

إِنَّ بَطْشَ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ (١٧) إِنَّهُ هُوَ يُبُدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الفَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْمَرْشِ المَجِيدُ (١٥) فَمَّالُ لِمَا يُرِيدُ (١٦) .

شرح المفردات

البطش: الأخذ بالدنف والشدة، يبدئ و يعيد: أى هو الدى يبدأ الخلق ثم يفنيهم ثم يفيدهم أم يفيد من الأولى ، أي يفنيهم ثم يفيدهم أم يفنيهم أم يفيد و بستر ذنوب عباده بمفنرته ، الودود: أى الذى يحب أولياءه ويتودّد إليهم بالعفو عن صغير ذنوبهم ، ذو العرش: أى صاحب الملك والسلطان والقدرة النافذة ، الحجيد: أى السامى القدر المتناهى فى الجود والكرم ، تقول العرب: « فى كل شجر نار ، واستمجد المَرْتُ والتفار » : أى تناهيا فى الاحتراق حتى يقتبس منهما .

المعنى الجملي

سد أن ذكر وعيد الذبن فتنوا المؤمنين والمؤمنات ، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ووصف ما أعدّ لهم من الثواب كفاء أعمالهم ... أردف دلك كله بما يدل على تمام قدرته على ذلك ، ليكون ذلك بمثابة توكيد لما سبق من الوعيد والوعد . فالملك لا يعظم سلطانه وهييته في النفوس إلا بأمر من :

- (١) الجود الشامل والإنعام الكامل ، و بذا يرجى خيره .
- (٢) الجيوش الجرارة والأساطيل النظيمة التي توقع بأعدائه وتنكل بهم ،
 وبذلك يهاب جانبه ، وإليهما مما أشار بقوله فيا سلف : « الترزيز الحفيد » وهنا زاد الأمم إيضاحا بقوله : « إنَّ بَعْلَشَ رَبِّكَ لَشَدَيدٌ » الآية .

الإيضاح

(إن يطش ربك لشديد) أى إن انتقامه من الجبابرة والظلمة ، وأخذه إيامم بالمقوبة ــ لهو الناية فى الشدة ، والنهاية فى الأدى والألم .

وقد زاد سبحانه أمر قدرته توكيدا فقال :

(إنه هو يبدئ ويسيد) أى إنه يخلق الخلق ابتداء ، ثم يسيدهم بعد أن صيّرهم ترايا ، وإذا كان قادرا على البدء والإعادة فهو قادر على شديد البطش بهم ، لأنهم تحت قبضته ، وخاضعون لسلطانه .

فكا أنه سبحانه يقول : إن مرجعكم إلى ربكم ، فإذا لم يعاقبكم في هذه الحياة على ما تمملون مع أوليائه فلا تظنوا أن ذلك إهمال منه أو تقصير في شأخهم ، بل أخر ذلك ليوم ترجعون إليه ، وهو اليوم الذي سيكون فيه البطش والانتقام منكم .

ثم ذكر سبحانه خمسة أوصاف من صفات الرحمة والجلال فقال:

- (١) (وهو الغفور) لمن برجم إليه فالتو له ، فيتجاوز عن سيئاته .
 - (٢) (الودود) لمن حلصت نفسه بالمحبة له .
- (٣) (ذو المرش) أى ذو الملك والعظمة ، والسلطان والقدرة النافذة ، والأمر
 الذى لايرد "
 - (٤) (الجيد) أى العظم الكرم والفضل .
- (ه) (فَمَّال لما يريد) أي لا يريد شيئا إلا فعله وفق إرادته ، فإذا أراد هلاك الجاحدين المماندين ونصر أهل الحق الصادقين لم يعجزه ذلك ، وأين هم بمن سبقهم ثمن كانوا أضل منهم وأشد قوة ؟

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي نَسَكُذِيبِ (١٩) وَاللهُ مِنْ وَرَأَمِهِمْ مُحِيطٌ (٧٠) بَلْ هُوَ قُرْآَنُ عَبِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ تَحْفُوظِ (٢٢) .

شرح المفردات

الجنود: تطلق تارة على السكر، وتطلق أخرى على الأعوان؛ والمراد بهم هنا المجاعات الذين تجندوا على أنبياء الله واجتمعوا على أذاهم، فرعون: هو طاغية مصر، محود: قبيلة بائدة من العرب لا يعرف من أخبارها إلا ماقصه الله علينا، محيط: أى هم في قبضته وحوزته كن أحيط به من ورائه فانسدت عليه المسالك ، مجيد: أى شريف، محفوظ: أى مصون من التحريف، والتغيير والتبديل .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر قصص أصحاب الأخدود وبيّن حالهم ، ووصف ماكان من إيذائهم للمؤمنين — أردف ذلك بييان أن حال الكفار فيكل عصر ، وشأنهم معكل نبيّ وشيعته جارٍ على هذا النهج ، فهم دأتما يؤذون المؤمنين ويعادونهم ، ولم يرسل الله نبيا إلا لتى من قومه مثل ما لتى هؤلاء من أقوامهم .

والغرض من هذا كله تسلية النبي وسحبه ، وشد عزائمهم على التدرّع بالصبر ، وأن كفار قومه سيصيبهم مثل ما أصاب الجنود : فرعون ، وتحود .

الإضاح

(هل أتاك حديث الجنود) أى هل بلغك ماصدر من أولئك الجنود من التمادى فى الكفر والضلال ، وما حل بهم من العذاب والنكال . والممنى — إنه قد أتاك خبرهم وعرفت مافعلوا ، وما جازاهم ربهم به ، فذكرً قومك بأيام الله ، وأنذرهم أنه سيصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم من أهل الضلال .

تم بيَّن من هم أولئك الجنود فقال :

(فرعون وثمود) وحديث هذين مشهور متعارف بينهم، فقد كانوا بعرفون من يهود المدينة وغيرهم ماكان من فرعون مع كليم الله موسى من العناد والإصراز على الكفر، وماكان من عاقبة أمره وأن الله أغرقه فى اليم هو وقومه، وأذاقه الوبال فى الآخرة والأولى .

كما كاموا يعرفون قدة نمود مع صالح عليه البسلام وأنهم عقروا الناقة التي جعلها الله لهم آية ، فدئر بلادهم وأهلكهم ولم يترك لهم من باقية ، وهم يمرّون على دفارهم في أسفارهم ويسمعون أخبارهم .

وخلاصة ذلك — إن الكفار في كل عصر متشابهون، وأنَّ حالهم مع أنبيائهم. لاتتغير ولا تتبدل ، فهم في عنادهم واستكبارهم سواسية كأسنان المشط ، فقومك أيها الرسول ليسوا ببدع في الأمم ، فقد سبقتهم أم قبلهم وحلّ بهم من النكال ماسيحل بقومك إن لم يؤمنوا ، « فَاصْبِرْ إِنَّ النّاقِيَةَ لِلْمُتَنِّينَ » .

وقد أشار إلى أن هذه شِنْشِتهم في كل عصر ومصر فقال :

(بل الذين كفروا فى تكذيب) أى إن الكفار فى كل عصر غارقون فى شهوة التكذيب حتى لم يدع ذلك لمقلهم مجالاً للنظر، ولا متسما للتذبر، ولا يزالون فى غمرة حتى يؤخذوا على غرة .

ثم سلى رسوله من وجه آخر فقال :

(والله من ورائهم محيط) أى إنه سبحانه مقتدر عليهم وهم في قبضته لابجدون مهر با ، ولا يستطيعون الفرار ، إذا أرادوا .

فلا تجزع من تكذيبهم واستمرارهم على العناد ، فان يفوتونى إذا أرد**ت** الانتقام منهم . ثم رد على تماديهم فى تكذيب القرآن وادعائهم أنه أساطير الأولين فقال : (بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ) أى إن هذا الذى كذبوا به كتاب شريف متفرد فى النظم والمعنى، محفوظ من التحريف ، مصون من التنبير والتبديل .

واللوح المحفوظ شيء أخبرنا الله به ، وأنه أودعه كتابه ، ولكن لم يعرَّننا حقيقته ، فعلينا أن نؤمن به ، وليس علينا أن نبحث فيا وراء ذلك مما لم يأت به خبر من المصوم صلوات الله عليه وسلامه .

مقاصد هذه السورة

(١) إظهار عظمة الله وجليل صفاته .

(٧) إنه يبيد الأم الطاغية في كل حين ، ولا سيا الذبن يفتنون المؤمنين
 والمؤمنات .

سورة الطارق

هى مكية ، وآياتها سبع عشرة ، نزلت بعد سورة البلد . مناستما لما فدلها :

- (١) أنه ابتدأ هذه بالحلف بالسياء كالسورة قبلها .
- (٢) أنه ذكر في السابقة تكذيب الكمار للقرآن ، وهنا وصف القرآن بأنه
 القول الفصل ، وفيه رد على أولئك المكذبين .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمَاءُ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَاالطَّارِقُ (٧) النَّجْمُ الثَّاتِبُ (٣) س لمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) .

شرح المفردات

السهاء : كل ماعلاك فأظلك ، الطارق: هو الذى يجيئك ليلا ، النجم الثاقب : هو الذى يثقب ضوؤه الظلام كأن الظلام جلد أسود والنجم يثقبه ، حافظ : أى رقيب براقبها في أطوار وجودها ، وهو الله تعالى .

المعنى الجملي

أقسم سبحانه في مستهل هذه السورة بالسياء ونجومها الثاقبة _ إن النغوس لم تَدَّكُ سدَّى ولم ترسل مهملة ، بل قد تكفل بها من يحفظها و يحمى أعمالها وهو الله سبحانه. وفي هذا وعيد المحافرين وتسلية الذي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فكأنه يقول لحم : لاتحزنوا لإيذاء قومكم لسكم ، ولا يضق صدركم لأعمالهم ، ولا نظأتُ أنا نهملهم ونتركهم سدى ، بل سنجازيهم على أعمالهم بما يستحقون ، لأنا نحصى عليهم أعمالهم

ونحاسبهم عليها ، يوم يعرضون علينا ﴿ فَلاَ تَشْجَلُ عَلَيْمِمْ إِنَّمَا نَسُدُ كُمُمْ عَدًا ﴾ والعدّ إنما يكون للحساب والجزاء

الإيضاح

(والسياء) أكثر فى القرآن الحلف بالسياء وبالشمس وبالقمر وبالليل ، لأن فى أحوالها وأشكالها وسيرها ومطالعها ومناربها من مجائب وغرائب ــ دلائل لمن يتدبر ويتفكر بأن لها خالقا مدبرا يقوم بشئونها و يمحصى أمرها ، لايشركه سواه فى هذا الإبداع والصنع .

(والطارق) أى الكوكب البادى ليلا .

(وما أدراك ما الطارق؟) يقولون: وما أدراك ما كذا أى وأى شى. يعلمك حقيقته؟، وهو أسلوب من كلامهم يراد به التفضيم والتعظيم ، كأنه فى فخامة أمره لايمكن الإحاطة به ولا إدراكه .

ثم فسر هذا الطارق بقوله :

(النجم الثاقب) أى لا أقسم بكل طارق من السكواكب، بل أقسم بطارق معين هو النجم المفىء الذى يثقب الظلام ونهتدى به فى ظلمات البر والبحر، ونقف به على أوقات الأمطار وغيرها من أحوال يحتاج إليها الإنسان فى مماشه، وهو الثريا عند جهرة العلماء، ويرى الحسن أن المرادكل كوكب لأن له ضوءا ثاقبا لامحالة.

ثم ذكر المقسم عليه فقال :

(إن كل نفس لمّا عليها حافظ) أى أحلف بالسهاء و بالنجم الثاقب إن للنفوس رقيبا بمفظها ويدبر شئونها في جميع أطوار وجودها حتى ينتهى أجلها ، وذلك الحافظ والرقيب هو ربها للدبر لشئونها ، للصرّف لأمورها في معاشها ومعادها . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءِ دَافِقِ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْمِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُنْبَى السَّرَاتُرُ(٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرِ (١٠) .

شرح المفردات

دافق : أى منصب بدفع وسيلان وسرعة ، والصلب : الظهر ، والتراثب : عظام صدر المرأة ، وللراد من بين صلب الرجل وتراثب المرأة ، وقال الحسن وروى عن قتادة : يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة ، وتراثب كل منهما وهو الموافق لما أثبته العلم حديثا كما سيأتى ، ورجمه : أى إعادته ، تبلى : أى تختير وتمتحن ؛ والمراد تظهر، والسرائر: مايسر في القلوب من المقائد والنيات وما خفى من الأحمال ، واحدها سريرة ، قال الأحوص :

سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا سريرةُ ودٍّ يومَ تُبلى السرائرُ

المعنى الجملي

بعد أن بين سبحانه أن الإنسان لم يترك سدى ، ولم يخلق عبثا نبهه إلى الدليل الواضح على سحة معاده ، وأنه لابدأن برجع إلى ربه ليجازيه على ماعمل ، فذكّره بنفسه ، ولفت نظره إلى كيفية خلقه ومنشئه ، وأنه خلق من الماء الدافق الذى لاتصوير فيه ، ولا تقدير للآلات التي يظهر فيها عمل الحياة كالأعضاء وغيرها ، ثم أنشأه خلقا كاملا مماوءا بالحياة والمقل والإدراك ، قادرا على القيام بالخلافة في الأرض .

فالذى خلقه على هذه الأوضاع قادر أن يسيده إلى الحياة فى يوم تتكشف فيه المستورات ، وتبين الخفايا ، فيكون إبداؤها زَيْنًا فى وجوه بعض الناس ، وشيئاً فى وجوه بعض آخر بن ، وليس للمرء حينئذ قوة يدفع بها عن نفسه مايحل به من المذاب ، ولا ناصر يعينه على الخلاص من الآلام .

الإيضاح

(فلينظر الإنسان مَّ خلق ؟) أى فلينظر بعقله ، وليتدَّر فى مبدأ خلقه ليتضح له قدرة واهبه ، وأنه إذا قدر على إنشائه من موادَّ لم تَشَمَّ رائحة الحياة قط سهو على إعادته أقدر فليممل بما به يُسَرُّ حين الإعادة .

ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله :

(خلق من ماه دافق. يخرج من بين الصلب والنرائب) أى خلق من ماه مدفوق يخرج من الظهر والنرائب لكل من الرجل والمرأة ، فهو إنما يكون مادة خلق الإنسان إذا خرج من بين الرجل والمرأة ووقع فى رحم للرأة .

والخلاصة — إن الولد يتكون من منى مدفوق من الرجل ، فيه جرثومة حية دقيقة لا ترى إلا بالآلة المنظمة (الميكرسكوب) ، ولا تزال تجرى حتى تصل إلى جرثومة نظيرتها من جرائيم المرأة وهى البويضة ، ومتى التقت الجرثومتان اتحدنا وكوّنتا جرثومة الجنين .

وقد استفتيتُ فى نظرية الحل وكيفية تكوين الجنين النطاسى البارع عبد الحميد العرابي بك وكيل مستشفى الملك سابقا ، فأجابني حفظه الله بما يأتى :

كيفية حصول الحمل ونمو" الجنين في الرحم

قال الله تعالى: « فَلْمَنْظُرِ الْإِنْسَانُ رَمِّ خُلِقَ؟ . خَلِقَ مِنْ مَاه دَافِقِ . يَحْرُجُ مِنْ 'مَنْنِ الصَّلْبِ وَالتَرَائِيبِ » وقال أيضا : « وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَانَشَاءُ إِلَىٰ أَجَل مُسَمَّى » . اعلم أخى وفقك الله أن فى هاتين الآيتين وما شاكلهما من الآيات سرًا من أسرار التنزيل ووجها من وجوه إعجازه ، إذ فيهما معرفة حقائق علمية تأخر العلم بها والمكشف عن معرفها و إثباتها ثلاثة عشر قرنا .

بيان هذا : أن صلب الإنسان هوعوده النِقري (سلسلة ظهره) وتراثبه هي عظام صدره ، و يكادممناها يقتصر على حافة الجدار الصدري السفلي .

و إذا رجعنا إلى علم الأجنة وجداً فى منشأ خُسْية الرجل ومِبيض للرأة مايفسر لنا هذه الآيات التى حيرت الألباب ، وذهب فيها للقسرون مذاهب شتى على قدر ما أوتى كل منهم من علم ، وإن كان بسيدا عن الفهم الصحيح والرأى السديد .

ذاك أنه فى الأصبوع السادس والسابع من حياة الجنين فى الرحم ينشأ فيه مابسى (جسم وولف وقنانة) على كل جانب من جانبي العمود الفقرى ، ومن جزء من هذا تنشأ الكلى و بعض الجهاز البولى ، ومن جزء آخرتنشأ أنُطصية فى الرجل والمبيض فى المرأة .

فكل من انُخصية والمبيض فى بدء تكوينهما مجاورالكلى ويقع بين الطُّلب والتراثب، أى مايين منتصف العمود اليقرى تقريبا ومقابل أسفل الضلوع .

ونما يفسر لناصحة هدذه النظرية أن الخصية وللبيض يعتدان في نموهما على الشريان الذي يمدها بالدم ، وهو يتفرع من الشريان الأورطي في مكان يقابل مستوى الكلى الذي يقع بين الصلب والتراثب، ويعتدان على الأعصاب التى تمد كلا منهما وتتصل بالضفيرة الأورطية نم بالمصب الصدرى العاشر، وهو مخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادى عشر ، وكل هذه الأشياء تأخذ موضعها في الجسم فيا بين الصلب والتراثب .

فإذا كانت الخصية وللبيض فى نشأتهما وفى إمدادهما بالدم الشريانى وفى ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا فى ذلك كله على مكان فى الحسم يقع بين الصلب (A) والتراثب فقد استبان صدق مانطق به القرآن الكريم، وجاء به رب العالمين ، ولم يكشفه العلم إلا حديثًا بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول ذلك الكتاب .

هذا، وكل من الخصية والمبيض بعد كال نموه يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف تهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصَّفن ، ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم .

وقد يحدث فى بعض الأحيان ألاتتم عملية الهبوط هــذه ، فتقف الخصية فى طريقها ولا تنزل إلى الصفن ، فتحتاج إلى عملية جراحية حتى تصل إلى وضعها فى الموضم الطبيعى .

هذا ، والإنسان ببدأ حياته جنينا ، والجنين يتكوّن من تلقيح بويضة تخرج من المبيض مندققة نحو بوق الرحم بالحيوان المنوى الذي تفرزه خُصية الرجل ، ويكون التلقيح في الغالب في داخل أحد البوقين أو فيهما مما ، ثم تسير البويضة في طريقها إلى الرحم حتى تستقر في قرار مكين إلى أجل مسمى .

هذا إذا صادفها أحد الحيوانات للنوية ، أما إذا أخطأها التلقيح فتكون ضمن الإفرازات الرحمية التي تطرد في خارج الجسم .

ومما يلاحظ أن إفراز البويضات عند المرأة هو عملية فسيولوجية شهر ية لاعلاقة لها بالاجتماع الجنسى ، غير أن هذا الاجتماع ضرورى لعملية التلقيح بالحيوان المنوى الذى يسبح فى ماء الرجل .

ومما سبق تعلم أن الماء الدافق يكون من كل من الرجل والمرأة ؛ أما ماء الرجل فيتكون من الحيوانات للنوية وسوائل أخرى تفرزها الخصية والبروستاتة والحويصلات الملوية ، وهذه السوائل كلها جملت مباءة ومستقرا للحيوان المنوى الذى بدونه لايتم التلقيع . وهكذا الحال في البويضات التي يفرزها مبيض الرأة ، فإنها بعد أن تكون في البيض على شكل حويصلة صفيرة تسمى حويصلة (جراف) تمو وتبلغ أشدها في نحو شهرحتي تقترب من البيض ثم تنفجركا تنفجر الققاعة وتندفع منها البويضات مع السائل الذي خرج من الفقاعة إلى البوق حيث يقابلها حيوان منوى يقوم بعملية التلقيح — وكلا الماء من ماه الرجل وماء الرأة دافق، أى ينصب مندفعاً، وهذا هو الحاصل فعلا.

ومن هذا يتبين بوضوح أن الإنسان خلق ونشأ من للماء الدافق (ماء الرجل وأهمّ مافيه الحيوان للنوى؛ وماء المرأة وأهمّ مافيه البويضة) الذى ينصب مندفعاً من عضو بن هم الخصية والمبيض ،ومنشؤهماوغذاؤهما وأهصابهما كلهابين الصلب والتراثب.

وقد ثبت فى علم الأجنة أن البويضة ذات الخلية الواحدة تصير علقة ذات خلاياً عدّة ، ثم تصير العلقة مضفة ذات خلاياً أكثر عددا ، ثم تصير المضفة جنينا صغيراً وزعت خلاياه إلى طبقات ثلاث يخرج من كل طبقة منها مجموعـة من الأنسجة المتشابهة فى أول الأمر ، فإذا تم تموها كونت جمع الإنسان .

و إذا هدى الفكر إلى كل هذا في مبدأ خلق الإنسان ، سهل أن نصدق بما جاء به الشرع وهو البعث في اليوم الآخر ، لأن خلق الإنسان من أجزاء منتشرة متفرقة في الكون ؛ ظلماء متولد من الأطمعة التي يتناولها الإنسان ، فجمعا الله ، ثم جمع الأبوين ، ثم جمع ماءاهما في مكان واحد ، ثم خلق منه الولد ، وليس في إعادته مثل ذلك ، فهي أهون ، ومن ثم قال :

(إنه طي رجمه لقادر) أى إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء من هذه الممادة — قادر أن مرده حيًا بعد أن يموت .

ونحو الآية قوله : « قُلْ يُحْيِيها الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » وأصرح منهما قوله : « وَهُوَ الَّذِي يَبُدُأُ الْخَلْقُ ثُمُ مُيهِدُهُ وَهُوَ أَهْوَلُ عَلَيْهِ » .

ثم بيّن وقت الرجع فقال :

(يوم تبلى السرائر) أى هو قادر على أن يعيد الإنسان إلى الحياة فى اليوم الذى تنكشف فيه السرائر ، وتتضح الضائر ، ويتميز الطيب من الخبيث ، فلا يبقى فى سريرة سرّ ، بل تنقلب كل خفيّة إلى الجهر ، ولا يكون جدال ولا حجاج ، ولا يبقى لذوى الأعمال إلا انتظار الجزاء على ماقدموا ، فإما حلول فى نسمٍ ، و إما مصير إلى عذاب ألمٍ .

(فما له من قوة ولا ناصر) أى فلا تكون لأحـــد قوة على الإفلات بما قدر له جزاء عمله إن كان مسيئًا ، ولا ناصر ينصره فيحميه مما حتم أن يقع عليه .

والخلاصة -- إن القوة التي بها يدافع الإنسان عن نفسه ، إما من ذاته وقد نفاها بقوله : « قَلَ لَهُ مِنْ قُوّتُو ﴾ و إما من غيره وقد نفاها بقوله : « وَلَا نَاصِرٍ ﴾ .

وَالسَّهَاهُ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقُولُ فَصَلُ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهُزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٥) مَهُلِ الْسَكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧) .

شرح المفردات

الرسم : إعادة الشي لل حال أومكان كان فيه أو لا ، والمراد به المطر ، وسمى بذلك لكونه يعاد إلى الأرض من السها ، والصدع : الشق الناشي من تفرق بعض أجزاء الأرض واتمصال بعضها من بعض بالنبات ، فصل : أى يفصل بين الحق والباطل ، ويقطع الجدل والمراء ، يكيدون كيدا : أى يعملون المكايد في إبطال أمره ، وإطفاء نوره ، وأكيد كيداً : أى أقابلهم بكيدى في إعلاء أمره ، وانتشار نوره ، رويدا : أى قر بها .

المعنى الجملي

بعد أن بين تدرته تعالى على إعادة الإنسان بعد الموت ، ولفت النظر إلى التدبر فى برهان هذه القدرة — شرع بثبت صحة رسالة رسوله الكريم إلى الناس ، وصحة مايأتيهم به من عند الله ، وأهم ذلك القرآن الكريم الذى كانوا يقولون عنه : إنه أساطير الأولين ، فأقسم بالسهاء التى تفيض بمائها ، والأرض التى تقيم أمور المعاش للناس والحيوان بنباتها ، إنه لقول حتى لاريب فيه .

ثم بين أنه عليم بأن الذين يدافعون عن تلك الأباطيل التي هم عليها — قوم ما كرون لابريدون بك إلا السوء ، وسيأتيهم الصذاب من حيث لايشعرون ، فلا يحزنك ماترى منهم ، ولا تستبطئ حاول الدكال بهم ، بل أمهلهم قليلا وسترى ماسيحل بهم .

ولا يخفى مافى هذا من وعيد شديد بأن ماسيصيبهم قريب، سواء أكات فى الحياة الدنيا أوفيا بعد الموت، ووعد للنبى صلى الله عليه وسلم، ولكل داع إلى الحق بأنهم سيبلغون من النجاح مايستحقه عملهم، وأن المتاوئين لهم هم الخاسرون.

الإيضاح

(والسياء ذات الرجم) أى قسما بالسياء ذات المطر ، وهو أنفع شى. ينتظره المخاطبون من السياء ، إذ يبدّل جدبهم خصْبا ، ويعيد موات أرضهم حيّا ، ويصير به لهب حمرائهم هواء عليلا .

(والأرض ذات الصدع) أى والأرض التي تنصدع بالنبات والشجر والثمار مما به حياتهم وحياة أنمامهم ، وهم في بلاد قفراء جدباء .

ونظير هذا قوله : « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ الآية .

ثم ذكر المقسم عليه فقال :

(إنه لقول فصل. وماهو بالهزل) أي قسما بالسهاء والأرض إن هذا القول الذي

جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم لقول حق لامجال للريب فيه ، وهو حِدٌّ لاهزل فيه ؛ فن حقه أن يهتدى به الفواة ، وتخضم له رقاب الكتاة .

أخرج الترمذى والدارى عن على كرم الله وجه قال : سممت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنها ستكون فتنة ، قلت : فما الحخرج منها بارسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابيدكم ، هو الفصل الله ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتنى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكل لا تخريم ، وهو السراط المستقيم ، هو الذى لا تزيف فيه الأهواء ، ولا تشبع منه المهاه ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا مخلق على كثرة فيه الرد ، ولا تقيمي عائبه ، هو الذى لم تنته الجن لا سمته أن قالوا : « إنّا سَمِينًا قُرْ آنًا لله عَلَم ، ومن عمل به عدل ، ومن عمل به أحدى به هدى به هدى إلى صراط مستقيم » .

ثم بين مايدبرونه للمؤمنين وماتحو يه صدورهم من غِلِّ لهم فقال:

(إنهم يكيدون كيدا) أى إنهم يمكرون بالناس بدعوتهم إلى مخالفة القرآن بإلقاء الشبهات كفولهم : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنَيا ﴾ . قولم : ﴿ مَنْ يُحْسِي الْمُظّامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ﴾ أو بالطمن فيه بكون الرسول ساحرا أو مجنونا أوشاعراً ، أو تبييتهم قتله ، كا جاء في قوله : ﴿ وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ .

بعدئذ ذكر ماقابلهم ربهم به وما جازاهم عليه كفاء عملهم فقال :

(وأكيدكيدا) أى وأقابل كيدهم بنصر الرسول و إعلاء دينه ، وجمل كلته العليا وكلة الذين كفروا السفلى ، وقد سمى مجازاتهم كيداً منه ، التجانس فى اللفظ كا قال : « نَسُوا اللهُ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ » . وقال عمرو بن كلثوم :

أَلاَ لا يجهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

ثم أس رسوله أن يتأنى عليهم ، ليرى أخذه تعالى لهم فقال :

(فهل الكافر بن) أى سر فى دعوتك ولا تستمجل عذابهم ، فإنا سنمهلم ليزدادوا إنما ، حتى إذا أخذناهم لم يبق لهم من راحم .

ثم أكد طلب الإمهال وأقته وقت قريب فعال :

(أمهلهم رويدا) أى إنا سنمهلهم قليلا ، وسترى ما يحل بهم من العذاب والنكال.

وفى هذا بعث للطمأ نينة إلى قلوب المؤمنين الذين كانوا يخشون صوالة الكفار و يحذرون اعتداءاتهم التى لاحد لها ، وتخويف لهم من عاقبة إصرارهم على ماهم فيه من الكتم والمثاقة فمة ورسوله وللمؤمنين .

ونحو الآية قوله · « ′ مَتَمُّهُمُ قَلِيلاً ثُمُّ نَضْطَرُهُمُّ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ » . وصلَّ ربنا على محمد وآله ، وقنا عذاب الجحيم .

مقاصد السورة

- (١) إن كل نفس عليها حافظ .
- (٧) إقامة الأدلة على أن الله قادر على بعث الخلق كرة أخرى .
 - (٣) إن القرآن منزل من عند الله وأن محداً رسول الله .
- (٤) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانتظار حتى يجل السقاب بالكافرين .

سورة الأعلى

هى مكية ، وآياتها تسع عشرة ، نزلت بمد سورة التكوير .

ومناسبتها لما قبلها — أنه ذكر فى نلك خلق الإنسان ، وأشار إلى خلق النبات بقوله : « وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ » . وذكر هنا خلق الإنسان فى قوله : « خَلَقَ فَسَوَّى » . وخلق النبات فى قوله : « أَخْرَجَ الرَّعَى . فَحَمَّهُ ثُقَاءً أَحْوَى » وقصة النبات هنا أوضح و ببسط أكثر ، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلا . أخرج الإمام أحمد ومسلم وأبوداود والترمذى عن النمان بن بشير «أن رسول الله صلم كان يقرأ فى الميدين و يوم الجمة (سَبَّحَ اِسْمَ رَبِّكَ اللَّمَلَى فَلَى المَلْمَ وَالْ وَالْوَ وَالْ وَالْقَ وَالْعَ الْمَاهُ وَالْعَامَ وَالْعَ الْمَاهُ وَالْعَامَ وَالْعَلَمَ وَالْعَامَ وَالْعَلَمَ وَالْعَامَ وَالْعَلَمَ وَلَا اللّهُ عَلَيْهِ وَالْعَامَ وَالْعَامَ وَالْعَامَ وَالْعَامَ وَالْعَامَ وَالْعَامَ وَالْعَلَيْمَ وَالْعَلَمَ وَالْعَالَ الْمُعْلَامِ وَالْعَلَمَ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَيْمَامِ وَالْعَلَمُ وَلَالْعَلَمُ وَلَامَا وَالْعَلَى وَلَا وَالْعَلَيْمَ وَالْمَ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَمَ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَمْ وَالْعَلَمُ وَالْعِلَالَعُلُمُ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَمُ وَالْعُلْعُلُمُ وَلَمُ وَالْعِلْمُ وَالْعَلَمُ وَالْعَلَمُ وَالْعُلْعُلُمُ وَالْعَالِعُلُمُ وَالْعُلُمُ وَالْعُلْعُلُمُ وَالْعُلْعُلُمُ وَالْعُلْعُ

بِسْمِ اللهِ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّح اسْم رَبَّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى (٣) وَالذِي فَدْرَ فَهَدَى (٣) وَاللَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى (٤) فَجَلَهُ عُثَاءً أَخْوَى (٥).

شرح المفردات

التسبيح: التنزيه ، خلق: أى خلق الكاثنات ، فسوى: أى فسواها ووضع خلقها على نظام كامل ، لاتفاوت فيه ولا اضطراب ، قدّر: أى قدّر لكل حى مايصلحه مدة بقائه ، فهدى: أى هداه وعرّفه وجه الانتفاع بما خلقله ، والمرعى : كل ماتخرجه الأرض من النبات والثمار والزروع المختلفة ، والفئاء : مايقذف به السيل إلى جانب الوادى من الحشيش والنبات ، والأحوى : الذى يضرب لونه إلى السواد . قال ذوائرمة :

لَمْيَاه في شفتيها حُوَّةٌ لَسَنْ ﴿ وَفِي الثَّنَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شُنَبُ

المعنى الجملي

أمر سبحانه رسوله أن ينزه اسمه عن كل ما لايليق به ، واسم اقه ما يعرف به ، والله الله ما يعرف به ، والله إلى الله مو الله والله إلى الله مو الله يوسف بأنه ذو الجلال والإكرام ، وهو المراد بالوجه فى قوله : « وَيَبْسَقَى وَجُهُ رَبِّكَ ذو الْجَلَالُ وَالْإِكَرَامِ » وهو المذكور فى قوله : « وَعَلِّ آدَمَ الْأُسْمَاء كُلُها » أى علمه رسوم الأشياء وما تعرف به .

ظالله يأمرنا بتسبيح هذا الاسم أى تنزيهه عن أن نصفه بمما لايليق به من شبه المخلوقات ، أو ظهوره فى واحد منها بعينه ، أو اتخاذه شريكا أو ولدا له ، فلا تتجه عقولنا إليه إلا بأنه خالق الكاثنات وهو الذى أوجدها وسوّاها ، وأنه هو الذى أخرج للرعى ثم جمله جافًا حتى لفظه السيل بجانب الوادى .

الإيضاح

(سبح اسم ربك الأعلى) أى نزه اسم ربك عن كل ما لايليق بجلاله فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فلا تذكره إلا على وجه التمظيم له ، ولا تطلق اسمه على غيره زاعا أنه يشاركه فى صفاته .

ثم وصف ذلك الاسم الأعلى فقال:

- (۱) (الذي خلق مسوسى) أى الذي خلق الكائنات جميما فسوى خلقها وجملها منسقة محكة ولم يأت بها متفاوتة غير ملتئمة ، دلالة على أنها صادرة عن عالم حكم مديرٌ أحسَن تدبيرها ، فأحكم أسرها .
- [() (والذي قدّر فهدى) أى والذي قدر كل واحد منها على مايستحقه ، ويكون به استقرار شأنه ، فقدر السموات وما فيها من الكواكب ، وقدر الأرض وما فيها من المادن ، وما يظهر على وجهها من النبات ، ومايعبش عليها من الحيوان .

ثم هدى كل دابة إلى استمال ما يصلحها ، وما هو أمس بحاجتها ، بمـا خلق فيها من لليول والإلهامات ، لتحصيل مالها من مقاصد وغايات .

(٣) (والذي أخرج المرعى) أي والذي أنبت النبات جيمه ، لترعاه الدواب
 والنَّمَ ، فما من نبت إلا وهو يصلح أن يكون مرعى لحيوان من الأجناس الحية .

(فجمله غثاء أحوى) أى فجمل هذا المرعى بعد أن كان أخضر هشيا باليا كالنثاء يميل لونه إلى السواد ، فهو القادر على إنبات العشب ، وعلى تبديل حاله ، لا الأصنام التي عبدها الكثرة الفجرة .

وقصارى ماسلف — إنا مأمورون أن نعرف الله جل شأنه بأنه القادر العالم الحكيم الذي شهدت بصفاته آثاره فى خلقه ، وألا نُدخِل فى هذه الصفات ما لايليق به ، كما أدخل الملحدون الذين اتخذوا من دونه شركاء ، أو وصفوه بما به يشبه خلقه .

و إنما توجه إلينا الأمر بتسبيح الاسم دون تسبيح النات ، ليرشدنا إلى أن مبلغ جهدنا أن نعرف الصفات بما يدل عليها ، أما الذات فعى أعلى وأرفع من أن تتوجه إليها عقولنا إلا بما نلحظ من هذه الصفات بما يدل عليها .

سَنُقْرِ ثُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلاَّ مَا شَاءِ اللهُ إِنَّهُ مِيشَمُ الَّهِ فَهُرَ وَمَا يَحْفَى (٧) وَ فَيَسَرُكُ اللهِ مُنْ مِنْ اللهِ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُولُ اللهُ الل

شرح المفردات

سنقرئك : أى نجعلك قارئا للقرآن ، فلا تنسى : أى فلا تنساه بل تحفظه ، واليسرى : أعمال الخدر التي تؤدى إلى البسر .

المعنى الجملي

بعد أن أمر رسوله بتسبيح اسمه ، وعلم أمته المأمورة بأمر الله له ، كيف يمكنها أن تعرف الاسم الذي السبحه على نحو ماذ كرنا ، ولا يكل ذلك إلا بقراء مأأنزل عليه من القرآن ، فكان هذا مدعاة إلى شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على حفظه ، ومن ثم وعده بأنه سيقرئه من كتابه مافيه تنزيهه ، وتبيين ما أوجب أن بمُرف من صفاته ، وأحكام شرائمه ، كا وعده بأن مايقرئه إياه لاينساه .

الإيضاح

(سنقرئك فلا تنسى) أى سننزل عليك كتابا تفرؤه ، ولا تنسى منه شيئا پعد نزوله عليك .

وقد كان عليه السلام إذا نزل عليه القرآن أكثر من تحريك لسانه مخافة أن ينساه ، فوُ عد بأنه لاينساه .

ونحو الآية قوله : « وَلاَ تَمْعَبُلْ بِالنُّرُ آنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْفَى إِلَيْكَ وَخْيُهُ » وقوله : « لاَ تُحَرَّكُ بِهِ لِيَسَانَكَ لِتَمْجُلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جُمْنَهُ وَقُرْ آنَهُ » .

وخلاصة ذلك — إنا سنشرح صدرك، ونقوّى ذاكرتك، حتى تحفظه بسهاعه مرة واحدة، ثم لاتنساه بعدها أبدا.

ولماكان هذا الوعد على سبيل التأبيد يوهم أن قدرته تعالى لاتسع تغييره جاء بالاستثناء فقال :

(إلا ماشاء الله) أي فإن أراد أن ينسيك شيئا لم يعجزه ذلك .

قال الفرّاء: إنه ماشاء أن ينسى محدا صلى الله عليه وسلم شبئا، إلا أن القصد من هذا الاستثناء بيان أنه لو أراد أن يصيّره ناسيا لفدر على ذلك كما جاء فى قوله : ﴿ وَلَمْنُ شَيْنَا لَنَذْهَنَ مِالَّا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهَا إِلَيْكَ ﴾ . و إنَّا لنقطم بأنه تمالي ما شاء ذلك .

وقصارى هذا — إن فائدة هذا الاستثناء بيان أنه تمالى قادر على أن ينسيه ، وأن عدم النسيان فضل من الله و إحسان لامن تو"ته .

ثم أكد هذا الرعد مع الاستثناء فقال:

(إنه يسلم الجهر وما يخفى) أى إن الذى وعدك بأنه سيقرئك ، وأنه سيجحلك حافظا لما تقرأ فلا تنساه — عالم بالجهر والسر ، فلا يفوته شىء مما فى نفسك ، وهو مالك قلبك وعقلك ، وخافى سرك وجهرك ، فنى مقدوره أن يحفظ عليك ماوهبك وإن كان من خفيات روحك ، ولو شاء لسابه ولن تستطيع دفعه ، لأنه ليس فى قدرتك أن تخفى عنه شيئا .

ولماكان فى الوعد بالإفراء الوعد بتشريع الأحكام ، وفيها مايصعب على المخاطبين احتماله — أردف ذلك الوعد بما يزيده حلاوة فى النفوس فقال :

(ونيسرك لليسرى) أى ونوفقك للشريعة السمحة التى يسهل على النفوس قبولها ، ولا يصمب على المقول ضمها ، ورحم الله البوسيرى حيث يقول :

لم يَمْتَحِنَّا بما تمنيا العقولُ به حرصًا علينا فلم تَرْتَبُ ولم نهم وقد جعلت الآية الإنسان هو للبيئر للنعل، وليس الفعل هو المبسر للانسان ، من قِبَل أن الفعل لايحصل إلا إذا وجدت العزيمة الصادقة ، والإرادة النافذة لايجاده ، مع التوفيق لسلوك أقوم الطرق التي توصل إليه ، كما جا، في الحديث : « اعلوا ، فكل يُميَّمُ لما خلق له » .

فَذَكُرُ إِنْ نَفَمَت الذَّكْرَى(١)سَيَذَّكُرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّهُمَّ الْأَشْقَى (١١) الَّذِى يَمشل في النَّارَ الْـكُنْبَرَى (١٢) ثُمُّ لاَ يُمُوتُ فِيها وَلاَ يَخْيًا (١٣) .

شرح المفردات

التذكر: أن يتنبه الإنسان إلى شيء كان قد علمه من قبل ثم غفل عنه ، ومن يخشى الله صنفان : مذعن معترف بالله و بيمته السباد الثواب والنقاب ، ومتردد في ذلك ، الأشق: هو الماند المصرّ على الجحد والإنكار، المتمكن من نفسه الكفر، يصلى النار أي يذوق حرها ، والنار السكبرى هي أسفل دركات الجحيم ، الايموت أي فيستريح ، ولا يحيا أي حياة طيبة فيسمدكما أشار إلى ذلك شاعرهم فقال :

ألا ما لنفس لاتموت فينقضى عَناها ولا تحيا حياةً لها طعمُ

المعنى الجملي

ثم ذكر أن أولئك الجحدة العصاة يكونون في قمر جهنم لاهم يموتون ولا يسمدون بحياة طيبة .

الإيضاح

(فَذَكَّر إِن نَفْسَتُ الذَّكَرى) أَى فَذَكَرَ النَّاسِ بَمَـا أُوحِينَا بِهِ إِلَيْكَ ، واهدهم إلى ما فيه من بيان الأحكام الدينية ، فإن أصرّ الماندون على عنادهم ولم يزدهم وعظك إلا تماديا فى الجحود والإنكار « فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَمَرَاتٍ » حرصا على إيمانهم ، وحزنا على بقائهم على كفرهم ، وادع ُ من تعلم أنه يجيبك ولا يجهلك ولا يؤذيك ، وإلى ذلك أشار بقوله :

(سيذكر من يخشى) أى إنما ينتفع بتذكيرك من يخشى الله و يخاف عقابه ، لأنه هو الذى يتأمل فى كل ماتذكره له ، فيتبين له وجه الصواب ، ويظهر له سبيل الحق الذى يجب الموتل عليه .

وفى التمبير بقوله (سيذكر) إيماء إلى أن ماجا. به الرسول بلغ حدًا من الوضوح لايحتاج معه إلا إلى التذكير فحسب ، و إيمن النبي يحول بينهم و بين اتباعه واقتفاء آثاره _ تقليد الآباء والأجداد فكأنهم عرفوه واستيقنوا صحته ، ثم زالت هذه للموفة بانتهاجهم خطة آبائهم من قبل :

ثم أشار إلى عدم جدواها بالنظر للماندين الجاحدين فقال:

(ويتبحنّبها الأشقى. الذي يصلى النار السكبرى) أى ويبتمد عن هذه التذكرة المائد المصرّ على الجمعود عنادا واستكبارا ، وهو الذي يذوق حر النار السكبرى في دركات جهنم كما قال : « إِنَّ النَّافَةِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْقَلِ مِنَ النَّارِ » إذ لا يليق بحكمة الحسكيم المتعالى أن يسوّى بين من اجترأ عليه وتهاون بأمره وارتكب أشعم النوب ، ومن كان نق الصحيفة ميمون النقيبة ، مطيما لأمره ، سؤدها فرائضه ، منتهيا عن الفحشاء والمتكر .

وقصارى ماسلف -- إن الناس بالنظر إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أقسام ثلاثة :

- (١) عارف صحتها ، موقن بصدقها ، لايدور بخلّه تردّد ولا شك ، وهذا هو المؤمن الكامل الذى يخشى ربه .
- (۲) متردد متوقف إلى أن يقوم لديه البرهان ، فإذا هو سنح له بادر إلى
 التصديق بها ، وهذا أدنى من سابقه .

 (٣) شتى مماند لايلين قلبه للذكرى ، ولا تنال الدعوة من نفسه قبولا ، وهو شر الأقسام الثلاثة ، وأبعدها من الحير .

ثم بيّن عاقبة هذا الأشتى ومآل أمره فقال:

(ثم لايموت فيها ولا يحيا) أى ومن شقى هذا الشقاء ، ولقى هذا المذاب بتلك النار _ يخلد فيها ، ولا يقف عذابه عند غاية ، ولا يجد لآلامه نهاية ، فلا هو يموت فيستر يح ، ولا يحيا الحياة الطيبة فيسمد بها .

ونحو الآية قوله : « لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَسُوتُوا ، وَلاَ يُحَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِها» . والعرب تقول لمن هومبتل بمرض يقعده : لاهو سئ فيرجى ، ولاميت فينشَى .

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَى (١٥) بَلْ تُوْثِرُونَ الْمُيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَنْيَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَنِي الصَّخُفُ الأُولَى (١٨) صُمُف إِنْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) .

شرح المفردات

أفلح: أى فاز ونجا من العقاب، وتركى: أى تطهر من دنس الرفائل؛ ورأسها جحد الحق وقسوة القلب، وذكر اسم ربه: أى ذكر فى قلبه صفات ربه من الكبرياء والجلال، فصلى: أى فحشع وخضمت نفسه لأوامر بارئه، تؤثرون: أى تفضلون .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر وعيد الذين أعرضوا عن النظر فى الدلائل التى تدل على وجود الله ووحدانيته و إرسال الرسل وعلى البعث والحساب _ أتبعه بالرعد لمن زكى غسه وطهرها من أدران الشرك والنقليد للآباء والأجداد _ بالفوز بالفلاح والظفر بالسمادة في دنياه وآخرته .

ثم ذكر أن من طبيعة النفوس حب العاجلة، وتفضيلها على الآجلة، ولو فمكروا قليلا لاستبان لهم أن الخيركل الخير في تفضيل الثانية على الأولى ؛

ثم أرشد إلى أن أُسُسَ الدعوة الدينية فى كل الأديان واحدة ، فحـا فى القرآن هو ما فى صحف إبراهيم وموسى .

الإيضاح

(قد أفلح من تزكى) أى قد أدرك الفلاح ، وظفر بالبُنْية من طهر نفسه ونقاها من أوضار الكفر ، وأزال عنها أدران الشرك والآثام .

ومن هذا تملم أن تركية الـفس إنما نكون بالإيمان بالله ونغي الشركاء، والتصديق بكل ماجاء به رسوله صلى الله عليه وسلم مع صالح الصل .

(وذكر اسم ربه فصلى) أى وأحضر فى قلبه صفات ربه من الجلال والكمال شخصع لجبروته وقهره ، فإن للمره متى تذكر ربه العظيم وجل قلبه ، وخاف من سطوته وامتلأت نفسه خشية منه ، ورهبة لجلاله كما قال فى آية أخرى : « إِثَّمَا لَلُوْمِينُونَ الْهُونِنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتُ قُلُوبُهُمْ » .

ثم رد سبحانه على قوم ممن قست قلوبهم ، ولم يأخذوا من العبادات إلا بصورها وظنو أن ذلك هو غاية ما يطالب الله عباده بقوله :

(بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبق) أى أنتم كاذبون فيا زعتم لأنفسكم من حسن العمل ، لأنكم لوكنم صادقين فيا ذهبتم إليه لمكنم تفضلون الآخرة على الدنيا ، كما يرشد إلى ذلك المقل ، ويهدى إليه الشرع ؛ فتاع الآخرة دائم ونهيمها لايزول ، ولا تنفيص فيسه ولامن ، ومتاع الدنيا متاع زائل تشو به الأكدار ، وتحوط به الآلام ؛ فن استمجل هذا النميم ، واستحب زينة الدنيا لايكون مصدّةا بالآخرة ونسيمها ، أو يكون إيمانه إيمانا لامجاوز طرف لسانه ، ولا يصل إلى قلبه ، فلا يجازى عليه الجزاء الذي وُعد به المؤمنون .

ثم بين أن الأصول العامة التي جاءت في هذه الشريعة هي بعينها التي جاءت في جميع الشرائع السياوية فقال :

(إنّ هذا لني الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى) أى إن ما أوحى به إلى نبيه من أمر ونهى ووعد ووعيد هو بعينه ما جاء فى صحف إبراهيم وموسى ، فدين الله واحد ، و إنما تختلف صوره ، وتصدد مظاهره ، فإذا كان المخاطبون قد آمنوا بإبراهيم أو بموسى ضليهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يأت إلا بما جاء فى صفيم ، و إنما هو مذكر أو عمى لما مات من شرائعهم .

وبحو الآبة قوله : « وَ إِنَّهُ كَتَنْزِيلُ رَبُّ الْمَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْمِكَ لِشَكُونَ مِنَ النَّلْمِرِينَ . بِلِسَانِ مَرَّ بِي مُبِينِ . وَ إِنَّهُ لَـنِي زَبُرِ الْأَوَّلِينَ » وقوله جل شأنه : « شَرَعَ لَـكُمُ مِنَ اللَّيْنِ مَا وَمِّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْ مَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَسَنِّنَا بِهِ إِيْرَاهِمِ وَمُوسَى وَعِيلَى » .

وقصارى ذلك — أن الرسول صلى اقه عليه وسلم ما جاء إلا مذكرا بما نسته الأجيال من شرائع للرسلين ، وداعيا إلى وجهها الصحيح الذى أفسده كرّ الغداة ومر المشيّ ، كما طبس معالمه اتباع الأهواء ، واقتفاء سن الآباء والأجداد .

اللهم وفقنا لسلوك دينك الحق ، واحدنا إلى صراطات المستقيم ، صراط الذين أنست عليهم غير المفضوب عليهم ولا الضالين .

سورة الغاشية

هي مكية ، وآياتها ست وعشرون ، نزلت بعد سورة الداريات .

ومناسبتها لما قبلها _ أنه أشير فى السورة السابقة إلى المؤمن والكمافر والجمنة والنار إجمالا ، و بسط الكلام فيها هنا .

بسم الله الاحمن الرجيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَثِذِ خَاشِمَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى فَارًا حَامِيَةٌ (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَمَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ (١) لاَيُسْنِينُ وَلاَ يُغْنِى مِنْ جُوعٍ (٧) .

شرح المفردات

الناشية : القيامة ، سميت بذلك لأنها تنشى الناس بشدائدها وأهوالها ، خاشمة : أى تعبية من قولهم نصب أى ذليلة : عاملة : أى تعبية من قولهم نصب فلان بالكسر : أى تعب ، تصلى من قولهم صلى النار (بالكسر) أى قاسى حرها ، فلان بالكسر : أى متناهية فى الحر" من قولهم حميت النار إذا اشتد حرها ، والدين : ينبوع الماء ، والآنية الشديدة الحر ، والفريم : شجر ذو شوك لا نط بالأرض ، فإذا كان رطبا سمى بالشّبرق ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وصار ضريعا بان عنـــه النحائص

الإيضاح

(هل أتاك حديث الناشية) أى هل بلنك نيأ يوم القيامة وعلمت قصصه ، و إننا سنملك شأنه الخطير . وهذا أسلوب من الكلام لايراد منه حقيقة الاستفهام ، بل يراد منه تعجيب السامع ثما سيذكر بعد ، وتشويقه إلى استماعه ، وتوجيه فكره إلى أنه من الأحاديث التي من حقها أن تتناقلها الرواة ، ويحفظها الوعاة .

نم فصل شأن أهل الموقف فى ذلك اليوم ، وذكر أن أهله فريقان : فريق الكفرة النجرة . وفريق المؤمنين البررة ، وقد أشار إلى الأولين بقوله :

 (۱) (وجوه يومثذ خاشمة) أى وجوه يومثذ يظهر عليها الخزى والهوان مما ترى وتشاهد من الهول .

ونحو الآية قوله: « وَلَوْ تَرَى إِذِ اللَّجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبُّهُمْ ٥ وقوله: « وَتَرَّاهُمْ يُمُرْصُونَ عَلَيْهِمَا خَاشِمِينَ مِنَ الذَّلُّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِي خَنِيّ » .

والخشوع والذل و إن كان فى الحقيقة لأرباب الوجوه ، نسب إلى الوجوه لما كان أثره مظهر علمها .

ثم وصف الوجوه بصفات أخرى فقال :

(عاملة ناصبة)أى إن هؤلاء الكفاركانوا في حياتهم الدنيا يسلون و يجتهدون فى أعمالهم ، لكن لم يتقبلها ربهم ، لأنهم لم يقدموا عليها الإيمان بالله ورسوله ، وهو الدعامة الأولى فى قبول العمل عنده ، ولأنهم لم يقصدوا بها وجهه تعالى ، ولأنهم كانوا يجتهدون فى مشاقة الله ورسوله و يسمون فى الأرض فسادا .

والخلاصة -- إن هؤلاء الكفار وقع منهم في الدنيا عمل ، وأصابهم فيه تعب ونصب ، لكنهم لم يستفيدوا منه شيئا ، فآثار الخيبة وحبوط العمل بادية على وجوههم .

ثم ذكر جزاءها في هذا اليوم فقال :

(تصلي نارا حامية) أي هذه الوجوه تقاسي حر النار وتعذب بها ، لأن أعمالها

فى الدنيا كانت خاسرة ، غلبها الشر ، وجانبها الخير ، وهذه النار الحامية لانعرف كنهها ، ولكن علينا أن نؤمن بها ، و بأن حلفاء الباطل يصلونها .

(تسقى من عين آنية) أى إن أهل النار إذا عطشوا فى تلك الدار وطلبوا ما يطفئ عُلّتهم ، جىء لهم بماء من ينبوع بلغ من الحرارة غايتها ، فهو لايطفى ْ لهبا ، ولا ينقم غَلّة .

وبدان ذكر شرابهم أردفه بوصف طمامهم فقال:

(ليس لهم طعام إلا من ضريع) أى إنهم إذا أحسوا بالجوع وطلبوا الطمام أتى لهم بالفريع وهو ذلك للرعى السوء الذى لاتقد عليمه السأتمة شجا ولا لحا، وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها ، والمراد بهذا كله أنه يؤتى لهم بردىء الطمام .

ثم وصف هذا الضريع بأنه لايجدى ولا يفيد فقال :

(لايسمن ولا يفنى من جوع) أى إن هذا الطمام لايدفع جوعا ، ولا يفيد سمنا ، فليس له فائدة الطمام التى لأجلها بؤكل فى الدنيا ، وقد سمى الله ذلك الطمام بالضريع تشيبها له به ، و إلا فذلك العالم ليس فيه نمو أبدان ولا تحلل موادّ على النحو الله عكون فى الدنيا ، بل هو عالم خلود و بقاء ، واللذائذ فيه لذائذ سعادة ، والآلام آلم مقاء ، فكل ما فى ذلك العالم إنما يقع بينه و بين ما فى عالمنا نوع مشابهة ، لا انفاق ، لا عانسة .

وقد جاء في سورة الحاقة في طعام الكافرين : ﴿ وَلِا َ عَلَمَامُ ۚ إِلاَّ مِنْ شَيْدِينِ ﴾ وفي سورة الواقعة : ﴿ ثُمُّ إِنَّـكُمُ أَيُّهَا الشَّالُونَ اللَّكَذَّيُونَ . لَا َ كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقْومٍ ﴾ وفي سورة الدخان : ﴿ إِنَّ سَجَرَةَ الزَّقْومِ . طَعَامُ الْأَثْمِ ﴾ .

فهذاكلة يدل على أن طمام النار شئ وافق النشأة الآخرة ، عبر عنه بعبارات مختلفة، ليصور فى أذهاننا بشاعته وخبثه ، لتنفر منه نفوسنا ، وتطلب كل وسيلة للمرار منه ، فتبتمد عن الفقائد الفاسدة ، والأعمال الخاسرة . وُجُوهُ يَوْمَنْذِ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَمْمِهَا رَاصِيَةٌ (٨) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لاَتَسْمَتُ فِيهاَلاَعَيَةً (١١) فِيهاَ عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَالِ مُوصُوعَةٌ (١٤) وَكَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَا بِيْ مَبْشُونَةٌ (١٦)

شرح المفردات

ناعة : أى ذات بهجة وحسن ، عالية : أى في المكان ؛ لأن الجنة منازل ودرجات بعضها أهلي من بعض ، واللاغية : اللغو والكذب والبهتان ، عين جارية : أى ينبوع ماء جار ، والسرر : واحدها سرير وهو ما يجلس أو ينام عليه ، وأفضله ماكان مرفوعا عن الأرض ، والأكواب : واحدها كوب وهو ما لاعروة له من الكيزان ، موضوعة : أى معدة ومهيأة الشراب ، والخمارة : واحدها نمرقة (بضم الدون وكسرها) وهي الوسادة قال :

کهول وشُبّان حِسان وجوههم علی سُرُر مصفوفق ونمارق والزرایی : واحدها زربی (بکسر الزای) وزربیة وهو البساط ؛ وأصل الزرایی أنواع النبات إذا احمرت واصفرت وفیها خضرة ، و یقال أزرب النبات إذا صار کذلك ، سموا بها البسط لشبهها به ، ومبثوثة : أى مفرقة فى الحجالس بحیث بری فى ببوت ذوى الثراء .

الإيضاح

بعد أن وفى الكفرة الفجرة حقهم من الوصف _ وصف أهل الإخلاص والصدق، لتقرّ أعينهم بما سيلقون من فضله فقال:

(وجوه يومئذ ناعمة)أى ووجوه يومئذ ذات نضرة وبهجة كما قال: ﴿ تَعْرِفُ

فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّمِمِ » ولا تكون كذلك إلا إذا كانت منسمة فرحة بما لاقت جزاء سعبها في الدنيا ورضى الله عنها ومن ثم قال :

(لسميها راضية) أى إنهم جميعا يسعون فى العمل لله حين رأوا ثمرته وعاقبته الحسنى ،كالرجل يعمل العمل فيجزى عليسه الجميل ، ويظهر له منه عاقبة حميدة ، فيقول ماأحسن ماعملت ، ولقد وفقت إلى الصواب فيا فعلت .

و بعد أن وصف أهل الثواب وصف ديارهم بسبعة أوصاف فقال :

 (١) (فى جنــة عالية) أى عالية المكان سرتفية على غيرها من الأمكنة ،
 لأن الجنة منازل ودرجات بمضها أعلى من بمض ، كما أن النار دركات بعضها أسفل من بعض .

وقد يكون المراد منه العارّ فى الدرجة ، لأن نسم الجنة بعضه أرفع من بعض ؟ فالنعيم الذى يتمتع به السابقون من الأنبياء والشهداء والصالحين أعلى منزلة وأرفع قدرا نما يتمتع به الذين اتبعوهم بإحسان .

- (ب) (الانسم فيها لاغية) أى إنها منزهة عن اللهو ، إذ أنها منزل جيران ألله وأحياثه ، وقد نالوها بالجد والعمل لاباللغو ، ومنازل أهل الشرف فىالدنيا تكون مبرأة من اللغو والكذب والبهتان ، فكيف بأرفع الجالس فى جوار رب العالمين ، ومالك قلوب الخلق أجمين .
- (ح) (فيها عين جارية) أى فى تلك الجنة ينبوع ماء جار ، والمياه الجارية
 من الينابيع تكون صافية ، وفى منظرها مسرة للنفوس ، وقرّة للميون ، وقد افتخر
 مثبلها فرعون فقال : « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأُنْهَارُ كَبْمِوى مِنْ تَضْبِيقَ » .
- (د) (فيها سرر مرفوعة) أى مرفوعة عالبة إذا جلس عليها المؤمن رأى جميع ما أعطاه الله من النميم ورأى من في الجنة

وفي ذلك من التشريف والتكريم ما لاخفاء فيه .

- (ه) (وأ كواب موضوعة) على حافات العيون كلما أرادوا الشرب وجدوها .
- (و) (ونمارق مصفوفة) أى ووسائد مصفوف بعضها إلى جوانب بعض ، فإن شاءوا جلسوا عليها ، و إن أرادوا استندوا إليها ، و إن أحبوا أن يجلسوا على بعضها و يستندوا إلى بعض فعلوا .
- (ز) (وزرابيّ مبثوتة) أي و بسط مبسوطة في المجالس ، محيث يرى في كل. مجلس من مجالسهم منها شي " ، كما يرى في بيوت المترفين وذوى الثراء في الدنيا .

وقد ذكر سبحانه كل ماسلف تصويرا الترف أهل الجنة تصويرا يقربه من . عقولهم ، ويستطيمون به إدراكه وفهمه ، وإلا فإن نسم الجنة نما يسمو على الفكر ويماو فوق متناول الإدراك ؛ فالأشياء التي عددها سبحانه تتشابه مع نظائرها التي هذه الحياة بأسمائها ، فأما حقائقها وذواتها فليست مثلها ولا قريبا منها ، كما أثر عن ابن عباس أنه قال : ليس في الدنيا نما في الآخرة إلا الأسماء .

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءَ كَيْفَ رُفِيتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبْالِ كَيْفَ نُصِيبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) .

شرح المفردات

الإبل : واحدها بعير ولا واحد لهـا من لفظها كنــاء وقوم ، ورفع السياء : إمساك ما فوقنا من شموس وأقــار ونجوم ، ونصب الجبال : إقامتها أعــلاما للسائرين ، وملجأ للحائرين ، وسطح الأرض : تمهيدها وتوطئتها للإقامة عليهـا وللشي في مناكبها .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه مجيء يوم القيامة ، وبين أن الناس حينئذ صنفان أشقياء وسعداه ؛ وأن الأشقياء يكونون يومئذ وسعداه ؛ وأن الأشقياء يكونون يومئذ مستبشر بن بادية على وجوههم علائم المسرة — أعقب هذا بإقامة الحجة على الجاحدين المسكر بن لذلك ، وتوجيه أنظارهم إلى آثار قدرته فيا بين أيديهم ، وما يقع تحت أبصارهم من سماء تُعُلِل ، وأرض تقل ، وإبل ينتفعون بها فى حِلّهم وترحالهم ، ويا كلون من لحومها وألبانها ويلبسون من أوبارها ؛ وجبال تهديهم فى تلك القيافى والقفار.

أخرج عبد بن حميد فى آخر بن عن نتادة قال : لما نعت الله تعالى مافى الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

الإيضاح

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) أى أينكر هؤلاء المشركون ما ذكرنا من أسر البعث ومايتصل به من سعادة وشقاء ، و يستبعلون وقوعه ، ولا يتدبرون فى الإبل التى هى نُصُب أعينهم ، و يستعملونها فى كل حين ؟ ولو أنهم تدبروا فى خلقها لرأوا خَلقاً بديماً لايشا كل خلق أكثر الحيوان ، فلها من عظم الجنة ، وشدة القوة ، وعظيم السبر على الجوع والعطش مالا يشاركها فيه حيوان آخر _ إلى أنها تحتمل المشاق ، وتنهض بالأوقار ، وتقطع شاسع المسافات ، حتى لقبوها: سفينة الصحراء . قال شاعرهم :

مافـــــرَّق الأَّكَّ فَ بَسِدَ الله إِلاَ الإِبلُ وما غرابُ البَيْـــن إلا ناقةُ أو جمل إلى أنها تنقاد للصغير والكبير وتمحل أذاها . قال العباس بن مرداس : وتضر به الوليدة بالهراتوى فلا غِـيْرُ لديه ولا تكير وتكتفى فى المرعى بما تبسر لها من الشوك والشجر ، إلى أنها أعجب ماعندهم وهم واقفون على أحوالها ، عالمون بطباعها .

وجاء الكلام بطريق الاستفهام ، إنكاراً عليهم ، وتوبيخاً لهم على جحد أمر البث .

(و إلى السهاء كيف رفت) أى ألا يشاهدون السهاء وقد رفعت رفعا سعيق دى بنير عمد؟.

(و إلى الجبال كيف نصبت) أى و إلى الجبال كيف وضعت وضماً ثابتا لاميدان فيه ولا اضطراب ، فيتسنى ارتقاؤها فى كل حين ، وتجمل أمارة للسالمكين فى تلك الفيافى والقفار ، وتنزل عليها المياه التى ينتفع بها فى ستى النبات ، ورعى الحيوان .

(و إلى الأرض كيف سطحت) ومهدت على ما يقتضيه صلاح أمور ساكنيها ، وانتفاعهم بما في ظاهرها من المنافع وما في باطنها من الممادن .

وقسارى ماسلف — إنه لو نظر هؤلاء الجاحدون الماندون فيا تقع عليه أنظارهم من هذه الأشياء وفكروا فيها ، لسلموا أنها صنعة لاتوجد إلا بموجد عظيم ، ولا تحفظ إلا بحافظ قدير ، ولأدركوا أن القادر على خلق هذه المخلوات وسواها ، وحفظها ووضعها على قواعد الحكمة — قادر على أن يُرجِع الناس في يوم يوفي فيه كل عامل جزاء عمله ، وأن ينشئ النشأة الآخرة من غير أن يمرفواطريق إنشائها ، فلا ينبغي أن يكون جهلهم بكيفية يوم القيام سببا في جعده و إنكاره .

و إنما خص هذه المخلوقات بالذكر ، لأن الناظر سهم يفكر فى أقرب الأشياء إليه ، فهو يرى سيره الذى يمتطيه ، ثم إذا هو رفع رأسه فوق رأى السهاء ، ثم إذا الثفت يَمْنة أو يَسرة رأى ماحواليه من الجبال ؛ فإذا مدَّ ناظر به أمامه أوتحته رأى الأرض ، فالعربي يرى ذلك كل يوم ، ومن ثَمَّ أمره الله بالتدبر فيها . فَذَكُرُ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (٢٦) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِي (٢٧) إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٣٣) فَيُمَذَّبُهُ اللهُ الْمَدَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِبَابُهُمْ(٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنًا حِبَابَهُمْ (٢٩) .

شرح المفردات

فذكر : أى عظ قومك وابعثهم على النظر فى ملكوت السموات والأرض ، بمسيطر : أى بمسلط تجبرهم على ماتريد ، إيابهم : أى رجوعهم .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه دليل قدرته تعالى على بعث الأجساد ، ولعت أنظار الجاحدين إلى مظاهر قهره وغلبته لهذا العالم ، ثم ومجمع على إنكارهم وتماديهم في باطلهم ، على وضوح الحجة وتلهور البرهان، أردف ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أن يذكرهم سهذه الأدلة وأشباهها مما لايبقي معه مجال للشك والتردد .

الإيضاح

(فذکر) بآیاتی، وعظهم محججی، و بلنهم رسالاتی ، وحذرهم أن يترکوا ذلك ؛ ثم بعدئذ لاتذهب نفسك عليهم حسرات إن لم يؤمنوا .

ثم علل الأمر بالتذكير فقال:

(إُعَمَا أَنت مذكر) أى إنما بشت التذكير فحسب ؛ وليس من الواجب عليك أن يؤمنوا ؛ فما عليك إلا التبشير والتحذير ، فإن آمنوا قند احتدوا إلى ماتسوق إليه الفطرة ؛ و إن أعرضوا قند تحكمت فيهم الففلات ، وتغلبت عليهم الشهوات ؛ واستولت على عقولهم الأهواء والجالات .

ثم أكد الإنذار وقرره بقوله :

(لست عليهم بمسيطر) أى لست عليهم بمسلط تجبرهم على ماتريد ، وتتعهد الحوالهم ، وتتكبد على ماتريد ، والتجاه إلى الحوالهم ، والإلجاء إلى ماتدعوهم إليه كما قال : ﴿ أَ فَأَنْتَ تُكُرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ وقال : ﴿ وَمَا أَنْتَ مَكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ وقال : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مَا يَخَافُ وَعِيدٍ » .

(إلا من تولى وكفر. فيعذبه الله المداب الأكبر) أى إنك و إن كنت داعياً وليس لك سلطان على مافى نفوسهم ، فالله هو المسيطر عليهم ، وصاحب السلطان على سرا ترهم ؛ فمن تول منهم وأعرض عن الذكرى ، وجعد الحق للمروض عليه ؛ فالله يعذبه المداب الأكبر في الآخرة ؛ وقد يضم إلى ذلك عذايا في الدنيا من قتل أوسبى الذبه أوغنيمة للأموال ، إلى نحو أولئك من صنوف البلاء التي ينزلها بهم .

ئم أكد تعذيب الله لمن تولى وكفر فقال :

(إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم) أى لامفر المعرضين ، ولاخلاص لهم من الويل الذى أوعدوا به ؛ فإنهم راجمون إلينا ، وقد حتى القول منا في عقابهم وسنحاسبهم على ماكسبت أيلسهم .

وفى هذا تسلية لقلب رسوله ، و إزالة أحزانه وآلامه ، لتكذيبهـــم إياه ، و إصرارهم على معاندته .

وصلى الله على محد وآله البررة الكرام.

مقاصد هذه السورة

تضيئت هذه السورة ثلاثة مقاصد :

(١) وصف أهل الجنة روصف أهل النار .

(٢) ذكر مجائب الصنعة الإلهية .

(٣) أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتذكير بما أرسل إليه من الشرائع.

سورة الفجر

هى مكية ، وآياتها ثلاثون ، نزلت بعد سورة الليل .

ومناسبتها لما قبلها :

(١) أنه ذكر فى تلك الوجوة الخاشمة والوجوة الناعمة ، وذكر فى هذه طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشمة ، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة .

 (٢) أن القسم الذى في أول السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالِ عَشْرِ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَثْرِ (٣) وَاللَّبْلِ إِذَا بَسْمِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكِ َ فَسَمُ لِذِي حِجْدِ (٥) .

الإيضاح

(والفجر) الفجر هو الوقت الذي ينشق فيه الضوء، وينفجر النور، وقد أقسم ربنا به، لما يحصل فيه من انقضاء الليل، وظهور الضوء، وما يترتب على ذلك من المنافع كانتشار الناس وسائر الحيوان من الطير والوحش لطلب الرزق، وهو كقوله: « وَالصَّبِحَ إِذَا تَنَفَّسَ » وقوله: « وَالشَّبِحَ إِذَا أَسْفَرَ » .

(وليال عشر) هى عشر ليال يتشابه حالها مع حال الفجر ، فيكون ضوء القمر فيها مطاردا لظلام الليل إلى أن تغلبه الظلمة ، كما يهزم ضوء الصبح ظلمة الليل حتى يسطم النهار ، ولا يزال الضوء منتشرا إلى الليل الذى بعده . وضوء الأهلة في عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام ، ثم لايزال الليل يفالبه إلى أن يفلبه ، فيسدل على الكون حجه ، وهذه الليالى العشر غير متعينة فى كل شهر ، فإن ضوء الملال قد يظهر حتى تفلبه الظلمة فى أول ليلة من الشهر ،

وقد يكون ضئيلا يغيب ضوؤه في الشفق فلا يعدُّ شيئاً .

والخلاصة -- إن الليالى العشر تارة تبتدئ من أول ليلة ، وأخرى من . الليلة الثانية .

(والشفع والوتر) أى والزوج والفرد من هذه الليالى ؛ فهو سبحانه أقسم بالليالى جملة ثم أقسم بما حوته من زوج وفرد .

و بمد أن أقسم بضروب من الضياء أقسم بالليل مرادا منه الظلمة فقال :

(والليل إذا يسر) أى والليل إذا يمضى ويذهب ، وهوكقوله : « وَاللَيْلِ إِذَا أَدْبَرَ » وقوله : « وَاللَّيْل إِذَا صَّعْسَ » .

ونسة الله على عباده بتماقب الليسل والنهار واختلاف مقاديرهما بحسب الأزمنة والفصول ــ مما لايجحدها إلا مكابر ، لاجرم أقسم ربنا بهما تنبيها إلى أن تعاقبهما بتدبير مدبر حكيم ، عالم بما فى ذلك من للصلحة لعباده .

أنظر إلى ما في إقبال الصبح من عميم النفع ، فإنك لترى أنه يفرج كر بة الليل وينبه إلى استقبال العمل ، وكذلك تدرك ما في الليالى للقموة من فائدة ، فهى تستميل النفس إلى النُقلة ، وتيسر الناس النُجْمة ، وبخاصة في أيام الحر الشديد في بلاد كبلاد العرب .

نم قرر فخامة الأشياء التى أقسم بها قبلُ ، وكونها أهلا لأن تعظمَ نقال : (هل فى ذلك قسم لذى حجر) الحجر (بكسر الحاء وسكون الجيم) المقل و يقولون : فلان ذو حجر إذا كان قاهما لنفسه ، ضابطاً لها ، مضيّقاً عليها .

وللراد أن من كان ذا لُبّ وعقل يفطن إلى أن فى القسم بهذه المُحَاوَقات المشتعلة على باهر، الحسكة ، ومجيب الصنمة ، الدالة على وحدانية صانعها ــ مَقْنَماً أيّا مَقْنَع ، وكفاية أعظم كفاية .

وجاء الكلام بصورة الاستفهام لتأكيد القسم عليمه وتقريره ، كا تقول لمن يحاجك فى أمر ثم تقيم له الحجة الناصمة النى تثبت ما تدّعى : هل فيما ذكرت لك كفاية ، وسمادك أنى قد ذكرت لك أقوى الحبح وأبينها ، فلست تستطيع جحد ماقلت بعد هذا .

وجواب التسم محذوف يدل عليـه قوله بمد : ﴿ أَلَمْ ۖ رَكَيْفَ فَمَلَ رَبِكَ يِمَادٍ ﴾ الآية ، ويقدر بنحوقوله إن ناصية المكذبين بيدى ، وائن أمهلتهم فلن أهملهم ، ولآخذتهم أخذ الأم قبلهم ، وقد تُرِكُ لتسترسل نفس القارئ في تأمل ما مفي وما يتبم ليجد الجواب ينهما ، فيتكن للمني لديه فضل تمكن .

أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبَّكَ بِهَادٍ (٢) إِرَمَ ذَاتِ الْمِمَادِ (٧) الَّتِي لَمَ يُحُلَقُ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَتَمُمُودَ النَّبِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأُوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَنَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكُثْرُوا فِيهَا الْفَسَادَ(١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابِ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْلِرْصَادِ (٣٣)

شرح المفردات

هاد : جيل من العرب البائدة يقولون إنه من ولد عوص بن إرّم بن سام بن نوح عليه السارم ، و يلقب أيضا بإرم ، وذات العباد : أَىْ سَكَانَ الخيام ، وَكَانَتَ منازلهم بالرمال والأحقاف إلى حضرموت . وثمود : قبيلة من العرب البائدة كذلك وهي من ولد كاثر بن إرم بن سام ، ومنازلهم بالحيجر بين الشام والحجاز ، جابوا الصخر : أى قطعوه وبمحتوه ، بالواد : أى الوادى الذى كانوا يسكنون فيه ، وفرعون : هو حاكم مصر الذى كان في عهد موسى عليه السلام ، والأوتاد : المبانى العظيمة الثابتة ، والطفيان : تجاوز القدر في الظلم والمعتو ، وصب : أى أفرغ وألتى ، وسوط عذاب : أى أنواعا من العقوبات التى أنرلها عليهم جزاء طفياتهم ، والرصاد : هو للكان الذى يقوم فيه الرصد ، والرصد من يرصد الأمور : أى يترقبها ليقف على ما فيها من الخير والشر ، ويطلق أيضا على الحارس الذى يحرس ما يخشى عليه .

المعنى الجملي

بعد أن أقسم سبحانه أنه سيعذب الكافرين جزاء كفرهم و إصرارهم على غالقة أوامره - شرع يذكر بعض قصص الأم السافقة بمر عاندوا الله ورسوله ولجوا في طفيانهم فأوقع بهم شديد المذاب وأخذهم أخذ العزيز الجبار ، ليكون في ذلك زجر لحؤلاء المكذبين ، وتثبيت للمؤمنين الذين اتبعوا الرسول وناصروه ، وتطمين لتلوبهم بأن أعداءهم سيلتون ما يستحقون من الجزاء .

الإيضاح

(ألم تركيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العاد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد ؟) أى ألم تملم أيها الإنسان ، كيف أهلك ربك عادا الأولى الذين كالزلم أشد الناس أجساما وأطوام قامة ، وأرفعهم مكانة ، والذين لم يخلق فى البلاد كلها مدينة كمدينتهم . (وتمود الذين جابوا الصخر بالواد) أى وتمود الذين قطموا الصخر ونمتوه و بنوا منه القصور والأبنية المظيمة كما قال فى آية أخرى : « وَتَنْعِتُونَ مِنَ الْجِبْالِ فَ بَهُونًا فَاوِ هِينَ » .

وفى هذا دليل على ما أنم الله به عليهم من القوة والعقل وحسن التدبير .

(وفرعون ذى الأوتاد) أى وفرعون ذى المبانى العظيمة التى شادها هو ومن قبله من فراعنة مصر فى قديم الأزمان كالأهمرام وغيرها .

وما أجمل التعبير عما تركه المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد ، فإن شكل هيا كلهم المظيمة شكل الأوتاد المقلوبة ، إذ يبتدئ البناء عريضا وينتهى بأدق مما مدأ .

ثم وصف من سبق ذكرهم بأقبح الأوصاف فقال:

(الذين طفوا فى البلاد . فأكثروا فيها الفساد) أى هؤلاء الذين سلف ذكرهم من عاد وثمود وفرعون قد استعملوا سلطانهم وقوتهم فى هضم حقوق الناس ، واغتروا بمَظهم قدرتهم ، فكانوا سببا فى إفساد البلاد .

ذاك أن من اغتر بنفسه ، وتهاون بحقوق غيره واعتدى عليها ، وأخذ ماليس له ، ولم يسط الذى عليه ـ يكون قد فكك شمل الجماعة وأفسد في البلاد ، فيختل نظام العُمران ، ويقف دولاب التعامل ، ويوجس كل امرئ خيفة من بني جلدته ، ولا شك أن أمما هذه حالها تكون عاقبتها الخراب والدمار ، ومر ثم ذكر عاقبة أحرها فقال :

(فصبّ عليهم ر بك سوط عذاب) أى فأنزل الله تعالى بهم ألوانا من البلاء ، وشديد العذاب .

وقد شبه سبحانه ما أوقعه بهم من صنوف المذاب ، وماصبّه عليهم من ضروب الهلاك ــ بالسوط ، من قِبَل أن السوط يضرب به فى العقوبات ، والله يوقع المذاب بالأم عقوبة لها على ما يقع منها من أنواع التفريط فى أوامر دينه .

ثم ذكر العلة في تمذيبه لهم فقال :

(إن ربك لبالمرصاد) أي إن شأن ربك ألا يفوته من شئون عباده نقير

ولا قطيير ، ولايهمل أمة تمدّت فى أعمالها حدود شرائمه القويمة ، بل يأخذها بذنوبها أخذ العزير للقتدر ،كما يأخذ الراصد القائم على الطريق من يمر به بما يويد من خيرأو شر، لايفرّط فيا رُصد له .

وقد أجل الله فى هذه الآيات ما أوقعه بهذه الأم من العذاب ، وفصله فى غير موضع من كتابه الكريم ، فقال فى سورة الحاقة : « فَالمَّا تُمُودُ فَاهْلِيكُوا بِالطَّاغِيَةِ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لِيالطَّاغِيَةِ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالُ وَتَّانِيَةٌ أَيَّامٍ صُنْعَ لَمَا إِللَّاعَيْةِ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالُ وَتَّانِيَةٌ أَيَّامٍ صُنُوعًا . فَآدَى الْقَوْمَ فِيهَاصَرْ عَى كَأَتَّهُمْ أَخْدَاهُ فَرَايِيَةً . فَصَوْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا أَخْذَةً رَابِيَةً » .

والحكمة في تكرار القصص في القرآن الكريم ، وفي ذكر بعضها على طريق الإشارة في بعض المواضع، وبالتفصيل في بعض آخر أنه قد يكون الغرض تارة إقامة الحجية على قدرته تمالى ، وتوحده في ملكه ، وتهره العباده حينا ، وترقيق قلوب المخاطبين حينا آخر ، و إذار عباده و إعذارهم مرة ثالثة ؛ ولا شك أن كل مقام من الكلام له لون منه من بسط أو إيجاز لايكون لنيره .

وقد عرفت أن الفرض هنا تطييب خاطر الرسول صلى الله عليــه وسلم وأصحابه بأن الله سيديل الكافرين ولا يهمايهم ، وهو ليس بفافل عنهم ، وحينئذ تدرك أن الإشارة __ إلى أن هذه الأمم أخذت وعذبت ولم تترك سدى _ـ كافية جدَّ الكفاية لمن فكر وتدبر .

أَمَّنَا الْاِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَتَهُ وَنَسَّهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَتَهُ وَنَسَّهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَتَنِ (١٥). أَوَامًّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْدِ رِزْ الْهُ فِيَقُولُ رَبَّى أَهَانِ (١٦). ***

شرح المفردات

ابتلاه : أى اخبره ببسط الرزق و إقتاره ، فأكرمه : أى صيره مكرما يرفل فى بحبوبة النميم ، قدر عليه رزقه : أى صيره فقيرا مقبّرا عليه فى الرزق ، تقول قدرت عليه الشئ : أى ضيقته عليه ، وكأنك جملته بقدر لا يتجاوزه كما قال : « وَمَن قُدِرَ عَكَيْهِ رِزْقُهُ كُنْيُنْهُمْ عِماً آنَاهُ اللهُ » .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه أنه لا يفوته من شأن عباده شئ ، وأنه يأخذ كل مذنب بذنبه _ أردف ذلك ذكر شأن من شئون الإنسان ، و بين أنه لا يهتم إلا بأمور الدنيا وشهواتها ، فإذا أنهم الله عليه وأوسع له فى الرزق ظن أنه قد اصطفاه ورفعه على من سواه وجنبه منازل العقوبة ، فيذهب مع هواه و يفعل ما يشتهى ، ولايبالى أكان ما يستع خيرا أم شرا ، فيطنى و يفسد فى الأرض ، وإذا ضيق عليه الرزق (وقد يكون ذلك تمحيص قلبه بالإخلاص أو لتظهر قوة صبره ، فإن الققر لا يزيد ذوى العزائم إلا شكرا) يقول ربى قد أهاننى ، ومن أهانه الله وصفرت قيمته لديه لم يكن له عناية بسطه ، فكيف يؤاخذه بما يصدر منه من شر ، أو يكافئه على ما يصنع من خير ، فلا شكره يكافأ بإحسان ، ولا كفره بجازى بعقوبة ، فينطلق بكسب عيشه بأى وسيلة عنت له ، ولا تحجزه شريعة ، ولا يقف أمام قانون ، يكسب عيشه بأى وسيلة عنت له ، ولا تحجزه شريعة ، ولا يقف أمام قانون ، يكسب عيشه بأى وسيلة عنت له ، ولا تحجزه شريعة ، ولا يقف أمام قانون ، ولا يذكر ونه إلا بالسنتهم ، ولا يشرف له سلطان على تلوبهم ، والقتراء الأذلاء صغرت نفوسهم عند أغسهم ، لا يبرائون ماذا يفعلون أنهم فى أمن من عقاب ربهم صغرت نفوسهم عند أغسهم ، لا يبرائون ماذا يفعلون ؟ .

الإيضاح

(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن) أى إن الإنسان إذا أنعم الله عليه وأوسع له فى الرزق _ زيم أن هذا الذى هو فيه من السمة _ إكرام من الله له ، وخيّل إليه الوهم أن الله لايؤاخذه على ما يفعل ، فيعلمى و يفسد فى الأرض .

(وأما إذا ما ابتلاء نقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن) أى وإن رأى أن رزقه لايأتيه إلا بقدَر ظن أن ذلك إهانة من الله له وإذلال لنفسه .

والإنسان فى الحالين مخطى مرتكب أشنع وجوه الفغلة ، لأن إسباغ النمعة فى الدنيا على أحد لايدل على أنه مستحق لفلك ، ولو دل على هذا لما رأيت عاصيا موسما عليه فى الرزق ، ولا شاهدت كافرا ينحم بصنوف النعم .

ولمل من حكمة الله فى بسط الرزق على بعض الناس وتضييقه على بعض آخر ـــ أن و ِجدان المال سبب للانتهاس فى الشهوات ، وأنه قاطع عن الاتصال بالله ، وأن فقدانه وسيلة لتمتيص للر، وابتلائه ليكون من الصابرين الذين وعدوا بالجنة .

انظر إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيا كان يدعو به ربه من قوله : « اللهم أحينى مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة للساكين » تدرك سرذلك .

إلى أن من يمتحنهم الله بإسباغ النصة عليهم يظنون أن الله قد اصطفام على عباده ورفعهم فوق سائر خلقه ، ثم لايزال بهم شيطان الغواية حتى يذهبوا مع أهوائهم كل مذهب ، ويسيروا فى طريق شهواتهم للهلكة إلى أبعد غاية ، لايرجمون إلى ربهم ، ولا يلركون أن ماعنده خير وأبق .

كَلَّا َ بَلْ لَاَتُكُمْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَتَامِ السِّنكينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتَ أَكْلَا لَلَّ (١٩) وَتُحَبِّونَ الْمَالَ حُبَّاً جَمَّا (٢٠) .

شرح المفردات

ولا تحاضون : أى لا يأس بمضكم بعضا ، والتراث : اليراث ، لمَّ ا : أى شديدا ، جمًّا : أى كثيرًا قال :

إن تنفر اللهمَّ تنفر جمَّا وأَئُ عبدٍ لك لاألمَّا المعنى الجمْلِي

بعد أن بين خطأ الإنسان فيا يعتقد إذا بُسط له الرزق أو قُتِر عليه - أردف ذلك زجرهم هما يرتكبون من للنكرات ، وأبان لهم أنه لوكان غنيهم لم يُعْمه الطفيان ، وتقيرهم لم يطمس بصيرته الهوان ، وكانوا على الحال التي يرتق اليها الإنسان - لشعرت نفوسهم بحما عسى يقع فيه اليتيم من بؤس ، فمُنوا بإكرامه فإن الذي يفقد أباه معرّض لفساد طبيعته إذا أهملت تربيته، ولم يهتم بحما فيه العناية به ورفع منزلته ، ولوكانوا على ماتحدثهم به أنفسهم من الصلاح لوجدوا الشفقة تحرك قلوبهم إلى التعاون على طعام المسكين الذي لايجد مايقتات به مع العجز عن تحصيله، إلى التعاون على طعام المسكين الذي لايجد مايقتات به مع العجز عن تحصيله، إلى أنهم يأكون لمال الذي يتركه من يتوفى منهم ، ويشتدون في أكله حتى يحموا صاحب الحق حقه ، ويزداد حبهم المال إلى غير غاية .

وصفوة القول — إن شرهم فى المال ، وقَرَمهم إلى اللذات ، وانصرافهم إلى المتعم بها ، ثم قسوة قلوبهم إلى ألا يألموا إلى مائتجر إليه الاستهانة بشئون اليتامى من قساد أخلاقهم ، وتعطيل قواهم ، وانتشار العدوى منهم إلى معاشريهم ، فينتشر

الداء فى جسم الأمة — دليل على أن مايزعون من اعتقادهم بإله يأمرهم وينهاهم ، وأن لهم دينا يعظهم ، زعم باطل ، و إذا غشّوا أنسهم وادَّعَوْ" أنهم يتذكرون الزواجر ، ويراعون الأواس، فذلك مقال تكذبه الفيال .

الإيضاح

(كلا) أى لم أبتل الإنسان بالنفى لكرامته عندى ، ولم أبتله بالفقر لهوانه على " ، فالكرامة والإهانة لايدوران مع المال سعة وقلة ، فقد أوسّع على السكافر لا لكرامته ، وأضيّقُ على المؤمن لا لموانه ، وإنما أكرم المره بطاعته ، وأهينه بمصيته ، وقد أوسم على المرء بالمال لأختبره أيشكر أم يكفر ؟ وأضيق عليه لأختبره أيشكر أم يكفر ؟ وأضيق عليه لأختبره أيسر أم يضجر ؟

ثم انتقل وترق من ذمهم بقبيح الأقوال إلى النمى عليهم بقبيح الأفعال فقال:

(بل لا تكرمون اليتم) أى بل لسكم أفعال وأحوال شر من أقوالكم تدل على تهالكسكم على المال ، فقد يكرمكم الله بالمال الكثير فلا تؤدون ما بازمكم فيه من إكرام اليتم و بره والإحسان إليه ، وقد جا، في الحديث الحث على ذلك ، فاقد قال صلى الله عليه وسلم : « أحب البيوت بيت فيه يتم مُكرَّم » وورد أيضا : « أنا وكافل اليتم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلى الإبهام . قال مقاتل : أنزلت الآية في قُدامة بن مظمون وكان يتيا في حجر أمية الن خَلَف .

(ولا تحاضون على طمام المسكين) أى ولا يحث بعضكم بعضا على إطمامه و إصلاح شأنه ، وإذا لم تكرموا اليتم ولم يوص بعضكم بعضا باطمام السكين فقد كذبت مزاعمكم في أشكر قوم صالحون .

و إنما ذكر التحاضُّ على الطمام ولم يكتف بالإطمام ، فيقول ولم تطمعوا

المسكين - ليبين أن أفراد الأمة متكافلون ، وأنه يجب أن يوصى بعضهم جضا بالأسم بالممروف والنهى عن المنكر مع التزام كلُّ فعل مايأس به أو ينهى عنه .

ثم بين أن إعمالهم أمر اليتم ، وخلوّ قلبهم من الرحمة بالمسكين لم يكونا زهدا فى لذائذ الحياة وتخلصا من متاعبها ، وعكوفا على شئون أنفسهم ، بل جاء من محبتهم للمال مقال :

(وتأكلون التراث أكلاً 12) أى إنكم تأكلون المال الذى يتركه من يتوفى منكم أكلا شديداً ، فتحولون بينه و بين من يستحقه ، وتجمعون بين نصيبكم منه ونصيب غيركم .

(وتحبون المال حيا جما) أى وتميلين إلى جمع للمال ميلا شديدا ، ميراثا كان أو غيره .

وخلاصة ذلك — أنتم تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، إذ لوكنتم ممن غلب عليه حب الآخرة ، لانصرفتم عما يترك الموتى ميرانا لأيتامهم ، ولكنكم تشاركونهم فيه ، وتأخذون شيئا لاكسب لكم فيه ، ولا مدخل لكم في تحصيله وجمه ، ولوكنتم عن استحبوا الآخرة لما ضَرِيت نفوسكم على المال تأخذونه من حيث وجدتموه ، من حلال أو من حرام .

فهذه أدلة ترشد إلى أنكم لستم على ما ادعيتم من صلاح و إصلاح ، وأنكم على ملة إبراهيم خليل الرحمن .

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّا دَكَّا (٢١) وَجَاء رَبْكَ وَالْمَكُ صَفَّا صَفَّا (٢٢) وَجَاء رَبْكَ وَالْمَكُ صَفَّا صَفَّا (٢٢) وَجِيء يَوْمُثِيْدِ بِجَهَنَّم، يَوْمُثِيْدِ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ اللَّكْرِي ؟ (٢٣) يَقُولُ بَالْيَتَنِي قَدَّمْتُ لِجَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمُثِيْدِ لَايُسَدِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٢).

شرح المفردات

الدك : حط المرتفع بالبسط والنسوية ؛ ومنه اندك سنام البعير إذا انغرس في ظهره ، دكا دكا : أى دكا بعد دك : أى كرّر عليها الدك وتتابع حتى صارت كالصخرة اللساء ، صفا صفا : أى صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم في الفضل ، وجيء يومئذ بجهنم : أى كشفت للناظرين بعد أن كانت غائبة عنهم ، وأنى له الذكرى ؟ أى ومن أين له فائدة التذكر وقد فات الأوان ، والوثاق : الشد والربط بالسلاسل والأغلال .

المعنى الجملي

بعد أن أنكر عليهم أقوالهم وادعاءهم أن الغنى إكرام لهم ، وأن الفقر إهانة لهم ، ونعى عليهم أفعالهم من حرصهم على الدنيا واستغرائح الجَهد فى تحصيلها ، وتكاليهم على جمعها من حلال وحرام _ أردفه بيان أن مايزهمونه من أنهم لربهم ذاكرون مع فراغ قلوبهم من الرأفة بالضغاء وامتلائها بحب المال والميل إلى الشهوات _ زعم لاحقيقة له ، وإنحا يتذكرون ربهم فى ذلك اليوم العظيم حين يشهدون الهول ، ويموزكم الحوال ، ويفلير لهم مكانهم من التكال والوبال ، ولكن هذه الذكرى قد فات أوانها ، وانتعى إنَّائُها ، فإن الدار دار جزاء لادار أحمال ، فلا يبقى فيها لأولئك الخاصرين إلا الحسرة والندامة ، وقول قائلهم : همال ، فلا يقي قيها لأولئك الخاصرين إلا الحسرة والندامة ، وقول قائلهم : مايجل عن التشبيه والتميل .

الايضاح

(كلا) زجر لهم وإنكار لأقوالهم وأفعالهم ؛ أى لاينبنى أن يكون هذا شأنهم فى الحرص على الدنيا من حيث تنهيأ لهم سواء كانت من حلال أو حرام ، وكأنهم يتوهمون أن لاحساب ولا جزاء ، وسيأتى يوم يندمون فيه أشد الندم ، ولـكن لاتنفعهم الندامة ، ويتمنون لوكانوا أفنوا حياتهم فى التقرب إلى ربهم بصالح الأعمال .

ثم بين ذلك اليوم ووصفه بأوصاف ثلاثة فقال :

(أ) (إذا دكت الأرض دكا دكاً) أى إذا دكت الأرض دكا بعد دك ، وتتابع عليها ذلك حتى صارت كالصخرة اللساء، وذهب كل ماعلى وجهها من جبال وأبنية وقصور .

 (٣) (وجاء ربك والملك صفًا صفًا) أى وتجلت الأهل الموقف السطوة الإلهأية ، كا تتجلى أُتِهة المُلك للأُعين إذا جاء الليك فى جبوشه ومواكبه ، والله المثل الأعلى .

 (٣) (وجيء يومثذ بجهنم) أي وكشفت جهنم للناظرين بعد أن كانت غائبة عنهم .

ونحو الآية قوله : « وَ بُرُزَتِ الْجَنِيمِ ۚ لِمَنْ يَرَى » أَى أُعليرِت حتى رَآها الخلق وعاينوها ، ولبس للراد أنها نقلت من سكانها إلى مكان آخر .

(يومئذ يتذكر الإنسان) أى حينئذ تذهب الغفلة ، ويتذكر المرء ماكان قد فرّط فيه ، وعرف أن ماكان فيه كان ضلالا ، وأنه كان يجب أن يكون على حال خبر مماكان علمها .

ثم بين أن هذه الذكرى لافائدة منها فقال:

(وَأَنِّى له الذَّكرى) أى ومن أين لهذه الذَّكرى فائدة ، أو ترجم إليه بعائدة ؛ وقد فات الأوان ، وحُمَّ القضاء .

والخلاصة — إنه إذا حدثت هذه الأحداث انكشفت عن الإنسان الحُبُب، و ووضح له ماكان عليه ، وذهبت عنه الففلة ، وإذ ذاك يتمنى أن يمود ليصل صالحا ، ولكن أنى له ذلك ؟ .

ثم بين تذكره بقوله :

(يَقُول يا ليننى قدمت لحيانى) أى يتمنى أن يكون قــد عمل صالحا ينفعه ف حياته الأخروية التي هي الحياة الحقيقية .

ثم بين مآله وعاقبة أمره فقال :

(فيومئذ لايمذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) أى فيومئذ لا يصاب أحد بمذاب مثل ذلك المذاب الذى يصيب ذلك الإنسان الذى أبطره الغنى فجحد نعمة الله عليه ، أو أفسده الفقر حتى عثا فى الأرض فسادا ، ولا يوثق أحد من الخلائق وثاقا مثل هذا الوثاق الذى يوثقه ذلك الإنسان .

ولا يخفي مأفى ذلك من تقوية الذكرى لمن له قلب يذكر ، ووجدان يشعر .

يأيَّنُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبَّكِ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) .

شرح المفردات

المطمئنة : من الاطمئنان وهو الاستقرار والثبات ، إلى ربك : أى إلى ثوابه وموقف كرامته ، في عبادى : أى في زمرة عبادى المكرمين .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر حال الإنسان الذى خُلِّى وطبعه ، فاستولى عليه جشعه وحوصه على رغباته وشهواته ، حتى خرجت عن سلطان الحسكة والعقل ، ثم ذكر عاقبة أمره فى الآخرة — أعقب هذا بذكر حال الإنسان الذى ارتقى عن ذلك الطبع وسمت نفسه إلى مراتب الكال ، فاطمأن إلى معرفة خالقه ، واستعلى برغائبه إلى المطلع الروحية ، ورغب عن اللذات الجسمانية ، فكان فى الذى شاكرا لا يتناول إلا حقه ، وفى الفقر صابرا لا يمديده إلى ما لفيره ، و بين أنه فى ذلك اليوم يكون بجوار ربه واضيا بعمله فى الدنيا ، مرضيا عنده ، يدخله فى زمرة الصالحين المكرمين من عباده .

الإيضاح

(يأيتها النفس للطمئنة) أى يأيتها النفس التي قد استيقنتِ الحق ، فلا يخالجها شك ، ووقفت عند حدود الشرع ، فلا تزعزعها الشهوات ، ولا تضطرب بها الرغبات .

(ارجمی إلی ربك راضية مرضية) أی ارجمی إلی محل الكرامة بجوار ر بك ، راضية عما هلتِ في الدنيا ، مرضيا عنك ، إذ لم تكونى ساخطة لافي النفى ولا في الفقر ، ولم تتجاوزى حدود الشرع فيا لك من حق وما عليك من واجب .

ثم ذكر جميل عاقبتها فقال :

(فادخلى فى عبادى) أى فادخلى فى زبرة عبادى المكرمين ، وانتفلمى فى سلكهم ، وكونى فى جلتهم ، فالنفوس القدسية كالمرايا المتقابلة ، يشرق بمضها على بمض ، وكأنها تربّى فى هذه الدنيا بالآلام وتزين بالممارف والعلوم ، حتى إذا فارقت الأبدان جملت فى أماكن متقاربة ، بينها صفاه ومودة ، وحسن صلة ومحبة .

(وادخل جنتی) فتمتعی فیها بمــا لا عین رأت ، ولا أذن سمت ، ولا خطر علی قلب بشر .

اللهم اجعلنا من التفوس للطمئنة ، الراضية المرضية ، وأدخلنا فى جنتك مع للتقين ، من الأنبياء والشهداء والصالحين ، والحمد لله رب العالمين .

مقاصد هذه السورة

تشتمل هذه السورة على مقاصد ستة :

- (١) القسم على أن عذاب الكافرين لا محيص منه .
 - (٢) ضرب للثل بالأم البائدة كماد وتمود .

- (٣) كثرة النعم على هبد البست دليلا على إكرام الله له ، ولا البلاء دليلا على إهانته وخذلانه .
 - (٤) وصف يوم القيامة وما فيه من أهوال .
 - (a) تمنى الأشقياء المودة إلى الدنيا .
 - (٦) كرامة النفوس الراضية المرضية ، وما تلقاه من النعيم بجوار ربها .

سيورة البلد

هي مڪية ، وآياتها عشرون ، نزلت بعد سورة ق

ومناسبتها لما قبلها :

(١) أنه ذم فى الأولى من أحب المال وأكل التراث ولم يحض على طعام المسكين، وذكر هنا الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة، والإطعام في موم المسفية.

(٢) ذكر هناك حال النفس المطمئنة ، وذكر هنا ما يكون به الاطمئنان .

بِسُمُ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لاً أُ فيمُ بِهَذَا الْبَلْدِ (١) وَأَ نْتَ حِلُّ بِهَذَا الْبَلْدِ (٢) وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ (٣)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) .

شرح المفردات

البلد: مكة ، حِل : أى حال منهم فيه، ووالد وما ولد:أى وأى والد وأى مولود من الإنسان والحيوان والنبات، والكبد:المشقة والتسب، قال لبيد يرثى أخاه أر بد: يا عين هل رأيت أر يد في أذ في المناطقة عنه المنطقة عن كبد

الإيضاح

(لا أفسم بهذا البلد) تقدّم أن قلنا إن مثل هذا التعبير قسم مؤكد في كلام العرب ، وقد أقسم ربنا بمكة التي شرفها فجلها حرما آمنا ، وجمل فيها البيت الحرام مثابة للناس يرجمون إليه ويعاودون زيارته كنا دعاهم إليه الشوق ، وجمل فيه المحمية قبلة لأهل المشرق والمنرب ، وأمم بالتوجه إليها في الصاوات التي تكرر كل يوم قال : « وَحَيْهُما كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » .

(وأنت حلّ بهذا البلد) أى وأنت مقيم بهذا البلد حالّ فيه ، وكأنه سبحانه جعل من أسباب شرف مكة وعظمتها كونه صلى الله عليه وسلم مقيا فيه ، ولا شك أن الأمكنة تشرف بشرف ساكنها ، والنازلين بها .

وأتى بهذه الجلة ليفيد أن مكة جليلة القدر فى كل حال حتى فى الحال التى لم يراع أهلها فى معاملتك تلك الحرمة التى خصها الله بها .

وفى هذا إيقاظ وتنبيه لهم من غفلتهم ، وتقريع على حط منزلة بلدهم . (ووالد وما ولد) أى وكل والد وكل مولود من الإنسان وغيره .

وفى القسم بهذا لفت ُلأنظارنا إلى رفعة قدر هذا الطور من أطوار الوجود وهو طور التوالد، ، وإلى مافيه من بالغ الحكمة و إنقان الصنع ، وإلى مايعانيه كل من الوالد والمولود فى إبداء النشء ، وتبليغ الناشى ٌ وإبلاغه حده من النمو المقدّر له .

انظر إلى البذرة فى أطوار نموها ، كم تعانى مر اختلاف الأجواء ، ومحاولة ا امتصاص الغذاء مما حولها من العناصر إلى أن تستتم شجرة ذات فروع وأغصان ، وتستمد لأن تلد بذرة أو بذوراً أخرى تعمل عملها ، وتزين الوجود بمجمال منظرها .

وأمر الإنسان والحيوان فى ذلك أعجب وأعظم ، والتعب والعناء الذى يلاقيه كل منهما فى سبيل خظ نوعه ، واستبقاء جمال الكون بوجوده أشد وأكبر .

ثم ذكر المحلوف عليه نقال:

(لقد خلفنا الإنسان فى كبد) أى إنه تعالى جعل حياة الإنسان سلسلة متعلة الجهاد ، مبتدئة بالمشقة ، منتهية بها ؛ فهو لا يزال يقاسى من ضروبها مايقاسى منذ نشأته فى بطن أمه إلى أن يصير رجلا ، وكلما كبر ازدادت أتعابه وآلامه ، فهو يحتاج إلى تحصيل أرزاقه وتربية أولاده ، و إلى مقارعة الخطوب والنوازل ، ومصابرة النفس على الطاعة والخضوع الواحد المهود ، ثم بعد هذا كله يمرض و يموت ، ويلاقى فى قبره وفى آخرته مر المشاق والمتاعب ، ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه .

والسر فى التنبيه إلى أن الإنسان قد خلق فى هناء — الرغبة فى تسلية رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحضه على عمل الخير والمثابرة عليه ، وألا يعبأ بمما يلاقيه من الشدائدوالمشاقً ، وأن ذلك لايخاو منه إنسان .

إلى مافيه من تنبيه المنرورين الذين يشمرون بالقوة فى أقسمهم ، ويظنون أنهم بها يستعايعون مصارعة الأفران ؛ وكأنه يقول لهم : لانتهادوا فى غروركم ، ولا تستمروا على صلفيكم وكبريائكم ، فإن الإنسان لايخاو من العناء فى تصريف شئونه وشئون ذويه ، ومهما عظمت منزلته ، وقويت شكينته ؛ فهو لايستطيع الخلاص من مشاق الحياة .

وقد جمع سبحانه بين البلد المنظم والوالد والواد ، ليشير إلى أن مكة على مابها من عمل أهلها ستلد مولوداً عظيماً يكون إكليلا لمجد الدوع الإنساني وشرفه ، وهو دين الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وأن السناء الذي يلاقيه إنما هو المناء الذي يصيب الوالد في تربية ولده ، والمولود في بلوغ الفاية في سبيل نموه ؛ إلى ما فيه من الوعد بإنمام نوره ولو كره الكافرون .

أَيْحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ٢ (٥) يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَالاً لَبُدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدَيْنِ (١٠) .

شرح المفردات

أيحسب : أى أيظن ، أهلكت : أى أنفقت ، لبداً : أى كثيرا ، والنجد : الطريق المرتفعة ؛ والمراد بالنجدين طريقا الخير والشر .

المعنى الجملي

روى أن قوله : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدْ ؟ ﴾ نزل فى أبى الأشد أسيد بن كلدة الجُمحى ، وكان مفترا بقوته البدنية ؛ وأن قوله : ﴿ يَقُولُ أَهْلَـكُتُ مَالاً لَبُدًا ﴾ نزل فى الحرث بن نوفل وكان يقول : أهلكت مالا لبدا فى الكفارات منذ أطمت محدا .

وسواء أكانت هذه الآيات نزلت فى هؤلاء أم فى غــيرهم فان ممناها عام كما علمت .

الإيضاح

(أيحسب أن لن يقدر عليه أحد؟) أى أيظن ذلك للنتر بقوته ، المنتون بمـــا أنسنا به عليه — أنه مهــا عظمت حاله ، وقوى سلطانه ، يبلغ منزلة لايقدر عليه فيها أحد ؟ ما أجهله إذا ظن ذلك ، فان فى الوجود قوة فوق جميع القوى هى الهيمنة على كل قوة ، والمسيطرة على كل قدرة ، وهى القوّة التى أبدعته ، والقــدرة التى أنشأته .

ثم ذكر صِنفا آخر من الأغنياء البخلاء للراثين فقال :

(يقول أهلكت مالا لبداً) أى إنهم إذا طلب إليهم أن يعملوا عملا من أعمال البر قالوا: إننا ننفق الكثير من أموالنا فى المفاخر والمكارم، ولم يعلموا أن المكرمة ماعدً الله مكرمة، والبرّ ما اعتبره الله برا، فليس من البر إنفاقهم الممال فى مشاقة الله ورسوله، ولا إنفاقهم طائل الأموال فى الصدّ عن سبيل الله ، والكيد الذبن آمذوا بالله ورسوله.

(أيحسب أن لم يره أحد) أى أيظن ذلك المنتر بماله ، المدعى أنه أنفته في سبل الخير — أن الله لم يطلع على أضاله ؛ ولم يعلم مادعاه إلى الإنفاق ؟ إنه لا ينبغى له أن يظن ذلك ، فإن البارئ له مطلع على قرارة نفسه ، عالم بخبيئات قلبه ، لا يعزب عنه شئ فى الأرض ولا فى السياء ، عليم بأنه لم ينفق شيئا من ماله فى سبيل الخير المشروع والبر المحمود ، وإنما أنفق ما أنفق للرياء والسممة ، أو لمشاقة الله ورسوله ، أوفى وجوه أخرى يظفها خيرا وهى خسران وضلال مبين .

و بعد أن أنكر على هؤلاء اغترارهم بقوتهم وكثرة أموالهم — شرع يذكر آثار قدرته الغالبة ، ليبين لهم أن هناك قوة لها من الآثار ماهم يشاهدون نقال :

(ألم نجمل له عينين) فهو إذا أبصر شيئا فأنما يكون ذلك بما خلقناله من العينين ، فهذه النمية التي يمترمها إنما هي من عملنا .

(ولسانا وشفتين) فاذا أبان عما فى نفسه ، فانما يبين بما وهبنا له من لدنا من تلك الجارحة التى يتكلم بها ، فإذا غرّه حديثه ، أوقوة حجته ، فليس فضل ذلك راجما إليه ، و إنما الفضل لمن وهبه ذلك . (وهديناه النجدين) أى وأودعنا فى فطرة الإنسان التمييز بين الخير والشر، و وجملنا له من العقل والفكر ما يكون مذكرا ومنبها ، ونصبنا له الدلائل على حسن الخير؛ وأرشدناه إلى مافى الشر من هنوات وعيوب ، ثم أقدرناه على أن يسلك أى العاريقين شاء ، بعد أن آتيناه قوة التمييز، والقدرة على الاختيار والترجيح ، ليسلك

فليكن نَجْدُ الحير أحبّ إلى أحدكم من نجد الشر؛ فمن نازعته نفسه وانجهت إلى نجد الشر فليقمعا بالنظر فى آيات الله ، والتدبر فىدلائله ، ليملم أن ذلك الطريق مظلم معوج يهوى بصاحبه إلى طريق الردى ، ويوقعه فى المهالك .

و إنمــا سماهما الله نجدين ، للإشارة إلى أنهما واضحان كطريقين طاليين يراهما ذوو الأبصار ، وإلى أن فى كل منهما وعورة يشق معها السلوك ، ولا يصبر عليها إلا من جاهد نفسه وراضها .

وفى ذلك إيماء إلى أن طريق الشر ليست بأهون من طريق الخير ، بل الغالب أن طريق الشر أصعب وأشق وأحوج إلى بذل الجهد حتى تُقطع إلى النهاية ، وتوصَّل إلى الغاية .

شرح المفردات

اقتحم الشيء: دخل فيه بشدة ، والدقبة : الطريق الوعمة في الجبل يصعب سلوكها ؛ والمراد بها مجاهدة الإنسان نفسه وهواه ومن يسوسٌ له فعسل الشر من شياطين الإنس والجن ، وفك الرقبة : عتقها أو المعاونة عليه ، والمستبة : الجوع ، يقال سفيب الرجل يسفّب إذا جاع ، والمتربة : الفرابة في النسب ، تقول فلان من ذوى قرابتي ومن أهل مقر متى إذا كان قريبك نسبا ، والمتربة : الدقر ؛ تقول ترب الرجل إذا افتقر ، وأثرب إذا كثر ماله حتى صار كالتراب ، تواصوا بالصبر : أي نصح بعضهم بعضا به ، والمينة : طريق النجاة والسمادة ، والمشأمة : طريق النجاة والسمادة ، والمشأمة : طريق النجاة ، والمسادة ، والمشأمة : طريق النجاة ، أي أغلقته ، قال :

نيحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مُوصد م

المعنى الجملي

بعد أن و بخ سبحانه هؤلا، المراتين الذين بنقتون أموالهم طلبا الشهرة ، وحبًا في حسن الأحدوثة ، وأذهم على افتهارهم بما صنموا مع سَالَة بواطنهم من حسن النية ، وبين لهم أن أفضل ما يتتمون به من البصر والنهاق والدقل المديز بين الخير والشر ، والفع والفعر هو منه سبحانه ، وهو القادر دلى سلبه منهم — أردنه بيان أنه كان عليهم أن يشكروا نقل الدهم ، و يختاروا طرق الخاير ، و برجحوا سبيل السدة ، فيفيضوا على الناس بشي مما أفاض به عليهم؛ وأفضل ذلك أن يعينوا على تحر بر الأرقاء من البشر ، أو يواسوا الأيتام من أقار بهم حين الموز وعزة الطمام، أو يطمعوا الماكين من البشر ، أو يواسوا الأيتام من أقار بهم حين الموز وعزة الطمام، أو يطمعوا الماكين يكونون سحيجي الإيمان ، صبور ين على أذى الناس ، وعلى ما يصيبهم من المكاره في سبيل الدعوة إلى الحق ، رحماء حد مه مواسين لهم حين الشدائد .

هذه هى الطريق التى كان من حق العقل أن يرشد إليها ؛ لكن الإنسان قد خدعه غروره فلم يقتحم هذه العقبة ، ولم يسلك هذه السبيل القويمة ، ولم يسر فيا يرشد إليه العقل السليم .

الإيضاح

(فلا اقتحم العقبة) أى فهلا جاهد النفس والشيطان وعمل أعمال البر ؛ وقد ضرب الله العقبة مثلا لهذا الجهاد ، لأن الإنسان يريد أن يرق من عالم الحس عالم الأنوار والأرواح ، ويينه وبين ذلك عقبات من وراثها عقبات ، وسبيل الوصول إلى غايته هذه هي فعل الخيرات .

ثم فحم شأن النقبة وعظم أمرها فقال :

(وما أدراك ما العقبة) أي وأيّ شيُّ أعلمك ما اقتحام العقبة ؟ .

ثم أرشد إلى أن اقتحامها يكون بغمل صنوف من الخير منها :

 (١) (نك رقبة) أى عتن الرقبة أوالإعانة عليها ؛ وقد ورد فى الكتاب الكريم والسنة الترغيب فى العتق والحث عليه .

روى البرّاء بن عازب رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، قال : عنق النسّمة وفك الرقبة ، قال يارسول الله أوليسا واحدا ؟ قال لا : عنق الرقبة أن تنفرد بعنفها ، وقك الرقبة أن تعين فى ثمنها » .

والكلام بتقدير مضاف : أى وما أدراك ما اقتحام البقبة ، فك رقبة ، لأن فك الرقبة ليس هو البقبة نفسها ، و إنمـا هو اقتحامها لأنه سبب موصل إلى مجاوزة البقبة والوصول إلى عالم الأنوار .

(١) (أو إطعام فى يوم فى مسخبة . يقيا ذامقر بة)أى أو إطعام يقيم من أقار به
 فى أيام الجموع والعموز .

وفى هذا جمع بين حقين : حق الينيم وحق القرابة .

(٣) (أو مسكينا ذا متربة)أى أو إطمام المسكين الذى لاوسيلة له إلى كسب

المال لضعفه وهجزء .

(ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالسبر وتواصوا بالمرحمة) أي ثم كان مع اقتحامه العقبة من صادق الإيمان الذين يصبرون على الأذى وما يصبيهم من المسكاره في سبيل الدفاع عرب الحق ، ويرحمون عباد الله ويواسونهم ويساعدونهم حين البأساء .

و إنما اشترط الايمان مع فعل هذه المبارّ ، لأن من فعلها دون أن يكون مؤمنا لم ينتفع بها ، ولم يكن له ثواب عليها ، إذ لاينفع مع الكفر برّ .

ثم بيَّن مآل فاعلى هذه المبرات فقال :

ثم ذكر مقابل هؤلاء وهم الذين صدوا عن سبيل الله ، وتواصوا بالإثم وتواصوا بالمدوان وممصية الرسول فقال :

(والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أى والذين جعدوا آياتنا الكونية وآياتنا السكونية وآياتنا السكونية التي جاءت على ألسنة الرسل كالقرآن وغيره من الكتب السهاوية هم أسحاب المشأمة ، أى أهل الشيال الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ وَأَصَابُ الشَّمَاكِ مَا أَصَابُ الشَّمَاكِ مَا أَصَابُ الشَّمَاكِ مَا يُصَابُ الشَّمَاكِ مِنْ يَحْمُوم وَ مَعْهِم . وَظِلْ مِنْ يَحْمُوم الْأَبْوَدُو لَا كُرْجُم . إنْهُمْ

كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُثَرَّوْنِ. وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنْثُ الْمَظْيمِ.. وَكَانُوا يَشُولُونَ أَيْذًا مِثْنَا وَكُنَا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيْنًا لَمَبْتُوثُونَ. أَوَ آبَازُمَا الْأُولُونَ » .

(عليهم نار مؤصدة) أى عليهم نار تطبق هليهم فلا يستطيمون الفكاك منها ولا الخلاص من عذابها . نجانا الله منها بمنه وكرمه ، وجملنا من أصحاب الميمنة .

مقاصد هذه السورة

تشتمل هذه السورة على خمسة مقاصد :

- (١) ما ابتلى به الإنسان في الدنيا من النصب والتعب .
 - (٢) اغترار الإنسان بقوته .
- (٣) نكران النعم التي أنعم الله بها عليه من العينين واللسان والعقل والفكر.
 - (٤) سبل النجاة الموصلة إلى السعادة .
 - (٥) كفران الآيات سبيل الثقاء .

سيورة الشمس

هى مكية ، وآياتها خمس عشرة ، نزلت بعد سورة القدر .

ومناسبتها لما قبلها :

أنه سبحانه ختم السورة السابقة بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ،
 وأعاد ذكر الفريقين في هذه السورة بقوله : «قَدْ أُفْلَحَ مَنْ زَكَاهاً . وَقَدْ خَابَ مَنْ رَكَاهاً . وَقَدْ خَابَ مَنْ رَكَاهاً » .

 (٢) ختم السورة السالقة بشىء من أحوال الكفار فى الآخرة ، وختم هذه بشىء من أحوالهم فى الدنيا .

بِسْمِ اللهِ السَّخْنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُعَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٦) وَالنَّهْرِ وَمَا طَعَاهَا (٦) وَالنَّهْرِ وَمَا سَوَّاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهًا (١).

شرح المفردات

ضى الشمس: ضوؤها ، تلاها: أى تبعها؛ يقال تلا فلان فلاناً يتاره إذا تبعه، وجلاها: أى كشف الشمس وأتم وضوحها ، يغشاها: أى يزيل ضوءها ويحجبه، والسهاء: كل ما ارتفع فوق رأسك، والمراد به هذا السكون الذي فوقك وفيه الشمس والقمر وسائر السكواكب التي تجرى في مجاريها ، بناها: أى رفعها، وجمل كل كوكب من الكواكب بمنزلة لينة من بناء سقف أو قبة تحيط بك، وطحا الأرض: بسطها وجعلها فراشا ، سوّاها: أي ركب فيها القوى الظاهرة والباطنة ، وجعل لكل منها وظيفة تؤديها ، ألهمها : عرّفها ومكّنها ، والفجور : ما يكون سببا في الخسران والمملكة ، والتقوى : إتيان مامجفظ النفس من سوء العاقبة ، أفلح : أي أصاب القلاح ؛ وهو إدراك المعلوب ، وذكاها : أي طهرها من أدناس الذنوب ، وخاب : أي خسر ، ودسّاها : أي أقصها وأخفاها بالذنوب والمعامى قال :

الإيضاح

(والشمس وضحاها) أقسم سبحانه بالشمس نفسها غابت أو ظهرت ، لأنها خلّق عظيم يدل على قدرة مبدعها ، وأقسم بضوئها لأنه مبعث الحياة فى كل حى ، فلولاها ما أبصرتَ حيَّا ولا رأيت ناميا ، ولولاها ماوجد الضياء ولا انتشر النور ، و إذا أرسلت خيوطها الذهبية على مكان فرّ منه السقم ، وولت جيوش الأمراض هارية ، لأنها تغتك بها فتكاً ذريعا .

(والقمر إذا تلاها) أى والقمر إذا تلا الشمس فى الليالى البيض من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة وقت امتلائه أو قربه من الامتلاء حين يضى الليل كله من غروب الشمس إلى الفجر .

وهذا قسم بالضوء في طور آخر ، وهو ظهوره وانتشاره الليل كله .

وقد يكون المراد --- بتلاها أي تبعها في كل وقت ، لأن نوره مستمد من نور الشمس فهو لذلك يتبعها ، وقد قال بهذا الفر"اء قديما وأثبته علماء الفلك حديثا .

(والنهار إذا جلاها) أى والنهار إذا جلّى الشمس وأظهرها وأتم وضوحيا ، إذ كما كان النهار أجلى ظهورا كانت الشمس أكل وضوحا . وأقسم بهذه المخلوقات ، للإِشارة إلى تعظيم أمر الضوء و إعظام أمر النعمة فيه ، وفيه لفت لأذهاننا إلى أنه آية من آيات ر بنا السكبرى ، ونعمة من نعمه العظمى .

وفى قوله . جلاها بيان للحال التى يكشف فيها النهار تلك الحكمة البالغة ، والآية الباهرة .

و بعد أن أقسم بالضياء فى أطوار مختلفة أقسم بالليل فى حال واحدة فقال : (والليل إذا يغشاها) أى والليل إذا يغشى الشمس فيزيل ضومها فى الليالى الحالكة التى لاأثر لضوء الشمس فيها ، لامباشرة كما فى النهار ، ولا بالواسطة كضوء القمر المستفاد منها ، وهى قليلة فإنها ليلة أو ليلتان أو بعض ليال فى الشهر .

وفى هــذا إيماء إلى أن الليل يطرأ على هذا الكوكب العظيم فيذهب ضوء ، و يحيل نور العالم ظلاما فهو على جليل نفعه وعظيم فائدته ، لايتخذ إلهاً لأن الإله لا يحمول ولا يزول ، ولا يعتريه تغير ولا أفول .

وفيه ردع وتأنيب للمشركين على تأليهه وعبادته .

و بعد أن ذكر الأوصاف الدالة على عظمة هذه الأجرام — أردفه ذكر صفات تدل على حدوثها فقال :

(والسياء وما بناها) أى والسياء ومر قدّرها على النحو الذى اقتضته مششته وحكمته .

وفى ذكر البنيان إشبارة إلى ما انطوى عليه رضها وتسويتها من بارع الحسكة وتمام القدرة ، وأن لها صانعا حكيا قد أحكم وضعها وأجاد تقديرها ، فإنه شد هذه المكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كا تربط أجزاء البناء الواحد عما يوضع بينها حتى يتاسك .

ولما كان الخطاب موجها إلى قوم لا يعرفون الله مجليل صفاته ، وكان القصد منه أن ينظروا فى هذا الكون نظرة من يطلب الأثر مؤتراً ، فينتقلوا من ذلك إلى معرفته تمالى -- عبر عن نفسه بلفظ (ما) التي هى الغاية فى الإيهام . (والأرض وما طمعاها) أى والأرض والذى بسطها ومهدها للسكنى ، وجمل الناس ينتفعون بما على ظهرها من ثبات وحيوان ، وبما فى باطنها من مختلف الممادن. ونحو الآية قوله : « الذِّى جَمَلَ لَـكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بناء » .

وقصاری ماسلف — إنه بعد أن أقسم سبحانه بالضياء والظلمة ، أقسم بالسهاء وما فيها من الكواكب و بالذى بناها وجلها مصدرا للضياء ، و بالأرض والذى جعلها لنا فراشا ومصدرا للظلمة ، فإنها هى التى يحجب بعض أجزائها ضوء الشمس عن بصفها الآخر فيظهر فيه الظلام .

ثم أقسم بعد هذا بالنفس الإنسانية لما لها من شرف في هذا الوجود فقال:

(ونفسُ وما سواها) أى قسما بالنفس ومن سواها وركب فيها قواها الباطنة والظاهرة، وحدد لكل منها وظيفة تؤديها ، وألف لها الجسم الذي تستخدمه من أعضاء قابلة لاستمال تلك القوى .

مُم بين أثر هذه التسوية فقال :

(فألهمها فجورها وتقواها) أى فألهم كل نفس الفجور والتقوى وعرفها حالها ، محيث تميز الرشد من الفيّ ، و يتبين لها الهدى من الضلال ، وجمل ذلك معروفا لأولى البصائر .

و بعد أن ذكر أنه ألهم النفوس معرفة الخير والشر ذكر ماتلقاه جزاء على كل منهما فقال :

(قدأنلح من زكاها) أى قد رمج وفاز من زكى نفسه ونمّاها حتى بلفت غاية ما هى مستمدة له من الكمال العقلى والعملى ، حتى تشعر بذلك النمر الطيب لها ولمن حولها .

(وقدخاب من دساها) أى وخسر نفسه وأوقمها فى التهلُـكة من نقصها حقها بفعل الماصى ومجانبة البر والقربات ، فإن من سلك سبيل الشر ، وطاوع داعى الشهوة فقد فعل ما تفعل البهائم ، وبذلك يكون قد أخفى عمل النوة العاقلة التي اختص بها الإنسان ، واندرج في عداد الحيوان .

ولاشك أنه لاخيبة أعظم ، ولاخسران أكبر من هذا المسخ الذي مجلبه الشخص لنفسه بسوء أعماله .

والحلوف عليه الذي افتتحت به السورة _ محذوف العلم به من نظائره ، وكأنه قيل : « والشَّسْ وَضُحَاها . . . » لينزلن بالمكذبين منكم مثل ما نزل بشهود إذ كذبت نيبًا فأصابها المذاب، ودليل ذلك قوله بعد : «كَذَّبَتْ تَمُودُ بِعَلْنُواها» الآيات ، فإنها ترشد إلى أن الله يعاقب من بكذب رسله ، نحو ماسبق في سورة البروج .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٧) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَافَةَ اللهِ وَسُثْيًاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلاَ يَخَافُ عُشْبَاهَا (١٥) .

شرح المفردات

الطَّنوي والطفيان: مجاوزة الحد المتاد، انبعث: أي قام بعقر الناقة، أشقاها: أي أشقى ثمود وهو تُدَارُ بن سالف، رسول الله: هو صالح عليه السلام، ناقة الله: أي احذروا النمرض لناقة الله، وسقياها: أي يشرّبها الذي اختصها به في يومها، فعقروها: أي فنحروها، فدمدم: أي فأطبق عليهم المذاب، يقال: دمدم عليه القبر: أي أطبقه عليه، فسواها: أي فسوى القبيلة في العقوبة فلم يفلت منها أحد، عقباها: أي عاقبة المدمدة وتبعتها.

المعنى الجملي

جرت عادة الترآن أن يذكر بعض أخبار الأم السابقة وما كان منهم مع رسلهم وما قاباوهم به من الشكذيب والإيذاء ، ثم يذكر ما جرت به سنته سبحانه من الإيقاع ولما كذين ، وأخذهم بظلمهم و بما عماوا مع أبيائهم ، ليكون في ذلك ساوة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يلق إلا ما لتى إخوانه الأنبياء ، ولم يكابد من قومه إلامثل مأكابدوا ، وليكون في ذلك تخويف لأولئك المكذبين الذين يماندون رسول الله و يلحفون في تكذيبه ، بأنهم إذا استمروا على ذلك عاق بهم مثل ما حاق بالأم السالفة ونالوا من الجزاء مثل ما نالوا .

الايضاح

(كذبت ثمود بطنواها) أى كذبت ثمود نبيّها صالحا بسبب طنيانها و بفيها . ثم بين أمارة ذلك التكذيب فقال :

(إذ انبث أشقاها) أى كان انطلاق الأشقى لمقر الناقة والقوم راصون عنه علامة ظاهرة على تكذيبهم لنبيهم الذي جعلها دليل نبوته ، و برهانا على صدق رسالته ، وأوعدهم إذا هم تعرضوا لها ، وسكوتُ قومه على ما يفعل دليل رضاهم عن فعله ، فكانوا مكذبين مثله .

ثم ذكر ماتوعدهم به الرسول على ضلهم فقال:

(فقال لهم رسول الله: ناقة الله وسقياها) أى فقال لهم صالح : احذروا ناقة الله التي جملها آية به في يومها ، فلا تؤذوها التي جملها آية به في يومها ، فلا تؤذوها ولا تتمدوا عليها في شرمها ولا في يوم شرمها ، وكان صالح عليـه السلام قد اتفق ممهم على أن الناقة شِرْب يوم ، ولهم ولمواشيهم شِرْبُ يوم ، فكانوا يجدون في أنسيهم حرجا لذلك ويتضررون منه ، فيمتوا بقتلها فحذّرهم أن يضلوا ذلك ،

وخوَّفهم عذاب الله وعقابه الذي ينزله بهم إن هم أقدموا على هذا الفعل ، لكنهم كذبوه ولم يستمعوا لنصحه كما أشار إلى ذلك بقوله :

(فكذبوه فعقروها) أى إنهم لم يتورّعوا عن تكذيبه ، ولم يحجموا عن عقر الناقة ، ولم يبالوا بما أنذرهم به من المذاب وأليم المقلب .

وقد تقدم أن قلنا : إنهم لما رضوا بهذا الفعل نسب إليهم جميعا ، وكأنهم صنعوه معه .

ثم بين عاقبة عملهم وذكر ما يستحقونه من الجزاء فقال:

(فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أى فأطبق عليهم المذاب ، وأهلكهم هلاك استثصال ولم بيق منهم دياً را ولا نافخ نار ، كما أشار إلى ذلك بقوله :

(نسواها) أى فسوى القبيلة فى العقوبة ولم يفلت منها أحد ، بل أخذ بها كبيرهم وصفيرهم ، ذكرهم وأنثاهم : ﴿ وَكُذَلِكَ أَخْذُ رَبِكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَاتُهُ ﴾ .

وقد يكون المنى — جمل الأرض فوقهم مستوية كأن لم ُ تُقَرَ ، وديّر مساكنها على ساكنيها .

(ولا يخاف عقباها) أى إن الله أهلكهم ولا يخاف عاقبة إهلاكهم ، لأنه لم يظلمهم فيخيفه الحقى ، وليسهو بالضميف حتى يناله منهمكروه ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

والمرادأنه بالغ فى عذابهم إلى غاية ليس فوقها غاية ، فإن من يخاف العاقبة لايبالغ فى الفمل ، أما الذى لايخاف العاقبة ولا تبعة الصل فإنه يبالغ فيــه ليصل إلى ما يريد .

وقد علمت أن القصص مسوق لتسلية رسوله بأنه سينزل بالمكذبين به مثل ما أنزل بشمود ، ولقد صدق الله وعده ، فأهلك من أهلك من أهل مكة في وقعة بدر بأيدى المؤمنين ، ثم لم يزل يحل بهم الخزى والعذاب بالقتل تارة و بالإبعاد أخرى حتى لم يبق فى جزيرة العرب مكذّب ، ولو سارت الدعوة إلى الإسلام سيرتها فى عهد الصحابة لما بقى فى الأرض مكذب، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

مقاصد هذه السورة

اشتمات هذه السورة على مقصدين :

 الإقسام بالمخاوقات المنظيمة على أن من طهر نفسه بالأخلاق الفاضلة فقد أظلح وفاز ، وأن من أغواها ونقصها حقها مجهالته وفسوقه فقد خاب .

(٢) ذكر تمود مثلا أن دسى نفسه فاستحق عقاب الله الذي هو له أهل .

سورة الايـــــل

هي مكية ، وآياتها إحدى وعشرون ، نزات بعد سورة الأعلى .

ومناسبتها لما قبلها _ أنه ذكر هناك فلاح المطهر ين لأنفسهم ، وخبية المدسّين لها وهنا ذكر ما يحصل به العلاح وما تحصل فيه الخيبة ، فهي كالنفصيل لسابقتها .

بِسْمِ اللهِ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّالِمِ إِذَا يَشْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَـلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْ أَنِّى (٣) إِنَّ سَمْنِيكُمْ آَصُقَّى (٤) .

شرح المفردات

يفشى : أى يفطى كل شى فيوار يه بظلامه ، تجلى : أى ظهر وانكشف بظهوره كل شى ، وما خلق : أى والذى خلق ، وشتى : واحدها شتيت، وهو التباعد بعضه من بعض .

المعنى الجملي

أقسم سبحانه بما أقسم بأن سعى البشر مختلف، فأقسم :

- الليل الذي يأوى فيه كل حيوان إلى مستقره ، ويسكن عن الاضطراب
 إذ ينشاه النوم الذي فيه راحة لبدنه وجسمه .
- (۲) بالمنهار الذي يتحرك فيه الناس لمعاشبهم ، وفيسه تفدو العلير من أوكارها
 وتخرج الهواة من أجحارها
- (٣) بالقادر المظيم الذي خلق الذكر والأنثى وميّز بين الجنسين مع أن المادة

التى تكوَّنا منها واحدة ، والحمل الذى تكوّنا فيه واحد ، وفى ذلك دليل على تمام العام وعظيم القدرة كما قال : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَانًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّ كُورَ . أَوْ 'يُزَوَّجُهُمْ ذُكُرَانًا وَإِنَانًا وَيَقِعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيا ۚ إِنَّهُ عَلَيْمٍ ۖ قَدِيرٌ » .

الإيضاح

(والليل إذا يغشى) أى قسما بالليل حين يفشى الأشياء و يواريها فى ظلامه ، و يكون فيه مستراح للناس من أعمالهم ، ١٤ يشملهم من النوم والهدو.

(والنهار إذا تجلى) بزوال ظلمة الليل ، فيتحرك الإنسان والحيوان ، طلبا لما شهما ، وبهذا يظهر وجه المسلحة فى اختلافهما ، إذ لوكان الدهم كله ليلا لتمذر الماش على الناس ، ولوكان كله نهارا لبطلت المسلحة ، فكان فى تعاقبهما آية بالغة يستدل بها على علم الصانع وحكمته ، اقرأ إن شئت قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَمَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهِمَ خَلْقَهُ أَرَادَ أَنْ يَذَ كَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » .

(وما خلق الذكر والأثنى) أى قسما بالقادر العظيم الذى خلق الذكر والأثنى من ماء واحد .

وفى هذا دليل على أنه عليم جدّ العلم بدقائق المادة وما فيها ، إذ لا يعقل أن يكون هذا التخالف بين الذكر والأنثى في الحيوان بمحض الانتفاق من طبيعة لاشمور لها بما تقمل ، فإن الأجزاء الأصلية في المادة متساوية النسبة فيهما ، فحدوث هذا التخالف في الجنين دليل على أن واضع هذا النظام عالم ؟ا يفعل ، حكيم فيا يصنم ويضع .

وقصارى ما سلف — إن بعض الماء يكون تارة سببا للحمل ، وأخرى يكون فير مستمدٍّ للتلقيح ، والأول يكون من بعضه الذكران ، ومن بعضه الإناث .

سبحانه ما أعظم قدرته ، وأجلَّ حكمته ، لا إله إلا هو الفعال لما يريد .

ثم ذكر المحلوف عليه فقال :

(إن سعيكم لشتى) أى إن أعمالكم أبها الناس لمتباعدة متفرقة ، بعضها ضلال وعماية ، و بعضها هدى ونور ، و بعضها يستحق النداب الأليم كما قال : « أمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّبِثَاتِ أَنْ تَجَمَّلُهُمْ كَالَّذِينَ اَمْتُوا وَ السَّبِثَاتِ أَنْ تَجَمَّلُهُمْ كَالَّذِينَ اَمْتُوا وَتَعَلَّمُ مُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَالَ : وَ لاَ يَسْتَوِى أَمْسُتُونَ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ وَاللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَــــدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيسَرُهُ اللِيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَحِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَلُيسَّرُهُ المُسْرَى (١٠) وَمَا كَيْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) .

شرح المفردات

أعطى ؛ أى بذل ماله ، واتق : أى ابتمد عن الشرو إيصال الأذى إلى الناس ، الملسنى : أى بذل ماله ، واتق : أى ابتمد عن الشرو إيصال الأذى إلى الناس ، تؤدى إلى يسر وراحة بتمتمه بالنمج ، استغنى أى عد فسه غنيا عما عند الناس بما لديه من مال ، فلا يجدفى قلبه راحة لضعفائهم ببذل المال والمونة لهم ، بالحسنى : أى بالفضيلة و بأنها ركن من أركان الاجتماع ، المسرى : أى الخصلة التى تؤديه إلى المسر ، و يقال تردى فلان من الجبل إذا هوى من أعلاه وسقط إلى أسفله .

المعنى الجملي

بعد أن أشار إلى اختلاف أعمال الناس فى أنواعها وصفاتها ، والجزاء الندى يعود على فاعلها _ أخذ يفصل هذا الاختلاف ، ويبين عاقبة كل عمل منها .

الإيضاح

(وصدق بالحسنى) أى وصدق بثبوت الفضيلة والعمل الطيب ، ونحو ذلك عا هو مركوز فى طبيعة الإنسان ، وهو مصدر الصالحات وأفعال البر والحير .

ولا يكون تصديمًا حمّا ، ولاينظر الله إليه إلا إذا صدر عنه الأثر الذي لاينفك عنه وهو بذل المال ، واتقاء مقاسد الأعمال .

وكثير من الناس يظن نفسه مصدّة بفضل الخير على الشر ؛ ولكن هذا التصديق يكون سرابا فى النفس ، ختيله الوهم ، لأنه لايصدر عنه ما يليق به من الأثر، فقراه قاسى القلب ، بعيدا عن الحق، يخيلا فى الخير ، مسرفا فى الشر.

ثم ذكر جزاءه على ذلك فقال:

(فسنيسره للبسرى) أى فسنهيئه لأيسر الخلطتين وأسهلهما فى أصل الفطرة ، وهو تكميل النفس إلى أن تبلغ المقام الذى تجد فيه سعادتها ؛ فالإنسان إنمـا يمتاز عن غيره من الحيوان بالتفكير فى الأعمال ووزنها بنتائجها .

فإذا حصل ذلك وظهرت آثاره فيها سهل الله ماهو مسوق إليه بأصل فطرته. وفاعل الخير للخير بجد أريحية فى نفسه ، و يذوق لذة لانمدلها لذة ، فنزيد فيه رغبته ، وتشتد لفمله عزيمته ؛ وهذا هو التيسير الإلهى الذى يووق الله له الصالحين من عباده .

(وأما من بخل واستغنى) أى وأما من أمسك ماله أوانفقه فى شهواته ، ولم ينفقه فيا يقرب من ربه ، وخدعته ثروته وجاهه ، فظن أنه بذلك لا يحتاج إلى أحد ولا يحس بأنه واحد من الناس يصيبه ما أصابهم من السوء . .

(وكذب بالحسنى) أى وكذب بأن الله يخلف على المنفقين فى سبيله ، فبخل بماله ولم ينفق إلا فيا يلذله و يمتمه فى حاضره ولا يبالى بما عدا ذلك .

ويدخل فى المكذبين بالحسنى أوائك الذين يتكلمون بها تقليدا لنيرهم ، ولا يظهر أترها فى أعمالهم .

(فسنيسره للمسرى) أى ومن مرنت نفسه على الشر وتعودت الحبث، فيسهل الله له الخطة المسرى، وهى الخطة التى يحط بها قدر نفسه، وينزل بها إلى حضيض الآثام ويفسسها فى أوحال الخطيئة .

(وما يغنى عنه ماله إذا تردًى) أى و إذا يسرناه للمسرى فأى شيء يغنى عنه ماله الذى بخل به على البناعة ، ماله الذى بخل به على الناس ولم ينفقه فى المصالح العامة ، وفيا يعود نفعه على الجاعة ، ولم يصحب منه شيئا إلى آخرته التي هى موضع حاجته وفقره كما قال : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَاتَرَكُمْ مَاخُولًا كُمُ ۖ أُوّلًا مُرَّتَّ وَتَرَكُمُ مَاخُولًا كُمُ ۖ وَرَاةً ظُهُورِكُمُ ﴾ .

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٧) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْ أَكُمْ فَارَا لَلْقَلَى (١٤) اللَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١١) اللَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١١) وَسَيُعَبِّبُهَا الْلَاثَةَ قَى (١٥) اللَّذِي يُؤْتِى مَالَهُ يَئْزَ كُنَّ (١٨) وَمَا لِأَحْدِ عِنْدَهُ مِنْ نِشْمَةً نُجُزْرَى (١٩) إِلاً ابْنِفَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأُعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ مَرْضَى (٢٠) .

شرح المفردات

تلظى: أصله تتلظى ، أى تتوقد وتلتهب ، يقال: تلظت النار تلظها بمنى التهبت النهابا ومنه سميت النارلظى ، يصلاها: أى يحترق بها ، كذب: أى كذب (١٢) الرسول فيا جاء به عن ر به ، وتولى : أى أعرض عن طاعة ر به ، وسيجنبها : أى يبعد عنها ويصير منها على جانب ، والأتتى: المبالغ فى اتقاء الكفر والماصى ، الشديد التحرز منهما ، يتزكى : أى يتطهر ، تُجزى : أى تجازى وتكافأ ، ابتفاء وجه ر به : أى طلب مثوبته .

المعنى الجملي

بعد أن بين سبحانه أن سمى الخلائق مختلف فى نصه وعاقبته ، وأرشد إلى أن المحسن فى علمه يوفقه الله إلى أعمال البر ، وأن المسى، فيه يسهل له الخذلان - أردفه أنه قد أخد إلى عباده بتقديم البيان الذى تتكشف معه أعمال الخير والشر جميعا، ووضح السبيل أمام كل سالك ، فإن شاء سلك سبيل الخير فسلم وسمد ، وإن أراد ذهب فى طريق الشر فتردّى فى الحاوية .

روى أن الآيات تزلت فى أبي بكر رضى الله عنه . وقد كان من أمره أن بلال ابن رباح عليه الرضوان ، وكان مولى لمبد الله بن جُدْعان _ جا ، إلى الأصنام وسلح عليها ، فشكا كفار مكة إلى مولاه فوهيه لهم ، ووهب لهم مأنة من الإبل ينحرونها لآلهتهم فجملوا يعذبونه و مخرجونه إلى الرمضاه ، وكان يقول وهم يعذبونه : أحَدْ أحَدْ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيقول له : ينجيك أحد أحد أم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه بما يلتى بلال فى الله ، فعل أبو بكر رطلا من ذهب وابتاعه من المشركين وأعتقه ، فقال المشركون : ما ما مل ذلك أبو بكر إلا ليدكان لبلال عنده ، فنال المشركون :

﴿ وَسَيُجِنَّهُمَا الْا نَتَى ﴾ الآيات .

الإيضاح

(إن علينا للهدى) أى إنا خلقنا الإنسان وألهمناه التمييز بين الحق والباطل ، و بينالخير والشر، ثم بعثنا له الـكَمَلَة منأفراد،، وهم الأنبيا، وشرعنا لهم الأحكام، و بينا لهم العقائد تعليا و إرشادا ، ثم هو بعد ذلك يختار أحد السبيلين : سبيل الخير والفلاح ، والسبيل المعوج ً فيتردّى في الهاو ية .

وقصارى ذلك — إن الإنسان خلق نوعا ممتازا عن سائر الحيوان بما أوتيه من المقل ، وبما وضع له من الشرائم التي تهديه إلى سبيل الرشاد .

ثم زاد الأمر توكيدا فأبان عظم قدرته فقال:

(و إن لنا للآخرة والأولى) أى و إنا لنحن المالكون لكل مافي الدنيا وكل مافي الدنيا وكل مافي الدنيا وكل مافي الانتاء أو الأخرة ، فنهب مانشاء لمن تريد ، ولا يصيرنا أن يترك بعض عبادنا الاهتداء من اهتدى منهم ، لأن فنع ذلك وضره عائد إليهم ، فن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، ومن ضل المبيد .

و إذا كان ملك الحياتين فله كان هديه هو الذي يجب اتباعه فيهما ، لأن المالك لأمر عالم بوجوه التصرف فيه .

ثم بين سبيل الهداية الذي أوجبه على نفسه فقال :

(فأُنذَرَتكم نارا تلظى. لايصلاها إلا الأشتى. الذى كذب وتولى) أى لرحمتنا بكم وطفنا الكامل بمصالحسكم أسدينا إليكم الهدى، فأنذرناكم فارا تلتهب يعذب فيها من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم فيها جاء به عن ربه من الآيات، وأعرض عن انباع شرائمه ، وانصرف عن وجهة الحق ولم يعد إليها تأتباً فادما .

(وسيجنبها الأنقى) أى وسيبعد عنها المبالغ فى انقاء الكفر والمعاصى ، الشديد التحرز منهما بحيث لاتخطرهما له ببال .

ثم وصف الأنتي بأفضل مزاياء فقال :

(الذى يؤتى ماله يتركى) أى إن الأنقى هو الذى ينفى أمواله فى وجوه البر ، طالبا بذلك طهارة نفسه وقريها من ر به ، لامريدا بذلك رياء ولا سمعة ولا طالبا مديح الناس له ، فإن ذلك ضرب من النفاق الذى يبطل معه العمل ، ولا يكون . لصاحبه عليه تُواب مهما أتمب نفسه وأجهدها ، قالله لايقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوحيه .

وقد أكد هذا بتوله :

(وما لأحد عنده من نسمة تجزى) أى إنه لايقصد بإنفاقه المــال مـكافأة أحد على نسمة كان قد أسلفها ، ولا جزاه معروفكان قد تقدم به إليه .

ثم أكده مرة ثانية فقال:

(إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى لكنه يفعل ذلك قاصدا رضا ربه طالبا مثو بته وحده، تقول : فعلت كذا أبتغى وجه فلان ، أى لم يحملنى على الفعل إلا إجلاله وقصد مرضائه ، وخيفة الوقوع فيا يضضيه .

ثم وعد ذلك الأنق بالرضا عنه فقال :

(ولسوف يرضي) أى ولسوف يرضيه ر به فى الآخرة بثوابه وعظيم جزائه .

وفى قوله : (ولسوف) إبماء إلى أن الرضا يحتاج إلى مذل كثير ، ولا يكفى القليل من المــال ، لأن يبلغ العبدمنزلة الرضا الإلجمى

وقصارى ماسلف: إن الناس أصناف :

 (١) الأبرار الذين منحم الله من قوة العقل وصفاء اليقين مايجملهم يبتمدون عن الفواحش ماظهر منها وما بطن .

(٢) الذين يلون هؤلاء، وهم من تغلبهم الشهوة أحيانا فيقمون في الذنب ،
 ثم يثوب إليهم رشدهم فيتو بون و يندمون ، وهذان القميان يدخلان في (الأنتي) .

(٣) من يخلط بين الخير والشر فيمتقد وحدانية الله و يقترف بسض السيئات ،
 و يصر عليها ولا يتوب منها ، فهذا الإصرار منه دليل على أنه غير مصدّق حق التصديق عاجاً .
 فاتصديق عاجاً .

التصديق بنا عام فيها من الوعيد .

يرشد إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » والمراد أن صورة الوعيد تذهب عن ذهن المخالف وتوجد عنده ضروب أخرى من الصور تقاوم أثر هذه في النفس وتغلب عليهما .

(٤) الكافرون الجاحدون باقه و برسله و بما أنزل عليهم ، وهذان القسمان بشمامها (الأشقى) وقد أعدت النار لكل منهما ، إلا أن الفاسقين لايخلدون فيها ، و مدخلها الكافرون وهم فيها خالدون .

اللهم أبعدنا عن هذه النار التي تتلظى ، وأدخلنا فسيح جناتك .

مقاصد هذه السورة

(١) بيان أن الناس في الدنيا فريقان :

- (١) فريق بهيئه الله الخصلة اليسرى، وهم الذين أعطوا الأموال لمن يستحقها،
 وصدقوا عا وعد الله من الإخلاف على من أغلقوا.
- (٣) فريق يهيئه الله الخصلة المؤدية إلى العسر والشدة، وهم الذين بخلوا بالأموال
 واستفنوا بالشهوات، وأنكروا ما وعد الله به من "تواب الجنة .
 - (١٠) الجزاء في الآخرة لكل منهما وجعله إما جنة ونميا ، وإما ناراً وعذابا ألمياً .

سيورة الضحي

هي مكية ، وآيانها إحدى عشرة ، نزلت بعد سورة الفجر .

ومناسبتها لما قبلها — أنه ذكر فى السابقة « وَسَيُعَنِّبُهَا ٱلْأَتْـقَى » ولماكان سيد الأَنقَيْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ذلك سبحانه بذكر نسمه غزّ وجل عليه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضَّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَعَبَى (٢) مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا سَعَبَى (٢) وَاللَّيْلِ الْأُولَى(٤) وَلَسَوْفَ يُمْطَلِكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥).

شرح المفردات

الضعى : صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى أشمتها على هـذا الـكون، وسجى : أى سكن ؛ والمراد سكن الأحياء فيه وانقطعوا عن الحركة ، ما ودعك ربك : أى ماتركك ، وما قلى : أى وما قلاك وما أبنضك ، والقلى : شــدة السكره والبغض .

المعنى الجملي

أجمع الرواة على أن سبب نزول هذه السورة حدوث فترة فى نزول الوجى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه حزن لذلك حزناً شديداً حتى غذا مراراً إلى الجبال ليتردّى من شواهقها ، وأنه ماكان يمنمه إلا تمثل لللك له وإخباره إياء أنه رسول الله حقا .

و إنما حزن لهذه الفترة خيفة أن يكون ذلك من غضب أو قِلَى من ربه له ، بعد أن ذاق حلاوة الاتصال به ، وشاهد من جمال الأنس بالوحى مايثير لواعج شوقه إلى النَرَوَّ دمنه ، وقد كان يعلم أنه بشر ، لا فضل له على غيره إلا بهذا القرب الذى يعلو به على من عداه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تكميل خسه و إعدادها لتحمل ماهى بسبيله من أعباء الرسالة .

لاجرم يكون حزنه لهذه الفترة شديدا ، وأن يتوجس منه خيفة ، ولا عجب أن يدعوه ذلك إلى التفكير فيا كان يفكر فيه ، وأن يهم بتفيذه .

ومن ثم نرلت هذه السورة حاملة له أجمل البشرى ، ملقية فى نفسه الطمأنينة ، ممددة ما أنسم الله به عليه ، وكأنه تمالى يقول لرسوله : إن من أنسم عليك بكذا وكذا لم يكن ليتركك ولا ينساك بعد أن هيأك لحل أمانته ، وأعدّك للاضطلاع بأعباء رسالته ، فلا تحزن على ما كان من فترة الوحى عنك ، ولا يكن فى صدرك حرج منها ، فا ذلك إلا لتثبيت قلبك ، وتقوية نفسك على احتال مشاقّها .

الإيضاح

(والضحى . والليل إذا سجى . ماودّعك ر بك وما قلى) أقسم سبحانه لرسوله بآيتين عظيمتين من آياته فى الكون نحى النهار وصدره ، والليل وظلامه — إنه ماتر كك وما أبغضك كما يقال لك وما تتوهم فى نفسك .

نم ذكر له مايثلج صدره ، وما فيه كال الطمأ نينة والبشرى فقال :

(وللآخرة خير لك من الأولى) أى وإن أحوالك فى مستأنف حياتك خير لك عامضى منها ، وأن كل يوم سنزداد عزّا إلى عزّ ، وسيرتفع شأنك كل يوم عاقبله ، وسأمنحك كل آن جلالا فوق جلالك ، ورفسة فوق رفستك؛ وكأنه يقول له لانظنّن أنى كرهتك أو تركتك ، بل أنت عندى اليوم أشد تمكيناً وأقرب اتصالا.

وتقد صدق الله وعده ؛ فمــا زال يسمو بنبيه ، و يرفع درجته يوما بعد يوم حتى بلغ الناية التى لم يبلغها أحد قبله ، فجمله رسول الرحمة والهداية والنور إلى جميعخلقه ، وجعل محبته من محبة الله ، واتباعه والاقتداء به سبباً للموز العظيم بنعيمه ، وجعله وأمته شهداء على الناس جميماً ، ونشر دينه ، و بلّـغ دعوته إلى أطراف الممورة ؛ فأى فضل فوق ذلك الفضل ؟ وأى نسمة أضفى من هذه النعمة ؟ وأى إكرام فوق هذا الإكرام ؟ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ثم زاده في البشرى فقال :

(ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى ولسوف يظاهر ربك عليسك نعمه ، و يوالى عليك مننه ، ومنها توارد الوحى عليك بمـا فيه إرشادك وإرشاد قومك إلى مافيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وسيظهر دبنك على الأديان كلها ، وتعلو كلتك و يرتفع شأنك على شئون الناس جميعاً .

أَلْمُ يَجِدْكَ بَيْمِهَا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ صَالاً فَهَدَّى (٧) وَوَجَدَكَ عَالاً فَهَدَّى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغَى (٨) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١٠) عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١١) .

شرح المفردات

ضالا فهدى : أى غافلا عن الشرائع فهداك إلى مناهجها ، عائلا : أى فقيراً . فلا تقهر : أى فلا تستذل ، فلا تنهر : أى فلا تزجر ، لحدّث : أى فأدّ الشكر لموليها.

المعنى الجملي

بعد أن ذكر رضاه عن رسوله ، ووعــده له أن يمنحه من المراتب والدرجات. مايرضيه ، ويثلج قلبه — أردف ذلك بيان أن هذا ليس مجبًا منه جل شأمه ، فقد أنم عليه بالنمم الجليلة قبل أن يصير رسولا ؛ فكيف يتركه بعد أن أعده لرسالته ، ثم نهاه عن أمرين : قهر اليقيم وزجر السائل ، لمما لهما من أكبر الأثر فى التعاطف والتعاون فى المجتمع ، ولما فيهما من الشققة بالضعفاء وذوى الحاجة ، ثم أمره بشكره على نسمه المتظاهرة عليه باستمال كل منها فى موضعها وأداء حقها .

الإيضاح

(ألم يجدك يتيا فآوى) أى ألم تكن يتيا الأب لك يُعنى بتربيتك ، ويقوم بشئونك ، ويهتم بتنشئتك ؛ فسا زال يحميك ويتمهدك برعايته ، ويجنبك أدناس الجاهلية وأوضارها حتى رقيت إلى ذروة الكمال الإنسانى .

وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم يتيا ، إذ توفى أبره وهو فى بطن أمه ، فلما ولد عطف الله عليه قلب جده عبد المطلب ، فما زال يكفله خير كفالة حتى توفى والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ فى سن الثامنة ، فكفله عمه أبوطالب بوصية من عبد المطلب ، فكان به حنيًّا ، شديد العناية بأمره ، وما زال يتمهده حتى كبر وترعرع ، حتى أرسله الله رسولا ، فقام يؤازره وينصره ، ويدفع عنه أذى قريش حتى مات ، فاستطاعت قريش أن تنال منه ، وتجرًّ عليه سفهاؤهم ، وسلطوا عليه غلمانهم ، حتى اضطروه إلى الهجرة .

(ووجدك ضالاً فهدى) أى ووجدك حائرا مضطر با فى أمرك ، مع اعتقادك أن قومك ليسوا على بصيرة من أمرهم ؛ فسيادتهم باطلة ، ومعتقداتهم فاسدة ، وكان يفكر فى دين اليهودية ، ثم يرى اليهود أنسهم ليسوا على حال خير من حال قومه ، إذ بدلوا دينهم ، وخالفوا ما كان عليه رسولهم ، فيبدو عليه الإعراض عنه ، ثم يفكر فى دين عيسى عليه الصلاة والسلام ، فيرى النصارى على حال شر من حال اليهود ، فيرجع عن التفكير فيه ، وهو أى لايقرأ ولا يكتب ، ولا يعرف ما حوته تلك الأديان من الأحكام والشرائع .

وأعظم أنواع حَيرته ماكان يراه فى العرب أنفسهم من سخف فى العقائد ، وضعف فى البصائر ، باستيلاه الأوهام عليهم وفساد أعمالهم ، وشؤمها فى أحوالهم ، بتغرق الكلمة ، وتفانيهم فى سفك الدماه ، والإشراف على الهلاك باستبعاد الغرباء لهم ، وتحكهم فيهم ؛ فالحبشة والفرس من جانب ، والرومان من جانب آخر .

ف العمل في تقويم عقائدهم ، وتخليصهم من تحكم العادات فيهم ؟ وأيّ الطرق
 ينبغي أن يسلك في إيقاظهم من سباتهم ؟

وقصارى ذلك ، إنه كان فى قرارة نفسه يعتقد أن قومه قد ضلوا سواء السبيل ، وبدلوا دين أيهم إبراهم ، وكانت حال أهل الأديان الأخرى ليست خيراً من حالهم للأديان الأخرى ليست خيراً من حالهم لكن الأله الحسكم لم يتركه ونفسه ، بل أنزل عليه الوحى يبين له أوضح السبل كما قال : ﴿ وَكُذَلِكَ أَوْحَيْنًا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ » .

(ووجدك عائلاً فأغنى) أى إنك كنت فقيرا لم يترك لك والدك من اليراث إلا ناقة وجارية ، فأغناك بمما أجراه لك من الربح فى التجارة ، وبمما وهبته لك خديجة من مالها .

وخلاصة مانقدم -- إن من آواك فى يتمك ، وهداك من ضلاتك ، وأغناك من فترك ، لايتركك فى مستقبل أمرك .

و بعد أن بين نسه السابقة طَّالبه بشكر هذه النعم وأداء حقها فقال :

(فأما اليتيم فلا تقهر) أى لانقير اليتيم ولا تستذله ، بل ارفع نفسه بالأدب ، وهذ به بمكارم الأخلاق ، ليكون عضوا نافعا فى جماعتك ، لائجر ثومة فساد يتمدى أذاها إلى كل من يخالطها من أمتك .

ومن ذاق مرارة الضيق في نسه ، فما أجدره أن يستشمرها في غيره ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقيا ، فباعد الله عنه ذل اليتم فآواه ، فمن أولى منه بأن يكرم كل يقيم شكرا لله على نسمته .

(وأما السائل فلا تنهر) أى وأما المستجدى فلا ترجره، ولكن تفضل عليه بشئ أو ردّه ردًّا جميسلا، وقد يكون الراد من (السائل) المسترشد، وهو أبضا. يُطلب الرفق به وبيان ماأشكل عليه من الأمر.

(وأما بنصة ربك فحدّث) أى أوسع فى البذل على الفقراء بمالك ، وأفض من نسمه الأخرى على طالبيها ، وليس المراد مجرد ذكر الثروة والإفاضة فى حديثها ، فإن ذلك ليس من كرم الأخلاق فى شئ .

وقد جرت عادة البخلاء أن يكتموا مالهم ، لتقوم لهم الحجة فى قبض أيديهم عن البـــذل ، ولا تجدهم إلا شاكين من القُلّ ؛ أما الــكرماء فلا يزالون يظهروز بالبذل بما آتاهم الله من فضله ، و بجهرون بالحد لما أفاض عليهم من رزقه .

وقد استفاضت الأحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم كان كثير الإنفاق على الفقراء ، عظيم الرأفة بهم ، واسع الإحسان إليهم ، وكان يتصدق بكل مايدخل في ملكه ويبيت طاريا .

اللهم صل على تحمد عبدك ، ورسولك الذي أوحيت إليه وأرضيته ، وشرحت صدره ، واجملنا من الذين يقتفون آثماره ، و يتبعون سنته .

مقاصد السورة الكريمة

اشتملت هذه السورة على أربعة مقاصد:

- (١) أن الله ماقلا رسوله ولا تركه .
- (٣) وعد رسوله بأنه سيكون في مستأنف أمره خيرا من ماضيه .
 - (٣) تذكيره بنعمه عليه فيما مضى وأنه سيواليها عليه .
 - (٤) طلب الشكر منه على هذه النعم .

سورة الشرح

هي مكية ، وآيها ثمان ، نزلت بعد سورة الضحى .

وهی شدیدة الاتصال بما قبلها حتی روی عن طاوس وعمر بن عبد المر بر أنهمه كانا يقولان : هما سورة واحدة ، وكانا يقرآ نهما في الركمة الواحسدة ، وما كانا يفصلان بينهما بالبسملة ، ولسكن للتواتر كونهما سورتين و إن كانتا متصلتين معنى ، إذ في كل منهما تمداد النيم وطلب الشكر عليها .

بِسْم ِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم ِ

أَلَمُ ۚ نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَمْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٣) الَّذِي أَنْتَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَمْنَا لَكَ ذِكْرِكُ (٤) .

شرح المفردات

الشرح: البسط والتوسعة، والعرب تطلق عظم الصدر وتريد به القوة وعظيم المُنة، والمسرة وانبساط النفس، و يفخرون بذلك في مدائحهم، ، من قبَل أن سعة الصدر تمطى الأحشاء فسحة للنمو والراحة ، وإذا تم ذلك للمرء كان ذهنه حاضرا لايضيق ذرعا بأس ، والوزر : الحسل الثنيل ، وأنقض : أى أثقل ، والظهر إذا أثقله الحل سمع له نقيض ، أى صوت خنى .

الإيضاح

(ألم نشرح لك صدرك) أى إنا شرحنا لك صدرك، فأخرجناك من الحيرة التى كنت تضيق بها ذرعا، بما كنت تلاقى من عباد قومك واستكبارهم عن اتباع الحق، وكنت تتلس الطريق لهدايتهم، فهديت إلى الوسيلة التى تنقذهم بها من التهلكة، وتجميهم الردى الذي كانوا مشرفين عليه.

وقصارى ذلك — إنا أذهبنا عن نفسك جميع الهموم حتى لاتقلق ولاتضجر ، وجملناك راضى النفس ، مطمئن الخاطر ، واثقا من تأييد الله ونصره ، عالماكل العلم أن الذى أرسلك لايخذلك ، ولا يعين عليك عدوا .

(ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك) أى حططنا عنك ما أقتل ظهرك من أعباء الرسالة حتى تبلغها ، فجملنا التبليغ عليك سهللا ، ونفسك به مطمئنة راضية ، ولو قو بلت بالإساءة بمن أرسلت إليهم كايرضى الرجل بالعمل لأبنائه ويهتم بهم ، فالعب، مهما ثقل عليه يخففه مايجيش بقلبه من العطف عليهم ، والحدب على راحتهم ، ويتحمل الشدائد وهو راض بما يقامى في سبيل حياطتهم وتنشئتهم .

(ورفعنا لك ذكرك) أى وجملناك عالى الشأن ، رفيع للنزلة ، عظيم القدر ، وأىُّ منزلة أرفع من النبوة التي منحكها الله ؟ وأى ذكر أنبه من أن يكون لك فى كل طرف من أطراف للمدورة أتباع بتشاون أوامرك ، ويجتنبون ثواهيك ، و يرون طاعتك مَنْهَا ، ومعصيتك مغرّما .

وهل من فخار بعد ذكرك في كلة الإيمان مع العليّ الرحمن ؟ وأى ذكر أرفع

من ذكر من فرض الله على الناس الإفرار بنبوته ، وجمل الاعتراف برسالته بمد بلوغ دعوته ، شرطا فى دخول جنته .

هذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم أنقذ أنما كثيرة من رق الأوهام ، وفساد الأحلام ، ورجع بهم إلى الفطرة الأولى من حرية المقل والإرادة ، والإصابة فى معرفة الحق ، ومعرفة من يقصد بالعبادة ، فاتحدت كلتهم فى الاعتقاد بإله واحد بعد أنكانوا متفرقين طرائق قددا ، عبّاد أصنام وأوثان ، وشموس وأقمار ، لا يجدون إلى الهدى سبيلا ، ولا للوصول إلى الحق طريقا ؟ فأزاح عنهم تلك النّعة ، وأنار لهم طريق الهدى والرشاد.

فَإِنَّ مَعَ الْمُسْرِ يُسْرًا (ه) إِنَّ مَعَ الْمُسْرِ كِسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْسَتِ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبِ (٨) .

شرح المفردات

المسر : الفقر والضعف وجهالة الصديق وقوة المدو و إنكار الجميل ، فرغت : أى من عمل ، فانصب : أى اتسب .

المعنى الجملي

بعد أن أبان بعض نعمه على رسوله من شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر بعد استحكام الكرب ، وضيق الأسم — ذكر أن ذلك قد وقع على ماجرت به سنته فى خلقه ، من إحداث اليسر بعد السسر ، وأكد هذا بإعادة القضية نفسها مؤكدة لقصد تقريرها فى النفوس وتمكينها فى القلوب .

الإيضاح

(فإن مع العسر يسرا) أى فإن مع الضيق فرجا ، ومع قلة الوسائل إلى إدراك للطلوب تُحْرِجا إذا تدرّع للرء بالصبر وتوكل على ربه ، ولقد كان هذا حال اللهي صلى الله عليه وسلم فإنه قد ضاق به الأسر فى بادئ أسره قبل النبوة و بعدها إذ تألب عليه قومه ، لكن ذلك لم يُثني عن عزمه ، ولم يفلُل من حدّه ، يل صبر على مكروههم وألق بنفسه فى غرات الدعوة متوكلا على ربه ، محقسبا نفسه عنده ، راضيا بكل مابجد فى همذا السبيل من أذى ، ولم نزل هذه حاله حتى قيض الله له أنصاراً أشريت قلوبهم حبه ، ومئت نفوسهم بالرغبة الصادقة فى الدفاع عنه وعن دينه ، ورأوا أن لاحياة لهم إلا بهدم أركان الشرك والوثنية ، فاشتروا ماعند الله من جزيل الثواب بأرواحهم وأموالهم وأزواجهم ، ثم كان منهم من قوض دعأم من جزيل الثواب بأرواحهم وأموالهم وأزواجهم ، ثم كان منهم من قوض دعأم كالكاسة ، وأباد جيوش الأباطرة والقياصرة .

وقصارى ذلك — إنه مهما اشتد السسر ، وكانت النفس حريصة على الخروج منه ، طالبة كشف شدته ، مستعملة أجل وسائل الفكر والنظر فى الخلاص منه ، معتصمة بالتوكل على ربها ، فإنها ولا ريب ستخرج ظافرة مهما أقيم أمامها من عقبات ، واعترضها من بلايا ومحن .

وفى هذا عبرة لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيبدّل حاله من الفقر إلى الغنى ، ومن قلة الأعوان إلى كثرة الإخوان ، ومن عداوة قومه إلى عبتهم ، إلى أشباه ذلك. ثم أعاد الأساوب للتوكيد فقال :

(إن مع العسر يسرا) إذا احتملت ذلك العزيمة الصادقة ، وعملت بكل ما أوتيت من قوة على التخلص منه ، وقابلت مايقع من عسر بالصير والأخذ بأسباب تفريجه ولم تستبطئ الفرج ، فيدعوها ذلك إلى التوانى وفتور العزيمة

و بعد أن بين نسمه على رسوله ووعده بتغريج كربه -- طلب منه أن يقوم بشكر هذه النمم بالانقطاع لصالح العمل والانكال عليه دون من عداه فقال : (فإذا فرغت فانصب) أى فإذا فرغت من عمل فاتعب فى مزاولة عمل آخر ، فانك ستحد فى المثامرة لذة تقرُّ هما عينك ويثلّج لها صدرك . وفي هذا حث له عليه الصلاة والسلام على للواظبة على العمل واستدامته .

(و إلى ر بك فارغب) أى ولا ترغب فى تواب أعمالك وتشميرها ، إلا إلى ر بك وحده ، وإنه هو الحقيق بالتوجه إليه والضراعة له ، والحمد فله رب السلمين ، وصلاته وسلامه على سيد الم سلين .

مقاصد السورة

تشمل هذه السورة الكرعة على أربعة مقاصد:

- (١) تعداد ما أنهم به على رسوله من النهم .
- (٣) وعده له بإزالة مانزل به من الشدائد والحن .
 - (٣) أمره بالمداومة على الأعمال الصالحة .
 - (٤) التوكل عليه وحده ، والرغبة فيا عنده .

سيبورة التين

هي مكية ، وآياتها ثمان ، نزلت بعد سورة البروج .

ومناسبتها لما قبلها -- أنه ذكر فى السورة السابقة حال أكل خلق الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر هنا حال النوع الإنسانى وما ينتهى إليه أمره ، وما أعد سبحانه لمن آمن برسوله .

بِسْم ِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتَّبِنِ وَالرَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأُمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَفْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقُويِمِ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)

لهد خلفنا الإنسان في احسن مويم (؛) ثم ردده اسفل سافيلين (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَمِيُّوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ ثَمْنُونِ (٦) فَا يُكذَّبُكَ بَمْدُ بِالدِّنِ (٧) أَيْسَ اللهُ بَأَحكَم الْحاكمينَ (٨) .

شرح المفردات

المراد بالتين كما قال الأستاذ الإمام هنا : عهد الإنسان الأول الذي كان يستظل فيه بورق التين حينا كان يسكن الجنة ؛ والمراد بالزيتون : عهد نوح عليه السلام وذريته حينا أرسل الطير فحمل إليه ورقة من شجر الزيتون ، فاستبشر وعلم أن الطوفان انحسر عن الأرض ، وطور سينين : الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عنده ، والبلد الأمين : مكة التي كرمها الله بالكمبة ، والتقويم : جمل الشيء على ماينيني أن يكون عليه في التأليف والتعديل ؛ يقال قوّمه تقو يماً ، واستقام الشيء وتقوم : إذا جاء وفق التقويم ، وممنون : أي مقطوع ، والدين الجزاء بعد البعث .

الإيضاح

(والتين) أى قسما بعصر آدم أبى البشر الأول ، وهو العهد الذى طفق فيه آدم وزوجه يخصفان عليهما من ورق الجنة .

(والزيتون) أى وقسا بعصر الزيتون عصر نوح عليه السلام وذريته حينا أهلك الله وذريته حينا أهلك الله ماجاءته بعض أهلك الله من أهلك الله من ماجاءته بعض العلود حاملة ورقة من هسذا الشجر فاستبشر ، وعلم أن غضب الله قد سكت وأذن الله ورض أن تبتلم ماءها لتصر و يسكنها الناس ، ثم أرسى السفينة ونزل هو وأولاه و وكروا الأرض .

وقصاری ذلك -- إن اثنين والزيتون يذّ كران بهذين المصرين حصر آدم أبى البشر الأول، وعصر نوح أبى البشر الثانى .

(وطور سينين) وهو تذكير بماكان عند ذلك الجبل من الآيات الباهرات التي ظهرت لموسية ، وماكان بعد ذلك من إنزال التوراة عليه ، وظهور نور التوسيد بعد أن تدنست جوانب الأرض بالوثنية ، وما زال الأنبياء بعده يدعون أقوامهم إلى التمسك بهذه الشريعة ، ثم عرضت لها البدع ، فجاء عيسى مخلّصاً لها مما المابها ، ثم أصاب قومه ما أصاب الأم قبلهم من الاختلاف في الدين ، حق من الأختلاف في الدين ، حق من الأشاف في الدين ، حق من الأشاف في الدين ، حق

(وهــذا البلد الأمين) الذى شرفه الله بميلاد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكرّسه بالبيت الحرام .

وخلاصة ماسلف — إن الله أقسم بهذه العهود الأربعة التى كان لها أثر بلرز فى تاريخ البشر، وفيها أنقذ الناس من الظلمات إلى النور .

نم ذكر الحلوف عليه نقال :

(لقد خلفنا الإنسان في أحسن تقويم) أى لقد خلفنا الإنسان في أحسن صورة ، فجلناه سديد القامة ، حسن الرِدّة ، يتناول مايريد بيده لا كسائر الحيوان بقناول مايريد بغيه ؛ إلى أنه خصه بالمقل والنميز والاستمداد لقبول العلام والمارف، واستنباط الحيل التي بها يستطيع أن يكون له السلطان على جميع الكائنات ، وله من الحول والطّرْل مايمند إلى كل شيء .

وهذا ما أشار إليه بقوله :

(ثم رددناه أسفل سافلين) أى إنه استشرى فيه الفساد ، وأمعن في سبيل المضلالة ، ونسى فطرته وعاد إلى حيوانيته ، وتردّى فى هاوية الشرور والآثام إلا من عصمهم الله فظاوا هلى فطرتهم التى فطرتم عليها ، وهم من عناهم سبحانه بقوله :

(إلا الذين آمنوا وعماوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) أى إلا الذين أشر بت قلوبهم عقيدة الإيمان ، وعرفوا أن لهذا الكون موجدا ديّر أمره ، ووضع لخلقه شرائع يسيرون على نهجها ، وأيقنوا أن الشر جزاء وللخير شله .

وهؤلاء سيمطون أجر صالح أعمالهم إذا انتقلوا إلى الحياة الثانية ، وهم أتباع الأنبياء ومن هداهم الله إلى الحق من كل أمة .

ثم وبخ المشركين على التكذيب بالجزاء بعد ظهور الدليل عليه فقال : (فما يكذبك بعد بالدين؟) أي فأي سبب بحملك أبها الإنسان على التكذيب بالجزاء على أعمالك بعد أن تظاهرت لديك الأدلة على ذلك ، فإن الذى خلقك من نطقة ثم ميَّرك بشراً سويًّا — قادر على أن يبمثلك و يحاسبك فى نشأة أخرى . ومن شاهد ذلك وتدبره وأعمل فيه فكره ثم بقى على عناده ، فقد مأمس على بصيرته وضل سواء السبيل .

ثم زاد ماسلف توكيدا فقال :

(أليس الله بأحكم الحاكين) صنماً وتدبيراً ، ومن ثم وضع الجزاء لهذا النوع الإنساني ، ليحفظ له منزلته من الكرامة التي أعدها له بأصل فطرته ، ثم انحدر منها إلى المنازل السنلي بجهله وسوء تدبيره ، ولهسذا أرسل له الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الشرائع ليبينوها له ويدعوه إليها رحمة به .

سورة العلق

هي مكية ، وآياتها تسع عشرة ، وهي أول مانزل من القرآن .

ومناسبتها لمـا قبلها — أنه ذكر هناك خلق الإنــان فى أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنــان من علق، إلى أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ماهو كالشرح والبيان لمـا سلف .

يسم الله الرَّ ممن الرَّحيم

اقرأً بِأَسْم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ (٢) افْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلِّمَ بِالْلَهَلِمَ (٤) عَلِّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمَ "بَيْنَلُمْ (٥) .

تَقَدِّمة تاريخية

جاء فى صحيح الأحاديث أن النبى صلى الله وسلم كان يأتى غار حِراء (حراء جبل بمكة) يتعبد فيه الله فوات المدد، ثم يرجع الى خديجة فيترو دلمثلها، حتى فجأه الوجى وهو فى الغار إذ جاءه الملك فقال له : اقرأ ، قال ما أنا بفارى ، قال فأخذه ثانية ففطة حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال :اقرأ ، قال ماأنا بقارى أقال فأخذه ثالثة ففطة حتى بلغ منه الجهد فقال : اقرأ أباش رَبِّكَ الذي خَلَقَ . خَلَقَ . فَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقَ . اقرأ أورَبُّكَ الأَ حُرَّمُ . اللَّذِي عَلَمٌ بِالْفَلَمَ . عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا الْإِنْسَانَ مَا اللهِ مُنْهَا . عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا اللهِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى . عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا اللهِ عَلَى . عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا اللهِ عَلَى . عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . عَلَمَ اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى . اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ ال

قال الرواة : فرجم تر مُجُف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : رَسَّاوَى رَمَاوَى ، فزماوه حتى ذهب عنه الرَّوْع ؛ فأخبر خديجة الخبر ، ثم قال : قد خشيت على نسى، مقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لايخز يك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الككلَّ ، وتقرى الضيف ، وتُعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت وَرَقة بن نوفل بن أسد بن عبد المُرَى (ابن هم خديجة) وكان امراً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب المربى ، وكتب بالمبرانية من الإنجيل ماشا، الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيراً قد تحمى ، فقالت خديجة : أى ابن عب ، اسمه من ابن أخيك ، فقال وَرَقة : ابن أخي ماترى الأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم عا رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على عبسى ، ليننى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله عليه وسلم : أو نخرجي هم ؟ فقال ورقة : نم ، لم يأت أحد قط بمشل ماجشت به إلا عُودى ، وإن بدركنى يومك أنصرك نصراً مُؤرَّرا ، ثم لم ينشب أن ماجشت به إلا عُودى ، وإن بدركنى يومك أنصرك نصراً مُؤرَّرا ، ثم لم ينشب أن

ومن ذلك تعلم أن صدر هــذه السورة هو أول ما نزل من القرآن الـكريم ، وأول رحمــة رحم الله بها عباده ، وأول خطاب وُجَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما بقية السورة فهو متأخر النزول ، نزل بمد شيوع بشته صلى الله عليه وسلم و بعد أن دعا قريشا إلى الإيمان به ، وآمن به قوم منهم ، وكان جهرتهم يتحرشون بمن آمن به ويؤقونهم ، ويحاولون ردهم عن تصديقه ، والإيمسان بمساجاء به من عند ربه .

الإيضاح

(اقرأ باسم ربك الذي خلق) أى صر قارنا بقدرة الله الذي خلقك و إرادته بعد أن لم تكن كذلك ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن قارنا ولا كاتبا ، وقد جاءه الأسم الإلمى بأن يكون قارئا و إن لم يكن كانبا ، وسيُعزل عليسه كتابا بقرة و إن كان لا يكتبه . وقصاری ذلك — إن الذى خلق الكائنات وأوجدها ، قادر أن يوجد فيك القراءة ، و إن لم يسبق لك تملُّها .

ثم بين كيفية الخلق فقال :

(خلق الانسان من علق) العلق: الدم الجامد، أى إن الذى خلق الانسان وهو أشرف المخلوقات كلما من العلق، وآتاه القدرة على التسلط على كل شى مما فى هذا العالم الأرضى، وجعله يسوده بعلمه، ويسخره لخدمته، قادر أن يجعل من الإنسان الكامل كالنبي صلى الله عليه وسلم قارئًا وإن لم يسبق له تعلَّم القراءة.

والخلاصة - إن من كان قادرا على أن يخلق من الدم الجامد إنسانا حيا ناطقا يسود المخلوقات الأرضية جيمها ، قادر أن يجمل محمدا صلى الله عليه وسلم قارئا وإن لم يتملم القراءة والكتابة .

(اقرأ) أي افعل ما أمرت به من القراءة .

وكرر الأمر لأن القراءة لاتكسبها النفس إلا بالتكرار والتعود على ماجرت به الهادة ؛ وتكرار الأمر الإلهى يقوم مقام تكرار للقروه ، وبذلك تصير القراءة ملكة لذي صلى الله عليه وسلم ، تدبر قوله تعالى : « سَنَقُرِثُكَ فَلَا تَنْسَى» .

ثم أزاح المذر الذي بينه صلى إلله عليه وسلم لجبريل سين قال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ ، أي إنى أميّ لا أقرأ ولا أكتب فقال:

(ور بك الأكرم) أى ور بك أكرم لكل من يرتجى منه الإعطاء ، فيسير" عليه أن يفيض عليك نسة النراءة من مجاركرمه .

ثم أراد أن يزيده اطمئنانا بهذه الموهبة الجديدة فقال:

(الذي علم بالنقل) أى الذي جمل النقم واسطة التفاهم بين الناس على بُدُ الشُقة ، كا أضهم بون الناس على بُدُ الشُقة ، كا أضهم بوساطة اللسان ؛ والنقل آلة جامدة لاحياة فيها وليس من شأنها الإفهام ، فن جمل من بالجاد الميت الصامت آلة الفهم والبيان . أضعمب عليه أن يجمل منك كارتا مبينا ، واليا معلل ، وأنت إنسان كامل ؟

وقد وصف سبحانه نفسه بأنه خلق الإنسان من علق، وأنه علمه بالنلم ، ليبين أحوال هذا الإنسان، وأنه خلق من أحقر الأشياء ، وبلغ في كاله الإنسان، أن صار علما بحقائق الأشياء ، فكا نه قبل : تدبر أيها الإنسان تجد أنك قد انتقلت من أدنا الراتب وأخسها ، إلى أعلى الدرجات وأرفعا ، ولا بدلذلك من مدبر قادر حكم أحسن كل شئ خلقه .

ثم زاد الأمر بيانا بتعداد نعمه فقال:

(علم الإنسان مالم يعلم) أى إن من صدر أمره بأن يكون رسوله صلى الله عليه وسلم قارئا ، هو الذى علم الإنسان جميع ماهو متمتع به من العلم ، وممتاز به عن غيره من الحيوان ، وكان فى بده أمره لايعلم شيئا ، فهل من عجب أن يعلمك القراءة ، ويعلمك كثيرا من العلوم سواها ، ونفسك مستعدة لقبول ذلك .

وف الآية دليل على فضل القراءة والكتابة والملم .

ولممرك لولا القم ماحفظت الدلوم ، ولا أحصيت الجيوش ، ولضاعت الديانات ، ولا عرف الأوائل ، وعلومهم ومخترعاتهم وقنونهم ، ولما سُجِّل تار بح السابةين : السيئين منهم والمحسنين ، ولا كان علمهم نبراسا يهتدى به الخلف ، و يبغى عليه مابه ترق الأمم ، وتنتدم المخترعات .

كما أن فيها دليلا على أن الله خلق الإنسان الحي الناطق بما لاحياة فيه ولانطق ، ولاشكل ولاصورة ، وعلمه أعضل العلوم وهي الكتابة ، ووهبه العلم ولم يكن يعلم شيئا ، فما أمجب غفلتك أيها الإنسان !.

كلاً إِنَّ الْإنْسَانَ لَيَطْنَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَفْنَى (٧) إِنْ إِلَى رَبَّكَ الرَّجْمَى (٨) أَرَأَ إِلَى رَبَّكَ الرُّجْمَى (٨) أَرَأَ يُتَ الذِّي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَى (١٠) أَرَأَ يْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُدُّنَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالنَّقْوَى (١٣) أَرَأَ يْثَ إِذْ كَذْبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَشْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَنْ لَمْ يَثْنَهِ لَنَسْفَمَا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُو الرَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَاَنْطِيمُهُ وَاسْجُدُ وَافْتَرَبْ (١٩) .

شرح المفردات

المراد بالإنسان: أى فرد من هذا النوع ، يعلنى : أى يتكبر و يتمرد ، استفى : أى صار ذا مال وأعوان يغنى بهما ، والرجى والمرجع والرجوع : المصير والعودة ، أرأيت : أى أخبرنى ؛ والمراد من الاستخبار إنكار الحذل المستخبر عنها وتقبيمها على نحوماجا فى قوله تعالى : هأر أيت الذى بُكذَبُ بالدَّبِن ؟ والسفع : الجذب بشدة، والناصية : شعر الجبهة ؛ والمراد بذلك القهر والإذلال بأشد أنواع المذاب، والنادى : للكان الذى يجتمع فيه القوم ، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله قال زهير :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم وأنديةٌ ينتابها القول والنمل والزبانية : واحدهم ز بُنية (بكسر فسكون) وز بُنى (بالكسر) ؛ وللراد بهم الملائكة الذين أقامهم الله على تعذيب العصاة من خلقه .

المعنى الجملي

بعد أن ذكر سبحانه في مطلع السورة دلانن التوحيد الطاهرة ، ومظاهر القدرة الباهرة ، وعلامات الحكمة ودقة الصنع ؛ وكان ذلك كله بحيث يبتعد من العاقل ألا يلتفت إليه ، أنبعه جل شأنه ببيان السبب الحقيق في طنيان الإنسان وتكبره وتماديه ، وهو حبه للدنيا ، واشتذاله بها ، وجعلها أكبرهمه ، وذلك يعمى قلبه ، ويجمله ينفل عن خالقه ، وما يجب له في عنقه من إجلال وتعظيم ؛ وقد كان ينبغى أن يكون حين الفنى ولليسرة ، وكثرة الأعوان ، والساع الجله ، أشد حاجة إلى الله

منه فى حال الفقر والمسكنة ، لأنه فى حال فقره لا يتمنى إلا سلامة نفسه وأعضائه ، أما فى حال الغنى فيتمنى ذلك و يتمنى سلامة نماليكه وأنباعه وأمواله .

ألا يعلم أنه راجع إلى ربه فجاز به على مايعمل ؟ وقد بلغ من حمقه أن يأمر و ينهى ، وأنه يوجب على غيره طاعته ، ثم هو بعد ذلك يعرض عن طاعة ربه .

أما ينبغى له أن يهتدى ويشتغل بأص نفسه ؟ فمن كان ذا عقل ورأى وثروة وجاه وأعوان ، واختار الهدى ، وتخلق بأخلاق للصلحين ، كان ذلك خيرا له ، وأجدى .

و إنا لننكلنَّ به نكالاً شديدًا فى العاجلة ، ونهينَةً يوم العرض والحساب ، وليدْعُ أشاله من الفرورين ، فإنهم لن يمنعوه ، ولن ينصروه .

ثم ختم السورة بأمره بالتوفر على عبادة ر به فعلا و إبلاغا للناس ، مبتقياً بذلك الفر بى منه .

الإيضاح

(كلا إن الإنسان ليطنى. أن رآه استغنى) أى حقا إن أمر الإنسان لمجيب فإنه متى أحسَّ من نفسه قدرة وثروة خرج من الحد الذي يجب أن يكون عليه ، واستكبر عن الخشوع لربه ، وتطاول بأذى الناس ، وعدَّ نفسه فوقهم جميمًا ، وقد كان من حقه أن يكون و إيام أعضاء أسرة واحدة يتعاونون فى السراء والضراء . وعب الخار لهم كما يجب لنفسه .

روى البخارى : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . وروى عن على فى نصيحته لابنه الحسن : « أحب الخير لنسيرك كا تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لهـا » .

وقد حكم على الإنسان باعتبار الأعم الأغلب فى أفراده ، و إلا فإن النفى والقوة فى أبدى الأنقياء من وسائل الخير ، وأفضل أسباب السمادة الدنيوية والأخروية ، لأنهم يستعباونهما فيا يرضى ربهم ، ويعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم .

ثم حذر من الطفيان وأنذر من عاقبته ، وأبان أن ماييد الطاغى عارية ، وليست نفسه بباقية ، وأن مرجم الأمركله ثه فقال :

(إن إلى ربك الرجمى) أى إن المرجم إلى ربك وحده ، وهو مالك أمرك وما تملك . وسيتبين لك عظيم غرورك حينا تخرج من هذه الحياة ، وتظهر فى مظهر الذل ، وتصاسب على كل ما اجترحته فى حيانك الأولى ، قال أو كثر ، عظم أوحقر كما قال : « وَلاَ تَحْسَرَنَّ اللهُ عَالِلاَ مُمَّا يَشْلُ الظَّلِوُنَ ، إِنْمَا يُوَخَرُّهُمْ لِيَوْم. تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، مُهْطِعِينَ مُقْيعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُ إلْيَهِمْ مَرَّ فَهُمْ وَأَفْدَدَنَهُمْ هَوَاهِ »

نم أعقب ماتقدم بالرعيد والتهديد والتعجيب فقال:

(أرأبت الذى ينهى. عبدا إذا صلى)أى أخبرنى عن حال هذا الأحمى ، فإن أمره لعجب ، فقد بلغ به الكبر والخمرد والعناد أن ينهى عبدا من عبيد الله عن صلاته ، ويعتقد أنه نجب عليه طاعته ، وهو ليس مخالق ولا رازق ، فكيف بستسيغ ذلك لنفسه ، ويعرض عن طاعة الحالق الرازق .

وقد روى أن عليا كرم الله وجهه رأى قوما يصاون قبل صلاة النهيد فقال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسبلم يفعل ذلك فقيل له : ألا تنهاهم ؟ فقال : أخشى أن أدخل تحت قوله تمالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الّذِي يَنْهَى . عَبْدًا إِذَا صَلّى ﴾ .

(أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى) أى أخبرنى عن حال ذلك الطاغية لو تخلق بأخلاق المصلحين ، ودعا إلى البر وتقوى الله ، أما كان ذلك حيرا له من الكفر به والنهى عن طاعته ، فإن ذلك بفوت عليه أعلى الراتب ، ويجمله . في أحط الدركات وأدناها .

والخلاصة - أماكان الأفضل له أن بهتدى ويهدى غيره إلى خصال البر والخير ، وقد كانت هذه حال التبى صلى الله عليه وسلم ، فسله كان إما فى إصلاح نفسه بالمبادات من صلاة وصيام وغيرهما ، وإما فى إصلاح غيره بأمره بالتقوى ودعائه إليها .

(أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم فإن الله يرى) أى أنبتنى عن حال هذا الكافر، إن كذب بدلائل النوحيد الظاهرة ، وأمارات القدرة الباهرة ، وأعرض عن دعوتك والاستماع لهديك ، ودعا الناس إلى مثل ذلك أفلا يخشى أن تحل به قارعة ، ويصيبه من عذاب الله مالا يقبل له باحتاله ؟ ألا عقل له يرشده إلى أن خالق هذا الكون مطلع على عمله ، وأنه حكم لا يهمل عقابه ، وأنه سيؤاخذه بكل ما اقترف من جُرم ؟

ولا يخني مانى هذا من تهديد وتخويف للمصاة والمذنبين .

ثم زاد في الزجر والوعيد فقال :

(كلا ائن لم ينته لنسفما بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة) أى لايستمرنَّ بهدا الكافر جهله وغروره وطفيانه ، قسها لئن لم ينته عن هذا الطفيان ، و يكفّ عن نهى المصلى عن صلاته لنأخذن بناصيته ولنذيقته العذاب الأليم .

لاً إن تلك الناصية لكاذبةلغرورها بقوتها. مع أنها في قبضة خالتها ، فهي تزعم ما لاحقيقة له ، و إنها لخاطئة ، لأنها طفت وتجاوزت حدها ، وعتت عن أمر ربها .

ونسبة الكذب والخطيئة إلى الناصية ، والكاذبُ والمخطئ صاحبها، من قِبل أنها مصدر الغرور والكبرياه .

وقد أُمر هذا الحكافر على ضرب من التهكم والنو بينخ بأن يدعو أهل الدفاع من قومه وذوى النجدة والبطش لينقذوه تما سيحل مه نقال :

(فليدع ناديه . سندعُ الزبانية) أى فليجمع أمثاله بمن ينتدى معهم ليمنع المصاين المخلصين ، ويؤذى أهل الحق الصادقين ، فإنه إن فعل ذلك تعرض لسخط

ر به والتنكيل به ، وسندعو له من جنودنا كل قوى متين لاقبل له بمثالبته فيهلكه فى الدنيا ، أو برديه فى النار فى الآخرة .

والمراد بهم الملائكة الذين أقامهم الله على تعذيب المصاة من خلقه ، وسمّوا زبانية لأنهم يزُ بُدُون الكمّار في النار أي يدفعونهم و يسوقونهم إليها .

روى أن أبا جمل قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أغلظ له فى القول : يامحمد بمن تهددني ؟ و إنى لأ كبر هذا الوادى ناديا .

وروى أنه قال : لَنن رأيت محمداً يصلى عند الكمبة لأطأنَّ عنقه ، فبلغ ذلك · النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو فعل لأخذته لللائكة .

ثم بانغ فى زجر الكافر عن صلفه وكبريائه ، وننى قدرته على ماتهدد به فقال :

(كلا لاتطمه واسجد وافترب) أى إنه لن يصل إلى زعمه وأن يدعو نادى
قومه ، وأمن دعام لاينفونه ولا ينصرونه ، وإنه أذل وأحقر من أن يقاومك ،
فلا تطمه إذا نهاك عن عبادة ربك كما قال : « فَلَا تُطِع لِلُسكَدُّ بِنَ » وتوفر على
عبادته باقمل و إبلاغ الرسالة الناس ، وتقرّب بذلك إليه ، ولا تبتمد عنه بتركها ،
فإن أقرب ما يكون المبد من ربه وهو ساجد .

وصلٌ وسلم ربنا على من أمرته بالتقرب إليك، ونهيته عن طاعة عدول الصَّافِ المتكبر.

مقاصد هذه السورة

تشتمل هذه السورة على القاصد الآتية :

- (١) حكمة الله في خلق الإنسان، وكيف رقاه من جرثومة صغيرة إلى أن بسط سلطانه على جميع العوالم الأرضية
- (٢) إنه لكرمه وعظيم إحسانه علمه من البيان ما لم يعلم ، وأفاض عليه من العلوم ماجعل له القدرة على غيره نما فى الأرض .
- (٣) بيان أن هذه النعم على توافرها قد غفل عنها الإنسان ، فإذا رأى نفسه غنيا صلف وتجبر واستكبر .

ســـورة القدر

هی مکیة ، راآیاتها خس ، نزات بعد سورة عبس .

ومناسبتها لمما قبلها -- أن فى تلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن باسم ربه اللهى خلق، واسم الذى علم الإنسان مالم يعلم ، وفى هذه ذكر القرآن وتزوله و بيان فضله ، وأنه من عند ربه ذى العظمة والسلطان ، السليم بمصالح الناس وبما يسعدهم فى دينهم ودنياهم ، وأنه أنزله فى ليلة لها من الجلال والسكال ماقعسته السورة السكريمة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمِينِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْوَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَالَيْلَةُ الْفَدْرِ ؟(٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَوَّلُ اللَّائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلُع ِ الْفَجْرِ (٥) .

شرح المفردات

القدر: العظمة والشرف ، من قولهم لفلان قدر عند فلان : أى منزلة وشرف ، تعزل الملائكة : أى تعزل وتتجلى للنفس الطاهمة التى هيأها الله لقبول تجليها ، وهي نفس النبى الكريم ، سسلام : أى أمن مِن كل أذى وشر ، مطلع الفجر : أى وقت طلوعه .

تَقَدِمَة تبين ميقات هذه الليلة

أشار الكتاب الكريم إلى زمان نزول القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم ف أربعة مواضم من كتابه الكريم ، والقرآن يفسر بعضه بعضا :

- (١) في سورة القدر: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ الْقَدْرِ » .
- (٧) فى سورة الدخان : « لحم و والكِتابِ اللهينِينِ . إِنَّا أَنْزَلْمَامُ فِي لَلْفَةِ
 مُتَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا بَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُوسِلِينَ . رَحْمةَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّه هُوَ السِّيمِ الْعَلِيمُ » .
- (٣) فى سورة البفرة : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْ رِلَ نِيدِ الْقُرْ آنُ هُدَّى الِنَّاسِ
 وَ بَيَّنَاتِ مِنَ أَهْدَى وَالْفُرْ قَالَوْ » .
- (٤) فى سورة الأنفال : ﴿ وَاعْلَوْا أَنَّمَا غَيْشَهُ مِنْ ثَنَى ﴿ فَأَنَّ لِلْهِ مُحْسَهُ وَالرَّسُولِ وَالْدِي الْمُدَّى وَالْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْمُ آمَنَهُ ﴿ يَالُهُ وَالْمَا كَيْنِ وَالْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْمُ آمَنَهُ ﴿ يَالُهُ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ مِ يَوْمَ الْتَقَى الْجُنْمَانِ ، وَالله مَلَى كُلُّ مَنْ فَدَرْ * ﴾ فَهْ فَدَرْ * ﴾ فَيْ فَكُر * وَالله مُنْ فَدَرْ * ﴾

فَآية القدر صريحة فى أن إنزال القرآن كان فى ليلة القدر ، وآية العخان تؤكد خلك وتبين أن النزول كان فى ليلة مباركة ، وآية البقرة ترشد إلى أن نزول القرآن كان فى شهر رمضان ، وآية الأنفال تدل على أن إنزال القرآن على رسوله كان فى ليلة اليوم المائل ليوم التقاء الجدين فى غزوة بدر ، التى فرق الله فيها بين الحق والباطل ، ونصر حزب الرحن على حزب الشيطان ، ومن ذلك يتضح أن هذه الليلة هى ليلة الجعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان .

الإيضاح

(إنا أنزلناه في ليلة القدر) أى إنا بدأنا ننزل الكتاب الكريم في ليلة الشرف ، ثم أنزلناه بعد ذلك منجا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث التي كانت تدعو إلى نزول شيء منه ، تبياناً لما أشكل من الفتوى فيها ، أو عبرة

بما يقص فيه من قصص وزواجر، ولا شك أن البشركان فى حاجة إلى دستور يبين لهم ما النبس عليهم من أمر دبنهم ودنياهم ، و يوضح لهم أمر النشأة الأولى وأمر النشأة الأولى وأمر النشأة الآخرة ، لأنهم كانوا أبجر من أن يقهموا مصالحهم الحقة حتى يستوا لأنفسهم من النظم ماينتهم عن الدين والتدين، وحوادث السكون التي تراها رأى المين كفيلة بأن تبين وجه الحق فى ذلك، فإن الناس من بده الخليقة يُبدئون و يعيدون، و يصححون و يراجعون فى قوائينهم الوضعية ، ثم يستبين لهم بعد قليل من الزمن أنها لانكفى لهدى المجتمع والأخذ بيده إلى موضع الرشاد ، وتمتمه من الوقوع فى مهارى الزلل، لهدى المجتمع والأخذ بيده إلى موضع الرشاد ، وتمتمه من الوقوع فى مهارى الزلل، وتيميها بعد أن أبان لهم العلم وصفها وخواصها ، كما لاغنى له عن الاعتقاد فى قوة غيبية يلجأ إليها حين بظلم عليه ليل الشك ، وتختلط عليه صروف الحياة وألوان ماسيها اه .

ثم أشار إلى أن فضلها لايحيط به إلا هو فقال:

(وما أدراك ماليلة الندر؟) أى ولم تبلغ درايتك وعلمك غاية فضلها ، ومنتهى علر قدرها .

وفى هذا إيماء إلى أن شرفها مما لايحيط به علم العلماء ، و إنما يعلمه علام الفيوب الذي خلق العوالم وأنشأها من العدم .

ثم أوضح مقدار فضلها فقال :

(ليله القدر خير من ألف شهر) لأن ليلة يسطع فيها نور الهدى وتكون فاتحة التشريع الجديد الذى أنزل لخير البشر ، ويكون فيها وضع الحجر الأساسى لهذا الدين الذى هو آخر الأديان الصالح لهم فى كل زمان ومكان ، هى خير من ألف شهر من شهورهم التى كاوا يتخطون فيها فى ظلام الشرك وضلال الوثنية ، حيارى الإبهدون إلى غاية ، ولا يقفون عند حد .

وقد يكون التحديد بالألف جاريا على مايستعماونه فى تخاطبهم من إرادة الكثرة منه ، لا إرادة العدد المعين ،كما جاء فى قوله : « يَوَدُّ أَخَدُهُمْ لَوْ يُمَمَّرُ أَلْفَ سَنَةً » .

والله تعالى يفضل ما شاء من زمان ومكان لمعنى من المعانى التى تدعو إلى التفضيل وله الحكمة البالغة .

وأى عظمة أعلى من عظمة ليلة يبتدى * فيها نزول هذا النور والهداية للناس بعد أن مضت على قومه صلى الله عليه وسلم حقب متتابعة وهم فى ضلال الوثنية .

وأى شرف أرفع من شرف ليلة سطع فيها بدر المعارف الألهية على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة بعباده ، يبشرهم وينذره ، وبهديهم إلى الصراط المستقم ، و مجعل منهم أمة تحرر الناس من استعباد القياصرة ، وجبروت الأكاسرة ، و بجمعهم بعد الفرقة ، ويلم شعتهم بعد الشتات .

فحق على المسلمين أن يتخذوا هــذه الليلة عيدًا لهم ، إذ فيها بدأ نزول ذلك الدستور السياوى ، الذى وجه المسلمين تلك الوجهة الصالحة النافحة ، ويجددوا العهد أمام رجهم بحياطته بأنفسهم وأموالهم ، شكراً له على نصه ، ورجاء مثوبته .

ثم ذكر سبحانه بمض مزايا هذه الليلة المباركة فقال:

(تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) أى تنزلت الملائكة من عالمها الروحانى حتى تمثلت لبصره صلى الله عليه وسلم ، وتمثل له الروح (جبريل) مبلّما للوحى ، وهذا التجلى على النفس الكاملة كان بإذن ربهم بعد أن هيأه لقبوله ليبلغ عباده مافيه الخير والبركة لهم .

ونزول الملائكة إلى الأرض شأن من شئونه تمالى ، لانبحث عن كيفيته ، فنحن نؤمن به دون أن نحاول معرفة تفاصيله وأسراره ، فما عرف العالم بعد علمه (12) الحمادى بشتى وسائله إلا النذر البسير من الأكوان كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيثُمُ * مِنَ الْبِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا» .

والخلاصة — إن هذه الليلة عيد للمسلمين لنزول القرآن فيها ، وليلة شكر على الإحسان والإنمام بذلك ، تشاركهم فيها لللائكة بما يشمر بعظمتها ، ويشعر بفضل الإنسان وقد استخلفه الله في الأرض .

(سلام هى حتى مطلع الفجر) أى هذه الليلة التى حقّها الخير بنزول القرآن ، وشهود ملائكة الرحمن ، ليلة كلها سلامة وأمرت ، وكلها خير و بركة ، من ميدًا إلى نهايتها ؛ فقيها فرّج الله السكرب عن نبيه ، وفتح له سبل الهـداية والإرشاد .

وصل وسلم ربّنا على محمد الذي أكرمته بإنزال الدستور الشامل لخير البشر إلى يوم القيامة .

سورة البينة

هي مدنية ، وآياتها ثمان ، نزلت بعد سورة الطلاق .

ووجه مناسبتها لما قبلها — أن قوله : « لَمَ ۚ يَسَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا الح ﴾ كالعلة لإنزال القرآن ،كأنه قيل : إما أنزلناه ؛ لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتبهم رسول يتلوصمفا مطهرة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ َ يَكُنِ اللَّهِنَ كَفُرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكُيْنَ حَقَى اللَّهِيَةُ (٢) فِيهَا كُنُبُ عَلَى اللَّهِيَةُ (٣) وَمَا اللَّهِينَةُ (١) وَمَا اللَّهِينَةُ (٣) وَمَا اللَّهِينَةُ (٣) وَمَا اللَّهِينَ اللَّهِينَةُ (٣) وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَمَبُدُوا اللهَ مُعْلِمِينَ لَهُ اللَّينَ خَنْفَاء وَيُشِمُوا السَّلاَة وَيُولِينَ لَهُ اللَّينَ خَنْفَاء وَيُشِمُوا السَّلاَة وَيُولِينَ لَهُ اللَّينَ خَنْفَاء وَيُشِمُوا السَّلاَة وَيُولِينَ فِيهَا ، أُولِيكَ هُمْ شَرُّ أَهْلِ السَّلِينَ فِيها ، أُولِيكَ هُمْ شَرُّ البَّيْرَةِ (٢) إِنَّ اللَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِمَاتِ أُولِيْكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِينَ فِيها ، أُولِيكَ هُمْ شَرُّ البَيْرَةِ (٧) إِنَّ اللَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِمَاتِ أُولِيْكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاوُهُمْ عِنْدَ رَبِّمْ جَنَّاتُ عَذْنَ تَجُرْي مِنْ تَحْيَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها أَبْدُولِينَ فِيها أَرْدُولِينَ فِيها مَنْ عَنْهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها أَبْدُولَ مَرْدُولَ الْمَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِينَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَصُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لَنِ خَيْقَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَصُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لَيْنَ غَيْهَا الْأَنْهَارُ مُ خَالِدِينَ فِيها أَبْدُولَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَصُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لَمْ وَعَنْ وَبُولُولَ اللَّهُ وَيُهُمْ وَرَصُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لَمْ وَيْكُولُولُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُولُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُو

شرح المفردات

أهل الكتاب: اليهود والنصارى ، للشركون : عبدة الأوثان والأصنام من العرب وغيرهم ، منفكين : أي مفارقين ماهم عليه ، والبينة : الحجة الواضحة ، وللراد بها النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحف : واحدها صحيفة : وهى ما يكتب فيه ،
مطهرة : أى مبرأة من الزور والضلال ، والقينة : الستقيمة التى لاعوج فيها لاشتمالها
على الحق ، والبينة : الثانية الدليل ، والإخلاص : أن يأتى بالممل خالصا له تمالى ،
لايشرك به سواه ، الدين : المبادة ، و إخلاص الدين لله : تنقيته من أدران الشرك،
حنفاء : واحدهم حنيف ، وهو في الأصل لمائل المتحرف ؛ والمراد به المتحرف عن
الزيغ إلى إسلام الوجه لله ، والبرية : الخليقة ، خشى الله : أى خاف عقابه .

المعنى الجملي

كان اليهود والنصارى من أهل الكتاب فى ظلام دامس من الجهل بما يجب الاعتقاد به والسير عليه من أسلافهم غيروا الاعتقاد به والسير عليه من شرائع أنبيائهم ، إلا من عصم الله ، لأن أسلافهم غيروا وبد أو في ماليس منها ، إما لسوء فهمهم لما أنزل على أنبيائهم ، و إما لاستحسانهم ضروبا من البدع توهموها مؤيدة للدين ، وهى هادمة لأركانه ، و إما لإغام خصومهم ، والرغبة فى الظفر بهم .

وقد توالت على ذلك الأزمان ، وكماًا جاء جيل زاد على ماوضمه مَن قبلهم حتى خَنيت معالم الحق ، وطمست أنوار اليقين .

وكان إلى جوار هؤلاء عبدة الأوثان من العرب وغيرهم بمن مرنت نفوسهم على عبادتها ، والخدوع لها ، وأصبح من الصير تحويلهم عنها ، زعما منهم أن هذا دين الخليل إبراهم عليه الصلاة والسلام .

وكان الجدل ينشب حينا بين المشركين واليهود ، وحينا آخر بين المشركين والنصارى ، وكان اليهود يقولون للمشركين: إن الله سيبعث نبيا من العرب من أهل مكة ، وينعتونه لهم ، ويتوعدونهم بأنه متى جاء نصروه وآزروه ، واستنصروا به عليهم حتى يبيدهم .

قد كان هذا وذاك ، فلما بعث محد صلى الله عليه وسلم قام المشركون يناوثونه

و برفعون راية العصيان فى وجهه ، وألَّبوا الناس عليه ، وآذوا كل من اتبعه وسلك سبيله ممن أنار الله بصائرهم ، وشرح صدورهم لمرفة الحق .

كذلك قلب له البهود ظهر احِجَنْ بعد أن كاوا من قبل يستنتعون به ، إذ وجدوا نعته عندهم فىالتوراة ، فرعموا أن ماجاه به من الدين ليس باليدع الجديد، بل هو معروف فى كتبهم التى جاءت على لسان أنبيلهم ، فلا ينبغى أن يتركوا ماهم عليه من الحق ، ليتبعوا رجلا ما جاء بأفضل مما بين أيديهم ، بل قد بلغ الأسم بهم أن كانوا عايه مع المشركين الذين كانوا يعاندونهم و يتهددونهم بأنهم سيتبعون هذا النبي و يتصرونه .

فنى الرد على مزاعم هؤلاء الكافرين الذين يجحدون واضح الحق، ويغمضون أعينهم عن النظر فيه — نزلت هذه السورة .

الإيضاح

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأثيهم البينة) أى لم يكن الذين جعدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنكروا نبوته من البهود والنصارى والمشركين بمفارقين لكفره ، تاركين لما هم عليه من الففلة عن الحق ، والوقوف عند ما كان عليه آباؤهم ولو كانوا لايمقلون شيئا ، حتى يأتيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيُحديث مجيئه رجّة فيا رسخ من عقائدهم ، وتمكن من عاداتهم ، ومن ثم أخذوا محتجون لمنادهم بأن ماجاء به هو ماكان بين أيديهم من عاداتهم ، ومن ثم أخذوا محتجون لمنادهم بأن ماجاء به هو ماكان بين أيديهم وليس بمستمحسن أن يتبع ، والبقاء على ماهم عليه أجدر وأجل ، والسير على نهج الآباء أشهى إلى النفس وأسلم .

ثم فسر البينة التي تعرَّفهم وجه الحق فقال :

ر (رسولَ من الله يتلو صَفا . مطهرة فيها كتب قيمة) أى هذه البينة هي محمد صلى الله عليه وسلم يتلو لهم صحف القرآن المطهرة من الخلط والزيغ والتدليس ، والثي تغبيث منها أشمة الحق كما قال : «لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ » وفيها الصحيح القويم من كتب الأنبياء السابقين كموسى وعيسى وابراهيم كما قال : «وَإِنَّهُ َلَنِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ » ، وقال : « إِنَّ هَــٰذَا لَنِي الشُّحُفِ الْأُولَى . مُحُفٍ إِيْرًاهِمَ وَمُوسَى » .

وقد يكون المراد بالكتب سور القرآن وآياته ، فإن كل سورة منه كتاب قويم ، أوالأحكام والشرائع التى تضمنها كلام الله ، والتى بها يقبين الحقى من الباطل كا قال : « الْحَمَدُ لِلهِ الَّذِي أُنْزِلَ مَلَى عَبْدِهِ الْسَكِتَابَ وَلَمْ ۚ يَجْعَلْ لَهُ عِوجًا. قَيْمًا لِينَدْرَ بَأْمًا شَدِيدًا مِنْ لَدَنْهُ وَ يَبْشُرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وقسارى ذلك — إن حال الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين بعد بحى الرسول تخالف حالهم قبلها ، فقد كانوا قبل مجيئه كفارا يتبهون في عماية من الأهواء والجهالات ، فلها بعث آمن به قوم منهم ، فلم تبق حالهم كا كانت قبل ، إلى أنهم قبل بشته صلى الله عليه وسلم كانوا جازمين بما هم عليه ، واثقين بصحته ، فلما بعث إليهم تغيرت حال جميعهم ، فنهم من آمن به ، واعتقد أن ما كان فيسه ضلال وباطل ، ومنهم من لم يؤمن ولكنه صار مترددا في صحة ماهو عليه ، أو هو واثق بعدم صحته ، ولمكن يمنمه العناد والتكبر والاقتداء بالآباء من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم سلَّى رسوله صلى الله عليه وسلم عن تفرق القوم فى شأنه فقال :

(وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجامتهم البينة) أى لا تبخع نسك عليهم حسرات ، ولا يكونن في صدرك حرج منهم ، فان هذا شأنهم الذي درجوا عليه ، وديدنتهم وديدن أسلافهم الذين بدلوا وافتروا على أنبيائهم ، وتفرقوا طرائق قددا حتى صار أهل كل مذهب يبطل ماعند غيره بنيا وعدوانا وقولا بالتشهى والهوى ، ولم يكن تفرقهم لقصور حجتك أوخفاء شأنك عليهم ، فهم إن يجمدوا يِّنْتَكُ فَقَدَ جَعَدُوا بِينَةَ مَنْ قَبَلُكُ ، وإنْ أَنْكُرُوا نَبُوتُكُ فَقَدَ أَنْكُرُوا آيَاتَ اللهُ بعد ما استيقتها أفسيهم .

و إذا كانت هذه حال أهل الكتاب فى ظنك بالمشركين وهمأعرق فى الجهالة وأسلس مقادة للهوى .

ثم أنَّبهم ووبخهم على ماصاروا إليه من الأفعال ، وعلى مابلغوه من فساد العقل والضلال فقال :

(وما أمروا إلا ليمبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا السلاة ويؤتوا الزكاة) أى إنهم تفرقوا واختلفوا وهم لم يؤمروا إلا بما يصلح دينهم ودنيام ، وما يجلب لهم سعادة في معاشهم ومعادهم من إخلاص فله في السر والعلن ، وتخليص أعالهم من الشرك به ، وانباع ملة إبراهم الذي مال عن وثنية أهل زمانه إلى التوحيد وإخلاص العبادة له كما قال : • ثُمَّ أُوحَيْناً إليَّكَ أَنِ اتَّسِعْ مِلْةَ إِبْرَاهِمٍ حَنِيفاً » وقال : • ما كَانَ إِبْرًاهِمٍ مَنْ إِلَيْكَ أَنِ اتَّسِعْ مِلْةَ إِبْرَاهِمٍ حَنِيفاً » وقال :

والمراد من إقامة الصلاة الإنيان بها مع إحضار القلب لهيبة المبود ، ليمتاد الخضوع له ؛ و إيتاء الزكاة إنفاقها فيا عين لها في الكتاب السكر يم من المصارف . (وذلك دين القيمة) أى هذا الذى ذكر من إخلاص العبادة للخالق ، والميل عن الشرك مع إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة ، هو الدين الذى جاء في الكتب القيمة . وقصارى ماسلف -- إن أهل الكتاب افترقوا في أصول الدين وفروعه ، مع أنهم ما أمروا إلا بأن يعبدوا الله و يخلصوا له في عقائدهم وأعالهم ، وألا يقلدوا فيها

أبًا ولا رئيسا ، وأن يردوا إلى ربهم وحده كل مايبرض لهم من خلاف . وهذا مانماه الله من حال أهل الكتاب فى افتراقيم فى دينهم ، فحسا بالنا نحن المسلمين وقد ملاً نا ديننا بدعا ومحدثات ، وتغرقنا فيه شيما ، أفليس مانحن فيه من ذل وهوان ، وضمف بين الأمم جزاء من ربنا لما صرنا إليه من انحزاف عن منهج المشرع القوم ، والسير على الصراط المستقم ؟ . ثم بين جزاء الذين جحدوا رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال :

(إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) أى إن هؤلاء الذين حسوا أنفسهم بقبيح الشرك واجتراح الماصى ، و إنكار الحق الواضح بعد أن عرفوه كما يعرفون أبناءهم ، مجازيهم ربهم بالمقاب الذى لايخلصون منه أبدا ، فيدخلهم نارا تلظى جزاء ما كسبت أبديهم ، وجزاء إعراضهم عما دعا إليه الداعى ، وهدت إليه الفطرة .

ثم حكم عليهم بحكم آخر فغال:

(أولئك هم شر البرية) أى هم شر الخليقة على الإطلاق ، إذ منكر الحق بمد معرفته ، وقيام الدليل عليه منكر لعقله ، جالب لنفسه الدمار والوبال .

و بعد أن ذكر جزاء الجاحدين الكافرين، أردفه جزاء المؤمنين الخبتين فقال:
(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) أى إن الذين سطع نور الدليل في قلوبهم، فاهتدوا به وصدقوا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعملوا صالح الأعمال ، فبذلوا النفس في سبيل الله وجهاد أحداثه ، و بذلوا نفيس المال في أعمال البر، وأحسنوا معاملة خلقه ، أولئك هم خير الخليقة ، لأنهم بمتابعة الهدى أدّوا حق المقل الذي شرفهم الله به ، و بسلهم للصالحات حفظوا العضيلة التي جعله الله قوام الوجود الإنساني .

ثم بين ماسيلقون من جزاء عند ربهم فقال:

(جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهارخالدين فيها أيدا) أى هؤلاء يجازيهم ربهم بجنات يقيمون فيها أبدا ، وفيها من اللذائذ ماهو أكمل وأوفر من لذات الدنيا .

وعلينا أن نؤمن بالجنة ولا نبحث عن حقيقتها ، ولا أين موضعها ، ولا كيف نتمتع فيها ، فان علم ذلك عند ربنا لابعلمه إلا هو ، فهو من علم الغيب الذى استأثر بعلمه .

ثم ذكر أسباب هذا الجزاء فقال :

رضى الله عنهم ورضوا عنه) أى إنهم حازوا رضا الله بالنزام حدود شريعته ، فحدوا منبة أعمالهم ، ونالوا مارضيهم فى دنياهم وآخرتهم .

(ذلك لمن خشى ربه) أى هذا الجزاء الحسن إنما يكون لمن ملأت قلب. الخشية والخوف من ربه .

وفى ذلك تحذير من خشية غير الله ، وتنغير من إشراك غيره به فى جميع الأعمال؟ كما أن فيمه ترغيبا فى تذكر الله ورهبته لدى كل عمل من أعمال البرحتى يكون العمل له خالصا ، إلى أن فيه إيماء إلى أن أداء بعض العبادات كالصلاة والصوم يحركات وسكنات مجردين عن الخشية للا يكفى فى نيل ما أعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجزاء ، لأن الخشية لم تحل قلوبهم ، ولم تهذب نفوسهم .

نسأل الله أن يطهر قلوبنا ، وينير بصائرنا ، حتى لا نرهب سواه ، ولا نخشى إلا إياه ، والحد لله رب المالمين .

سورة الزلزلة

هي مدنية ، وآياتها ثمان ، نزلت بعد سورة النساء .

ووجه مناسبتها لما قبلها — أنه لما ذكر فيا سلف جزاء المؤمنين والكافرين ، بين هنا وقت ذلك الجزاء وعلاماته .

يِسْمِ اللهِ الرَّهُمْنِ الرَّهِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهُمَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) ا وَقَالَ الْإِنْسَلَانَ مَالها ؟ (٣) يَوْمَثْذِ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْسَى لَهَا (٥) يَوْمَئذِ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرُوا أَصَالَهُمْ (٦) فَنَ يَشْمَلُ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَسْمَلْ مِثْقَالَ ذَرةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) .

شرح المفردات

الزارة : الحركة الشديدة مع اضطراب ، والأكفال: واحدها رُقُل؛ وهو في الأصل متاع البيت كما قال : ﴿ وَتَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ إِلَى بَلَيْدِ لَمَ تَسَكُونُوا بَالِيْهِ إِلاَّ بِشِقً اللَّا تَفْسِ ﴾ والمراد به هنا مانى جوف الأرض من الدفائن كالموتى والكنوز ، وتقول أوحيت اليه ووحى إليه ، أي كله خفية أو ألمه كما جاء في قوله : ﴿ وَأُوسَى رَبُّكُ فَيْهِ اللَّهُ لَلَّهُ اللَّهُ الصّغيرة ، أوهى المباء الذي يري فضوء الشمس إذا دخلت من فافذة ، ومثمال الذرة : الخلة الصغيرة ، أوهى المباء الذي يري فضوء الشمس إذا دخلت من فافذة ، ومثمال الذرة : وزنها ، وهو مثل في الصغر. يمه عنه على الله الله وهو مثل في الصغر.

سبب نزول هذه السورة

كان السكفار كثيرا مايسألون عن يوم الحساب فيقولون : ﴿ أَ يَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ ويقولون : ﴿ أَ يَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ ويقولون : ﴿ مَنَى هَذَا اللهِ مَلَا اللهِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى يَعْرَضُ الناس فيه على ربهم لمقاب المذنبين وثواب المؤمنين .

الإيضاح

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى إذا اضطر بت الأرض وتمركت حركة شديدة . ونحو الآية قوله : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّا» ، وقوله : ﴿ يَأْيُمُا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىٰ ۖ عَظِيمٍ ۗ » .

وفي ذلك إيماء إلى شدة الحال يومئذ، ولفت لأنظار الكافرين إلى أن يتدبروا

الأمر ويعتبروا ، وكان يقال لهم : إذا كان الجحاد يضطرب لهول هذا اليوم ، فهل لمكم أن تستيقظوا من غفلتكم ، وترجعوا عن عنادكم ؟

(وأخرجت الأرض أثقالها) أى وأخرجت الأرض مافى جوفها من الكنوز والدفأن والأموات، فانها لشدة اضطرابها بثور باطنها ويقذف مافيه .

ونحو الآية قوله : « وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ » .

ومثال هذا ماتراه فى حياتنا الدنيا من جبال النار الثائرة (البراكين) كما حدث فى إبطاليا سنة ١٩٠٩ م من تُوران بركان و يُزوف وابتلاعه مدينة مسينا ولم يُبثي من أهلها ديَّاراً ولا نافخ نار .

(وقال الإنسان مالها؟) أى وقال من يكون من الناس مشاهداً لهذا الزلزال الذي يخالف أمثاله في شدته ، و يحار المقل في معرفة أسبابه ، و يصيبه الدّهم بما يمي و يبصر : مالهذه الأرض ، وما الذي وتع لها بما لم يعهد له نظير من قبل ؟ كا جاء في آنة أخرى : « وَتَركى النّاسَ سُكارَى وَمَاهُمْ سُكارَى » .

(يومئذ تحدَّث أخبارها) أى فى ذلك الوقت وَقت الزالة تحدثك الأرض أحاديثها ، والمراد أن حالها ومايقع فيها من الاضطراب والانقلاب ، ومالم يعهد له نظير من الخراب ؛ تشكم السائل وتفهمه أن مايراه لم يكن لسبب من الأسباب التى وضعت لأمثاله مما نراه حين استقر نظام هذا الكون .

ثم بین سبب مایری فقال :

(بأن ربك أوسى لها) أى إن ما يكون للأرض يومئذ إنما هو بأمر إلهى خاص، فيقول لها : كونى خراباكا قال لها حين بد، النشأة الأولى كونى أرضا ، وإنما سمى ذلك وحيا ، لأنه أتى على خلاف ماعهد منذ نشأة الأرض ، قاله الأستاذ الإمام.

(يومئذ يصدر الناس أشتانا ليروا أعمالهم) أى يوم يقع الخراب العظيم لهذا العالم الأرضى ، و يظهر ذلك الكون الجديد كون الحياة الأخرى ، يصدر الناس متغرقين متايزين ، فلا يكون محسن في طريق واحد مع مسى - ، ولا مطيع مع عاص ، ليريهم الله جزاء ماندمت أيديهم ، ومجنوا ثمر ماغرسته أيمانهم .

ثم فصل ذلك بقوله :

(فمن يعمل مثقال ذرة خسيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره) أى فمن يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره فانه يجد جزاءه ، ومن يعمل الشر ولو قليلا يجد جزاءه ، لافرق بين للؤمن والكافر .

وحسنات الكافرين لاتخلصهم من عذاب الكفر فهم به خالدون فى الشقاء ، وما نطق من الآيات بحبوط أعمال الكافرين وأنها لاننهم ، فالمراد به أنها لاتنجيهم من عذاب الكفر و إن خففت عنهم بعض العذاب الذي كان يرتقبهم من السيئات الأخرى ، أما عذاب الكفر فلا يخفف عنهم منه شئ ، يرشد إلى ذلك قوله تعالى: و وَنَصَعُ لَلُوَازِينَ الْفِيمُ الْمِيوَامَةِ فَلاَ تُظلَّمُ نَمْسُ شَيْعًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ وَتَصَعُ لَلُوَازِينَ الْفِيمُ الْمَوَلِيوْمَ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظلَّمُ نَمْسُ شَيْعًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَال مَعْل مَعْل مِن مَوْمَ الْقِيامَةِ فَل الله عَلى الله عَلى الله عَلى الله عَل أَن المُؤمن والكافر فى ذلك سواء . وأن كلا يوفى يوم القيامة جزاءه ؛ وقد ورد أن حاتما يخفف عنه لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا تلخيص ماقاله الأستاذ الإمام فى تفسير الآية .

مقاصد السورة

اشتملت هذه السورة الكريمة على مقصدين :

- (١) اضطواب الأرض يوم القيامة ودهشة الناس حينئذ .
- (٢) ذهاب الناس لموقف الدرض والحساب ثم مجازاتهم على أعمالهم .

سورة العاديات

هي مكية ، وآياتها إحدى عشرة ، نزلت بعد سورة المصر .

ووجه المتاسبة بينها و بين ماقبلها — أنه لمّـا ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، ولا يستمدون لحياتهم الثانية ، بتعو يد أفضهم فعل الخير .

بسم اللهِ الرَّعْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمَادِيَاتِ صَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُنيرَاتِ صُبْعًا (٣) فَالْمُنيرَاتِ صُبْعًا (٣) فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْمًا (٤) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبَّهِ لَكَنُودٌ (٢) فَإِنَّهُ لِحَبُّ الْمُثْهِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلاَ يَمْلُمُ إِذَا بُعْشِرَ مَافِي القُبُورِ (٩) وَوَصُلِّلَ مَافِي الصَّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ بِهِمْ يَوْمِ يَوْمِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمِ يَوْمُ يَعْمِدُ لَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللْلِهُ وَلِمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللْلِهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللْلِهُ وَلِمُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلِمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَلْمُؤْمِنِهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ الللْمُؤْمِنِ اللْفُولُولُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ لَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُولُ لِلْمُؤْمِنُونِ الللْمُؤْمِنِ اللللْمُؤْمِنُونُ الللْمُؤْمِنُونُ اللللْمُؤْمِنُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولَالِمُ الللْمُؤْمِنُولُ اللْمُؤْمِنُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ

شرح المفردات

العاديات : واحدها عادية من العــدو وهو الجرى ، والضبح : صوت أنفاس الحيل حين الجرى . قال عنترة :

والخيل تكدح حين تضببح في حياض الموت ضبحا

والموريات : واحدها مورية من الايراء وهو إخراج النار تقول : أورى فلان إذا أخرج النار بزّند ونحوه ، والقدح : الضرب لإخراج النار كضرب الزناد بالحجر، وللمغيرات : واحدها مغيرة من أغار على العدو إذا هجم عليه بغتة ليقتله أو يأسره ، أو يستلب ماله ، والإثارة . التهييج وتحريك النبار ، والنقع : الغبار ، وسطن : أى توسطن تقول وسطت ُ القوم أسطهم وشطا : إذا صرت فى وسطهم ، والكنود: الكفور ، يقال كند النمية أى كفرها ولم يشكرها وأنشدوا :

كنود لنماء الرجال ومن يكن كنودا لنماء الرجال يُبعَّد

وأصل السكنود الأرض التي لاننبت شيئا ، شبه بها الإنسان الذي يمنع الخير و يجمعد ما عليه من واجبات ، لشهيد : أى لشاهد على كنوده وكفره بنمهة ربه ، والخير : المال كما جاء في قوله : « إِنْ تَرَكَ خَيْرًا » ، لشديد : أى لبخيل ، بعثر : أى بعث وأثير ، وحصًل : أى أظهر محصلا مجوعا ، مافي الصدور : أى مافي القلوب من العزائم والنوايا .

الإيضاح

(والماديات ضبحاً) أى قسيا بالخيل التى تمدو ونجرى و يسمع لها حينثذ ضبح أى زفير شدمد .

(فالموريات قدحاً) أى والخليل التي تخرج النار بحوافرها ويتطاير منها الشمرر أثناء الجرى .

(فالمنيرات صبحاً) أى والخيل التى تعدو لتهجم على العدو وقت الصــباح ، لأخذه على غير أهمة واستمداد .

(فَأَثْرَنَ بِهُ نَقَمًا) أَى فهيجن في الصبح غبارًا لشدة عدوهن .

(فوسطن به جمعاً)أى فتوسطن جماً من الأعداء ففرقته وشتان شمله .

أقسم سبحانه بالخيل التي لها هذه الصفات ، والتي تعمل تلك الأعمال ، ليملى من شأنها في نفوس عباده المؤمنين أهل الجد والممل ، وليفئوا بتر بيتها وتعويدها الكرّ والفرّ، وليحملهم على العناية بالفروسية والتدرب على ركوب الخيل والإغارة بها ليكون كل امرى مسلم منهم عاملا ناصبا إذا جدّ الجد واضطرت الأمة إلى صد عدة أو بشها باعث على كسر شوكته ، يرشد إلى ذلك قوله في آية أخرى :

« وَأَعِدُوا لَمُمْ مَا اسْتَطَلْمُ ۚ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْــلِ 'تُوْهِبُونَ' بِعِر عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّ كُمْ » .

وفى إقسام الله بها بوصف الماديات المغيرات الموريات _ إشارة إلى أنه يجب أن تقنى الخيل لهذه الأغراض والمنافع لا للخيلاء والزينة ، وأن الركوب الذى يحمد ما يكون لكبح جماح الأعداء ، وخضد شوكتهم ، وصد عدوانهم .

وقصارى ذلك -- إن للخيل فى عدّوها فوائد لاتحصى عدّها ، فهى تصلح الطلب ، وتسمف فى الهرب ، وتساعد جد الساعدة فى النجاء ، والكر والفر على الأعداء ، وقطم شاسع المسافة فى الزمن القليل .

ثم ذكر المحلوف عليه بتلك الأيمان الشريفة فقال :

(إن الإنسان لر به لكنود) أى إن الإنسان طبع على نكران الحتى وجحوده وعدم الإقرار بمـا لزمه من شكر خالقه والخضوع له إلا من عصمهم الله وهم الذين روّضوا أنفسهم على فعل الفضائل ، وترك الرفائل ، ما ظهر منها وما بطن .

روى أن النبي صلى الله عليــه وسلم قال : « الكنود الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده، و يمنع رقده » أى إنه لايمطى شيئا نما أنم الله به عليه ، ولايرأف بسباده كما رأف به ؛ فهوكافر بنصته، مجانف لما يقضى به المقل والشرع .

وسر هذه الجبيلة _ أن الإنسان يحصر همه فيا حضره ، وينسى ماضيه ، وما عسى أن يستقبله ؛ فإذا أنهم الله عليه بنسمة غرته غفلته ، وقسا قلبه ، وامتلاً جفوة على عباده .

(و إنه على ذلك لشهيد) أى و إنه مع كنوده ولجاجته فى الطغيان ، وتماديه فى الإنكار والسهتان ، إذا خُلِّى وتفسه رجم إلى الحق ، وأذعن إلى أنه ما شكر و به على نعمه _ إلى أن أعماله كلها جحود لنتم الله ، فهى شهادة منه على كنوده ، شهادة بلسان الحال ، وهى أفصح من لسان للقال . (و إنه لحب الخير لشديد) أى و إن الإنسان بسبب محبته للمال وشفه به وتعلقه مجمعه وادخاره ــ لبخيل شديد فى بخله ، حريص متنامٍ فى حرصه ، ممسك مبالغ فى إمساكه ، متشدد فيه ، قال طرّفة :

(أفلا بعلم إذا بعثر ما فى القبور . وحصّل ما فى الصدور ؟ . إن رجهم بهم يومئذ لخبير) أى أفلا يعلم هذا الإنسان المنكر لنعم الله عليه ، الجاحد لقضله وأياديه _ أنه سبحانه عليم بما تنطوى عليه نفسه ، وأنه مجازيه على جحده و إنكاره يوم مخصصًل ما فى الصدور و يبعثر ما فى القبور ؟ ،

وقد عبر سبحانه عن مجازاتهم على ما كسبت أيديهم ــ بالخبرة بهم والعلم الحيط: لأعالهم ، وهذا كثير فى الكلام ، تقول لشخص فى معرض التهديد : سأعرف لك عملك هذا مع أنك تعرفه الآن قطما ، وإنما عرفانه الآنى هو ظهور أثر للعرفة وهو مجازاته بما يستحق ، وقد جاء على هذا النسق قوله تعالى : «ستَسكنتُ بُما قَالُوا» مع أن كتابة أقوالهم حاصلة فعلا ؛ ظلراد سنجازيهم بما قالوا الجزاء الذى هم له أهل . واقة أعلم .

سورة القارعة

هي مكية ، وآيانها إحدى عشرة ، نزلت بعد سورة قريش .

ومناسبتها لما قبلها ــ أن آخر السابقة كان فى وصف يوم القيامة ، وهذه السورة بأسرها فى وصف ذلك اليوم ، وما يكون فيه من الأهوال .

بسم الله الرائمان الرجيم

الْقَارِعَةَ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفُرَاشِ الْمَبْثُوثِ(٤)وَتَكُونُ الِجْبَالُ كَالْمِهْنِ الْمَنْفُوشِ(٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَرَازِينَهُ (٢) فَهُو فِي عِيشَة رَامِنِيَةِ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفْتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأَثْنُهُ هَاوِيةٌ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَتِهِ (١٠) نَارُ عَمَامِيةً (١١)

الإيضاح

(القارعة) من أسماء القيامة كالحاقة والصاخّة والطامّة والفاشية ؛ وسميت بذلك لأنها تقرع القلوب بهولها ، كما تسمى الحادثة العظيمة من حوادث الدهم قارعة قال تمالى : « وَلاَ بِزَالُ الّذِينَ كَفرُوا تُصِيمِهُمْ بِمَا صَنْعُوا فَارِعَةٌ * أَى حادثة عظيمة تقرعهم وتصك أجسادهم فيألمون لها .

(ما النارعة ؟) أى أى شي شي القارعة ؛ وهذا أساوب يراد به تهويل أمرها كأنها اشدة ما يكون فيها من الأهوال ، التي تفزعمها النفوس ، وتدهش لها المقول، يصعب تصورها ، ويتمذر إدراك حقيقتها .

ثم زاد أمرها تعظيا فقال :

(وما أدراك ما القارعة) أى وأىّ شىء يعرّ فك بها ، كأنه لاشىء محيط بها ؛ فهما تخيلت أمرها وحَدَّشتَ شأنها فهي أعظم من تقديرك

ولما ذَكر سبحانه أن إدراك حقيقتها بما لاسبيل إليه ، أخذ يعرف بزمانها الذى تكون نيه ، وما يحدث للناس حينئذ من الأهوال فقال : (يوم يكون الناس كالفراش للبثوث) الفراش : هو الحشرة التى تراها تترامى على ضوء السراج ليلا ، وبها يضرب للثل فى الجهل بالعاقبة قال جرير :

إن الفرزدق ما علمت وقومة مثلُ الفراش غَشِينَ نار المُسْطَلِي

والمبثوث : المفرق المنتشر ، تقول بثنت الشيء : أى فرقته . أى إن الناس من هول ذلك اليوم يكونون منتشر من حيارى هانمين طل.

اى إن الناس من هول ذلك اليوم يكمومون منتشرين حيارى هايمين هلى وجوههم لايدرون ماذا يفعلون، ولا ماذا يراد بهم كالفراش الذى يتجه إلى غير جهة واحدة، بل تذهب كل فراشة إلى جهة غير ما تذهب إليها الأخرى .

وجاء تشبيههم فى آية أخرى بالجراد المنتشر فى كثرتهم وتتاسمهم فقال : ﴿ كُأُنَّهُمُ جَرَادُ مُنْتَشِرُ ﴾ .

(وتكون الجبال كالمهن المنفوش) المهن (بكسر العين وسكون الهاء) السوف ذو الألوان ، والمنفوش : الذى نفش ففرقت شعراته بمضها عن بمض حتى صار على حال يطير مع أضعف رجح .

أى إن الجبال لتفتها وتفرق أجزائها لم يبق لهما إلا صورة الصوف المنفوش فلا تلبث أن تذهب وتتطاير ، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها وهو ذلك الجسم الضعيف السريم الاتحلال .

وقد كثر فى القرآن ذكر حال الجبال يوم القيامة فقال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ عَمِهُ الْقَيَامَةُ فَقَالَ : ﴿ وَتَرَكَى الْجِبَالَ عَمِيلًا ﴾ تَصَدَّبُهُا جَامِدَةٌ وَهِي تَمْرُ مَنَّ السَّحَابِ ﴾ وقال : ﴿ فَكَانَتْ الْجِبَالُ ضَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ كل ذلك ليبين أن هذه الأجسام العظيمة الذي من طبعها الاستقرار والثبات تؤثر فيها هذه القارعة، أما بالك أيها المُخلوق الضميف الذي لاقوة له ؟

وفي هذا تحذير للإنسان وتخويف له كما لايخني .

و بعد أن ذكر أوصاف هذا اليوم بما يكون من أحوال بمض الخلائق ــ أعقب. ذلك بذكر الجزاء على الأعمال فقال : (فأما من تقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية) يقال ثقل ميزان فلان إذا كان له قدر ومنزلة رفيمة ، كأنه إذا وضع فى ميزان كان له به رجحان ، وإنما يكون القدار والقيمة لأهل الأعمال الصالحة ، والفضائل الراجعة ، فهؤلاء يجزون النسم المائم و يكونون فى عيشة راضية ، تقرّ بها أعينهم ، وتسرّ بها نفوسهم .

و برى بعض للنسرين أن الذى يوزن هو الصحف التى تكتب فيها الحسنات والسئات .

ولما ذكر نسم أهل الخير أردفه عقاب أهل الشر فقال :

(وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) يقال خف ميزانه : أى سقطت قيمته فكا نه ليس بشىء حتى لو وضع فى كفة ميزان لم يرجع بها على أختها ، ومن كان فى الدنيا كثير الشر ، قليل فعل الخير ، فدسّى نفسه بالشرك واجتراح المعاصى وعاث فى الأرض فسادا ـ لم يكن شيئا ، فلا ترجع له كفة ميزان لو وضع فيها .

وعلى الجُملة نطينا أن نؤمن بما ذكره الله من الميزان في هذه الآية وفي قوله : « وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمُ الْقِيَامَةِ » ومن وزن الأعمال ، وتمييز مقدار لكل عمل ، وليس علينا أن نبحث وراء ذلك ، فلا نسأل كيف يزن ، ولاكيف يقدر ؟ فهو أعلم بنيبه ، ونحن الانعلم .

أما أن الميزان له لسان وكيفتان فهذا لم يرد به نص عن المصوم يَلْزَمنا التصديق به ، وكيف يوزن جهذا الميزان الذي تعلمه الإنسان في مهد البداوة الأولى ، ويُترك ما هو أدق منه مما اختُرع فيا بعدُ وهُدى إليه الناس ؛ على أن جميع ما عمله البشر فهو ميزان المأتقال الجسمانية لا ميزان المسانى المقولة كالحسنات والسيئات ، فلنفوض أمر ذلك إلى عالم الغيب .

والمراد من كون أمه هاوية _ أن مرجمه الذي يأوى إليه مهواة سحيقة في جهم يهوى فيها ، كما يأوى الولد إلى أمه ، قال أمية بن أبي الصلت :

فالأرض منقلناً وكانت أمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد

(وما أدراك ما هيه ؟) أى وأى شئ يخبرك بما هى تلك الهارية ، وأنها أى" شىء تكون ؟.

تم فسرها بعد إبهامها فقال :

(نار حامية) أى هى نار ملتهبة يهوى فيها ليَلقى جزاء ما قدّم من عمل ، وما اجترح من سيئات .

وفى هذا إيماء إلى أن جميع النيران إذا قيست بها وووزنت حالها بحالها لم تكن حامية ، وذلك دايل على قوة حرارتها ، وشدة استمارها .

وقانا الله شر هذه النار الحامية ، وآمننا من سميرها بمنه وكرمه .

سورة التكاثر

هى مكية ، وآياتها نمان ، نزلت بعد سورة الـكوثر .

ومناسبتها لما قبلها ــ أن في الأولى وصف القيامة و بعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار ، وأن في هذه ذكر الجحيم وهي الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة ، وذكر السؤال عما قدم المر- من الأعمال في الحياة الدنيا ، وهذا بعض أحوال الآخرة .

بِسُمِ اللهِ الرُّحْنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَا كُمُّ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ المَقَارِ (٧) كَلَّا سَوْفَ تَمْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَمْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَمْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوْنُ الْجُمِيمَ (٢) ثُمَّ لَتَدَوُنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَنُسْأَلُونَ يَوْمَعْذِ عَن النَّعِيمِ (٨) .

شرح المفردات

اللهو: ما يشغل الإنسان ، سواء أكان مما يسر أم لا ، نم خص بما يشغل مما فيه سرور ؛ وإذا أُلِمَى المرء بشىء فهو غافل به عما سواه ، والتكاثر : النباهى بالكثرة بأن يقول كل للآخر أنا أكثر منك مالا ، أنا أكثر منك ولها ، أنا أكثر منك ولها ، أنا أكثر منك رجال ضرب وحرب ، حتى زرتم المقابر : أى حتى صرتم من المرقى ، قال جرير :

زار القبورَ أبو مالك فأصبح ألأمَ زُرَّارها علم اليقين : أى علم الأمر اليقون الموثوق به ، والجحيم:دار المذاب عين اليقين : أى عين هي اليقين نفسه .

أسباب نزول السورة

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بُريَّدة قال : نولت « أَلَّمَا كُمُ النَّكَا رُمُ » في قبيلتين من الأنصار وهما بنو حارثة و بنو الحرث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداها : أفيكم مثل فلان وفلان ؟ وقالت الأخرى : مثل ذلك . تفاخروا بالأحياء ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجملت إحدى الطائفتين تقول : أفيكم مثل فلان وقسر إلى القبر، ومثل فلان ، وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله هذه السورة .

الإيضاح

(ألهاكم التكاثر) أى شغلكم النفاخر والتباهى بكثرة الأنصار والأشياع ، وصرفكم ذلك عن الجدفى السل ، فكنتم فى لهو بالقول عن الفسل ، وفى غرور و إعجاب بالآبا. والأعوان ، وصرفكم ذلك عن توجيه قواكم إلى المعل بما فرض عليكم من الأعمال لأنفسكم وأهليكم ، وما ذال ذلك ديدنكم ودأبكم الذى سرتم عليه .

وفى صحيح مسلم عن مُطرِّف عن أُميسه قال : « أُتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بقرأ : ألها كم التكاثر قال : يقول ابن آدم مالى ومالك ، بإبن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأنسيت ، أو ليست فأبليت ، أو تصدَّقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه الناس » وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان : ولن يملأ فاه إلا التراب و يتوب الله على من تاب » .

قال الأستاذ الإمام : وقد يكون معنى التكاثر النفالب فى السكترة ، أى طلب كل واحد منهما أن يكون أكثر من الآخر مالا أوجاها ، والسعى إلى ذلك لجرد المثالبة ، لايبغى الساعى في سعيه إلا أن يكون مالها كثر من مال الآخر ، أو أن يكون عضده أقوى من عضده ، ليتال بذلك لذة التملى والظهور بالقوة كما هو شأن الجمهور النالب من طلاب الثروة والقوة ، ولا ينظر الدائب منهم فى عمله إلى تلك الناية الرفيمة ، غاية البذل مما يكسب فى سبل الخير ، أو النهوض بالقوة إلى نصر الحتى ، وحمل المجللين على مونته والتوجه إليه ، ثم الحافظة بعد ذلك عليه .

وهذا معنى معقول ذهب إليه بعض المفسرين ، وهو يتفق كل الانفاق مع مايفهم من لفظ (ألها كم) فأن الذى يلهى الناس عن الحق فى كل حال ، و يصرف وجوههم عنه إلى الباطل ، هو طمع كل واحدمنهم أن يكون أكثر من الآخر مالا أو عدد رجال ، ليعلو عليه ، أوليستخدمه السلطانه ، بقدر مايدخل فى إمكانه ، أما التفاخر بالأقوال فأتما يلهيهم فى بعض الأحوال اه .

(حتى زرتم للقابر) أى حتى هلكتم وصرتم من الموتى ، فأضمتم أعماركم فيا لا يجدى فائدة ، ولا يعود عليكم بعائدة ، في حياتكم الباقية الخالدة .

قال العلماء : إن زيارة القبور من أعظم الدواء للقلب القاسى ، لأنها تذكر بالموت والآخرة ، وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها ، ومن ثم قال صلى الله عليمه وسلم : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهّد في الدنيا وتذكركم الآخرة » .

كما لاخلاف فى منع زيارتها إذا حدث فى ذلك منكرات وأشياء مما نهى عنه الدين كاختلاط الرجال بالنساء وحدوث فتن لاتحمد عقباها .

ثم نبههم إلى خطإ ما هم فيه ، وزجرهم عن البقاء على تلك الحال التي لها وخيم الماقبة فقال :

(كلا سوف تعلمون) أى ازدجروا عن مثل هذا العمل الذى لانكون عاقبته إلا القطيمة والهجران، والضفينة والأحقاد، والجثوا إلى التناصر على الحق، ا والتكاتف على أعمال البر، والتضافر على مافيه حياة الأفراد والجحاعات، من تقويم الأخلاق، وتطهير الأعراق، و إنكم سوف تعلمون عاقبة ما أنتم فيه من التكاثر إذا استعر بكم هذا التفاخر بالباطل بدون عمل صحيح نافع لكم في العقبي .

ثم أكد هذا وزاد في التهديد فقال :

(ثم كلا سوف تعلمون) وهــذا وعيد بعد وعيد في مقام الزجر والتو بيخ كما يقول السيد لعبده : أقول لك لانفعل ، ثم أقول لك لانفعل .

(كلا لو تملمون علم اليقين) أى ارتدعوا عن تفريركم بأنسكم ، فإنكم لو تملمون عاقبة أمركم لشفلكم ذلك عن التكاثر ، وصرفكم إلى صالح الأعمال ، وإن ماندعونه علما ليس في الحقيقة بعلم ، وإنما هو وهم وظن لا يلبث أن يتفير ، لأنه لا يطابق الواقم ، والجدير بأن يسمى علما هو علم اليقين للطابق للواقع ، بناء على البيان والحس، أو الدليل الصحيح الذى يؤيده المقل ، أو النقل الصحيح عن المصوم صلى الله عليه وسلم .

و إنما ذكر سبحانه هذا زيادة فى زجرهم لتنريرهم بأنفسهم ، فقد جرت عادة الفافلين أنهم إذا ذكروا بمواقب حالهم أن يقولوا : إنهم يملمون العواقب ، وأنهم فى منتهى اليقظة وسداد الفكرة . ثم ذكر لهم بعض ماينتهى إليه هسذا اللهو ، وهو عذاب الآخرة بعد خزى الدنيا فقال :

(لترونَ الجعم) أى إن دار المذاب التى أعدت لمن يلهو عن الحق لار يب فيها ولتروُسُها بأعينكم ، فاجعلوا صورة عذابها حاضرة فى أذهانكم ، لننهكم إلى ماهو خير لسكم مما تلهون به .

والمراد برؤية الجحيم ذوق عذابها، وهذا استمال شائع فى الكتاب الكريم . ثم كرر ذلك التأكيد فقال :

(ثم لترونها عين اليقين) أى لترونها رؤية هى اليقين نفسه ، إلى أى دين أو إلى أى شخص كانت نسبتكم فلتتقوا الله ربكم ، ولتنقهوا عما يقذف بكم فيها ، ولتنظروا إلى سأن تستعمل فيه ، إلى ما أنتم فيه من نعمة ، ولترعوا حق الله فيها ، فاستعملوها فيا أسم أن تستعمل فيه ، ولا تجترحوا السيئات وتقترفوا المنكرات ، و إنكم لتمنون أنفسكم بأنكم ممن يعفو الله عنكم ، ويزحزكم من النار بمجرد نسبتكم إلى الدين الإسلامى وتلقيبكم بألقابه ، مع غافتكم أحكام القرآن وعملكم عمل أعداء الإسلام .

ثم شدد عليهم وزاد في تأنيبهم فقال :

(نم لتسألنَّ بومثذ عن النسم) أى إن هذا النسم الذى تتفاخرون به وتعدونه مما يباهى به بعضكم بعضا — ستسألون عنه — ماذا صنعتم به ؟ هل أديتم حق الله فيه وراعيتم حدود أحكامه فى التمتم به ، فإن لم تفعلوا ذلك كان هذا النسم غاية الشقاء فى دار البقاء .

روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « أَيُّ سَمِ سَأَلَ عنه يارسول الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظلال المساكن أوالأشجار ، والأخبية التي تقيكم الحر والبرد ، وللاء البارد في اليوم الحار » . وروى أن رسول الله صلى الله غليه وسلم قال : « من أصبح آمنا فى يسر به ، معافى فى بدنه ، عنده قوتُ يومه ، فكأنما جبزت له الدنيا مجذافيرها » .

اللهم وفقنا لشكر نميتك وأداء حقها ، لنجد الجواب اضرا حين سؤالنا عنها ، اللهم آمين .

سورة العصر

وهى مكية ، وآياتها ثلاث ، نزلت بعد سورة الشرح .

ومناسبتها لما قبلها — أنه ذكر فى السورة السابقة أنهم اشتفاوا بالتفاخر والتكاثر و بكل ما من شأنه أن يلهى عن طاعة الله ، وذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار ، وموقعة له فى الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شرور نفسه ، فكأن هذا تعليل لما سلف — إلى أنه ذكر فى السالفة صفة من انبع نفسه وهواه ، وجرى مع شيطانه حتى وقع فى التهلكة ، وهنا ذكر من تجمل بأجل الطباع ، فآمن بالله وعمل الصالحات ، وتواصى مع إخوانه على الاستمساك بدرى الحق ، والاصطبار على مكارهه .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمُنِ الرَّحِيمِ وَالْمَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرِ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا السَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بالحَنَّ وَتَوَاصَوْا بالصَّبْر (٣) .

شرح المفردات

المصر : الدهم ، والإنسان: هو هذا النوع من المخاوقات ، والحسر والخسران : النقصان وذهاب رأس المال ، والمراد به ماينغمس فيه الإنسان من الأفات المهلكة ، والحقى: هوماتقرر من حقيقة ثابتة أرشدإليها دليل قاطع،أوعيان ومشاهدة ، أوشر يمة صحيحة جاء بها نبى معصوم ، والصبر : قوة النفس تدعوها إلى احتال المشقة فى العمل ، الطيب ، وتهوّن عليها احتال المسكروه فى سبيل الوصول إلى الأغراض الشريفة ، والتواصى بالحق : أن يوصى بعضهم بما لاسبيل إلى إنكاره وهو كل فضيلة وخبر ، والتواصى بالصبر : أن يوصى بعضهم بعضا به و يحثه عليه ، ولا يكون ذلك نافها مقبولا إلا إذا كل المره نفسه به و إلا صدق عليه قول أبى الأسود الدؤلى :

الإيضاح

(والمصر) أقسم ر بنا سبعانه بالدهم لما فيه من أحداث وعبر يستدل بها على قدرته وبالغ حكمته وواسع علمه ، انظر إلى مافيه من تعاقب الليل والنهار وهما آيتان من آيات الله كا قال : « وَبِينَ آياتِه اللّهِلُ وَالنّهَارُ وَالنّهُسُ وَالنّهَرُ وَالنّهُسُ وَالنّهَرُ وَالنّهُسُ وَالنّهُسُ وَالنّهُسُ وَاللّهُ عَن فيك : من سرا وضرا ، وسحة وسقم، وغنى وفقر ، وراحة وتسب ، وحزن وفرح ؛ إلى نحو ذلك بما يسترشد به حصيف الرأى إلى أن الكون خالقاً ومدبّراً ، وهو الذي ينبغى أن يُوجه إليه بالسادة و يدعى لحشف الفر وجلب الخير — إلى أن المكاركانوا يضيفون أحداث السوء إلى الدهم ، فيقولون هذه نائبة من نوائب الدهم ، وهذا زمان بلاء ، فأرشدهم سبحانه إلى أن الدهم تمثق من خلقه ، وأنه ظرف تقع فيه الحوادث خيرُها وشرَها ، فإن وقعت للرء مصيبة فيا كسبت يداه ، وليس للدهم منها من سبب .

(إن الإنسان لني خسر) أي إن هذا الجنس من المخلوقات - خاسر في أعماله ضربا من الخسران إلا من استثنام الله ، فأعمال الإنسان هي مصدر شقائه ، لاالزمان

ولا المسكان ، وهى التى توقعه فى الهلاك ، فذنب المرء فى حق بارئه ، ومن يمن عليه بنمه الجليلة ، وآلائه الجسيمة ، جريمة لانصدلها جريمة أخرى .

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاهتقدوا اعتقادا صحيحا أن للعالم كله إلهاً خالقا قادراً برضى عن المطبع ، ويفضب على العاصى ، وأن هناك فوقا بين الفضيلة والرذيلة ، فدفعهم ذلك إلى عمل البر والخير — وجماع ذلك نفع للرء نفسه ونفعه للناس أجمعين .

وخلاصة أمرهم - أنهم باعوا الفانى الخسيس ، واشتروا الباقى النفيس ، واستبداوا الباقيات الصالحات بالفاديات الرائحات، فيالها من صفقة ما أربحها، ومنقبة جامعة للخير ما أوخحها .

(وتواصو بالحق) أى وأوصى بعضهم بعضا بالأمر الثابت الذى لاسبيل إلى إنكاره، ولا زوال فى الدار بن لمحاسن آثاره، وهو الخيركله من إيمان بالله عز وجل واتباع لـكتبه ورسله فى كل عقد وعمل .

(وتواصوا بالصبر) أى وأوصى بعضهم بعضا والصبر عن للطامى التى تشتاق إليها الدفس بحكم الجبائة البشرية ، وعلى الطاعات التى يشق عليها أداؤها ، وعلى ماييتلى الله تعالى به عباده من المصايب و يتلقاها بالرضا ظاهرا و باطنا ، فلا بد للنجاة من الخسران أن يعرف الناس الحق و يُلزموه أنفسهم و يمكنوه من قلوبهم ، ثم يحمل بعضهم بعضا على سلوك طريقه ، وأن يبعدوا بأنفسهم و بغيرهم عن الأوهام والخيالات بعضهم بعضا على سلوك طريقه ، وأن يبعدوا بأنفسهم و بغيرهم عن الأوهام والخيالات التي لاقرار للنفوس عليها ، ولا دليل يهدى إليها .

وخلاصة ماسلف — إن الناس جميعا فى خسران إلا من اتصفوا بأر بعة أشياء: الإيمان ، والعمل ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالحبر ؛ فيصلون الخير ويدعون إلى العمل به ، ولا بزحزحهم عن الدعوة إليه مايلاقونه من مشقة و بلاء . والإنسان جميعه خسر مساعية وضل مناهجه ، وصرف عمره فى غير مطالبه ، فهو قد جاء إلى الأرض ليخلص نفسه من الرفائل ويتحلى بالفضائل ، حتى إذا رجم

إلى عالم الأرواح كان أقوى جناحا ، وأمفى سلاحا ، لكنه حين رجع إلى مقره فى عالم السموات بالموت لم يجد إلا نقصا مجيط به ، وجهلا يرديه ، فندم إلا طائمة منه عاشوا فى الدنيا مفكرين ، فآمنوا بأنبيائهم وصدقوا برسلهم ، وأحبوا بنى جنسهم ، وأحسنوا إلى إخوامهم فساعدوهم بأنسهم وأموالهم ، وصاروا معهم متماضدين متعاونين ، وصيروا على ماتزل بهم من الحدثان ، ورئموا به من البهتان ، فهؤلام فى الدنيا يفوزون بما يريدون ، وفى الآخرة بالنعيم يفرحون .

جمك الله في زمرة أولئك العاملين الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

سيورة الممزة

هي مكية ، وآياتها نسع ، نزلت بعد سورة القيامة .

ومناسبتها لما قبلها — أنه لما ذكر سبحانه فى السورة السابقة أن جميع أفراد الإنسان منفسون فى الضلال إلا مر عصم الله — ذكر هنا بعض صفات أهل الضلال .

أسباب نزول هذه السورة

قال عطاء والكلبي : نزلت هذه السورة في الأخْنس بن شُرَيق ، كان يلمز الناس ويفتاجهم وبخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال مقاتل : نزلت فى الوليد بن المفيرة ،كان ينتاب النبى صلى الله عليه وسلم من وراثه ويطمُن فيه فى وجهه .

بِسْمِ اللهِ الرُّحليِ الرَّحيم

وَ يُلُ لِكُلِّ مُحَرَّةً كُنَّةً (١) اللَّذِي تَعْمَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٧) أَيَحْسَبُ أَنْ مَالَكُ أَخْسَبُ أَنْ مَالَكُ أَخْسَلَكُ أَنْ اللَّهِ أَكْ مَلَكَ أَنْ مَالَكُ أَخْسَلَكُ أَنْ اللَّهِ المُوقَدَةُ (١) اللَّتِي تَطَّلِحُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَد مُمَدَّدَةً (٩) .

شرح المفردات

و يل: أى خزى وعذاب، وهو لفظ يستمعل في الذم والتقبيح ؛ والمراد به التنبيه على قبح ماسيذكر بعد من صفاتهم ، والهمزة اللمزة : الذى يطمن في أعراض الناس ويظهر عيوبهم و يُحقر أعمالهم ، تلذذا بالحط منهم وترفعا عنهم؛ وأصل الهمز: الكسر يقال همزكذا : أى كسره ؛ وأصل اللمز الطمن ، يقال لمزه بالرمح : أى طعنه ثم شاع استعالها فيا ذكرنا ، قال زياد الأعجم :

إذا لَفيتُك عن شَحْطِ تكاشرُنى و إن تغيبتُ كنتَ الهامزَ اللهزَه وعن مجاهد وعطاء: الهمزة الذي ينتاب ويطمن في وجه الرجل ، واللمزة : الذي ينتاب من خلفه إذا غاب ، ومنه قول حسان :

هُرزنك فأختَصَمَّت بذل نفس بقافية تأجّج كالشـــوَاظ عدّه : أى عده سرة بعد أخرى شففا به ، أخليه : أى ضمن له الخلود في الدنيا ، والنبذ : الطرح مع الإهانة والتحقير ، والخطمة : من الحطم وهو الكسر ؛ يقال رجل حُطمة إذا كان شديدا لايبقي على شيء وفي أشالهم : شرُّ الرَّعاء الحطمة : أى

قد لنَّهَا الليـــــــل بسواق حُطَمُ ليس براعى إبلِ ولا غُمَ ولا بجزّار على ظهر وضَمْ

الذي يحطم ماشيته ويكسرها بشدة سوقها قال :

والمراد بها النار ، لأنها تحطم المظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القاوب . تعلَّم على الأفندة : أى تعلو أوساط القاوب ونفشاها ، مؤصدة : أى مطبقة من أوصدت الباب : أى أغلقته قال :

تحن إلى أجبالِ مكة ناقى ومن دونها أبواب صنعاء موصده والعمد : أي مطولة من أول الباب إلى آخره .

الإيضاح

(و يل لكل همزة لمزة) أى سخط وعذاب من الله لكل طئّان في الناس ، أكال للحومهم ، مؤذ لهم في غيبتهم أو في حضورهم .

ثم ذكر سبب عيبه وطمنه في الناس فقال :

(الذي جمع مالا وعدّده) أى إن الذي دعاه إلى الحط من أقدار الناس والزراية بهم هو جمه للمال وتعديده مرة بعد أخرى، شفقا به وتلذذا بإحصائه ، لأنه يرى أن لاعزّ إلا به ، ولا شرف بفيره ، فهو كما نظر إلى كثرة ماعنده ظن أنه بذلك قد ارتفت مكانته ، وهزأ بكل ذى فضل ومزية دونه ، ثم هو لا يخشى أن تصيبه قارعة بهمزه ولمزه وتمزيقه أعراض الناس ، لأن غروره أنساه الموت ، وأعى بصيرته عن النظر في مآله ، والتأمل في أحواله .

ثم بين خطأه في ظنه فقال :

(يحسب أن ماله أخلده) أى يظن هـذا الهاز الدياب أن ماعنده من المـال قد ضمن له الخلود في الدنيا ، وأعطاه الأمان من الموت ، فهو لذلك بعمل عمل من يظن أنه باق حيًا أبد الهـهم ، ولا يسود إلى حياة أخرى يماقب فيها على ما كسب من سئ الأعمال . و بعد أن توعد مَن هذه صفاته بشديد المقاب ، وأردفه ذكر السبب الفنى خله على ارتكاب هذه الخلال المعقوتة ، من ثلثه أن ماله يضمن له الأمان من الموت ، أعقبه بتفصيل ما أعيد له من هذا المذاب المحتوم نقال :

(كلا لينبذن في الخطمة) أى ازدجر أيها الميّاب عما خيل إليك من أن المال يخلدك و يبقيك ، بل الذى ينفع هو الملم وصالح السل ، فإنك والله مطروح فى النار لامحالة ، لا يُؤْبه لك ولا ينظر إليك .

وأثر عن على كرم الله وجهه من عِظة له: يا كُيْلُ هلك خزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون مابق الدهم، ؛ أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة . ير يد أن خزان الأموال ممقوّون مكروهون عند الناس ، لأنهم لاينالون منهم ثيثا ، أما العلماء فالثناء عليهم مستمر ما بتى على الأرض إنسان ينتفع بعلهم، و يفترف من مجار فضلهم.

تم أخذ يهوّل أمر هذه النار و يعظم شأنها فقال:

(وما أدراك ماالحطمة) أى إن هذه الحطمة بما لاتحيط بها سوفتك ، ولا يقف على حقيقتهاعقلك ، فلايعلم شأنها ، ولا يقف على كنهها ، إلا من أعدهالمن يستحقها .

ثم فسر هذه الحطمة بعد إبهامها فقال:

(نار الله الموقدة) أى إنها النار التي لاتنسب إلا إليه سبحانه ، إذ هو الذى أنشأها وأعدها لمقاب العصاة والمذنبين ، وفى وصفها بالموقدة إيماء إلى أنها لاتخد أبدا ، بل هي ملتهبة التهايا لايدرك حقيقته إلا من أوجدها .

ثم وصفها بأوصاف تخالف نيران الدنيا ليؤكد مخالفتها لها فقال :

(١) (الني تطلع على الأفتدة)أى إنها تتنلب على الأفتدة وتقهرها ، فتدخل في الأجواف حتى تصل إلى الصدور ، فقاً كل الأفتدة ، والفلب أشد أجزاء البدن تألما ، فإذا استولت عليه النار فأحرقته ، فقد بلغ السذاب بالإنسان غاية لا مقدرها .

وقد يكون المراد بالاطلاع المعرفة والملم ، وكأن همذه النار تدرك مافى أفئدة الناس يوم البعث ، فتميز العاصى عن المطيع ، والخبيث عن الطيب ، وتفرق بين من اجترحوا السيئات فى حياتهم الأولى ، ومن أحسنوا أعمالهم ، وإنا للكل أمر ذلك إلى علام النيوب .

وفى وصفها بالاطلاع على الأفئدة التى أودعت باطن الإنسان فى أخفى مكان منه -- إشارة إلى أمها إلى غيره أشد وصولا وأكثر تفليا .

 (٣) (إنها عليهم مؤصدة) أى إنها مطبقة عليهم لايخرجون منها، ولايستطيعون المحروج إذا شاءوا، فهم «كُلماً أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمَرٍ أَعِيدُوا فِهَا».

(٣) (في عمد بمدّدة) قال مقاتل : إن الأبواب أطبقت عليهم ، ثم شدّت بأوتاد من حديد ، فلا يفتح عليهم باب ، ولا يدخل عليهم روح اه .

والمراد بذلك تصوير شدة إطباق النار على هؤلاء وإحكامها عليهم ، والمبالغة فى ذلك ليودع فى قلوبهم اليأس من الخلاص منها .

وعلينا أن نؤمن بذلك ولا نبحث عن كون العمد من نار أو حديد ، ولا فى أنها تمتد طولاً أو عرضا ، ولا فى أنها مشبهة لعمد الدنيا . بل نكل أمر ذلك إلى الله ، لأن شأن الآخرة غير شأن الدنيا ، ولم يأتنا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم يبين ذلك ، فالكلام فيه قول بلا علم ، وافتراء على الله المكذب .

نسأل الله أن يحفظنا من غضبه ، و يقينا شر النار الموصدة ، بمنه وكرمه .

سورة الفيـــــل

هى مكية ، وآياتها خس ، نزلت بعد سورة الكافرين .

ومناسبتها لمـا قبلها — أنه بين فى السورة السابقة أن المـال لايغنى من الله شيئا ؛ وهنا أقام الدليل على ذلك بقضص أصحاب الفيل .

بِسُم ِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم ِ

أَلَمْ ثَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمَّ يَحْمَلُ كَيْدَهُمْ فِ تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَهْ مِنْ سِجْيل (٤) فَجَمَلَهُمْ كَمَصْف مَأْكُول (٥) .

شرح المفردات

السكيد: إرادة وقوع ضر بفسيرك على وجه الخفاء ، والتضليل : التضييع والإيطال ، تقول ضلّت كيد فلان إذا جملته بإطلا ضائما ، والطير : كل ماصار في الهواء ، صغيراً كان أوكبيرا ، والأبابيل : الجاعات ، لاواحد له من لفظه ، والسجيل : الطين الذي تحجر ، والسحف : ورق الزرع الذي يبقى بعد الحصاد ، وتسمفه الرياح : فتاً كله للاشية ، مأ كول : أي أكلت الدواب بعضه وتناثر بعضه الآخر من يين أسنانها .

المعنى الجملي

ذَكّر الله سبحانه نبيه ومن تبلغه رسالته بسمل عظيم دال على بالغ قدرته، وأن كل قدرة دونها فهى غاضمة لسلطانها — ذاك أن قوما أرادوا أن يتعززوا بفيلهم (١٦) ليغلبوا بعض عباده على أمرهم، ويصلوا إليهم بشرّ وأذى ، فأهلكهم الله ، وردّ كيده، وأبطل تدبيرهم، بعد أن كاوا فى ثقة بَمَدهم وعُددهم ولم يفدهم ذلك شيئًا.

قصص أصحاب الفيل كما رواه أرباب السير

حادث الفيل معروف متواتر لدى العرب ، حتى إنهـــم جعلوه مبدأ تاريخ يحددون به أوقات الحوادث ، فيقولون : ولدعام النيل ، وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ، ونحوذلك .

وخلاصة ما أجمع عليمه روانهم — أن قائدا حبشيا بمن كانوا قد غلبوا على الين أراد أن يعتدى على الحجم إليها ، وين أراد أن يعتدى على الحكمية المشرقة ويهدمها ، لمينم العرب من الحجم إليها ، فتوجه بجيش جرار إلى مكة ، واستصحب معه فيلا أوفيلة كثيرة زيادة فى الإرهاب والتخويف ، ولم يزل سائرا يغلب من يلاقيه ، حتى وصل إلى « المُمنَّس » وهوموضع بالقرب من مكة ، ثم أرسل إلى أهل مكة يخيرهم أنه لم يأت لحربهم ، و إنما جاء لهدم البيت ، فنزعوا منه ، وانطلقوا إلى شف الجبال ينظرون ماهو فاعل .

وفى اليوم الثانى فشا فى جند الحبشى داء الجُدَرَى والحصبة ، قال محرمة : وهو أول جُدَرِى ظهر ببلاد العرب ، فنمل ذلك الوباء بأجسامهم مايندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر و بتساقط ، فذُعر الجيش وصاحب ه وولَّوا هار بين ، وأصيب الحبشى ولم يزل لحمه يسقط قطمة قطمة ، وأعملة أعملة ، حتى انصدع صدره ومات فى صنعاه .

الإيضاح

(ألم تركيف فعل ربك بأسحاب الفيل؟) أى ألم تعلم الحال العجيبة والمكيفية الهائلة الدالة على عظم قدرة الله تعالى وكال علمه وحكته ، فيا فعل بأسحاب الفيل الفنين تصدوا هـدم الديت الحرام ، فتلك حال قد جاءت على غير مايعرف من

الأسباب والعلل ، إذ لم بعهد أن مجى علير فى جهة فيقصد قوما دون قوم ، وهم معهم في مجهة واحدة ، فذلك أمارة أنه من صنع حكم مدبر بعثه لإنفاذ مقصد معين .

و إنما عبر عن العلم بالرؤية ، للايماء إلى أن الخبر بهذا القصص متواتر مستقيض ، فالملم به مساو فى قوتة النبوت مع الوضوح -- قلم الناشئ عن الرؤية والمشاهدة . وخلاصة ذلك -- إنك قد علمت ذلك علما واضحا لالبس فيه ولا خفاء .

ثم بين الحال التي وقع عليها فعله فقال :

(ألم بحمل كيدهم فى تضايل؟) أى إنك لترى ماكان عليه فعل الله بأولئك الفوم ، فقد ضيع تدبيرهم ، وخيّب سعيهم .

ثم فصل تدبيره في إبطال كيد أولئك القوم فقال:

(وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل) أى إنه تعالى أرسل عليهم فرقا من الطيرتحمل حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش ، فابتلوا بمرض الجدرى أوالحصبة حتى هلكوا .

وقد يكون هذا الطير من جنس البعوض أوالدباب الذى يحمل جرائيم بعض الأمراض ، أوتكون هذه الحجارة من الطين اليابس المسموم الذى تحمله الرياح ، فيملّق بأرجل هذا الطير ، فاذا اتصل مجسم دخل فى مسامه ، فأثار فيه قروحا تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه .

ولا شك أن الذباب يحمل كثيرا من جرائيم الأمراض ، فوقوع ذبابة واحدة ملائة بالمسكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي يحمله ، ثم هو ينقل هذا المرض إلى الجمّ الفنير من الناس ، فإذا أراد الله أن يهلك جيشا كثير المدد ببعوضة واحدة لم يكن ذلك بسيدا عن مجرى الإلف والعادة ، وهذا أنوى في الدلالة على قدرة الله وعظيم سلطانه ، من أن يكون هللا كهم بكبار الطيور ، وغرائب الأرور ، وأدل على ضف الإنسان وذله أمام النهر الإلملي ، وكيف لا وهو مخلوق تبيده ذباية ، وتقضّ مضجعه بموضة ، ويؤذيه هبوب الربح .

قال الأستاذ الإمام: فهذا الطاغية الذي أراد أن يهدم البيت، أرسل الله عليه ما يوسل إليه مادة الجدري أو الحصبة، فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة، وهي نعمة من الله خَرَبها أهل حرَمه على وثنيتهم، حفظا لبيته حتى يرسسل إليه من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم، وإن كانت نقمة من الله حلت بأعدائه أسحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت بدون جُرْم اجترمه، ولا ذب اقترفه اه.

(فجملهم كمصف مأكول) أى فجل هؤلاء القوم كمصف وقع فيه الأكال وهو السوس ، أوأكلت الدوابّ بعضه ، وتناثر بعضه الآخر من بين أسنانها .

وصل ربنا على محمد الذى قصصت عليه مافيه العبرة لمن اذّ كر ، وأوحيت إليه مافيه مزدجر ، لمن تدبر واعتبر ، إنك أنت العليم الحسكيم .

سورة قريش

هى مكية ، وآياتها أربع ، نزلت بعد سورة التين .

ومناسبتها لما قبلها - أن كلا منهما تضمن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة ؛ فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم وهوأساس مجدهم وعزهم: والثانية ذكرت نعمة أخرى هي اجتباع أمرهم ، والتئام شملهم ، ليتمكنوا من الارتحال صيفاً وشتاء في تجارتهم ، وجلب لليرّة لهم .

ولوثيق العملة بين السورتين كان أبي بن كمب يستبرهما سورة واحدة ، حتى روى عنه أنه لم يفصل بينهما بيسملة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلاَفِ قُرَيْشِ (١) إِيلاَفِيمْ رِخْلَةَ الشَّنَاء وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَمْلَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَامْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) .

شرح المفردات

تقول ألفت الشي إلغاً و إلاها ، وآلفته إيلاها : إذا لزمته وعكفت عليمه مع الأنس به وعدم النفور منه، وقريش : اسم للقبائل العربية من ولد النضر بن كنانة ، والرحلة : ارتحال القوم أى شدهم الرحال المسمير ، أطمعهم : أى وسم لهم الرزق ، ومهد لهم سبيله ، وآمنهم : أى جملهم فى أمن من التمدى عليهم ، والتعالول إلى أموالهم وأغسهم .

الإيضاح

(لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا ربّ هذا البيت) أى فلتعبد قريش ربها شكرا له على أن جعلهم قوما تَحِرَّا ذوى أسفار في بلاد غير ذات زرع ولاضَرع ، لهم رحلتان رحلة إلى المين شتاء لجلب الأعطار والأفاويه التى تأتى من بلاد الهند والخليج الفارسي إلى تلك البلاد ؛ ورحلة في الصيف إلى بلاد الشام لجلب الحاصلات الزراعية إلى بلاده الحيد منها.

وقد كمان العرب محترمونهم في أسفارهم، لأنهم جيران بيت الله وسكان حرمه ، وولاة الكمنة ، فيذهبون آمنين ، ويعودون سالمين ، لايمسهم أحد بسوء على كثرة ماكان بين العرب من السلب والنهب والغارات التي لاتنقطع .

فكان احترام البيت ضر با من القوة المنوية التي تحتمي بها قريش في الأسفار، ولهذا ألفتها نفوسهم، وتعلقت بالرحيل، استدراراً لارزق. وهذا الإجلال الذي ملك نفوس العرب من البيت الحرام ، إنما هو من تسخير رب البيت سبحانه ، وقد حفظ حرمته ، وزادها فى نفوس العرب رَدُّ الحبشة عنه حين أرادوا هدمه ، وإهلاكهم قبل أن ينقضوا منه حجرا ، بل قبل أن يدنوا منه .

ولو نزلت مكامة البيت من نفوس المرب، ونقصت حرمته عندهم، واستطالت الأيدى على شُمَّارهم لنفروا من نلك الرحلات ، فقلَّت وسائل السكسب بينهم، لأن أرضهم ليست بذات زرع ولا ضَرْع ، وماهم بأهل صناعة مشهورة يحتاج إليها الناس فيأتوهم وهم فى عُقْر ديارهم ، ليأخذوا منها ، فكانت تضيق عليهم مسالك الأرزاق ، وتنقطم عنهم ينابيم الخيرات .

(فليمبدوا رب هذا البيت) الذي حاه من الحبشة وغيرهم ، ومكّن منزلته فى النفوس ، وكان من الحق أن يفردوه بالتمثليم والإجلال .

ثم وصف رب هذا البيت بقوله :

(الذي أطعمهم من جوع) أي إنه هو الذي أوسع لهم الرزق، ومهد لهم سبله، ولولاه لكانوا في جوع وضنك عيش .

(وآمنهم من خوف) أى وآمن طريقهم ، وأورثهم القبول عند الناس ، ومنع عنهم التمدى والتطاول إلى أموالهم وأنفسهم ، ولولاه لأخذهم الخوف من كل مكان فعاشوا في ضَنْك وَجَهْد شدند .

و إذا كانوا يعرفون أن هذا كله بفضل رب هذا البيت ، فلم يتوسلون إليه بتنظيم غيره ، وتوسيط سواه عنده ؟ مع أنه لافضل لأحد بمن يوسطونه فى شئ من النعمة التى هم فيها ، نعمة الأمن ونعمة الرزق ، وكفاية الحاجة .

اللهم ألهم قلوبنا الشكر على نعمك التى تترى علينا ، وزدنا بسطة فى العسلم والرزق .

سورة الماعون

هى مكية ، وآياتها سبع ، نزلت بعد سورة التكاثر .

ووجه مناسبتها لما قبلها :

- (١) أنه لما قال في السورة السابقة : « أَطْتَمَهُمْ مِنْ جُمِعٍ » ذم في هذه من لم
 مجفل على طعام السكين .
- (٢) أنه قال فى السورة السابقة : ﴿ فَلْيَمْبُدُوا رَبُّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ وهناذم من سها عن صلاته .
- (٣) أنه هناك عدد نممه على قريش وهم مع ذلك ينكرون البعث ومجمحدون الجزاء ، وهنا أتبعه بتهديدهم وتخويفهم من عذابه .

يسم اللهِ الرَّ عن الرَّحيم

أَرْأَ إِنْتَ الَّذِى يُمِكَذَّبُ بِالدَّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُ الْيَدْمَ (٧) وَلَا يَكُونُ الَّذِينَ هُمْ عَنْ وَلاَ يَكُونُ اللَّهِ اللَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهُمْ اللَّهِ مَا اللَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَالُونَ (٥) اللَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) .

شرح المفردات

أرأيت: أى هل عرفت وعلمت ؛ والراد بذلك تشويق السامع إلى تعرّف ما يذكر بعده مع تضمنه التعجب منه ، كما تقول: أرأيت فلانا ماذا صنع ، وأرأيت فلانا كيف عرض نفسه للمخاطر ... أنت في كل ذلك تريد بعث المخاطب على التعجب بما فعل ، والدين : هو الخضوع لما وراء المحسوس من الشؤون الإلهية التي لا يمكن الإنسان أن يعرف حقيقتها ، وإنما يجد آثارها في المحرف باعته على الإذعان

والتصديق ، كوجود الله ووحدانيته ، و بعثه الرسل مبشرين ومنذرين ، والتصديق . بحياة أخرى يعرض الناس فيها على ربهم البجزاء ، يدع اليتيم : أى يدفعه و يزجره زجرا عنيفاكا جاء فى قوله : ٧ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّم كَتَّا » يحض : أى يحت و يدعو الناس إلى ذلك ، يراءون : أى يفعلون بقدر ما يرى الناس أنهم يفعلون ذلك من غير أن تستشعر قلوبهم خشية الله بها ؛ وحقيقة الرياء طلب ما فى الدنيا بالعبادة ، وطلب المنزلة فى قلوب الناس ، و يكون ضل ذلك على ضروب :

- (١) بتحسين السمت مم إرادة الجاه وثناء الناس .
- (٣) بلبس الثياب القصار أو الخشنة ليأخذ بذلك هيبة الزهاد في الدنيا .
- (٣) بإظهار السخط على الدنيا ، وإظهار التأسف على ما يفوته من فعل الخير .
 - (٤) بإظهار الصلاة والصدقة ، أو بتحسين الصلاة لرؤية الناس له .

وللماعون : ماجرت العادة بأن يسأله الفقير والفنى كالقدر والدلو والفأس .

وقال جار الله : ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل السالح إن كان فريضة ، فن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه الصلاة والسلام : « ولا غمّة في مؤائض الله » لأنها أعلام الإسلام ، وشمائر الدين ، ولأن تاركها يستحق النم والمقت ، فوجب إماطة التهمة بالإظهار ، و إن كان تطوعا فحقه أن يخفى ، لأنه بما لايلام بتركه ولا تهمة فيه ، فإن أظهره فاصدا الاقتداء به كان جميلا ، و إنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح ؛ وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها نقال : ما أحسن هذا لوكان في بيتك ؟

على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ، ومر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسنم : « الرياء أخنى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الفللماء على المستح الأسود » اه . المسح : كساء خشن من صوف يلبسه الزهاد .

الإيضاح

(أرأيت الذى يكذب بالدين) أى هل عرفت ذلك الذى يكذب بمــا وراه إدراكه من الأمور الإلهية ، والشئون النيبية ، بسد أن ظهر له بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، فإن كنت لاتعرفه بذاته ، فاعرفه بصفاته وهى :

 (١) (فذلك الذي يدع اليتم) أى فذلك المكذب بالدين هو الذي يدفع اليتم و يزجره زجرا عنيفا إن جاء يطلب منه حاجة ، احتقارا لشأنه وتكبرا عليه .

(٧) (ولا يحض على طمام المسكين) أى ولا يحث غيره على إطمامه ، وإذا
 كان لايحث غيره على ذلك ولا يدعو إليه ، فهو لايفطه بالأولى .

وفى هذا توجيه لأنظارنا إلى أنا إذا لم نستطع مساعدة السكين كان علينا أن نطلب من غيرنا معونته ونحثه على ذلك كما تفعل جماعات الخير: « الجمعيات الخيرية».

وقصارى ماسلف — إن للمكذب بالدين صفتين: أولاهما أن يحتقر الضعفاء ويتكبر عليهم. وثانيتهما أن يبخل بماله على الفقراء والمحاويج، أو يبخل بسعيه لدى الأغنياء، ليساعدوا أهل الحاجة ممن تحقق مجزهم عن كسب ما ينقذهم من الضرورة، ويقوم لهم بكفاف الميش.

وسواء أكان المحتقر المحقوق، البخيل بالمال والسمى لدى غيره مصليا أو غير مصل فهو في صف المكذبين ، ولا تخرجه صلاته منهم ، لأن المصدق بشى الانطاوعه نفسه على الخروج مما صد ق به ، فلو صد ق بالدين حقا لصار منكسرا متواضما لايتكبر على الفقراء ولا ينهر المساكين ولا يزجرهم ؛ فن لم يفعل شيئا من ذلك فهو صماء في عمله ، كاذب في دعواه ، ومن ثم قال سبحانه :

(فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى فعذاب لمن يؤدى العملاة بجسمه ولسانه من غير أن يكون لهـا أثر فى نفسه ، ومن غير أن تؤتى تمرتها التي شرعت لأجلها ، لأن قلبه غافل عما يقوله اللسان ، وتعمله الجوارح ، فيركم وهو لام عن ركوعه ، ويسجد وهولام عن سجوده ، ويكبر وهو لايعى مايقول ؛ و إنما هي حركات اعتادها ، وكتات حفظها ، لاتدرك نفسه معناها ، ولا تصل إلى معرفة ثمرتها .

(الذين هم يرا ون) أى إنهم يفعلون أضالا ظاهرة بقدر ما يرى الناس ، دون أن تستشعر قلوبهم بها ، أو تصل إلى معرفة حِكمها وأسرارها .

(ويمنعون الماعون) أى ويمنعون مالم تجر العادة بمنعه مما يسأله الفقير والغنى ، وينسب منعه إلى لؤم الطبع وسوء الخلق كالفدر والفأس ، والقدوم ونحو ذلك .

قال الأستاذ الإمام: فأولئك الذين يصلّون ، ولا يأنون من الأعمال إلا ما يرى للناس ، مما لايكلفهم بذل شيء من مالهم ، ولا يخشون منه ضررا يلحق بأبدانهم ، أو نقصا مريم بجاههم ، ثم يمنمون ما عونهم ، ولا ينهضون بباعث الرحمة إلى سدّ حاجة الموزين ، وتوفير ما يكفل راحتهم وأمنهم وطمأنينتهم – لانفهم صلاتهم ، ولا تخرجهم عن حد المسكذيين بالدين ، لافرق بين من وسحوا أنفسهم بسمة الإسلام أو غيره ، فإن حكم الله واحد ، لا محاباة فيه للأسماء المنتحلة ، التي لاقيمة لما إلا بمانيها الصحيحة المنطبقة على مراده تعالى من تحديد الأعمال وتقرير الشرائم .

فخاصة المصدّق بالدين التي تميزه عن سواه من المكذبين هو المدل والرحمة و بذل المعروف للناس ، وخاصة المكذب التي يمتاز بهما عن المصدقين هي احتقار حقوق الضعفاء وقلة الاهمام بمن تلديمهم آلام الحاجة ، وحب الاترة بالمال ، والتعزز بالقوة ، ومنع المعروف عن يستحقه من الناس .

فهل للسلمين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به أن يقيسوا أحوالهم وما يجدونه من أشسهم بما يتلون في هذه السورة الشريفة ؟ ليعرفوا هل هم من قسم المصدقين أو المكذبين ؟ وليُقْلِموا عن الغرور برسم هذه الصلاة التي لا أثر لها إلا في ظواهم أعضائهم ، وبهذا الجوع الذي يسمونه صياما

ولا أثر له إلا في عبوس وجوههم ، و بذاذة ألستهم ، وضياع أوتاتهم في اللهو والبطالة ، ويرجعوا إلى الحق من دينهم ، فيقيموا الصلاة ، ويحيوا صورتها بالخشوع للعلى الأعلى ، فلا يخرجون من الصلاة إلا وهم ذا كرون أنهم عبيد لله يلتمسون رضاه في رعاية حقوقه بما يراه ، و يجعلوا من الصوم مؤدبا للشهوة ، ومهذّبا للرغبة ، وادعا للنفس عن الأثرة ، فلا يكون في صومهم إلا الخير لأنفسهم ولقومهم ، ثم يؤدون الركاة المفروضة عليهم ، ولا يبخلون بالمونة فيا ينفع الخاصة والعامة اه والله أعلم .

سورة الكوثر

هى مكية ، وآياتها ثلاث ، نزلت بعد سورة الماديات .

ومناسبتها لمـا قبلها ــ أنه وصف فى الأولى الذى يكذب بالدين بأمور أربع : البخل . الإعراض عن الصلاة . الرياء . منع الممونة ــ وهنا وصفُ ما مُنيحة وسولُه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة ، فذكر أنه أعطاه السكوثر وهو الخير الكثير ، والحرص على الصلاة ودوامها ، والإخلاص فيها والتصدّق على الفقراء .

أسباب نزول هذه السورة

كان المشركون من أهل مكة والمنافقون من أهل المدينة يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم و يلمزونه بأمور :

(١) أنه إنما اتبعه الضفا. ولم يتبعه السادة الكبراء ، ولوكان ماجا. به الدين صحيحا لكان أنصاره من ذوى الرأى والمكانة بين عثائرهم ، وهم ليسوا ببدع فى هذه المثالة ، فقد قال قوم نوح له فيا قصه الله علينا : «وَمَاتَرَ اللّهُ اتَّبْعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أُرَاذِلْنَا بَادِى الرَّأْي، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْناً مِنْ فَضْل بَلْ نَظْنُكُمْ كَأُذِينِ». وقد جرت سنة الله فى خلقه أن يسرع فى إجابة دعوة الرسل الضعفاء ، من قبل أنهم لا يملكون مالا فيخافوا أن يضيع فى سبيل الدعوة الجديدة ، ولا جاها ونفوذا فيخافوا أن يضيما أمام الجاه الذى مُنيحة صاحب الدعوة ــ وأن يتخلف عنها السادة السكبراء حتى يدخلوا فى دين الله وهم له كارهون ، ومن ثم يظل الجدل بين أونتك الصناديد ورسل الله ، ويأخذون فى انتقاصهم ، وكيل النهم لهم تهمة بعد تهمة ، والله ينصر رسله ويؤيدهم ويشد" أزرم .

وعلى هذا السَّن سار أهل مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد تخلف عنه سادتهم وكبراؤهم حسدا له ولقومه الأُذَدِّين .

- (۲) إنهم كانوا إذا رأوا أبناءه يمونون ، يقولون : انقطع ذكر محمد وصار أبتر م
 يحسبون ذلك عيبا فيلمزونه به ويحاولون تنفير الناس عن اتباعه .
- (٣) إنهم كانوا إذا رأوا شدة نزلت بالمؤمنين طاروا بها فرحا وانتظروا أن تدول
 الدُّولة عليهم وتذهب ريحهم ، فتعود إليهم مكانتهم التي زعزعها الدين الجديد

فجاءت هذه السورة لتؤكد لرسوله أن مايرجف به المشركون ومَم لاحقيقة له ، وللمحص نفوس الذين لم تصلُب قناتهم ، ولتردّ كيد المشركين في نحورهم ، ولتعلمهم أن الرسول منتصر لامحالة ، وأن أتباعه هم المفلحون .

بسم الله الرَّحْنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْـكَوْثَرَ (١) فَصَلَّ لِرَبَّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِيَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) .

شرح المفردات

السكوثر : المفرط فى السكثرة ، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر : بم آب ابنك ؟ قالت : آب بكوثر ، ويقال للرجل السكثير العطاء هو كوثر ، قال السكميّيت الأسدى :

وأنت كثير يابن مروان طيب وكان أبوك ابن المقائل كوثرا والمراد به هنا النبوة والدين الحق والهدى وما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، والشانىء : المبغض ، وأصل الأبتر : الحيوان المقطوع الذنب ، والمراد به هناما لايبقى له ذكر ولا يدوم له أثر ـ شبه بقاء الذكر الحسن واستمرار الأثر الجميل بذنب الحيوان من حيث إنه يقيمه وهو زينة له ، وشبه الحرمان منه بيتر الذنب وقطعه .

الإيضاح

(إنا أعطينك الكوثر) أى إنا أعطيناك من المواهب الشيء الكثير الذي يعجز عن بلوغه العدّ ، ومنحناك من الفضائل ما لاسبيل للوصول إلى حقيقته ، وإنا استخف به أعداؤك واستقلوه ، فإنما ذلك من فساد عقولهم ، وضعف إدراكهم .

(فصل ّ لر بك وانحر) أى اجعل صلاتك لر بك وحده ، وانحر ذبيحتك وما هو نسك لك لله أيضا ، فإنه هو الذى ر باك وأسبغ عليك نسه دون سواه كا قال نمالى آمرا له : « قُلْ إِنَّ صَلَانِي وَنُسُكِى وَتَحْيَاىَ وَكَمَانِي ثِهْ رَبَّ الْمَالِمَينَ . لاَ شَر يكَ لَهُ وَبَذْلِكَ أُمْرِتُ وَأَنَا أَوِّلُ السَّهِينَ » .

و بعد أن بشر رسوله صلى الله عليه وسلم بأعظم البشارة ، وطالبه بشكره على ذلك ، وكان من تمام النعمة أن يصبح عدوه مقهورا ذليلا ، أعقبه بقوله :

(إن شانئك هو الأبتر) أي إن مبغضك كائنا من كان هو القطوع ذكره من

خيرى الدنيا والآخرة، وأما أنت فستبقى ذريتك ، ويبقى حسن صيتك ، وآثار فضلك إلى موم القيامة .

وشانثوه ما كانوا يبفضونه لشخصه ، لأمه كان محبّبا إلى نفوسهم ، بل كانوا يمتتون ماجاء به من الهدى والحكمة ، لأنه سفّه أحلامهم ، وعاب معبوداتهم ، ونادى بقراق ما ألقوه ونشئوا عليه .

وقد حقق الله فى شانئيه من العرب وغيرهم فى زمنه صلى الله عليه وسلم مايستحقونه من الخذلان والخسران ، ولم ببق لهم إلا سوء الذكر ؛ أما النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن اهتدى بهديه فان الله رفع منزلتهم قرق كل منزلة ، وجعل كانهم هى العليا .

قال الحسن رحمه الله: عنى المشركون بكونه أبتر: أنه ينقطع عن المقصود قبل بلوغه ، والله بين أن خصمه هو الذي يكون كذلك اه.

وصل ربنا على نبيك محمد الذى أعليت ذكره ، وأذللت شانثه ، صلاة تبقى مابقى الدهر. .

سورة الكافرون

هي مكية ، وآياتها ست ، نزلت بعد سورة الماعون .

ومناسبتها لما قبالها — أنه فى السورة السابقة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعبادته ، والشكر له على نعمه السكثيرة ، بإخلاص العبادة له ، وفى همـذه السورة التصريح بما أشير إليه فيا سلف .

أسباب نزول السورة

روى أن الوليد من المنيرة والماص من وائل السهمى والأسود من عبد الطاب وأمية بن خلف فى جماعة آخر بن من صناديد قريش وساداتهم أنوا النبي صلى الله عليه وسلم نقالوا له : ها يامحد فاتبع ديننا ونتبع دينك ، ونشر كنت فى أمرا كله ، تعبد آلمتنا سنة ، ونعبد إلهلك سنة ، فأن كان الذى جثت به خيرا كنا قد شركتنا فى أمرنا ، فيه ، وأخذنا حظا منه ، وإن كان الذى بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا فى أمرنا ، وأخذت حظك منه ، فقال : معاذ الله أن نشرك به غيره ، وأنرل الله ردا على هؤلام هذه السورة ، فقدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش ، فقام على ردوسهم ، ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة ، فأيسوا منه عند ذلك ، وطفقوا يؤذونه ويؤذون أسحابه حتى كانت الهجرة .

بِسْمِ اللهِ الرُّخْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يْلَاَيُهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُمَا تَمْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنا عَابِدٌ مَاعَبَدْتُمْ (٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) .

الإيضاح

(قل يأيها الكافرون . لاأعبد ماتىبدون) أى قل لهم : إن الإله الذى ترعمون أنكم تمبدون من يتخذ الشفعاء أو الولد، أنكم تمبدون من يتخذ الشفعاء أو الولد، أو يتجلى فى صورة ممينة أو نحو ذلك تما تزعمون ، وأنا أعبد إلى الامثيل له ولا ند ، وليس له ولد ولا صاحبة ، ولا يمل فى جسم ، ولا تدرك

كنهه العقول ، ولا تحويه الأمكنة ، ولا تمر به الأزمنة ، ولا يتقرّب إليهبالشفعاء ، ولا تقدم إليه الوسائل .

وعلى الجلة فبين مانمبدون وما أعبد ، فارق عظيم ، و بون شاسع ، فأنتم تصفون ممبودكم بصفات لا يجمل بممبودي أن يتصف بها .

(ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى إنكم لستم بعابدين إلهى الذى أدعو إليه لمخالفة صفاته لإلهٰ كم ، فلا يمكن التوفيق بينهما بحال .

و بعد أن ننى الاختلاف فى المبود ننى الاختلاف فى العبادة ، من قِبَل أنهم كانوا يظنون أن عبادتهم التى يؤدّونها أمام شفعائهم ، أو فى المعابد التى أقاموها لها أو فى خلواتهم وهم على اعتقادهم بالشفعاء عبادة خالصة لله ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لايفضاهم فى شىء فقال :

(ولا أناعابد ماعبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنا بعابد عمادتكم ، ولا أنتم عابدون عبادتى قاله أبو مسلم الأصفهانى .

وخلاصة ماسلف – الاختلاف التام في العبود ، والاختلاف البيّن في العبادة فلا معبود ما واحد ، ولا عبادتنا واحدة ، لأن معبودي سنره عن الندّ والنظير ، متمال عن الظهور في شخص معين ، وعن المحاباة لشعب أو واحد بعينه ، والذي تعبدونه أنتر على خلاف ذلك .

كما أن عبادتى خالصة لله وحده ، وعبادتكم مشو بة بالشرك ، مصحو بة بالنفلة عن الله تمالى ، فلا تسمى على الحقيقة عبادة .

ثم هددهم وتوعدهم فقال :

(لسكم دينكم ولى دين) أى لسكم جزاؤكم على أعمالسكم ولى جزأل على عملى كا جاء فى قوله تمالى: « لَنَا أَعَمَالُنَا وَلَسَكُمْ أَعْمَالُسَكُمْ ».

وصل ربنا على محمد الذي جمل الدين لك خالصا ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

سورة النصر

هى مدنية ، وآياتها ثلاث ، نزلت بعد سورة التوبة .

ومناسبتها لما قبلها — أنه لما ذكر فى السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذى يدعو إليه ، ودين الكنار الذى يعكنون عليه — أشار فى هذه السورة إلى أن ديتهم سيضمحل ويزول ، وأن الدين الذى يدعو إليه سيقلب عليه ، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبَّعْ بِحَدْدِ رَبَّكَ وَاسْتَنْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) .

شرح المفردات

النضر: المون؛ يقال نصره على عدوه ينصره نصرا : أى أعانه ، ونصر النيث الأرض : إذا أعان على إظهار نباتها ومنع من قحطها ، قال شاعرهم :

إذا دخل الشهر الحرام فجاوزى بلاد تميم وانصرى أرض عاس والفتح: الفصل بينه و بين أعدائه وإعزاز دينه وإظهار كاته ، والأفواج: واحدهم فوج ؛ وهو الجماعة والطائفة ، واستنفره : أى اسأله أن ينفر لك ذنوبك وتقومك الذين اتبعوك ، توابا : أى كثير القبول لتوبة عباده .

المعنى الجملي

كان المؤمنون أيام قالتهم ونقرهم وكثرة عَدد عدوهم وقوته ، يمر الضجر بنفوسهم وُمِقِضَّ مضاجعهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويضيق صدره ، (١٧) لتكذيب قومه له على وضوح الحق وسطوع البرهان ، كا قال تعالى مخاطبا رسوله : ﴿ فَلَمَلَكُ بَاخِيم ۗ نَفْسَكُ عَلَى آفَارِهِمْ إِنْ لَمَ يُوْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ وقال : ﴿ فَلَمَلُكُ تَارِكُ بَنْضَ مَايُوحَى إِلَيْكَ وَصَائِقٌ مِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلاً أَمْوِلَ عَلَيْهِ كَمْزُ اوْ جَاء مَتُهُ مَلَكُ ۚ إِنَّنَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَ لَذُ عَلَى كُرُّ شَيْء وَكِيلٌ ﴾ وقال: ﴿ فَذَ نَمْلُمُ إِنَّهُ لَيَحْرُنُكَ اللَّذِي يَقُولُونَ . فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذَّبُونَكَ وَلَسَكِنَّ الظَّلِينَ بَايَات اللهُ تَجْعَدُونَ ﴾ .

وفى هذا التلق والضجر استبطاء لنصر الله للحق الذى بعث به نبيّه ، بل فيه سهو عن وعد الله بتأييد دينه ، كما جاء فى قوله : « وَزُ الْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَمَهُ مَتَى تَصَرُّ اللهِ ؟ » .

هذا الضجر ليس بنقص يماب به النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن الله يمده على أقرب عباده إليه ، كما قالوا : حسنات الأبرار سيئات المقر بين ، وقد براه النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى نفسه وخرج من غمرة شدته ذنبا يتوب إلى الله منه و يستنفره ، ومن ثم و ورد الأمر الإلملي بالاستنفار بما كان منه من حون وخمر في أوقات الشدة حين يجيء الفتح والنصر .

الإيضاح

(إذا جاء نصر الله والنتح) أى إذا رأيت نصر الله لدين الحق ، وانهزام أهل الشرك وخذلانهم ، وفتح الله يينك و بين قومك ، بجمل الغلبة لك عليهم ، و إعزاز أمرك ، و إعلاء كلتك .

(ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى ورأيت الناس يدخلون فى دينك ، وينضوون تحت لوائك جماعات لا أفرادا كما كان فى بدء أمرك وقت الشدة .

(فسبح بحمد ر بك) أى إذا تتم لك كل ذلك نترة ر بك وقدّسه عن أن يهمل الحق ، ويدعه للباطل يتغلب عليه ، وعن أن يخلف وعده الذى وعدك به ، بأن يجمل كلتك العليا ، وكلة الذين كذووا السفلى ، ويتم نعمته عليك ولوكره السكافرون .

وایکن تنزیهه بحمده علی ما أولاك من نعم ، وشکره علی مامنحك من خیر، واثناء علیه بما هو له أهل ، فإنه هو القادر الذی لایقلبه غالب ، والحکیم الذی إذا أمهل الکافرین ، فلن یضیع أجر العاملین .

(واستغفره) أى واسأله أن يغفر لك ولمن اتبعك من أصحابك ماكان منهم من الفلق والضجر والحزن والأسى لتأخر النصر .

والتوبة من هذا الفلق إنما تكون بتكيل الثقة بوعد الله ، وتغليبها على خواطر النفس التى محدثها الشدائد ، و إن كان ذلك مما يشق على نفوس البشر، ولكن الله قد علم أن نفس رسوله قد تبلغ ذلك الكمال ، ومن ثم أمره به ، وهكذا يحدث فى نفوس الكلة من أسحابه وأتباعه ما يقارب ذلك ، والله يتقبله منهم .

ثم علل طلب الاستغفار بقوله :

(إنه كان توابا) أى إنه سبحامه كثير القبول لتوبة عباده ، لأنه يربى النفوس بالمحن ، فإذا وجدت الضمف أنهضها إلى طلب القوة ، وشدّد عزيمتها بحسن الوعد، ولا يزال بها حتى تبلغ مرتبة المكال .

وخلاصة ماسلف — إذا حصل النتج وتحقق النصر، وأقبل الناس على الدين الحق فقد زال الخوف، فعليك أن تستج ر بك وتشكره وتنز ع عماكان من خواطر النفس وقت الشدة، فلن تمود الشدائد تأخذ نفوس المخلصين من عباده ماداموا على تلك السكرة، ينزل بساحتهم الإخلاص وتجمعهم الألمة. وقد فهم النبي صلى الله عليه وسلم من هذا أن الأمر قد تم ، ولم يبق إلا أن يلحق بالرفيق الأعلى، فقال فيا روى عنه : إنه قد نُميت ْ إليه نفسه .

قال ابن عمر: نزلت هـ ذه السورة بمنى فى حَجة الوداع ، ثم نزلت ه الدَّوَّمَ أَ كُمنَّتُ كَمَّمُ وَيَسَتَّمُ مَنْ وَأَنْمَتُ مَنْ مَكَنِّكُمْ وَيَسَتَى » فعاش بعدها ثمانين يوما ، ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خسين يوما ، ثم نزلت : « وَاتْقُوا يَوْمَا تُوْمَكُمُ رَسُول مِنْ أَنْفُرِكُمْ » فعاش بعدها خسة وثلاثين يوما ، ثم نزلت : « وَاتْقُوا يَوْمَا تُوْمَجُمُونَ فِيها ، ثم نزلت : « وَاتْقُوا يَوْمَا تُوْمَجُمُونَ فِيها ، ثم نزلت : « وَاتْقُوا يَوْمَا تُوْمَجُمُونَ فِيها ، ثم نزلت ؛ هُ وَاتَّقُوا يَوْمَا تُوْمَعُونَ بِوما .

وصلُّ وَسَلٌّ ربَّنا على محمدوآله وأصابه الذين هاجروا وجاهدوا ورابطوا في سبيل الله.

سورة المسد

هي مكية ، وآياتها خس ، نزلت بعد سورة الفتح .

ومناسبتها لمما قبلها -- أنه ذكر فى السورة السابقة أن ثواب الطبع حصول النصر والاستملاء فى الدنيا ، والثواب الجزيل فىالدتمي . وهنا ذكر أن عاقبة المامى الخسار فى الدنيا والدقاب فى الآخرة .

أسباب نزول هذه السورة

روى البخارى عن ابن عباس أنه قال : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى البطحاء فصد الجبل فنادى (بإصباحاه) فاجتمعت إليه قريش ، فقال : أرأيتم إن حدث كم أن السدو مصبّحكم أوممسيكم أكنتم تصدقونى ؟ قالوا نعم ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبولهب : ألهذا جمتنا ؟ تبّاً لك !! وفي رواية : إنه قام ينفض يديه و يقول : تببًا لك سائر اليوم ، ألهذا جمتنا ؟ فأنزل الله « تَبَتَّنْ يَهَا مِنفض يديه و يقول : تبًا لك سائر اليوم ، ألهذا جمتنا ؟ فأنزل الله « تَبَتَّنْ يَهَا فِيهَ وَتَبَّدَ » .

يسْم الله الرَّحْمُنِ الرَّحِيمِ تَبَّتْ يَدَا أَ بِي كَلَمْ وَنَبْ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ فَارًا ذَاتَ كَلْمَبِ (٣) وَامْرَأَنُهُ حَمَّالَةَ الخُطَبِ (١) فِي جِيدِهَا حَبْلُ مِنْ مَسَدِ (٥) .

شرح المفردات

التباب: الهلاك والخسران قال تمالى: « وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ » وأَبِعُهِ: أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم ، واجمه عبد المُرَّى بن عبد المطلب، وتب : أى قد تب وخسر، يصلى نارا: أى يجد حرها و يذوقه، ولهب النار: ما يسطم منها عند اشتمالها وتوقدها ، والجيد: الدنق ، وللسد: الليف .

الايضاح

(تبت يدا أبى لهب) هذا دعاء عليه بالخسران والهلاك ، ونسب الهلاك إلى الهدين ، لأنهما آلة السل والبطش ، فإذا هلكتا وخسرتا كان الشخص كأنه معدوم هاك .

(وتب) أى وقد تب وهلك .

والجلة الأولى دعاء عليه بالخسران والهلاك ، والجلة الثانية إخبار من الله بأن هذا الدعاء قد حصل ، وقد خسر الدنيا والآخرة .

ثم ذكر أن ما كان يمتزَّ به فى الدنيا من مال وجاه ٍ لم يمن عنه من الله شيئا يوم الغيامة فقال :

(ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى لم يفده حينئذ ماله ولا عمله الذي كان يأتيه فى الدنيا من معاداته رسول الله طلبا للمائز والظهور ، فكما أن ذلك لم ُ يجــدِه شيئا فى الدنيا ، إذ لم يتغلب على الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يقطع ما أراد الله أن يوصل _ لم يفده فى الآخرة ، بل لحقه البوار والنكال وعذاب النار .

وقد كان أبولهب شديد المداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، شديد التحريض عليه ، شديد الصدّ عنه .

روى أحمد عن ربيمة بن عباد قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذى الحجاز وهو يقول: قولوا لايا، إلا الله تفاحوا، والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضى، الوجه أحول ذرغد برتين يقول: إنه صابى كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أولمب».

ومن ذلك تمل أن أبالهبكان يصد عن الحق، وينفر عن اتباعه، وذاع عنه تكذيبه للرسول صلى الله عليه وسلم وتحديه واتباع خطواته لدحض دعوته، والحط من شأن دينه وماجا. به .

(سيصلي نارا ذات لهب) أي سيذوق حر النار و يعذب بلظاها .

وخلاصة ماسلف -- خسر أبولهب وضل عمله ، و بطل سعيه الذي كان يسعاه للعمد عن دين الله ، ولم يغن عنه ماله الذي كان يتباهى به ، ولا جدّه واجتهاده فى ذلك ، فإن الله أعلى كلة رسوله ، ونشر دعوته ، وأذاع ذكره ، وأنه سيمذب يوم القيامة بنار ذات شرر ولهيب ، و إحراق شديد ، أعدها الله لمئله من المكفلر للماندين ، فوق تعذيبه فى الدنيا بإبطال سعيه ، و يحض عمله ؛ وستمذب معه لمرأته التي كانت تعاونه على كفره و وجحده ، وكانت عضده فى مشاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم و إيذائه ، وكانت تمشى بالنيمة للإفساد ، و إيقاد نار الفتنة والعداوة كما قال :

(وامرأته حملة الحطب) أى وستمذب أيضا بهذه النار امرأته أروى بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب ، جزاء لها على ماكانت تجترحه من السمى بالنميمة إطفاء لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ والعرب تقول لمن يسمى في الفتنة ويفسد بين الناس ، هو يحمل الحطب بينهم ، كأنه بعمله يحرق مابينهم من صلات .

وقبل إنها كانت تحمل خُزَم الشوك والحَسَك والسَّقْدان ، وتنثرها بالليــــل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسرا لإيذائه .

وقد زاد سبحانه في تبشيم عملها وتقبيح صورته فقال :

(فى جيدها حبل من مسد) أى فى عنقها حبل نما مُسيد من الحبال أى أحكم فتله ، وقد صورها الله بصورة من تحمل تلك الحزمة من السُوك وتربطها فى جيدها كبمض الحطابات المنتهنات احتقارا لهما ، واحتقارا لبملها ، حسين اختارت ذلك لنفسها .

وقصارى أمرها — إنها فى تكليف ندسها المشقة الفادحة ، للإفساد بين الناس و إيقاد نيران العدارة بينهم ، بمنزلة حاملة الحطب التى فى عنقها حبل خشن تشدّ به ماتحمله إلى عنقها حتى تستقل به ، وهذه أبشع صورة تظهر بها امرأة تحمل الحطب وهى على تلك الحال .

و يرى بعض الملاء أن المراد بيان حالها وهى فى نار جهنم ، إذ تكور على الصورة التي كانت عليها فى الدنيا ، حين كانت تحمل الشوك إيذا، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهى لا تزال تحمل حُزمة من حطب النار ، ولا يزال فى جيدها حبل من سلاسلها ، ليكون جزاؤها من جنس عملها ؛ فقد روى عن سميد بن المسيّب أنه قال : كانت لأم جيل قلادة فاعرة فقالت : لأنفقتُها فى عداوة محمد ، فأعقبها الله حيلا فى جيدها من مسد النار .

نسأل الله الوقاية من النار ، والبعد من الصــدُّ عــــــ دينه وكتابه ، إنه هو السميع العليم.

سورة الإخلاص

هى سكية ، وآياتها أر بع ، نزلت بعد سورة الناس .

أسباب نزولها

روى الفحاك أن المشركين أوسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصر ابن الطُّقيل فقال له عمهسم : شققت عصانا (فر قت كلتنا) ، وسببت آلمننا ، وخالفت دين آبائك ، فان كنت فقيرا أغنيناك ، وإن كنت بجنونا داويناك ، وإن كنت بحنونا داويناك ، وإن كنت بحنونا داويناك ، وإن كنت فد هويت امرأة زوجناكها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لست بفقير، ولا بجنون ، ولاهويت امرأة ، أنا رسول الله ، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته ، فأرساده ثانية وقالوا : قل له : بيّن لنا جنس معبودك ، أمن ذهب أم من فضة ؟ فأنزل الله هذه السورة

المعنى الجملي

هذه السورة تضمنت أهم الأركان التي قامت عليها رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي توحيد الله وتعزيهه ، وتقرير الحدود العامة للاشمال ، ببيان الصالحات وما يقابلها ، وأحوال النفس بعد للوت من البعث وملاقاة الجزاء من ثواب وعقاب ، وقد ورد في الخبر : « إنها تعدل ثلث القرآن » لأن من عرف معناها ، وتدبر ماجاء . فيها حق الندر ، علم أن ما جاء في الدين من التوحيد والنذرية تفصيل لما أجمل فيها.

يسْم اللهِ الرَّشْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُّ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٣) لَمَّ يَبِلِدُ وَلَمَ يُولَدُ (٣) وَلَمَّ يَكُنُ لَهُ كُفُوًا أَحَدُ (٤) .

شرح المفردات

أحد: أى واحد لا كثرة فى ذانه ، فهو ليس بمركب من جواهم مختلفة مادية ولا من أصول متمدّدة فير مادية ، والصمد: الذى يقصد فى الحاجات كما قال:
لقد بكر الناعى بخير بنى أسد ممرو بن مسمود وبالسيد الصمد والكف : النظير فى العمل والندرة .

الإيضاح

(قل هو الله أحد) أى قل لن سألك عن صفة ر بك : الله هو الواحد للنزه عن التركيب والتمدّد، لأن التمدد فى الذات مستازم لامتقار المجموع إلى تلك الأجزاء والله لايفتتر إلى شىء .

(الله الصد) أى هو الله الذى يقصده العباد و يتوجهون إليه ، لقضاء ما أهمهم دون واسطة إلى شفيم ، و بهذا أبطل عقيدة مشركى العرب الذين يعتقدون بالوسائط والشقماء ، وعقيدة غيرهم من أهل الأديان الأخرى الذين يعتقدون بأن لرؤسائهم منزلة عند رجهم ينالون بها التوسيط لنيرهم فى نيل مبتقاهم ، فيلجئون إليهم أحياء وأمواتا ، و يقومون عند قبورهم خاصين خاشمين ، كا مخشمون لله أو أشد خشية .

(لم يلد) أى تنزه ربنا عن أن يكون له ولد ، وفى هذا رد لمزاعم مشركى العرب الذين زعموا أن الملائكة بنات الله ، ولمزاعم النصارى الذين قالوا : السيح ابن الله ، اقرأ إن شئت قوله تمالى: «فَاسْتَنْهُمِمْ أَلِرَبُكَ الْبَنَاتُ وَكُمُمُ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا لللَّائِكَةَ إِنَانًا وَهُمُ شَاهِدُونَ ؟ أَلاَ إِنَهُمْ رِنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَ إِلَهُمْ لَى اللَّهُ وَإِلَيْهُمْ مِنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَ إِلَهُمْ مِنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَ إِلَهُمْ مَنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَ إِلَهُمْ مَنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَ إِلَهُمْ مِنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَ إِلَهُمْ مَنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَالْهُمْ مَنْ إِسْكِهِمْ لَيَتُولُونَ : وَلدَ اللهُ وَإِلَيْهُمْ وَلَى اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَاللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَاللهُ وَاللهُ وَلَا اللهُ وَلَهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلِنْ إِلَى اللهِ اللهُ وَلَا اللهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَلِهُ وَلَوْ اللّهُ وَلَا اللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَلِي اللهُ وَلَا اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا اللّهُ وَلَوْلَهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا أَلّهُ وَاللّهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِلْمُ وَلِلْهُ وَلِهُ إِلْهُ وَلِهُ وَلّهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ لِلْهُ وَلِهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَلِلْهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِلْهُ لِلْهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ وَلِهُ لِلْهُ وَلِلْمُوالِولِهُ وَلِهُ

(ولم يولد) لأن ذلك يقتضى مجانسته لسواه ، وسبق المدم قبل الوجود ... تغزه ر بنا عن ذلك . وأثر عن ابن عباس أنه قال : لم يلدكا ولدت مريم ، ولم يولدكما وُلد عبسى وعُزَير، وهو ردَّ على النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله ، وهلى اليهود الذين قالوا : عز بر ابن الله .

(ولم يكن له كفوا أحد) أى ليس له نِدُّ ولا مماثل ، وفي هذا نفي لما يعتقده بعض البطلين من أن ثله ندّا في أضاله كما ذهب إلى ذلك مشركو العرب حيث جعلوا لللانكة شركاء ثله .

والخلاصة — إن السورة تضمنت نني الشرك بجميع أنواعه ، فقد نني الله عن نفسه أنواع الاحتياج بقوله : « الله أحد » وننى عن نفسه أنواع الاحتياج بقوله : « الله الصمد » وننى عن نفسه المجانسة والمشابهة لشى • بقوله : « لم يلد » وننى عن نفسه الأداد والأشباه نفسه الحدوث والأولية بقوله : « ولم يولد » وننى عن نفسه الأداد والأشباه بقوله : « ولم يولد » وننى عن نفسه الأداد والأشباه بقوله : « ولم يشوله : « ولم يتكن له كفوا أحد » تعالى الله عمل يقول الظالمون علوا كبيرا .

سورة الفلق

هى مكية ، وآياتها خس ، نزلت بعد سورة الفيل .

بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَكَتِي (١) مِنْ شَرَّ مَاخَلَقَ (٧) وَمِنْ شَرَّ غاسِقِ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرَّ النَّقَاانَاتِ فِي الْفَقَدِ (٤) وَمِنْ شَرَّ حَاسِمةٍ إِذَا حَسَدَ (٥) .

شرح المفردات

أعوذ : أى ألجأ ، والفلق : شق الشيء وفصل بعضه من بعض ، تقول فلقت الشيء فانفلق كما قال تعالى : « فَالِينُ الخُبِّ وَالنَّوْرِي » والشيء المتعلوق يسمى فَلَمَّا ، والمراد مه كل ما يفلقه الله كالأرض التي تنفلق عن النبات ، والجبال التي تنفلق عن عيون الحام ، والسحاب التي تنفلق عن ماء الأمطار ، والأرحام التي تنفلق عن الأولاد ، والفاسق : الليل إذا اعتكر ظلامه ، ووقب : دخل ظلامه في كل شيء ، ويقال وقبت الشمس إذا غابت ، والنفائات : واحدهم نفائة كملاّمة ، من النفث وهو النفخ من ريق يخرج من القم ، والعقد : واحدها عقدة ، والحاسد : هو الذي يتعنى زوال نصة الحسود .

الإيضاح

(قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق) أى قل : أستعيذ برب الخجلوقات ، ومبدع الكائنات ، من كل أدّى وشر يصيبنى من مخلوق من مخلوقاته طرًا .

ثم خصص من بعض ما خلق أصنافا يكثر وقوع الأذى منهم فعللب إليه التعوذ من شرهم ودفع أذاهم ، وهم :

(١) (ومن شرغاسق إذا وقب) أى ومن شر الليل إذا دخل وغركل شئ بظلامه ، والليل إذاكان على نلك الحال كان مخوفا باعثا على الرهبة _ إلى أنه ستار بختفى ف ظلامه ذو الإجرام إذا قصدوك بالأذى _ إلى أنه عون لأعدائك عليك .

(٣) (ومن شر النماثات في المقد) أي ومن شر النمامين الله إن يقطمون روابط المحبة ، و يبددون شمل المودة ، وقد شبه عملهم بالنفث ، وشهمت رابطة الوداد بالمقدة ، والمرب تسمى الارتباط الوثيق بين شيشين عقدة ، كما سمى الارتباط بين الزوجين : (مُقَدَّدَ النَّكَامِ) .

فالنميمة تحوّل ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بالوسائل الخفية التي تشبه أن تكون ضربا من السحر ، و يحمب الاحتياط والتحفظ منها ، فالخام يأتى لك بكلام يشبه الصدق ، فيصب عليك تكذيبه ، كما يفعل الساحر الشعوذ إذا أراد أن يحل مقدة الحجبة بين المر. وزوجه ، إذ يقول كلاما ويعقد عقدة و بنفث فيها ، ثم مجلها إيهاما للعامة أن هذا حل للمقدة التي بين الزوجين .

قال الأستاذ الإمام ما خلاصته : قد رووا هاهنا أحاديث في أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم ، وأثر سحره فيسه حتى كان يخيل إليه أنه يقسل الشيء وهو لايفهله ، أو يأتى شيئا وهو لايأنيه ، وأن الله أنبأه بذلك ، وأخرجت مواد السحر من بار ، وعوفى صلى الله عليه وسلم بما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة .

ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام _ ماس بالمقل آخذ بالروح ، هو مما يصدق قول للشركين فيه : « إنْ نَتَّبَعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً » .

والذي يجب علينا اعتماده أن القرآن المتوارّ جاء بنني السحر عنه عليه الصلاة والسلام ، حيث نسب القول بإثبات حصوله له إلى المشركين وو بخهم على ذلك

والحديث على فرض صحته من أحاديث الآحاد التى لايؤخذ بها فى الفقائد ، وعصمة الأنبياء عقيدة لايؤخذ فيها إلا باليقين ، وننى السحر عنه صلى الله عليه وسلم لايستلزم ننى السحر مطلقا ، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون ، ولكن من المحال أن يصيبه صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عصمه منه .

إلى أن هذه السورة مكية فى قول عطاء والحسن وجابر ، وما يزعمونه من السحر إنما وقع بالمدينة ، فهذا بما يضمف الاحتجاج بالحديث ، ويضمف التسليم بصحته .

وعلى الجلة فعلينا أن نأخذ بنص الكتاب ، ونفوض الأمر فى الحديث ، ولا محكم فى عقيدتنا اه .

 (٣) (ومن شر حاسد إذا حسد) أى ونستعيذ بك ربنا من شر الحاسد إذا أغذ حسده ، بالسعى والجد فى إزالة نعمة من يحسده ، فهو يُدُول الحيلة ، و ينصب شباكه ، لايقاع المحسود في الضرر ، بأدق الوسائل ، ولا يمكن إرضاؤه ، ولا يمكن إرضاؤه ، ولا يمكن إرضاؤه ، ولا يس في الله في الطوق دفع كيده ، وردّ عواديه ، فلم يبق إلا أن نستمين عليه بالخالق الأكرم ، فهو القادر على رد كيده ، وردم أذاه ، وإحباط سميه .

نسألك اللهم وأنت الوزَر والنصير ، أن تقينا أذى الحاسدين ، وتدفع عناكيد الكائدين ، إنك أنت اللجأ والمين .

سورة الناس

هي مكية ، وآياتها ست ، نزلت بعد سورة الفلق .

بِسْمِ اللهِ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلُ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٣) إلهِ النَّاسِ (٤) مِنَ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْحُنَّاسِ (٤) اللّٰبى بُوَسْوِسُ فِى صُدُودِ النَّاسِ (٥) مِنَ الجُنَّةَ وَالنَّاسِ (٦) .

شرح المفردات

رب الناس : أى مربيهم ومنميهم وسماعى شؤونهم ، الوسواس : أى الموسوس الذى يلتى حديث السوء فى النفس ، والخناس : من الخنوس وهو الرجوع والاختفاء ، والجنة : واحدهم جنى ّ ، كارنس و إنسى .

الإيضاح

(قل أعوذ برب الناس) أمر رسوله أن يستمين بمن ير بى الناس بعمه ، و يؤديهم بقفه . (ملك الناس) أى مالكهم ومدبر أمورهم ، وواضع الشرائع والأحكام التى فيها سعادتهم في معاشهم ومعادهم .

(إله الناس) أى السترلى على تلوبهم بعظمته ، وهم لا محيطون بكنه سلطانه بل تخصون بما يحيط منها بنواحى قلوبهم ، ولا يدرون من أى ّجانب يأتيهم ، ولا كيف يسلط عليهم .

و إنما قدم الربوبية ، لأنها من أوائل نم الله على عباده ، ثم ثنى بذكر المالكية لأن الهبد إنما يدرك ذلك بعد أن يصير عاقلا مفكوا ، ثم ثلث بذكر الألوهية ، لأن المرء بعد أن يدرك ويعقل يعلم أنه هو المستوجب للخضوع والعزة والمستحق للعبادة ، وإنما قال : رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، وهو رب كل شى ومالك كل شىء وإله كل شىء من قِبل أن الناس هم الذين أخطئوا في صفاته وضاؤا فيها عرب العلم بق السوى ، فيملوا لهم أربابا ينسبون إليهم بعض النعم ، ويلجئون إليهم في دفع النتم ، ويلقبونهم بالشفعاء ، ويظنون أنهم هم الذين يدبرون حركاتهم ، وترسمون لهم حدود أعمالهم .

وبحسبك أن تقرأ قوله تعالى : ﴿ اَتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ ۚ وَرُهْبَاتَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَللَّسِيحَ ثَنَ مَرْبَحَ ، وَمَاأُمِرُوا إِلاَّ لِيَمْبُدُوا إِلْمَـٰنَا وَاحِدًا لاَ إِلَهُ ۚ إِلاَّ سُبُعْتَانَهُ مُثَا يُشْرِكُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَلاَ يَأْمُرُ كُمْ أَنْ نَتَّخِذُوا لَلْلَاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّنِ أَرْبَابًا ، أَيَالُمُو ۖ كُمْ ۚ بِالْكُنْوِ بَعَلَدًاإِذَ أَنْتُمْ مُشْلِمُونَ ؟ ﴾

والخلاصة - إنه سبحانه أراد أن ينبه الناس بأنه هو ربهم ، وهم أناس مفكرون ، وملكهم وهم كذلك ، و إلحيم وهم هكذا ، فباطل ما اخترعوا لأنفسهم من حيث هم بشر .

(من شر الوسواس الخناس) أى ألجأ إليك ربَّ الخلق و إلحهم ومعبودهم أن تنجينا من شر الشيطان الموسوس الكثير الخنوس والاختفاء ؛ لأنه يأتى من ناحية الباطل ، فلا يستطيع مقاومة الحتى إذا صدمه ، ولكنه يذهب بالنفس إلى أسو إ مصير ، إذا انجرت مع وسوسته ، وانساقت معه إلى تحقيق ماخطر بالبال

وهذه الأحاديث النفسية إذا سلط عليها نظر المقل خفيت واضمحلت وسكن للوسوس عند إلغائها .

وحديث النفس بانمواحش وضروب الأذى للناس ، يذهب هباء إذا تنبهت النفس لأوامر الشرع ، وهكذا إذا وسوس لك امرؤ و بعثك على فعل السوء تم ذكّرته بأوامر الدين يخنس و يحسك عن القول ، إلى أن تستح له فرصة أخرى .

وقد وصف الله هذا الوسواس الخناس بقوله :

(الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) أى إن همذا الوسواس الختاس الذي يوسوس في صدور البشر ، قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس ، كا جاء في قرله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَمَلْنَا لِكُلُّ نَبِيّ عُدُوًا شَيَاطِينَ الإنس وَ الجُنّ في فشيطان الجن قد يوسوس تارة و يخنس أخرى ، وشيطان الإنس كذلك، وألجن ما يريك أنه ناصح شفيق ، فإذا زجرته خنس وترك هذه الوسوسة ، وإذا أصغيت إلى كلامه استرسل واستمر في حديثه وبالغ فيسه ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها مالم تسلم أوتمكم به » رواه أوهر مرة وخرسجه مسلم .

و إنما جعل الوسوسة فى الصدور من قِبَل أنه عَهد فى كلام العرب أن الخواطر فى القلب بما حواه الصدر عنده ، ألا تراهم يقولون : إن الشك يحوك فى صدرك ، و يجيش فى صدرك ، و يجيش فى صدرك ، و يختلج ذلك مخاطرى ، وما الشك إلا فى نفسه وعقله ، وأفاعيل العقل تكون فى المنح ، و يظهر لها أثر فى حركات الدم ، وضربات القلب ، وضيق الصدر وانساطه .

قال الأستاذ الإمام للوسوسون قسمان :

(١) قسم الجنة وهم الخلق المستنزون الذين لانمرفهم ، و إعما نجد في أنفسنا

أثراينسب إليهم، ولكل واحد من الناس شيطان، وهي قوة نازعة إلى الشر، و يحدث منها في نفسه خواطر السوه .

(٢) قسم الناس، ووسوستهم مانشاهده ونراه بأعيننا، ونسمعه بآذاننا.

وما أوردوه في خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره وجثومه على الصدر أوعلى القلب ونحو ذلك ؛ فهو من قبيل التثيل والتصوير اه ملخصا .

وقد بدئت السورة برب الناس، ومن كان مر بيهم فهو القادر على دفع إغواء الشيطان ووسوستهم.

. . .

اللهم اجملنا من الخلصين في أعمالنا ، وادفع عنا أذى شياطين الإنس والجن أ وأبعد عنا شر الموسوسين ، وقنا عذاب جهنم ، ولا تفضحنا يوم العرض .

وصل ربنا على محمد وآله الطبيين الطاهرين ، وصحبه الذين ذادوا عن دينك ، بقدر ماغرست في قاو بهم من برّ د اليةين ، وأثابجت صدورهم بمحبة هذا الدين .

خاتمية التنسير

حدا الك اللهم على نمائك ، وشكرا لك على جزيل آلائك ، سبحانك رب وفقتنى لتنسير كتابك الكريم ، و بيان أسراره ومفازيه لجهرة السلمين ، بعد أن كانت تقوم أمامهم عقبات تلو عقبات ؛ فن مصطلحات العلوم لا تستسيفها إلا طوائف بمن تخصصوا لدرمها ، ومن تفسير لنظريات طبية أوفلكية دلت أبحاث العلماء المحدكين على أن تفسير الملماء التدامي لها كان مجاففا للحقائق التي أثبتها العلم الحديث ، ومن قصص دوّن في كتب التفسير يقوزه الديل النقلي الصحيح ، الله ولا يوافق على صدقه العقل الرجيح ، ولا سيا قصص الأنبياء وأخبار الأمم البائدة ، وبن وخلق السموات والأرض .

وكم سهرت الليالى الطوال فى أيام القُرّ ، و إبَّان الحرّ ، لا تؤنسنى إلا معونة الله وجميل توفيقه ، وما أشعر به من لذة تخفف عنى ما أنقض ظهرى .

وحينا كنت أحس بسأم من العمل للضنى — آنس أن نفحة من روح الله يهب نسيمها على قلبي ، فأنشط العمل ، وأدأب على للضي قُدُما ، لمواصلة الدرس والتأليف .

وهكذا كانت تمر الليالى والأيام ، فلا أجد مع ذلك الجهد إلا انشراحاً وسرورا بمواصلة العمل . وقد أعانتى الله على إتمامه بعد سبع سسنين دائبا العمل ليل نهار، صباح مساء .

وكان مسك الختام ، و إنجاز التفسير فى سَلخ ذى الحجة من ســـة ١٣٦٥ خس وستين بعد الثلثاثة والألف من هجرة سيد ولد عدمان بمدينة حلوان من أرباض القاهرة قاعدة الديار المصرية .

ولله الحد في الآخرة والأولى ، وإليه المرجع والمآب كا

خاتمة الطبع بـــــــاندا*لرمناري*يم

حمدا لمن أثرّل القرآن تبيانا للناس وهدى وموعظة للنتين ، وأرسل سسيدنا محدا بشيرا ونذيرا ورحمة للمالمين ، صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه مصابيح الهدى وترجمان القرآن الذي هو حجة أله على الماس أجمين .

آنى رب المالمين فيه بالبراهين الساطمة ، والحجيج الدامفة على انفراده سبحانه بالألوهية ، واختصاصه جل ذكره بالممبودية . دمغ به الباطل وأزهقه ، وزيف به عقائد العرب وبين لهم النجدين، فمنهم من مال إلى الإسلام، ومنهم من خضع بالسيف والسنان.

ولقد وضح رســول الله صلى الله عليه وسلم مقاصده ، وبين مراميه وفسر بعض آياته ، وانتدى به المسحابة ومن بعدهم فى ذلك .

وقد در حضرة صاحب الفضية الأستاذ الجليل الشيخ وأحمد مصطفى الراغى بك و حيث خاص لجة بحر عسم تفسير الفرآن ، فضرح الألفاظ الفردة التي يصعب على القارى أ فهمها لأول وهلة ، ثم تلاها بالمنى للراد من الآيات فى عبارة مختصرة ، ثم ثلنها بإبضاح المائى إبضاحا شاملا شافيا ، مع تجنب القصص الإسرائيلية للدسوسة والحرافات الدخية على هسدا العلم النفيس ، فذكر منها الصريح والقل الصحيح . اهتدى إلى مالم يهتد إليه الفحول من متقدميه ، واستدل بأحاديث الرسول فى بعض المواضيع ، وبأشعار المرب ، وبأفوال أهل اللغة والعلماء للوقوق بعلهم وتعلهم ، فهوكما قال الفائل :

إنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

وقد قام بطبعه طبعا منفناً ونشره بين الأنام السادة النبلاء من نشروا كتب الجهابذة الأعلام في أنحاء للممورة ، أصحاب :

[شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر]

فلله درهم حيث قدموه لجمهور القراء بهذا الشكل البديع مع الأعتناء بتصحيحه بمرفة لجمة من علماء الأزهر الشريف برياسة الأسستاذ الشبيخ « أحمد سمد على » وإشراف صاحب الفضية الشيخ «على مجدالضباع» شيخ القراء وللفارئ بالديار للصرية.

القاهرة في يوم الخيس (٢٩ من ربيع الناني ١٣٩٩هـ القاهرة في يوم الخيس (١٩٥٠ من قبراير - ١٩٥٠ م

مدير الطبعة رستم مصطفى الحلبي ملاحظ المطبعة محمد أمين عمر أن

فيرسين لا

أهم المباحث العامة التي في هذا الجزء

الصفعة البح

- ه كان المشركون كثيرا ما يتحدثون في شأن البعث والحساب فنزات سورة عمّ.
 - للظامة فوائد وللنور فوائد .
 - ٩ ف الشمس سر الحياة .
 - ١١ أمر الكائنات في يوم الفصل على غير مانعهد .
 - ١٤ ذكر جرائم الكفار التي استحقوا عليها العذاب .
 - ١٧ الْتَمْتُم بِالنَّسَاءُ فِي الْآخَرَةُ يَكُونَ عَلَى نَهْجِ يَشَاكُلُ العَالَمُ الْأَخْرُويُ .
 - الملائكة مخلوقات غبيبة نصدق بما جاء في الكتاب من أوصافها .
 - ٢٠ في يوم القيامة تتجلي للمرء أعماله التي كانت في حياته الأولى .
 - ٣٣ الإقسام بيعض المخاوقات في السكتاب السكريم يكون لأحد أمرين .
 - ٢٥ استبعد المشركون أمم البعث لأسباب ثلاثة.
 - ۲۷ قصص موسی مع فرعون طاغیة مصر .
 - ٣٠ البعث هين إذا قيس بخلق السموات والأرض
 - ٣١ تعاقب الليل والنهاريهي الأرض للسكني .
 - ٣٣ يوم القيامة يتذكر كل امرئ ماعمل في الدنيا .
 - كان المشركون يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فأمره أن يقول
 لهم: علمها عند ربي
 - ٣٧ يوم القيامة يظن المشركون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية أو نجماها .

المنعة البعث

٢٩ عتاب الله لنبيه على الإعراض عن هذا الأعي .

٤٢ الهداية تذكرة يقصد بها تنبيه النافل .

٤٧ الآيات المنبثة في الآفاق والأننس.

٤٩ ذكر بعض أهوال يوم القيامة التي توجب الفزع .

· ه الناس فريقان : سعداء وأشقياء .

٥٣ حين تقع أحداث القيامة تملم كل نفس ماقد من عمل .

افتن الم ب في وأد البنات .

٥٦ لايتقبل الله من الأعمال إلا ما كان عن قلب ملى. بالإيمان .

٥٩ أوصاف جبريل عليه السلام .

٦٠ صفة النبي عليه الصلاة والسلام .

١١ على مشيئة المكلف تتوقف الهداية .

٦٥ في يوم الحشر يسأل الإنسان عما دعاه إلى مخالفة خالقه .

٦٦ الإنسان لايميش كا يميش سائر الحيوان .

٧٧ لا يمنع الإنسان من التصديق بالبعث إلا العناد.

٧ جزاء التطفيف في الكيل والميزان.

٧٣ التطفيف يكون في غير الكيل والميزان.

٧٥ مقالة المشركين في القرآن .

٧٦ لايكذب بيوم الدين إلا الممتدى الأثيم .

٧٨ مايقال للكفاريوم القيامة .

٨٠ أعمال الأبرار في كتاب يسمى دليين وأعمال الفجار في كتاب يسمى سجينًا.

الصفحة للمحث

٨ أثر النعيم في أهل الجنة .

٨٣ ما كان الكفار يقابلون به المؤمنين في الدنيا .

٨٤ من شأن القوى أن يضحك من يخالفه .

٨٨ الناس في الآخرة فريقان : يَرَرَة وفجرة.

٨٩ حين اختلال نظام هذا المالم تمدّ الأرض مدّ الأديم المكاظى .

٩١ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم حاسبني حسابا يسيرا.

٩٣ إيتاء الكتاب باليمين أو بالشال تصوير وتمثيل .

إقسام الله تمالى بآياته الباهرات في هذا السكون .

۱۷ الإقسام بما فيه غيب وشهود .

٩٩ تعذيب المشركين المؤمنين شِنشنة قديمة .

١٠٠ حديث أصحاب الأخدود .

١٠٢ ما أعد الله الكافرين من العذاب الأليم.

١٠٤ مايمظم به الملك في الدنيا .

١٠٦ في قصص أصحاب الأخدود تسلية للنبي وصحبه .

١٠٧ أحوال الكفار متشابهة في كل عصر .

١٠٩ إقسام الله تمالي بأن النفوس لم تخلق سدى .

١١٢ كيفية خلق الجنين ونمو الحل كما أثبته العلم حديثا .

١١٤ للاء الدافق يكون من كل من الرجل والمرأة .

١١٨ في الحديث «كتاب الله فيه نيأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم الح».

۱۲۱ اسم الله مايعرف به .

مفعة الب

١٢٣ وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم أنه سيقرئه من كتابه مافيه تنزيهه .

١٢٥ أمره صلى الله عليه وسلم بتذكير عباده بما ينفعهم في ديمهم ودنياهم .

١٢٩ الناس بالنظر إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أقسام ثلائة .

١٢٧ وعد من زكى نفسه بالفوز والقلاح والظفر بالسعادة .

١٣٩ الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء إلا مذكرا بما نسيته الأجيال من شرائم للرسلين .

١٣٤ وصف الجنة وما فيها .

١٣٦ إقامة الحجة على المنكرين ليوم البعث .

١٣٧ ضرب أمثلة دالة على قدرته تمالى .

١٤١ نسمة الله على عباده بتماقب الليل والنهار .

١٤٣ ذكر قصص الأمم الماضية وما فيها من سلوى لرسوله صلى الله عليه وسلم .

١٤٣ الإنسان لايهتم إلا بشئون الدنيا .

١٤٨ تو بيخ الإنسان على زجر اليتيم والسكين .

١٥٠ إيثار الناس للحياة الدنيا على الآخرة .

١٥١ يندم الإنسان على مافرط منه حين لايجدى الندم .

١٥٢ وصف يوم القيامة وما فيه من أحداث .

١٥٧ خلق الإنسان في عناء .

١٦١ الحض على مواساة اليتيم و إطعام المسكين .

١٦٣ فعل البر لايجدى نفعا إلا مع الإيمان واطمئنان القلب .

١٦٦ الحكمة في القسم بالشمس والقمر والليل والنهار .

مقحة ال

١٦٨ ألهم الله تمالي النفوس الفجور والتقوى وعرٌّ فها حالمها .

١٧٠ ذكر بعض أخبار الأم الماضية وما جوزوا به .

١٧٤ اختلاف الأجنة في الذكورة والأنوئة دليل على أن واضع النظام عليم بما ينمل.

١٧٨ أعذر الله إلى عباده فأبان لهم الخير والشر وأرشد إلى عاقبتهما .

١٨٠ الناس أصناف ثلاثة .

١٨٢ سبب نزول سورة الضحى .

١٨٤ تمداد ما أنم الله به على رسوله قبل النبوة .

١٨٦ مطالبته عليه السلام بشكر هذه النع .

١٨٧ كان صلى الله عليه وسلم كثير الإنفاق على الفقراء عظم الرأفة بهم .

١٨٩ لافخار أعظم من ذكره صلى الله عليه وسلم في كلة الإيمان مع العلى الرحمن .

١٩١ ستخرج النفس ظافرة مهما اشتد العسر إذا اعتصمت بالصبر وتوكلت على ربها.

١٩٤ أقسم ربنا بالمهود الأربعة التي كان لها أثر بارز في تاريخ البشر .

١٩٧ صدر سورة اقرأ أوَّل القرآن تزولا .

٣٠٠ نم الله على عباده .

٢٠١ أسباب طنيان الإنسان .

٢٠٥ ما دار من الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبى جهل .

٢٠٦ أشار القرآن إلى نزول القرآن فى أربعة مواضع .

٢٠٨ فضل ليلة القدر .

٢١٥ النعي على للسلمين فيا أحدثوا من البدع .

٢١٨ علامات يوم القيامة .

Li.

٢٢٣ أقسم الله سبحانه بالخيل ليعلى من قدرها .

٣٢٧ نحن نؤمن بالميزان يوم القيامة لكنا لانعرف حقيقته .

٢٣٠ زيارة القبور أعظم دواء للقلب القاسي .

٣٣٢ يسأل الكفار عن النميم الذي كانوا يتمتمون به في الدنيا .

٣٣٤ الدهر خلق من خلق الله تقع فيه الحوادث خيرها وشرها .

٣٣٥ الناس في خسر إلا من اتصفوا بأر بع صفات .

٣٣٨ سنخط الله وعذامه لكل طمان في الناس أكَّال للحوم .

٢٤٢ قصص أصحاب الفيلكا رواه الثقات .

٣٤٣ البعوض الذي أهلك أصاب القيل.

٢٤٥ تعداد النعم على قريش .

۲٤٨ الرياء على ضروب .

۱۹۱۰ در پر علی عروب

٢٥١ أسباب نزول سورة الكوثر .

٣٥٧ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لتكذيب قومه له .

٢٦٢ كان أبو لهب يصدُّ عن الحق وينفر الناس عن اتباعه .

٣٦٤ ورد أن سورة الإخلاص تمدل ثلث القرآن .

٣٦٤ سورة الإخلاص تضمنت نفي الشرك مجميع أنواعه .

٣٦٧ علمنا الله أن نتموَّذ به من أصناف من الخلق .

٢٦٨ ننى تأثير السحر فى النبى صلى الله عليه وسلم .

٢٧١ للوسوسون قسمان .

٢٧٣ خاتمة التفسير .

٤٧٧ ﴿ الطبع .

